اللُّغَةُ العَرَبيَّة

مجلّة فصليّة مُحكّمة تعنى بالقضايا الثّقافيّة والعلميّة للّغة العربيّة

اللُّغَةُ العَرَبيَّة

Revue Académique Trimestrielle Indexée

منصّات الاعتماد

المجلس الأعلى للغة العربية
العنوان : 52,شارع فرانكلين روزفلت
ص.ب 575 ، ديدوش مراد، الجزائر
الهاتف : 16/17 07 23 21 213+ النّاسوخ : 07 23 21 213+
الموقع الإلكتروني: www.hcla.dz

العدد الخمسون 2020

50

العدد 50
2020

المجلس الأعلى للّغة العربيّة - الجزائر

اللُّغَةُ العَرَبِيَّة

مجلّة فصليّة مُحكّمة تعنى بالقضايا الثّقافيّة والعلميّة للّغة العربيّة

العدد الخمسون

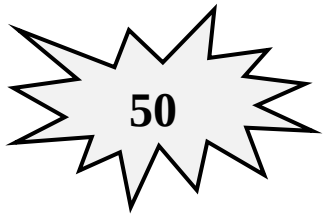

ر.د.م.م	EISSN	الإيداع القانوني
1112.3575	6545-2600	7/20 02

اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ

المدير المسؤول
أ.د. صالح بلعيد
رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة

رئيس التحرير
أ.د. عبد الله العشي

نائب رئيس التحرير
د. حياة أم السّعد

مديرة التحرير
أ. نورة مراح

المدقّق اللغويّ
أ. حسن بهلول

اللّجنة العلميّة للتحرير

أ.د. عبد الله العشّي،
أ.د. حياة أم السّعد،
أ.د. أحمد عزوز،
أ.د. عبد القادر فيدوح،
أ.د. آمنة بلعلى،
أ.د. مسعود صحراوي،
أ.د. محمد كعوان،
أ.د. الطيّب دبّة،
د. الجوهر مودر،
د. انشراح سعدي،
د. شراف شتّاف،
د. صحرة دحمان.

شروط النّشر:

- ✓ تنشر المجلّة المقالات الرّصينة، ذات العلاقة بقضايا اللّغة العربيّة ومجالاتها؛
- ✓ تُكتب المقالات باللّغة العربيّة، وتلحق بملخّصين أحدهما باللّغة العربيّة وآخرهما باللّغة الإنگليزيّة؛
- ✓ تخضع المقالات للمنهجيّة العلميّة الأكاديميّة، وتهمّش آليا في آخر المقالة؛
- ✓ تخضع المقالات للتّحكيم العلميّ؛
- ✓ يلتزم صاحب المقالة بالتّعديل في الآجال المحدّدة، إن طُلِبَ منه ذلك؛
- ✓ تُكتب المقالة بخط Simplified Arabic ببنط 14 في المتن و12 في الهوامش، وترسل على البريد الإلكتروني للمجلّة الموضّح أدناه؛
- ✓ يكون حجم المقالة بين 3000 و5000 كلمة؛
- ✓ ألاّ تكون المقالة قد نشرت من قبل، ولا مستلّة من مذكّرة أو أطروحة جامعيّة؛
- ✓ يتسلّم صاحب المقالة ثلاث (03) نسخ من العدد الذّي نشرت فيه مقالته؛
- ✓ تُرفق المقالة بسيرة علميّة موجزة عن الباحث؛
- ✓ لا تعبّر المقالات المنشورة بالضّرورة عن رأي المجلس الأعلى للّغة العربيّة.

للاتصال

madjaletalarabia@gmail.com

asjp.cerist.dz

الهاتف: 00213 21 23 07 16 – **النّاسوخ:** 00213 21 23 07 17

المراسلة: مجلّة اللّغة العربيّة، المجلس الأعلى للّغة العربيّة

شارع فرنكلين روزفلت الجزائر ص.ب. 575 ديدوش مراد – الجزائر

محتويات العدد

العنوان	الصفحة
كلمة رئيس التّحرير أ.د. عبد الله العشي	9- 12
أدب الخيال العلمي: سؤال المفهوم والأنواع أ. فاطيمة بومعزة	13- 42
الأثر العربي في الأدب الفارسي **(مقامات الهمذاني و گلستان سعدي الشّيرازي أنموذجا)** أ. عليوة نصيرة	43- 72
الأدوار التّيماتيّة في النّص المسرحي الجزائري – مسرحيّة البخيل لأحمد رضا حوحو **أ.** طيهار نسيبة أ. سيليني نور الدّين	73- 108
الإيقاع بين علم الموسيقى وعلم العروض أ. سياحوي رفيقة	109- 124
البعد الأخلاقي في شعر عروة بن الورد أ. خلاف بوحالة	125- 154
البلاغة العربيّة في التّعليم بين الفنيّة والعلميّة أ. يمينة سويقات د. مباركة خمقاني	155- 170
الخطاب التّراثي عند عبد الرّحمن الحاج صالح **د.** عبد الرّحمن بشلاغم	171- 190

الرّبط اللغوي عند المحدثين وأثره في اتساق الخطاب **أ. الطّاهر تركي**	**191- 212**
السّياق ودوره في تحديد دلالات الاستلزام التّخاطبي دراسة في كتاب " اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشّيخان أ. عبد الصّمد بطوش	**213- 236**
القارئ الضّمني ولعبة الكتابة الإبداعيّة دراسة تطبيقيّة في العتبات النّصيّة لروايّة كتاب الأمير لواسيني الأعرج أ. فاطمة الزّهراء شودار	**237- 258**
اللّسانيّات الحاسوبيّة في الجزائر أ. محمّد بن مبخوت	**259- 290**
المحنة وتجلّياتها في الرّوايّة الجزائريّة الاستعجاليّة د. بن داود شفيقة	**291- 304**
المصطلح السّيميائي في الجزائر - بين إشكاليّة التّنظير ومحدوديّة التّطبيق- أ. منزولة قرماط	**305- 324**
تجلّيات معايير الخطاب والتّخاطب البلاغي عند الجاحظ في كتابه البيان والتّبيين أ. أمال أورابح	**325- 350**
تحقُق العتبة العلميّة النّحويّة لدى الطّالب الجامعي أ. قلبـازة يوسف	**351- 366**
تداوليّات المصطلحات اللسانيّة والنّقديّة في أقسام اللغة العربيّة وآدابها - دراسة في التّصوّر والإسقاط- أ.د مختار عبد القادر لـــزعر د. عبد الله بن حمود الفوزان	**367- 404**
تداوليّة الأفعال الكلاميّة في سورة الرّحمن أ. زابـور إيمـان	**405- 420**

توظيف حروف الجر بين ضوابط النّحويين القدماء واجتهادات المعاصرين من خلال معاجم الأخطاء الشّائعة أ. الزّيتوني عبد الغني	421- 440
جهود الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي في إحياء تدريس اللغة العربيّة بتلمسان 1932- 1947م أ. عبد الرّحمان بن بوزيان	441- 470
دور الأنشطة المعرفيّة في تنميّة المهارات اللغويّة لدى المتعلّم –سنة أولى متوسّط أنموذجا- أ. سمراء شلوا ش	471- 496
ظاهرة الانزياح في النّقد العربي بين التّأصيل اللغوي وتعدّد المصطلح أ. دوبالة عائشة	497- 512
مَخْطُوطَةُ الضّوَابِطِ الكُلّيّة فِي نَظْمِ العَوَامِلِ الجُرْجَانِيّة لِأَحْمَدَ بْنُ سِيبَوَيْهِ (الحَنْبَلِيُّ، اِبْنُ سِيبَوَيهِ) – تَحْقِيقٌ وَشَرْحٌ- أ. عبد الوهاب حجازي	513- 524
نقد منطق التّفكيك أ. أحمد العزري	525- 544
هل يمكن للتّابع أن يُسمع؟: أ. يونس سلاّم	545- 586
هيمنة اللغة الإنجليزيّة على اللغة العربيّة أ. عائشة بن السّايح د. سيبوكر اسماعيل	587- 604

كلمة العدد

الخيار والضّرورة في تعلم اللغات

أ.د. عبد الله العشي
رئيس التحرير

ما سرّ هذا التّهافت على الدّعوة إلى تعلّم اللغات، هل هو استجابة لضرورة علميّة وحضاريّة معيّنة تستوجب التّمكن من لغة ما من أجل اللحاق بالرّكب الحضاريّ، أم هو مجرّد مزاج طارئ يهدف إلى تصفيّة حسابات معيّنة مع لغات أخرى ليس أكثر ؟ كانت الفرنسيّة إلى عهد قريب ترفض أن تنافسها أية لغة أخرى بما فيها العربيّة، وتدافع عن حياتها بكلّ الوسائل من الإعلام إلى الحرب إن اقتضى الأمر ذلك، ومنذ مدة بدأت الدّعوة إلى تعلم الانجليزيّة باعتبارها بديلا أفضل وأكثر علميّة ، ثم ها هي الدّعوة الآن إلى اللغة الصّينيّة، ما الذي يدفع إلى كلّ هذا؟ ،، يكاد يجمع الكثير على أنّ الدّافع وراء كلّ هذا هو الانتقام من الفرنسيّة، والثّأر من الطبقة الفرونكفونيّة التي هيمنت على مقاليد السّلطة والإدارة والحياة العامّة والخاصّة ، وحتى مع التّسليم بمشروعيّة الهدف فهل هذا هو الحل ؟ ألا يمكن أن نعطي، بمثل هذا الحلّ، فرصة أخرى للإنگليزية لتأخذ مكان الفرنسيّة وتتولى الهيمنة لاحقا ، كما هو الأمر في بلدان عربيّة أخرى التّي لا تستطيع أن تمارس حياتك اليوميّة فيها ما لم تكن على معرفة بالانگجليزيّة، ما هو السّؤال الملح الذي نجيب عنه بالذهاب نحو تعلم لغة أجنبيّة؟ ثم ماذا يمكن أن تستفيد العربيّة بمثل هذا الحل؟ اللغات غالبا ما تكون مفاتيح لانتقال الإيديولوجيات والثّقافات والمشاريع المهيمنة ، وليست مجرّد وسائل للتواصل فقط، مثلها مثل كلّ شيء في عالم اليوم، لأنّ اللغات لا تهاجر بمفردها وبمنطقها الخاصّ وبقرارها الذّاتي، ولأغراض شريفة بل تنتقل عبر

مؤسّسات ذات مصالح كبرى توجهها لتحقيق أغراض خاصّة، وغالبا ما تكون هذه المؤسّسات سياسيّة واقتصاديّة وعسكريّة وأمنيّة ولذلك فاللغة غالبا ما تخرج من دائرتها الخاصّة لتصبح أداة سياسيّة أو اقتصاديّة أو عسكريّة، لقد فُرض على اللغة، وهي من ضمن هذه المؤسّسات ، أن تغير هويتها ووظيفتها تبعا للمؤسسة التّي توجهها، فعلى من يتعامل مع اللغة أن يدرك هذا التّحول الخطير في منطق اللغات.

أليس السّبيل إلى تحييد الفرنسيّة، إن كان هذا هو الدّاعي الأساسي لهذه الدّعوة، من حياتنا العلميّة والإداريّة والعامّة هو العودة إلي تحيين اللغة العربيّة وتعميمها والعمل على تطويرها، لماذا تغيب مثل هذه الدّعوات في الخطاب الرسمي، هل انتهى أمر الاهتمام باللغة العربيّة وصارت لغة متطوّرة ولا تحتاج الى مزيد من التّطوير. مع أن الأمر لا يتعلّق بالتّطوير إنما بالاعتراف والتّقدير.

إن المراهنة على اللغة كشرط للتقدّم هو رهان واهم، إذ ليس في الدّول التّي اقلعت حضاريا دولة راهنت على اللغة، لا اليابان ولا الصين ولا دول آسيا الجنوبيّة ولا دول أخرى وضعت هذا الشرط اللغوي في حسبانها، بل لعلّها وضعت شرطا آخر أكثر أهميّة وهو الانطلاق من الشرط الذاتي كمبدأ للانطلاق نحو الكونيّة، لا يمكن، إذا، الذهاب نحو هذا الحلّ الاعتباطي، بل ينبغي البحث في ما هو أعمق من ذلك، إنّ التّقدّم فيما نتصوّر مشروط بمبدأين أساسيين مرتبط أحدهما بالبعد النّفسي والثاني بالبعد الاخلاقي للأفراد والشّعوب، يتعلّق الأوّل بإرادة الفعل وهو مبدأ نفسي يحضر الفرد والجماعة للانخراط في حركة التّاريخ، والثّاني الإخلاص في العمل وهو شرط أخلاقي يحمي الفعل من أية عبثيّة أو فقدان للفاعليّة، وبعدها يمكن أن تأتي الشروط الأخرى .

إن هذه مثل هذه الدّعوات إن هي إلاّ تمييع للقضيّة الأصليّة، وتحويل للاهتمام إلى قضايا فرعيّة لا صلة لها بالأصل، والإبقاء بالتّالي على المشكلة في مكانها دون حل. فإذا كانت الدّعوة إلى تعلم لغات بعينها تترجم شعورا بالعجز واعترافا بالفقر فإن الحلّ ليس في < الاستدانة > من بنوك اللغات العالميّة، بل

العمل على تسيير رشيد لـ < الملك الخاصّ > فكلّ استدانة تتضمن رهنا طو يا أو قسريا لمصير الدّائن. التّسيير الأمثل ينبغي أن يكون بيد العلماء وليس السّياسيين المؤدلجين.

حين يسبق السّياسي العلمي وتتقدم السّياسيّة التّفكير الموضوعي يحدث مثل هذا التّفكير في المسالة اللغويّة فلا يكون الهدف، حينها، خدمة اللغة بل خدمة أهداف وغايات أخرى خارج اللغة . حدث هذا مع العربيّة حين تحولت في بعض الخطابات السّياسيّة والحزبيّة إلى مجرّد شعارات تقول ولا تعني شيئا. مجرّد لغة خشبيّة هامدة. وهذه الدّعوة ستصبح مجرّد شعار منتهي الصّلاحيّة بعد أن يكون قد أدى وظيفته خارج سياقه اللغوي.

الشّعب لا يتعلّم، في الأصل، إلا لغة واحدة، هي لغته التّي تشكلت معه تاريخيا حتى صارت جزءا منه، لغة تحمل فكره وشعوره ووجدانه وضميره وأخلاقه وكلّ خزانه الرروحي، وصارت مكونا من مكونات هويته في حاضره ومصيره فاكتسبت ، بالتّالي، خاصيّة أخرى أكثر من كونها مجرّد وسيلة اتصال وتعبير، بل صارت مكوّنا من مكوّنات الحياة والوجود. أما النّخب فيمكنها أن تتعلّم ما شاءت من اللغات، حين تضطرها الضّرورات العلميّة والثقافيّة والدّينيّة والسّياسيّة إلى ذلك.

اللغات التّي نتعلمها بعد اللغة الأمّ هي مجرّد وسائل لغايات معيّنة طارئة قد نغيرها حين تتغير الظروف الدّاعيّة إلى ذلك، أما اللغة الأمّ فليست وسيلة بل غاية في ذاتها، وهي غير قابلة للاستبدال أو التّغير، هي ثابتة ثبات الذّات والتّاريخ. اللغات الأجنبيّة خيارات بالنسبة إلينا، نستعين بها عند الحاجة، وقد تصبح أحيانا خيارا استراتيجيا، أمّا اللغة الأمّ فليست خيارا ابدا، بل هي ضرورة على الدّوام.

اللغة الأجنبيّة نتعلمها ولا نعلم بها، أن نتعلم لغة يعني أن نضيف ثقافة إلى ثقافتنا وخبرة إلى خبرتنا، أما أن نعلم بها فيعني أن نجعلها بديلا ، وكل من يعلم بغير لغته فهو تابع بالضّرورة، والأسوأ من ذلك أن يطلب من الباحثين

الذين يحسنون لغتهم أن يحرروا بحوثهم بلغة أخرى لمسايرة الحضارة، فهل هذه مسايرة للحضارة أم تبعيّة للغة محليّة مرتبطة بثقافة وإيديولوجيّة ومؤسّسات سياسيّة واقتصاديّة وأمنيّة ، أليست المسايرة الحضاريّة هي أن تساهم بهويّتك اللغويّة في المشروع الكوني المسمى حضارة؟

أدب الخيال العلمي: سؤال المفهوم والأنواع

Science fiction: concept and species question

أ. فاطيمة بومعزة[1]
إشراف د / فيصل الأحمر

تاريخ الاستلام: 03 08 2019 تاريخ القبول: 29 09 2019

ملخّص: ظهر أدب الخيال العلمي كنوع أدبي مستقل بذاته في البيئة الغربيّة وذلك في نهايّة القرن التّاسع عشر وبدايات القرن العشرين، بحيث يعدّ هذا الأخير العصر الذّهبي لهذا النّوع من الأدب، إذ أصبح يجاري الآداب الرّسميّة وينافسها.

وإن كان أدب الخيال العلمي قد قطع أشواطا في البيئة الغربيّة، فإنّه مايزال في القماط في البيئة العربيّة؛ إذ يعاني من التّهميش والتّحقير ما يعانيه، فهو لا يعدّو أن يكون قصصا توجّه للأطفال من أجل التّسليّة والتّرفيه. وفي محاولة لتعريف القارئ العربي بأدب الخيال العلمي؛ جاءت هذه الورقة، حاملة في طياتها بعض التّعاريف التي عرف بها هذا النّوع من الأدب، وكذا أنواعه وخصائصه.

كلمات مفتاحيّة: أدب الخيال العلمي، الخصائص، الأنواع.

Abstract: Science fiction emerged as an independent literary genre in the Western environment at the end of the 19th century and the beginning of the 20th century. The latter is the golden age of this type of literature.

[1] جامعة محمد الصدّيق بن يحي، جيجل، الجزائر، البريد الإلكتروني:
fatimaboumaza455@gmail.com

If science fiction has made its way in to the Western environment, it is still in the Arab world. It suffers from marginalization and humiliation. It is nothing more than stories for children to entertain and entertain. In an attempt to acquaint the Arab reader with the science fiction, this paper contains some of the definitions attributed to this type of literature, as well as its types and characteristics.

Keywords: Science fiction, characteristics, species .

مقدّمة: يعدّ أدب الخيال العلمي من الأنواع الأدبيّة التي ازدهرت خلال القرن العشرين وذلك استجابة للتطور الحاصل على المستوى العلمي والتّكنولوجي خاصّة ويستمدّ هذا النّوع الأدبي طاقته واستمراريته من التّجديد العلمي الذي لا ينضب معينه.

وقد كان هذا اللون الأدبي هامشيا في بداياته يُنشر على أوراق الجرائد الخشنة إلاّ أنّه فيما بعد وخاصّة خلال القرنين العشرين والواحد والعشرين أصبح أدبا ينافس الأدب الرّفيع (الرّسمي) ويزاحمه –خاصّة- في الدّول المتقدّمة مثل أمريكا واليابان وفرنسا.

بيد أنّنا إذا عدنا إلى البيئة العربيّة، نجد أن هذا النّوع من الأدب مازال غير معروف لدى أغلبيّة القراء سواء المتخصصين أو غيرهم، ورغبة في تعريف القارئ العربي بهذا النّوع الأدبي المدهش، جاءت هذه الورقة، كاشفة السّتار عن مفهومه وأنواعه التي باتت عرضة للالتّباس مع أنواع أخرى شبيهة، وكذا خصائصه. فهل يمكننا تقييد أدب الخيال العلمي بمفهوم واحد يبين حدوده؟ وما هي أنواعه وخصائصه التي تميزه عن باقي أنواع الإبداع الأدبي؟

1- **تعريف أدب الخيال العلمي Science-fiction**: كثيرة هي التّعاريف التي عُرّف بها أدب الخيال العلمي، وفي بعض الأحيان تصل إلى حد التّضارب

ذلك أنّ هذا المصطلح شأنه شأن أي مصطلح أدبي يخضع لتأثير الذّاتيّة، فلا نكاد نقف على تعريف شاف كاف يقينا شر التّمزق والحيرة أمام التّعاريف الكثيرة التي منها الغث ومنها السّمين، فنجد من يقصُر تعريفه على أنّه أدب المستقبل، وآخر يحصره في روايّة الخيال العلمي، وثالثّ على القصة، والرّابع يعرفه حسب الموضوع الذي يتناوله والخامس يركز على وظائفه والتي منها الوظيفة الاجتماعيّة ممّا أدى إلى فوضى قد تضلل الباحث أكثر ممّا تبصره إلاّ أنّ هناك تعاريف يكمل بعضها البعض.

يعرفه 'هوجو جيرنسباك' *H.Gersback* (1926) بحيث يجعل أدب الخيال العلمي مقتصرا على نماذج معينة فهو يرى أنه «حكايات تُحكى بأسلوب جول فيرن J.Verne و ه.ج ويلز *H.G.Wells* وإدجار ألان بو *E.A.Poe* (مجلة فصول، 2007)» [1].

غير أنّ 'لاكورب' ينتقد هذا التّعريف، ويرفض كل التّعاريف الكلاسيكيّة ويرد عليها قائلا: «إنّ الخيال العلمي في مجموعه- كأي مجال لاتزال المعرفة به مكبلة- قد أرجعه غير العالمين بأسراره إلى ما هو أكثر تمثيلا له في نظرهم: ابتكارات خارقة، حروب العوالم، جول فيرن، ه.ج ويلز. وليس هذا على وجه الإطلاق هو الخيال العلمي المعاصر الحقيقي. إنّه في الواقع أبعد ما يكون عن جول فيرن بمثل ما كان فيرن بعيدا عن ألفونس دوديه (عزة الغنام، 1988)» [2]. قد يكون مصيبا في رأيه إلا أنه لم يقدم أي حل أو أي تعريف بديل يمكن الاعتماد عليه خصوصا وأنه أكد على الفرق الشّاسع بين أدب الخيال العلمي المعاصر الحقيقي- حسب قوله- وبين أدب الخيال العلمي الفيرني (نسبة إلى فيرن)- إن صح التّعبير- الشّيء الذي يجعله يفتقر إلى الوضوح والفائدة .

ومن مثل هذا نجد أيضا التّعريف الذي قدمه'هاري هاريسون Harry Harrison' الذي يقول فيه«الخيال العلمي هو كل ما نشير إليه بقولنا: هذا خيال علمي، والخيال العلمي هو كل ما يكون خيالا علميا(عساقلة 2011)» [3].فهذا التّعريف لم يقدم شيئا يساعد المتلقي الوقوف على كنه هذا النّوع من الأدب.

أمّا النّاقد الألماني (ي.هينجر) فيعرف أدب الخيال العلمي بأنه«ذلك الفرع من الأدب الرّوائي، الذي يعالج بطريقة خياليّة استجابة الإنسان لكل تقدم في العلوم والتّكنولوجيا سواء في المستقبل القريب أم البعيد، كما يجسد تأملات الإنسان في احتمالات وجود حياة في الأجرام الفضائيّة الأخرى. ويهدف الخيال العلمي إلى نقل الحقيقة العلميّة بأمانة وصدق وبنظرة مستقبليّة، وإن تغلفت بغلاف له تألّق وبريق القصة، وهو يعالج الأفكار الاجتماعيّة والعلميّة بشكلها الصّرف (جريفيس،2009)» [4].

إن الملاحَظ على التّعريف أنه كرس فكرة أن أدب الخيال العلمي أدب روائي أي اقتصر فقط على الرّوايّة الشّيء الذي يقصي القصة وإن كانت ذات طابع سردي مثل الرّوايّة وكذا الشّعر والمسرحيّة. بالإضافة إلى ذكر بعض مواضيعه كاحتمال وجود حياة أخرى على الكواكب الأخرى، كما عد أدب الخيال العلمي هو أدب يهدف إلى نقل الحقيقة العلميّة وهذا ليس شرطا حتميا، فيكفي أن ينطلق من قاعدة علميّة واقعيّة ليحتمل (يتنبأ) بما يمكن أن يكون في المستقبل.

وهناك تعريف آخر يتفق مع السّابق ويزيد عليه في توضيح بعض المواضيع وهو أكثر شموليّة فـ«أدب الخيال العلمي فرع من أدب التّأمل النّظري الذي يتناول التّقديرات الاستقرائيّة للمستقبل القائمة على فرضيات لم تثبت صحتها بعد، ومن أكثر الموضوعات المأنوسة في أدب الخيال العلمي الطّيران

الفضائي، وحركة الزّمن ومواجهة كائنات من خارج كوكب الأرض والتّغيرات السّيكولوجيّة والبيولوجيّة على السّلوك الاجتماعي، إنه أدب التّغيير الذي لا يقتصر هدفه على تسليّة القارئ أو التّرويح عنه، بل يتعدى ذلك إلى التّبشير بالمستقبل والتّنبؤ بالتّطورات العلميّة والتّكنولوجيا والدّعوة إليها والحث على تحقيقها(سكولز،1996)» [5]. فهذا التّعريف يختلف عن الأول كونه يعتبر الخيال العلمي أدب احتمال، بينما الأول يعدّه أدب حقيقة علميّة.

أما أدب الخيال العلمي عند 'جيمس غان' *James Gunn* (1923)«هو ذلك النّوع من الأدب الذي يتعامل مع تأثير التّغيير على البشر في عالم الواقع ويستطيع أن يعطي فكرة صحيحة عن الماضي والمستقبل والأماكن القاصيّة. وغالبا ما يشغل نفسه بالتّغيير العلمي أو التّكنولوجي، ويشمل عادة، أمورا ذات أهميّة أعظم من الفرد أو المجتمع المحلي، وكثيرا ما تكون الحضارة فيه أو السّلالة البشريّة معرضة لنوع من الخطر(نفسه)» [6].

من خلال هذا التّعريف يمكن القول أن أدب الخيال العلمي هو ذلك الأدب الذي يربط الزّمن الحاضر بالماضي من جهة والحاضر بالمستقبل من جهة أخرى الشّيء الذي يجعل الإنسان على الأقل يعرف خصمه ألا وهو الزّمن وتحولاته كما أنه أدب إنساني تُلغى فيه كل الحدود العرقيّة والطّبقات الاجتماعيّة فالخطر يهدد الإنسانيّة جمعاء وليس صنفا معينا من البشر، غير أنه يركز على الطّابع التّشاؤمي لهذا النّوع من الأدب، بحيث يجعل الموضوع الأثير فيه الخطر الذي يهدد الجنس البشري على المعمورة جراء التّقدم التّكنولوجي الشّيء الذي يهمل أو يلغي الجانب المشرق منه.

أما النّاقد الأمريكي 'جي أوبيلي' فيقصر أدب الخيال العلمي (على القصة) بحيث يرى «أن القصة العلميّة تترجم المكتشفات والمخترعات والتّطورات التّقنيّة

التي ظهرت أو القريبة من الظّهور، أو المحتمل ظهورها في المستقبل البعيد، إلى مشاكل إنسانيّة ومغامرات دراميّة(نهاد شريف،2008)» [7].

أما لدى"روبيرت هينلين" فهو عبارة عن «تصور واقعي لأحداث مستقبليّة محتملة الحدوث، على نحو يرتكز بقوة على المعرفة الكافيّة بالواقع الحالي والماضي والحاضر والإلمام التّام بالطّبيعة وأهميّة الأسلوب العلمي(معاطي ،2014)» [8]. ولعل هذا التّعريف أشمل من التّعاريف السّابقة وأقربها إلى الإمساك بتلابيب هذا النّوع المستحدث من الأدب.

أما أدب الخيال العلمي عند رائده في الوطن العربي"**نهاد شريف**"فهو«تناوُل التّقدم العلمي ومنجزات التّكنولوجيا وتطورها من خلال أحداث دراميّة، تعتمد المزج والمصالحة بين الأدب وبين العلم، فالأول قائم على الخيال والثّاني قائم على التّجربة وهو باختصار التّوفيق بين النّشاط الخيالي والنّشاط العلمي الإنساني وهو نوع أدبي يتضمن إبداع الخيال وقدرته على التّنبؤ بالانجازات والابتكارات العلميّة والزّوار القادمين من الفضاء والسّفر عبر الزّمن واستيطان الفضاء والكوارث بأنواعها والمدن الفاضلة... الخ(نفسه)» [9].

ولعلّ النّاظر إلى هذا التّعريف يستطيع أن يطمئن إليه، ذلك أنه جمع بين متفرقات التّعاريف السّابقة، إلا أنه يجب أن ننبه على أن الخيال لا يقتصر فقط على الأدب فالخيال تتشارك فيه تقريبا كل النّشاطات الإنسانيّة، فلولا الخيال لما استطاع الإنسان أن يخرج من الحياة البدائيّة، وبالتّالي فالخيال من صميم العلم، فأدب الخيال العلمي جمع بين خيالين اثنين لا واحدا وهما الخيال الأدبي والخيال العلمي.

إذن فأدب الخيال العلمي هو أدب يقوم أساسا على المزاوجة بين العلم والأدب والخيال بنوعيه الخيال الأدبي من جهة والخيال العلمي من جهة أخرى، الشّيء الذي يجعله أكثر إثارة. بالإضافة إلى كونه لونا أدبيا تنبؤيا موجه من قبل

قاعدة علميّة يعالج قضيّة مستقبليّة انطلاقا من قاعدة واقعيّة بأسلوب أدبي. ومن هنا يمكن القول أن أدب الخيال العلمي قد عوّض عمل العرّاف في القديم

2- أقسام أدب الخيال العلمي: تعد قضيّة تقسيم أدب الخيال العلمي أعقد بكثير من قضيّة تعريفه، بحيث اختلف النّقاد في تقسيمه، فهناك من يصنفه حسب المواضيع التي يتناولها وبهذا ظهرت العديد من الأنواع فقد «صنفت[ه] موسوعة الخيال العلمي إلى ثلاثة وعشرين صنفا(عياد،2015)» [10].إلا أن هناك من قلص هذه الأنواع إلى ثلاثة أنواع فقط وهي التّاريخ البديل (الالكتروني)، الخيال العلمي البحت الخيال العلمي الاستشرافي، وقد قسمه 'جون جريفيز' إلى أربعة أنواع وهي: قصص الكوارث، المدن الفاضلة(اليوتوبيا) أو المدن الفاسدة(اللايوتوبيا)، قصص المجتمعات الآليّة، قصص عوالم الكائنات الفضائيّة الغريبة(جريفيس،2009) [11].

وهناك تقسيم آخر ثنائي بحيث يقسم أدب الخيال العلمي إلى قسمين هما:

أ- أدب الخيال العلمي الصّعب (الخشن): وهو نوع«يتميز بالانضباط العلمي والتّفاصيل العلميّة، والذي يهتم بعلوم الطّبيعة، مثل علم الفلك والفيزياء والبيولوجيّة وتكنولوجيا الجينات ونحوها. هذا فضلا عن اهتمامه بمراحل التّقدم التّكنولوجي الجانب التّقني والعلمي(مجلة فصول،2007)» [12].من أهم كتابه جريجوري بينفورد وجوفراي أ.لاندیز *Geoffrey A.Landis* (المعرفة،موقع إلكتروني) [13].

ب- أدب الخيال العلمي النّاعم (السّهل): وفيه يكون«الاهتمام الأقوى بالموضوعات الفلسفيّة والنّفسيّة والسّياسيّة والاجتماعيّة، بيد أن هذا النّوع يستخدم المنجزات التّكنولوجيّة استخداما عارضا ووسيلة مساعدة للإحاطة بجوانب المعالجة(فصول،2007)» [14].من الكتاب البارزين في النّوع نذكر«أورسولا لي جين وفيليب كيه، ديك .وقد يطلق المصطلح على القصص

التي تركز في الأساس على الشّخصيات والمشاعر الإنسانيّة(مجلة الأدب العلمي،2014)» [15]، و«يعدّ راي براد بري رائدا في هذا الفن(عمري، موقع إلكتروني)» [16].

والواقع أن هناك فروعا تنضوي تحت أحد القسمين السّابقين؛ والتي لا يخفى أنها قسمت حسب الموضوع الذي تتناوله، وبيان بعضها فيما يلي:

أ- **السّفر عبر الزّمن**: يشكل موضوع السّفر عبر الزّمن أهم تيمة في أدب الخيال العلمي خاصة في بداياته الأولى«وهي تيمة منتشرة بشكل واسع عند الكثير من كتاب أدب الخيال العلمي الغربيين. وتقضي بإمكانيّة السّفر والتّنقل من زمن لآخر، من الحاضر إلى الماضي وإلى المستقبل باستعمال آلات ومعدات وأجهزة خاصة. ويعدّ الكاتب الانجليزي هـ.ج.ويلز*H.G.Wells*، مبتكر آلة الزّمن والسّفر عبر الأزمنة، فقد تخيل في روايته'آلة الزّمن'أن أحد العلماء تمكن من اختراع جهاز يتمكن بواسطته التّنقل عبر الزّمن(المجلة، 2011)» [17].

ب-**أوبرا الفضاء*opéra de l'espace***: وهي نوع من أدب الخيال العلمي تدور أحداثه في الفضاء الخارجي، «غالبا ما تعالج غزو الفضاء، والتّصادم مع كائنات غريبة، وعادة ما يكون الغزو نابعا من أهداف عسكريّة أو اقتصاديّة، أو لأسباب تعود لاكتشاف المجهول في الفضاء الرّحب (المرجع السّابق)» [18]. وهذا النّوع من أدب الخيال العلمي يتناول«كوارث الفضاء، حروب الفضاء، رحلات الفضاء مستعمرات الفضاء، مخلوقات الفضاء(نهاد، 2008)» [19].من أهم الرّوائيين في هذا المجال نجد 'آرثر.س.كلارك' *C.Clark Arther.* في روايته 'أوديسا الفضاء (2001)'، وكذلك روايّة 'موعد مع راما' يصور فيها كلارك مستوطنة فضائيّة يقطنها غير البشر(صلاح معاطي، 2014) [20]، كما نجد روايّة'وقائع سكان المر المريخ'1950 لـ'راي برادبوري *Ray Bradbury* (عياد،2015) [21].

جـ- الرّوبوت *robot* : وهذا النّوع يعالج قضيّة الرّوبوت أو الآلة، التي كانت في البدايّة محل إعجاب وانبهار الإنسان بها، إلاّ أنّ تطورها المجنون جعله يتوجس منها خيفة ، فاتجه هذا النّوع من الأدب إلى التّشاؤم في أغلبه، وانتشرت فكرة استعباد الإنسان من طرف الآلة و«المخلوقات الغريبة مثل الزّامبي والسّيبورغ وسيطرتها على كل مناحي الحياة في المستقبل، هذه الشّخصيات فاقدة المشاعر والعواطف ولا ماضي لها(المجلة،2011)» [22]. و«قد تناول كتّاب الخيال العلمي 'الرّوبوت' من أكثر من زاويّة فالبعض راحوا ينظرون إليه نظرة مليئة بالحذر والخوف والقلق للتطور السّريع والمتلاحق في تكنولوجيا الإنسان الآلي. فكثيرا ما كانت الرّوبوتات تُصوَّر على أنّها مُسوخ مروّعة تنزع إلى التّمرد على مخترعيها وتعيث في الأرض فسادا، أما البعض الآخر فآثروا السّلامة وراحت أعمالهم تتناول الرّوبوت بالشّكل الذي وُجد من أجله وهو مساعدة الإنسان في حياته اليوميّة (معاطي،2014)» [23]. من أهم كتابه التّشيكي 'كارل كابوتشك'الذي تعد أعماله، من الأعمال المؤسسة لهذا النّوع، وذلك في روايته'عالم روسوم الآل *RUR*.وقد تخصص إسحاق أزيموف في هذا النّوع(عمري،موقع) [24].

د- المجتمع السّيبراني *Cyberpunk* : نشأ في ثمانينيات القرن العشرين وهذا المصطلح«صاغه كاتب الخيال العلمي بروس بيثكه في1983 ليصف قصص وروايات تدور حول الانفجار المعلوماتي لعقد الثّمانينات(ومن ثم سيبر مشتقة من السّيبر نطيقا)، أغلبها يصور عالما جديدا، معقدا، ومربكا(دليل كمبريدج،2013)» [25]. و«يعتبر في جزء منه ردا على أدوات الاندماج العالمي» [26]، والسّيبربنك «نوع يعالج مجتمعات مستقبليّة تدار على يد الحواسيب والآلات. وخاصة شبكة الإنترنت ويصف هذا النّوع التّغيرات في عقول وأجسام البشر نتيجة للعقاقير والأدويّة والهندسة البيولوجيّة، وتدور أحداث هذا النّوع عادة في دول ومدن فاسدة أخلاقيا واجتماعيا تفوق سلطة الشّركات فيها

سلطة الحكومات. ويعتبر مذهب العدميّة *nihilisme* وما بعد الحداثة من مميزات هذا النّوع الأدبي(عساقلة،2011) [27].«أما عن أبطاله فإنهم قد يتمثلون في شخصيات ساخطة أو متمردة تتناقض صفاتها مع الصّفات المعروفة لأبطال القصص، ويطلق على هذه النّوعيّة من الشّخصيات في اللغة الإنجليزيّة اسم *anti-hero* (البطل المضاد) ومن الكتاب البارزين في هذا المجال نجد:«'ويليام جيبسون في روايته 'نيورومانسر1984(ديفيد،2016» [28]،و«'بروس ستيلينغ، ألفريد بيستر، نيل ستيفنسون، بات كاديجان. وقد أشار جيمس أوهلاي *James O'Ehley* إلى فيلم *Blade Runne* كمثال واضح للشكل المرئي من قصص السّيبر بونك(المعرفة، موقع)» [29].كما نجد أيضا الرّوائيّة 'باتريشيا كايدجن'في روايتيها 'المتلاعبون بالعقول '1987، و'ساينرز '1991 (ديفيد 2016) [30].

هـ- نهايّة العالم وحروب المستقبل: هو نوع تشاؤمي يعالج «فكرة نهايّة العالم عن طريق كارثة نوويّة، أو حرب مع كائنات غريبة من كواكب أخرى أو انتشار أوبئة جديدة. وقد تتناول وصفا للعالم بعد وقوع هذه الكوارث(المجلة،2011)» [31]، وقد «احتلت الحروب وما تخلفه من دمار وفناء للجنس البشري مع استخداماتها للتقنيات الحديثة مكانة هائلة بين قصص الخيال العلمي، فغير روايّة 'حرب الكواكب' لويلز وما تنذر به من تدمير للبشريّة على أيدي كائنات العوالم الأخرى، نجد'ألكسي تولستوي'في روايته'المجسم الزّائدي والمهندس جارن'يقوم باكتشاف أشعة غامضة لها قدرة تدميريّة هائلة(معاطي،2014)» [32]. وقد صور«الكاتب التّشيكي'كارل تشابيك'في روايته 'كراكاييت'عام 1924، ما يمكن أن يحدث عندما يتزايد استخدام الانفجارات النّوويّة(نفسه)» [33]، وكذلك صوَّر«'جورج أورويل' في روايته الشّهيرة '1984'ما يمكن أن يحدث للعالم بعد أن ينقسم إلى ثلاث دول كبرى

وراحت رحى الحرب تدور بينها ويتصور فيها الفرد وقد تحول إلى كيان بائس لا يحظى بأي قدر من الحريّة، فهناك جهاز يراقب المنازل من الدّاخل بحيث لا يستطيع الإنسان أن ينفرد بنفسه ولا حتى في دورة المياه(نفسه)» [34].

و- **مدن المستقبل**: وهذا النّوع يتنبأ بالحالة التي يمكن أن تؤول إليها المدن في المستقبل، وقد«قسم كاتب الخيال العلمي 'جان فان هيرب' في كتابه بانوراما الخيال العلمي مدن المستقبل إلى ثلاثة أقسام هي:الاستباقيّة، اليوتوبيا وضد اليوتوبيا(نفسه)» [35].

أ- **الاستباقيّة**: وتعني وصفا تقنيا للعالم من خلال معطيات زمنيّة، ويمكن عن طريق دراسة مدى تطور العلوم أن نتنبأ بما يمكن أن يكون عليه عالم الغد وقد تناولت معظم أعمال 'جول فيرن' هذه النّوعيّة وكذلك روايات 'مذكرات المستقبل'لـ آتكنز وروايّة'لا شيء إلا السّوبرمان'لأدولف ستايلودون..حيث يروي قصته البشريّة حتى وصول الإنسان إلى كوكب نبتون، يتوقع أنه في عام 4000 سيكون العالم كله قد تأمرك أي أصبح أمريكيا، كما يتوقع إمكانيّة تدفئة القطبين صناعيا..(نفسه) [36].

ب- **اليوتوبيا *Utopie*** : أو ما يعرف بالمدينة المثاليّة، واليوتوبيا تعني«في الإغريقيّة 'المكان الحسن'، ويبدو أن'توماس مور'في القرن 16هو الذي أوجد هذه الكلمة، ولكن بمعنى مستحيل الوجود(عزام،1994)» [37].ويعرفها 'داركو سوفين' بأنها «بنيّة تاريخيّة بديلة مبتغاة(سيد،2016)» [38].وكتّاب هذا النّوع «يحاولون رسم أفضل العوالم الممكنة تصويرا لحضارات مثاليّة في عقول الكتاب. ومن أمثلة هذا اللون كل الرّوايات التي تناولت اليوتوبيات الشّهيرة مثل'الأطلنتيد الجديدة' لفرانسيس بيكون و'مدينة الشّمس' لكامبانيلا و'يوتوبيا السّير توماس مور'(معاطي، 2014)» [39].

جـ- ضد اليوتوبيا *dysutopie* : والتي عُرفت بأسماء عديدة منها اللايوتوبيا اليوتوبيا المضادة، والفوبيا، الدّيزوتوبيا، المدينة الفاسدة، المدينة الكابوسيّة، وهي كما يظهر من اسمها ضد المدينة المثاليّة، و«هو مصطلح يشير إلى مدينة فاضلة تعاني خللا وظيفيا(سيد،2016)» [40]. وهذا النّوع « يقدم نظرة تشاؤميّة لما سيكون عليه العالم في المستقبل، ومن أمثلة الرّوايات التي تناولت هذا الاتجاه'العالم كما سيكون' لأميل سوفيستر 1846، ويتنبأ فيها بأن الإنسان سيصبح عبدا للآلة والمنفعة ستحل محل الحب، والآلة في المطاعم هي التي تختار لنا ما نأكله..(معاطي،2014)» [41].وقد«تحمل المدن الفاسدة بعدا ساخرا، كما في روايّة الكاتب الأمريكي من أصل إفريقي جورج سكايلر 'نهايّة الأسْوَد' (1931) ، التي تحكي عن عالم يكتشف طريقة لتغيير لون الجلد لكي يصبح التّمييز بين العرقين الأبيض والأسود أمرا مستحيلا. ومع انتشار هذا العلاج، يبدأ المجتمع الأمريكي في التّفكك؛ إذ يتسبب العلم الجديد في إحداث فوضى، بدلا من تحقيق التّحرر(سيد،2016)» [42].

د - البحث عن الخلود وإكسير الحياة: منذ أن وجد الإنسان؛ أي منذ أبينا آدم (عليه السّلام) وهو يبحث عن الخلود وسر الحياة الأزليّة، وما كانت خطيئته إلا سعيا وراء هذا الأمل الذي يشبه الظّل، كلما وهمت أنك وصلت إليه فر منك، فجاء في الكتاب الحكيم«فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ (120)» [43](طه)، إذ إن الشّيطان أُلهم أن الإنسان يحب الخلود والسّلطة فأغراه بها.

وهكذا منذ أن وجد الإنسان على هذه البسيطة وهو يبحث عن سر الخلود والشّباب الدّائم والبقاء دون وهن، ومحاولة قهر الزّمن. فترجم هذه الآمال والمخاوف التي تعتريه ضد الزّمن والموت في إبداعاته بدايّة من الأسطورة، وتعد ملحمة 'جلجامش' أصدق دليل على هذا الهاجس الذي يلاحق الإنسان منذ

الأزل، وصولا إلى أدب الخيال العلمي، الذي يعدّه العديد من النّقاد تطورا عن الأسطورة.

وبالتّالي شكلت تيمة البحث عن سر الخلود، موضوعا أساسيا في أدب الخيال العلمي، فرا ح الكتاب يتفننون في طرح هذه القضيّة، وقد اختلفت طرق تناولهم لها فنجد مثلا: روايتي 'غدا الكلاب' و'عندما يستيقظ النّائم' أن بطليهما ليسا في حالة خلود «حقيقيّة وإنما في حالة لا موت مستمرة (غاتينيو، 1990)» [44].بينما تناول بعضهم هذه التيمة بشكل آخر.فلم يعالجوا موضوع الخلود في حد ذاته؛ وإنما صوروا السّعي وراء الخلود، بحيث شكل «السّعي نحو الخلود موضوعا يتردد ظهوره لدى كافة المؤلفين تقريبا (فينوس والجبار لـ ه.كوتنر، نهايّة الأزليّة لـ إسحاق أزيموف، وماكنة القتل لجاك فانس...- ويمكن للطرق المستعملة أن تتنوع –ويبدو أن تغيير الجسم الذي يقارن جزئيا البشر بأشباه البشر، هو الأكثر حدوثا- ، ويبقى المهم المتحقق أحيانا، وهو التّخلص من خضوع الإنسانيّة الكامل للزمن(نفسه)» [45] .غير أن بعضهم اختار محاولة تغيير الزّمن وتعديله «ففي دوريّة الزّمن لبول أندرسن، فإن الدّانليين الذين يعيشون الأكثر من مليون سنة في عصر الرّوايّة، يخشون التّصرفات السّيئة لقراصنة الزّمن التي يمكن أن تؤثر على مصيرهم، فيشكلون دوريّة مكلفة 'بمهمة الشّرطة على طرقات الزّمن'. كذلك في 'نهايّة الأزليّة أزيموف'،قرر الأزليون- في اتجاه معاكس- تصحيح الماضي، ضمن حدود مدروسة بعنايّة لتصحيح الأوضاع غير الملائمة في الحاضر(أو بالأحرى في الحواضر المختلفة) وكذلك يصف'براد بوري' في'تفاحات الشّمس الذّهبيّة'وبضربة معلم، كيف أن سحْق فراشة طارئا، حدث خلال رحلة في أدغال ما قبل التّاريخ (سفاري) نظمتها وكالة سفريات في القرن الواحد والعشرين، قد أدى إلى تغيير نتائج الانتخابات الرّئاسيّة الأمريكيّة(وعرضيا تغيير الكتابة الإملائيّة) (نفسه)» [46] .

ه- **الخيال العلمي الشّهواني**: وهو من أنواع الخيال العلمي الشّائعة جدا لدى الغرب، بحيث«صار ارتباط الفضاء بالجنس *space Erotica* نوعا خاصا من الأدب، وربما يظهر أكثر في القصص المصورة(خالدّ توفيق،دس)» [47]، تتطرق أغلب قصصهم إلى قضيّة التّكاثر الصّناعيّة واضمحلال التّكاثر بالاتصال الجنسي الطّبيعي، أو استخدام بعض اللمحات الجنسيّة في القصص الخياليّة، أو الدّخول في عوالم القصص الرّومانسيّة التي تنشأ بين المخلوقات مختلفة العوالم والكواكب، وكيف تنشأ بينهما علاقة عاطفيّة وربما جنسيّة أيضا(الوحدة،موقع) [48].من بين الرّوائيين في هذا المجال نجد«تشستر أندرسون صاحب [روايتي] القصر الوردي ومخلص لثمان ساعات، وريمون بانكس صاحب مغتصبو القمر (1979) (خالدّ توفيق،دس)» [49].

و- **الخيال العلمي السّياسي**: يعدّ هذا النّوع «أحد أبرز الأنواع التي انبثقت عن الخيال العلمي، وفيما قبل كان هذا النّوع ملتصقا بالنّوع الأم وسائرا في جنباته، إلا أنه ما لبث أن انفصل عنه وأصبح ذا شخصيّة مستقلة حتى يمكن اعتباره في السّنوات الأخيرة نوعا مستقلا بذاته(قاسم،2006)» [50]، وبما أن أدب الخيال العلمي في جوهره يهتم بالمستقبل فإن أدب الخيال العلمي السّياسي يهتم بالمستقبل السّياسي«هذا المستقبل الذي يحمل في طياته الكثير من التّقلبات السّياسيّة والاجتماعيّة في المجتمع...(نفسه)» [51]. من أهم الموضوعات التي يتطرق لها هذا النّوع من الأدب«سيادة إيديولوجيّة معينة في الغد أو سيطرة العنف السّياسي على شكل العلاقات الاجتماعيّة، أو التّطرف الدّيني. أو سيادة عصر الدّيكتاتوريات.أو سيادة جنس بشري آخر يقارب نوع الإنسان في التّطور مثل القردة، أو رجل الغابة،أو شكل الرّئاسة في مجتمع ما... وهكذا(نفسه)» [52].

وتعد روايّة 'عام 1984م' التي كتبها 'جورج أورويل' أفضل مثال عن هذا النّوع بحيث«يتصور أورويل أن النّظام الشّيوعي سوف يسيطر على العالم مع

مطلع عام 1984، وأصبح العالم الشّيوعي حقيقة(نفسه)» [53].وكذلك نجد «روايّة رحلة أخي أليكسيس إلى بلاد اليوتوبيا الرّيفيّة *voyage de mon frère a lexis au bays de l'utopie paysanne* لإيفان كريمنوف...وهي تصور الحياة في روسيا خلال عام 1984. وقد تحول الاتحاد السّوفيتي إلى ثورة ريفيّة كبرى وإلى مجتمع شمولي إنساني. كما أن هناك روايّة بعنوان 1985 للكاتب المجري الشّاب جيوجي دالوس وهي تكملة لما في روايّة أورويل...كما أن هناك روايّة أخرى لأنتوني بيرجيس بعنوان 1984- 1985... وروايّة الحرب العالميّة الثّالثّة للجنرال سيرجون هاكييت. وتدور أحداثها في 4 أغسطس عام 1984 حيث تندلع الحرب العالميّة الثّالثّة بين ألمانيا وإنجلترا ويظل أتون الحرب قائما إلى أن يتدخل الرّوس بعد عشر سنوات(نفسه)» [54].

ي- التّاريخ البديل: ظهر هذا الفرع في نهايّة القرن التّاسع عشر، حيث «أصبح هذا الجنس الأدبي منفصلا بعد الحرب العالميّة الثّانيّة، وهي الحرب التي ظلت أحد أكثر الموضوعات شيوعا في هذا الأدب، جنبا إلى جنب مع موضوعات بقاء الإمبراطوريّة البيزنطيّة أو الرّومانيّة أو استمرار الحرب الأهليّة الأمريكيّة. تستغل تلك القصص كافة نقطة تباعد تتجسد عبر مفترق طرق في مسار التّاريخ(سيد،2016)» [55] الحقيقي؛ إذ يتخلى الكاتب في هذه النّقطة عن «الحقيقة ليسلك مساراً آخر موازياً مجيباً عن سؤال ماذا لو؟(عبد العزيز موقع)» [56]. من بين الرّوايات المصنفة ضمن هذا النّوع نجد« روايّة الرّجل في القلعة الشّامخة (*The Man in the High Castle*)، وتعد إحدى أشهر روايات التّاريخ البديل، وتتناول السّؤال الذي أثار فضول البشريّة، ماذا لو أن العالم لم يشهد انتحار هتلر واندحار قواته أمام الحلفاء؟(نفسه)» [57]

ك- أدب الخيال العلمي البيولوجي والهندسة الوراثيّة: ويندرج تحت هذا النّوع- في رأينا- الطّب والصّيدلة والوراثة والكيمياء الحيويّة وكذا علوم البيئة وغيرها من العلوم الحيّة.

لقد اهتم كتاب هذا النّوع من الخيال العلمي بتصوير آمالهم ومخاوفهم إزاء التّطور الكبير في المجال البيولوجي، فحمل في طياته كل التّناقضات بين الأمل والخوف. أمل في تحسين أوضاع الإنسانيّة من إمكانيّة إيجاد حلول لجميع الأمراض التي تهدد الوجود الإنساني، خاصة الأمراض الوراثيّة، وإنتاج أجيال أصحاء خاليّة من العيوب الوراثيّة. كما تطرقوا إلى عمليات زرع الأعضاء التي باتت حقيقة واقعيّة فزرعوا الأنف، الأذن، القلب، الكبد، النّخاع الشّوكي...ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد؛ بل تعدى إلى صنع قطع غيار للإنسان مثله مثل باقي الآلات، هذه الفكرة التي جاءت من فكرة الاستنساخ، بحيث تكون النّسخ الجديدة عبارة عن مخازن لقطع الغيار للنسخة الأصليّة.

ومخاوف تجعل الشّر يتربص بالإنسان من كل جانب، بحيث يهدد كيانه فخطر الاستنساخ يجعل الإنسانيّة في خطر محدق، فتوقعوا(الكتاب)نتائج سيادة نوع بشري معين، وكذلك التّطور البيولوجي جعل كتاب الخيال العلمي يتوقعون حربا من نوع آخر، وهي الحرب البيولوجيّة، التي تعد أكثر فتكا من الحرب التّقليديّة.

وقد عمد بعض الرّوائيين إلى المزج بين الخيال والطّب، مثلما فعل أزيموف « في روايات عديدة من أشهرها 'الرّحلة العجيبة' التي نشرها عام 1966(قاسم،2006)» [58]،بحيث تدور أحداثها في جسم أحد العلماء عند إصابة حبل عصبي في مخه، فقام خمسة من الأطباء «بمغامرة جريئة حيث تم تصغيرهم بواسطة أشعة معينة فيصبحون مع سفينتهم بحجم رأس الدّبوس وتوضع هذه المركبة-الأقرب للأطباق الطّائرة-داخل حقنة يتم بها حقن جسم

العالم المصاب. وتغوص الكبسولة في الجسم، فتمر مع تيار الدّم، وتسري في الشّرايين...ويرى العلماء كريات الدّم الحمراء والبيضاء تتحرك من حولهم، وفي داخل جسم الإنسان يعيش هؤلاء الملاحون نفس أجواء الخيال العلمي، فهناك صراعات بين المضادات الحيويّة والجسم الغريب(نفسه)» [59]. كما نجد روايّة «'رأس البروفسور دويل' 1925م للكاتب الرّوسي 'بلياييف'، وتدور أحداثها حول إمكانيّة زراعة الأعضاء البشريّة ونقلها من جسم إلى آخر(معاطي،2014)» [60].

وتأتي الهندسة الوراثيّة بآمالها ومخاوفها لتضع أفكارا جديدة بين يدي العلماء وخاصة الطّفرات الوراثيّة، والأبحاث الجينيّة كالاستنساخ. وعموما يسير أدب الهندسة الوراثيّة في اتجاهين اثنين هما: الاتجاه المتفائل، والاتجاه المتشائم.

أما في مجال الإيكولوجيا فقد انطلق الأدباء من النّتائج التي توصل إليها العلم فتنبأوا بمستقبل قاتم للطبيعة، مثل اتساع ثقب الأوزون الذي بات حقيقة يهدد كيان الكرة الأرضيّة بما عليها، بالإضافة إلى الأمطار الحمضيّة التي تقتل الكائنات الحيّة ولا تستثني أي شيء، فتقضي على النّبات والحيوان والإنسان على حد السّواء. وتغير المناخ كالحرارة المرتفعة وما ينتج عنها من جفاف ومجاعة انتشار الأعاصير احتمال غرق القارات بسبب ذوبان جليد القطبين وغيرها.

إذن تتعدد أنواع أدب الخيال العلمي(السّرد العلمي)حسب تعدد الموضوعات التي

يتطرق إليها، غير أن الملاحظ على هذه الأنواع، أنها غير نقيّة خالصّة، بحيث يندر إيجاد نوع واحد نقي خاصة إذا تعلق الأمر بالرّوايّة، والتي تتميز بالطّول النّسبي الشّيء الذي يضطر الأدباء إلى طرح عدة مواضيع في روايّة واحدة، فمثلا في روايّة 'ويلز' المعنونة بـ'أول رجال في القمر'فهي تعالج موضوع الفضاء وكذلك البحث عن عوالم جديدة(مجهولة)في القمر وكذا اليوتوبيا؛ إذ تصور

مجتمع القمر المثالي الشّديد التّنظيم- والذي يشبه مجتمع النّحل- «بحيث بنى [الكاتب] عالم القمر على التّنظيم الذي يشبه إلى حد كبير جمهوريّة أفلاطون» [61]، لكن لا تلبث هذه اليوتوبيا أن تتحول إلى ديزوتوبيا؛ بحيث تُكشف في هذا العالم المثالي«جوانب محزنة حيث [تطغى] الآليّة التّامة [على]الحياة وانعدام الحريّة الفرديّة، فالفرد يصبح عبدا لبرنامج معين يلتزم بتنفيذه حتى لحظة مماته. ويقدم ويلز صورة العمال الذين يخدّرون ويُلقى بهم للنباتات اللحميّة الضّخمة لمجرد أنهم زائدون عن الحاجة(الغنام،1988)» [62].

فالملاحظ أن الرّوايّة تضمنت خمسة مواضيع وهذا الأمر يجعلنا أمام مأزق كبير؛ وهو مأزق تصنيف الرّوايّة إلى أي نوع تنتمي، إلا أن هذا الأمر يمكن تجاوزه وذلك بترجيح الموضوع المهيمن، أو الفكرة الأساسيّة التي يسعى الكاتب إيصالها إلى المتلقي.

3- خصائص أدب الخيال العلمي: من البديهي أن يكون لكل نوع أدبي خصائصه التي تميزه عن باقي الأنواع، فهي التي ترسم الحدود بين الأنواع وتحفظها من الذّوبان في بعضها البعض، كما أنها تحفظ استقلاليّة النّوع وتفرده، ومن هذا المنطلق كان لأدب الخيال العلمي خصائصه التي تميزه عن باقي الأنواع الأدبيّة بحيث يمكننا أن نقول هذا أدب ينتمي إلى الخيال العلمي وهذا غير ذلك، وبتمتعه بخصائص معينة جعلته ينماز عن الأدب الرّسمي من جهة، وعن الأنواع الأخرى المتاخمة له كالفنتازيا والأسطورة والخرافة من جهة أخرى .

وفيما يلي موجز لبعض الخصائص التي يتميز بها أدب الخيال العلمي- وإن كان من العسير حصرها كلها- ذلك أنه متشعب وينطوي على أنواع كثيرة تختلف باختلاف المواضيع التي تتناولها، وبالتّالي لكل نوع خصائصه. إلا أنها

تشترك فيما بينها في بعض السّمات، تجعلها تتوحد تحت لواء أدب الخيال العلمي.

أ- التّنبؤ بالمستقبل: تعد هذه الخاصيّة من أهم مميزات الخيال العلمي حتى سمح بعض النّقاد لأنفسهم بتسميته 'أدب المستقبل'؛ إذ«في الغالب ما يطرق كتاب روايات الخيال العلمي أبواب المستقبل بتنبؤاتهم دون زمن محدد نظرا لكون الخيال العلمي لا يمكن فهمه إلا في بعده الزّمني، فهو نظرة واسعة إلى العالم، يتداخل فيها خيال الكاتب مع الحقائق والنّظريات العلميّة الموجودة والمحتملة، ترسم أحداثا تقع في المستقبل، أو في الماضي، تثير القارئ وتذهله توهمنا بأن ما يجري من أحداث قابل للوقوع، ومحتمل الحدوث، وذلك انطلاقا من بعض التّنبؤات التي يفترض العلماء حدوثها في المستقبل. فالتّنبؤ مثلا بما سيصير إليه الطّقس العام لكوكب الأرض لأيام قادمة ليس رجما بالغيب، بل ينبع من علوم لها أصولها وتطبيقاتها وحساباتها ومعادلاتها. لا يتعلق الأمر إلا باحتمالات، لكن بواسطتها يغدو التّخييلي مرئيا محاولا الإجابة عن سؤال أساسي: ماذا سيحدث لو تتوفر شروط معينة بالنّسبة للمستقبل؟ وماذا كان سيحدث لو توفرت شروط معينة في الزّمن الماضي؟ (فصول،2007)» [63].إذن فالتّنبؤ في أدب الخيال العلمي لا يقتصر فقط على السّير في خط مستقيم يتجه نحو المستقبل، وإنما يمكن أن يرتدّ إلى الماضي أيضا. ومن هنا يمكن القول أن أدب الخيال العلمي هو أدب زمني بامتياز، إذ يلعب الزّمن دورا مهما فيه، وقد يكون هو البطل الحقيقي.

ب- الرّحلة الخياليّة: تعد الرّحلة الخياليّة من أهم المقومات التي تقوم عليها أغلب قصص وروايات الخيال العلمي، فهي«شرط تسلل سكان الأرض إلى عوالم أخرى(غاتينيو،1990)» [64]،فقد تنطلق الرّحلة من الحاضر مستشرفة المستقبل القريب أو البعيد، وقد تعود في الماضي القريب أو البعيد أيضا. لكن هذا

ليس مطلقا، فهناك بعض الأنواع تعد من الخيال العلمي لكنها لا تشترط الرّحلات الخياليّة.

ج- **الفكرة**: من أهم مميزات أدب الخيال العلمي اشتماله على فكرة تصب فيها الأحداث، ولهذا لم يتحرج النّقاد في تسميته بأدب الفكرة، فهي تمثل جوهر أدب الخيال العلمي ولبّه وسنامه الذي يقوم عليه، بحيث تصبح «الفكرة هي البطل» [65] ذلك أن« روايات [أدب]الخيال العلمي أكثر اهتماما بالموضوع (نفسه)» [66] الذي تأتي الفكرة تباعا له. وبالتّالي إن غابت الفكرة غاب المغزى وغابت معه الأهميّة، الشّيء الذي يؤدي إلى غثاثة الإبداع وتفاهته؛ ذلك أن أدب الخيال العلمي هو أدب هادف، لا يسعى فقط إلى التّسليّة بل إلى التّربيّة بأنواعها - العلميّة والأخلاقيّة، الإنسانيّة والاجتماعيّة- أيضا من خلال التّنبؤ بالمستقبل سواء المشرق أم المأساوي.

د- **الانطلاق من الواقع لتصوير المستقبل**: لا يقتصر أدب الخيال العلمي على التّفكير في الواقع فقط، بل يحاول إعطاء صورة تختلف عنه اختلاف صورة نقطة ماء تُشاهد بالعين المجردة والنّقطة نفسها تحت المجهر الإلكتروني، الواقع هو هو، لكن ليس هو عندما يمر تحت مجهر الطّاقات الخلاقة للآلة الكاتبة والخيال الخلاق للأديب. لا يُرغَم هذا الأدب على ترجمة الواقع كما هو الشّأن عند المدرسة الواقعيّة أو المدرسة الطّبيعيّة؛ بل هو إعطاء صورة واضحة ومتضحة لمستقبل يختلف عن الواقع وربما عن التّوقعات المألوفة(فصول،2007) [67]. فأدب الخيال العلمي لا يعالج الواقع إنما يجعله أرضيّة ينطلق منها إلى المستقبل سواء البعيد أم القريب، ليصل إلى واقع آخر مفترض يمكن أن يكونه.

ه- يتميز أدب الخيال العلمي بموضوعاته واهتماماته وكتابته وفنيته القيمة التي تجعل منه في الوقت نفسه أداة علميّة وفلسفيّة وتربويّة يلتقي هذا

النّوع في محتواه بشكل أو بآخر بالفلسفة والسّياسة والاقتصاد وعلم الاجتماع وخاصة العلوم المحضة(نفسه) [68].

و- أدب الخيال العلمي يختلف عن باقي الأجناس الأدبيّة الأخرى في كونه «لا يستخدم العلم مماسا لأمور البشر، بل ظاهرة رئيسيّة(سكولز،1996)» [69].إذ إنه «لا يطمئن إلى استعمال العلم كموضوع أو ديكور أو كصنم ذي قوى سحريّة» [70].معنى هذا أن العلم يشكل الأساس الذي يقوم عليه أدب الخيال العلمي، في حين أن الأجناس الأدبيّة الأخرى تتطرق إليه بشكل عارض كونه جزءا من الحياة اليوميّة.

ز- إن أدب الخيال العلمي ليس كأي كتابة أخرى عن العلم، فهو يتطلع إلى الأمام حيث تنظر الأنواع الأخرى عادة إلى الخلف، ويتأمل حيث تستقر الأنواع الأخرى [71].

ك- مما لاشك فيه أن أدب الخيال العلمي وليد الثّورة الصّناعيّة، التي استعاضت الآلة بالإنسان، الشّيء الذي انسحب على الشّخصيّة في الأدب عامة- خلال هذه الفترة- والخيال العلمي بصفة خاصة، فجاءت شخصيات الرّوايّة العلميّة متشظيّة تفتقر إلى الهويّة؛ بل مجردة منها بحيث «إن الإيمان بالفرد وقدرته- والذي سماه بعض الأدباء الأنا الثّابت للشخصيّة- عفا أثره مع تصعيد التّحولات الاجتماعيّة والاقتصاديّة كل ذلك جعل طبقة الكتاب يشككون في استقلاليّة الفرد، وهذا ما انعكس في كتاباتهم» [72].فتراجعت أسطورة الإنسان (المثالي) التي آمنت بها الآداب منذ القرن الثّامن عشرة إلى بدايات القرن العشرين، التي كرست فكرة أنّ الإنسان محور الكون وعوضتها فكرة تشظي الشّخصيّة، الشّيء الذي فسح المجال واسعا أمام شخصيات من نوع آخر تلعب دور البطولة كالمكان والزّمان والفكرة والآلة أو شخصيات غريبة. وبهذا انمحت معالم الشّخصيّة (الإنسانيّة) في أدب الخيال العلمي، ويعود ذلك

إلى «أولويّة الآلة وخضوع الشّخصيات للحبكة*plot*. ويتفق نقاد الخيال العلمي على أن هذا الجنس الأدبي تنقصه الشّخصيات ذات الأبعاد المتعددة، وذلك للأسباب التّاليّة: أ- اهتمام الكتاب بعناصر قصصيّة أخرى كالفكرة، الحبكة وخلق عوالم جديدة.

ب- كون معظم شخصيات الخيال العلمي شخصيات آليّة- ميكانيكيّة...

ج- الشّخصيات أداة أو وسيلة لعرض آخر الاختراعات والتّطورات العلميّة، أو لنقل وتوصيل معلومات(نفسه)» [73].وبهذا عُوضت الشّخصيّة الإنسانيّة بالآلة التي غالبا ما تُصوَّر أنها تستعبد الإنسان وتسيره بشكل أو بآخر.

س- اللغة: يرى بعض النّقاد أن من مساوئ الخيال العلمي «ميله إلى اللغة العلميّة والغرابة من أجل الغرابة وحدها(ولسون،1978)» [74]، إلا أن هذا لم يكن ديدن أدب الخيال العلمي عموما، فنجد أن هذا النّوع من الأدب قد تخلص من صرامة اللغة العلميّة خاصة أدب الخيال العلمي اللين الذي يتخفف من استخدام العلم، وأوجد له لغة خاصة تجمع بين شعريّة الأدب ومجازيته وعلميّة العلم. فمالتّ إلى السّهولة والانبساط، فعولجت موضوعات أدب الخيال العلمي «بلغة معلومة وأحيانا بلغة جديدة تعتمد على بنيّة جمليّة وبنيّة لفظيّة جديدة بالإضافة إلى ابتكار مفردات ومصطلحات ثم عبارات، تعبيرا على 'المنعدم الممكن الوجود' أو 'المستحيل الوجود'(فصول،2007)» [75].

وخلاصة القول أن أدب الخيال العلمي، عبارة عن إبداع إنساني زاوج بين العلم والأدب، في حين كان يُعتقد أنهما متنافرين لا يلتقيان، فالأدب بتعبيراته المجازيّة ولغته الشّعريّة من جهة، والعلم بصرامته ودقته وحساباته من جهة أخرى. إلا أن براعة الإنسان التي لا حدود لها، والتي تجعل من المستحيل ممكنا جمعت وألّفت بينهما وأنتجت أدبا أقل ما يقال عنه أنه مدهش، يتوغل في الواقع ليطير بنا نحو المستقبل، ينتقل من الكائن ليكشف عن الممكن وما يمكن أن يكون.

وأدب الخيال العلمي بحر واسع كلما أبحرت وتعمقت فيه تكتشف روعته وغناه فهو لا يسير في اتجاه واحد؛ وإنما يسير بشكل متشعب، تتعدد أنواعه بتعدد مواضيعه، حتى أنه لمن الصّعب حصر أنواعه، ذلك أنه جمع بين أنواع الأدب وأنواع العلم التي تتجدد وتتفرع باستمرار، وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد: اليوتوبيا(المدن الفاضلة)، الدّيزوتوبيا(المدن الفاسدة أو المدن الكابوسيّة)، أوبرا الفضاء، المجتمع السّبراني، الخيال العلمي السّياسي...إلخ.

إن أدبا بهذا الوصف جعله يتمتع بخاصيات مختلفة، تميزه عن باقي الآداب والتي من بينها: اعتماده على العلم بشكل كبير، فهو مكون أساسي في بنيته بالإضافة إلى كونه أدبا مستقبليا، ينطلق من الواقع(الحاضر) ليصل إلى المستقبل. زد على ذلك لغته المتميزة التي خلّصت لغة العلم من صرامتها وجمودها، وبثت فيها الحياة من خلال اللغة الأدبيّة، فأنتجت لغة علميّة شعريّة...إلخ .

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

المصادر والمراجع:

1- أحمد خالدّ توفيق: اللغز وراء السّطور، أحاديث من مطبخ الكتابة، دار الشّروق، دط دت.

2- جون جريفيس: ثلاث رؤى للمستقبل تر: رؤوف وصفي، الهيئة المصريّة العامة للكتاب مكتبة الأسرة، 2009م.

3- جون غاتينيو: أدب الخيال العلمي، تر: ميشيل خوري، دار طلاس للدراسات والتّرجمة والنّشر، ط1، 1990م.

4 - ديفيد سيد: الخيال العلمي مقدمة قصيرة جدا، تر:نيفين عبد الرّؤوف، مؤسسة هنداوي للتعليم والثّقافة، ط1، 2016م.

5- روبيرت سكولز وآخرون: آفاق أدب الخيال العلمي، تر: حسن حسين شكري، الهيئة المصريّة، دط، 1996م.

6- صلاح معاطي: الخيال العلمي بين العلم والخرافة، الوراق للنشر والتّوزيع، عمان، ط1 2014م.

7- عزة الغنام: الإبداع الفني في قصص الخيال العلمي، دار الوزان للطباعة والنّشر القاهرة، د ط، 1988م .

8- عصام عساقلة: بناء الشّخصيات في روايات الخيال العلمي في الأدب العربي، دار أزمنة للنشر والتّوزيع، عمان، ط1، 2011م.

9 - كولن ولسون: المعقول واللامعقول في الأدب الحديث، تر: أنيس زكي حسن، دار الآداب، بيروت، ط4، 1978م.

10- محمّد عزام: الخيال العلمي في الأدب، طلاس الدّراسات والتّرجمة والنّشر، دمشق ط1، 1994م.

11- محمّد الهادي عياد، كوثر عياد، أدب الخيال العلمي، جامعة دمشق، ط1، 2015م.

12 - محمود قاسم: أدب الخيال العلمي، أدب القرن العشرين، الهيئة المصريّة للكتاب دط، 2006م.

13- *Jacques Goimard et Gérard Klein : Histoires de planètes ,Librairie Générale Français* ,1975 .

المجلات :

1- دليل كمبريدج للخيال العلمي: تر:أيمن حلمي وآخرون، ع1991،المشروع القومي للترجمة،2013 .

2- مجلة الخيال العلمي، وزارة الثّقافة الجمهوريّة العربيّة السّوريّة،ع1،آب2008.

3 - مجلة ، المجلة، مجمع اللغة العربيّة، حيفا، ع 2، 2011م.

4 - مجلة فصول،الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ع 71، صيف- خريف 2008م.

5- نهاد شريف: الدّور الحيوي لأدب الخيال العلمي في ثقافتنا العلميّة، سلسلة كراسات مستقبليّة، المكتبة الأكاديميّة القاهرة، ط1، 1997م.

المواقع الإلكترونيّة:

[1] - *http://alwehda .gov.*

[2]- عبد الحفيظ العمري: أدب الخيال العلمي : تعريفه وسماته، *http://arsco.org* .

[3]- *https://www.marifa.org.*

4- *http://infofalahaljarba.blogspot.com*

الهوامش :

[1] - محمّد العبد: الخيال العلمي إستراتيجيّة سرديّة، مجلة فصول، ع 71 صيف/خريف 2007 الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ص28.

[2] - عزة الغنام: الإبداع الفني في قصص الخيال العلمي، دار الوزان للطباعة والنّشر، القاهرة، د ط 1988م، ص 19.

[3] - عصام عساقلة: بناء الشّخصيات في روايات الخيال العلمي في الأدب العربي، دار أزمنة للنشر والتّوزيع، عمان، ط1، 2011م،ص 86.

[4] - ثلاث رؤى للمستقبل: جون جريفيس، تر: رؤوف وصفي، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، 2009م، ص7.

[5] - روبيرت سكولز وآخرون: آفاق أدب الخيال العلمي، تر: حسن حسين شكري، الهيئة المصريّة، د ط 1996م، ص 12.

[6] - المرجع نفسه: ص15.

[7] - نهاد شريف:الخيال العلمي أكثر ألوان الأدب إثارة، مجلة الخيال العلمي، وزارة الثّقافة الجمهوريّة العربيّة السّوريّة،ع1،آب2008، ص12.

[8] - صلاح معاطي: الخيال العلمي بين العلم والخرافة، الوراق للنشر والتّوزيع، عمان، ط1 2014م ص9.

[9] - المرجع نفسه، ص9.

[10] - محمّد الهادي عياد، كوثر عياد:أدب الخيال العلمي، جامعة دمشق، ط2015،1، ص50.

[11] - جون جريفيس: ثلاث رؤى للمستقبل، ص 15.

[12] - محمّد العبد: الخيال العلمي- استراتيجيته السّرديّة، مجلة فصول، ع 71، ص29.

[13] - https://www.marifa.org : 2018/03/29، 00.30 سا .

[14] - محمّد العبد: الخيال العلمي استراتيجيته السّرديّة، ص29.

[15] - صبحي فحماوي: روايّة المستقبل والخيال العلمي: الإسكندريّة2050 نموذجا، مجلة الأدب العلمي، ع9، أيار2014م، ص189.

[16] - عبد الحفيظ العمري: أدب الخيال العلمي :تعريفه وسماته، http://arsco.org،2018،22.10/04/03 سا .

[17] - عصام عساقلة: الخيال العلمي :المفهوم، الأنواع والوظائف،المجلة، مجمع اللغة العربيّة، حيفا ع2، 2011، ص127.

[18] - المرجع نفسه: ص128.

[19] - نهاد شريف: الدّور الحيوي لأدب الخيال العلمي، ص27.

[20] - صلاح معاطي : الخيال العلمي بين العلم والخرافة، ص 57(بتصرف).

[21] - محمّد الهادي عياد ، كوثر عياد: أدب الخيال العلمي، ص 24.

[22] - عصام عساقلة: الخيال العلمي :المفهوم، الأنواع والوظائف، ص 128.

[23] - صلاح معاطي : الخيال العلمي بين العلم والخرافة، ص 58.

[24] - عبد الحفيظ العمري: أدب الخيال العلمي : تعريفه وسماته http://arsco.org.

[25] - جون كلوت: الخيال العلمي من 1980 حتى الوقت الحاضر،دليل كمبريدج للخيال العلمي،مجموعة مؤلفين،تر:أيمن حلمي وآخرون،ع1991،المشروع القومي للترجمة،2013، ص 141.

[26] - ديفيد سيد: الخيال العلمي مقدمة قصيرة جدا، تر:نيفين عبد الرّؤوف، مؤسسة هنداوي للتعليم والثّقافة، ط1،2016م، ص 68.

[27] - عصام عساقلة: الخيال العلمي :المفهوم، الأنواع والوظائف، ص 126.

[28] - ديفيد سيد: الخيال العلمي مقدمة قصيرة جدا، تر:نيفين عبد الرّؤوف، مؤسسة هنداوي للتعليم والثّقافة، ط1، 2016، ص 68.

[29] - https://www..marifa.org.

[30] - ديفيد سيد: الخيال العلمي مقدمة قصيرة جدا، ص 70.

[31] - عصام عساقلة: الخيال العلمي:المفهوم،الأنواع والوظائف، ص 128.

[32] - صلاح معاطي : الخيال العلمي بين العلم والخرافة، ص60.

[33] - المرجع نفسه، ص ن.

[34] - صلاح معاطي: الخيال العلمي بين العلم والخرافة ،ص 60.

[35] - المرجع نفسه، ص 61.

[36] - المرجع نفسه، ص ن

[37] - محمّد عزام: أدب الخيال العلمي، طلاس للدراسات والتّرجمة والنّشر، دمشق،ط1، 1994 ص27.

[38] - ديفيد سيد: الخيال العلمي مقدمة قصيرة جدا، ص 73.

[39] - صلاح معاطي : المرجع السّابق، ص61.

[40] - ديفيد سيد: المرجع السّابق، ص 74.

[41] صالح معاطي: الخيال العلمي بين العلم والخرافة، ص61- 62.

[42] - ديفيد سيد: الخيال العلمي مقدمة قصيرة جدا، ص 74.

[43] - سورة طه: الآيّة 120.

[44] - جون غاتينيو: أدب الخيال العلمي، تر: ميشيل خوري، دار طلاس للدراسات والتّرجمة والنّشر ط1، 1990م،ص 132.

[45] - جون غاتينيو: أدب الخيال العلمي، ص 133.

[46] - المرجع نفسه، ص134 .

[47] - أحمد خالدّ توفيق: اللغز وراء السّطور، أحاديث من مطبخ الكتابة، دار الشّروق، دط، د ت ص 111.

[48] - http://alwehda.gov. 2018/02/02، 22.17 سا.

[49] - أحمد خالدّ توفيق: اللغز وراء السّطور، المرجع السّابق، ص 111.

[50] - محمود قاسم: أدب الخيال العلمي، أدب القرن العشرين، الهيئة المصريّة للكتاب، دط 2006م ص 115.

[51] - المرجع نفسه، ص 117 .

[52] - المرجع نفسه ، ص 117.

[53] - المرجع نفسه، ص 118.

[54] - المرجع نفسه، ص 123.

[55] - ديفيد سيد: الخيال العلمي مقدمة قصيرة جدا، ص 111 .

[56] - فلاح العبد العزيز: جريدة فلاح بوست، http://infofalahaljarba.blogspot.com

[57] - نفسه .

[58] - محمود قاسم: المرجع السّابق، ص 97.

[59] - المرجع نفسه: ن ص .

[60] - صلاح معاطي: الخيال العلمي بين العلم والخرافة، ص 58.

[61] - عزة الغنام :الإبداع الفني في قصص الخيال العلمي، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، دط 1988م، ص 37.

[62]- عزة الغنام : المرجع السّابق، ص 38.

[63]- بوشعيب السّاوري: الخيال العلمي في الرّوايّة المغربيّة، الانشغالات والخصوصيات، فصول، ع 71 ص 59.

[64]- جون غاتينيو: أدب الخيال العلمي، ص 109.

[65]- عصام عساقلة :بناء الشّخصيات في روايات الخيال العلمي في الأدب العربي،ص 88.

[66]- المرجع نفسه: ص 96.

[67]- محمّد أحمد مصطفى: أدب الخيال العلمي العربي الرّاهن والمستقبل، مجلة فصول، ع 71 ص 81.

[68]- المرجع نفسه : ص 81.

[69]- جون هنتنجتون: أدب الخيال العلمي والمستقبل:روبيرت سكولز وآخرون: آفاق أدب الخيال العلمي، ص 121.

[70]- Jacques Goimard et Gérard Klein : Histoires de planètes ,Librairie Générale Français ,1975,p 08 .

[71]- جون جريفيس، ثلاث رؤى للمستقبل، ص 27.

[72]- عصام عساقلة :بناء الشّخصيات في روايات الخيال العلمي في الأدب العربي، ص 89.

[73]- المرجع نفسه، ص 101- 102.

[74]- كولن ولسون: المعقول واللامعقول في الأدب الحديث، تر: أنيس زكي حسن، دار الآداب بيروت ط4، 1978م، ص161.

[75]- محمّد أحمد مصطفى: أدب الخيال العلمي العربي الرّاهن والمستقبل، ص 85.

الأثر العربي في الأدب الفارسي
(مقامات الهمذاني و گـلسـتـان سعدي الشّيرازي أنموذجا)

The impact of Arabic literature on Persian literature
El hamathani and Al-Shirazi as a case study

أ. عليوة نصيرة [1]

تاريخ الإرسال: 19 02 2019 تاريخ القبول: 29 09 2019

الملخّص: من أهم مظاهر التّلاقي الثّقافي في الآداب الإنسانيّة ذلك التّلاقي الواقع بين الأدب العربي والأدب الفارسي، حيث كان لهذا الاتصال الوثيق سواء كان قبل الإسلام أم بعده دور كبير في تحقيق عمليّة التّأثير والتّأثُّر من حيث اللغة والألفاظ والأساليب والبحور الشّعريّة والأجناس الأدبيّة، وكانت المقامة من بين الفنون العربيّة التي تسرّبت إلى الأدب الفارسي، في وقت مبكر، فاحتضنها الفرس وتأثروا بها ونسجوا على منوالها فوُلِدت المقامة الفارسيّة بروحٍ عربيّة وحُلَّةٍ تمزج بين اللغتين، وبالتّالي أصبحت ثمرة من ثمرات تزاوج الأدبين. فكان الهدف من هذا البحث التّنقيب على ذلك الأثر العربي داخل المقامات الفارسيّة وكان النّموذج المُنتَقى من الأدب العربي مقامات الهمذاني رائد هذا الفن ومؤسسه ومُرسي قواعده، ومن الأدب الفارسي گـلستان سعدي الشّيرازي. الذي تهذبت المقامة الفارسيّة على يده واكتملت.

الكلمات المفتاحيّة: الأدب العربي، الأدب الفارسي، المقامات، الهمذاني گـلستان الشّيرازي.

[1] جامعة البليدة 02 الجزائر، البريد الإلكتروني: manessa.omriadh@gmail.com

Abstract : Human literatures cross and meet since they can coexiste in certain period of time, Arabic literature and Persian literature had such link before and after Islam; they could influence each other in terms of language, words, style, poetry and literary genre. Makamat was among the poetic arts adopted by the Persians and wrote it accordingly.The result was a Persian makamat which mixed between two languages and two literatures as well. This paper aims to discover the Arabic impact on the Persian Makamat in a sample study chosen from Arabic literature "El hamathani's makamat", the pionner of this art and its founder, and from the Persian literature we have chosen "Kalestan Sadi Chirazi", who developped the Persian Makamat.

Keywords: Arabic literature, Persian literature, makamat, El hamathani, Galestan, Sadi Chirazi

1ـ مقدّمة: تربط بين الأدب العربي والفارسي علاقة وطيدة وقديمة قِدم التّجاور بين الشّعبين حيث أنه يُعتبر أول أدب أجنبي اتصل بالأدب العربي بسبب الظّروف الطبيعية والجغرافيّة والاجتماعيّة التي تهيأت للشعبين، ونتيجة لذلك الاحتكاك تقاربت اللغتان العربيّة والفارسيّة بشكل لافت، حيث أن العربيّة اقترضت من الفارسيّة الكثير، والفارسيّة اقترضت من العربيّة الأكثر، وانتشار اللغة العربيّة في بلاد فارس باعتبارها لغة للدين والأدب، جعل اللغة البهلويّة القديمة تندثر وتكاد تُنسى، خاصة بعد الفتح الإسلامي لمّا استظلت إيران بظل الإسلام، كان لابد من الاستعانة باللغة العربيّة رسما ومفردات ومصطلحات وحتى أدباً، فمن مظاهر هذه الاستعانة وهذا التّأثر كتابة اللغة العربيّة والفارسيّة بالخط نفسه، والحروف نفسها، إلا بعض الحروف التي أضافتها اللغة الفارسيّة، وكذا على مستوى الكلمة التي نجدها بغزارة في المعجم الفارسي

واستعمال أوزان الشّعر العربي وقوافيه، بالإضافة إلى عِلم المعاجم الذي استقوا منه طرائق التّصنيف والتّبويب، كـ(صحاح العجم) لهندوشاه النّخجواني.

كما لا يمكننا إنكار ما أخذته العربيّة بدورها عن الفارسيّة، وقد امتد هذا التّأثير منذ مرحلة ما قبل الإسلام حيث أننا نجد في القرآن الكريم كلمات من أصل فارسي كسندس واستبرق، كما أن شعراء العربيّة ذوو الأصول الفارسيّة قد تأثروا ببعض المعاني الفارسيّة كذكر بلاد فارس ومدنها ومعالمها وحضارتها كأبي نواس وبشار بن برد، اللذين نظما بعض الأبيات عربيّة البناء فارسيّة المعنى، أما بالنّسبة لعلوم اللغة العربيّة فكثير من العقول الفارسيّة أصدرت كُتُباً في النّحو والصّرف وغير ذلك، كسيبويه وابن قتيبة والجرجاني والسّكاكي والعديد منهم، والملاحظ أن تأثر الفرس بالنّثر العربي كان أبرز وأوضح وأكثر من تأثرهم بالشّعر العربي، فحاكوه في مواضيع شتى وقلّدوه في أساليب شتى ونقلوا عنه فنونا شتى من بينها فن المقامة. التي تطرقنا إلى مدلولاتها اللغويّة والاصطلاحيّة وخصائصها وأشهر روادها في كلا الأدبين العربي والفارسي، في هذا البحث المتواضع، ثم أوردنا مقارنة بين مقامات بديع الزّمان الهمذاني ومقامات سعدي الشّيرازي المسماة بگلستان السّعدي، من أجل إبراز مواطن تأثر المقامات الفارسيّة بسابقتها العربيّة، فإلى أي مدى أثرت المقامات العربيّة في المقامات الفارسيّة؟ وماهي مواطن الائتلاف والاختلاف بينهما؟ وهل جاءت مقامات گلستان كنموذج فارسي تقليداً لمقامات الهمذاني؟

2. المقامة العربيّة:

1.2 المقامة ومدلولاتها: اعتمد الدّارسون في تحديد مدلولات المقامة اللغويّة على معاجم اللغات، فقد وردت في مادة (ق و م) لتدل على المجلس، حيث يقول ابن منظور: "المقامة هي المجلس، ومقامات النّاس مجالسّهم." [1] وقد استدل على

ذلك بعدة أبيات شعريّة. كما جاءت الكلمة بمعنى الجماعة التي ضمها المجلس، وقد نجدها في قول زهير بن أبي سلمى:

وفيهم مقامات حسان وجوههم وأنديّة ينتابها القول والفعل

والمراد منها جماعة النّاس، بعدها بدأ مدلول المقامة يتغير ويتطور لتصبح الأحدوثة من الكلام، كما يقول القلقشندي: "وسميت الأحدوثة من الكلام مقامة، لأنها تذكر في مجلس واحد، يجتمع فيه الجماعة من النّاس لسماعها." [2] أو المحاضرة "فقد دلت على حديث الشّخص في المجلس سواء أكان قائما أم جالساً." [3] كما دلت على معنى الخطبة الأخلاقيّة والموعظة التي تُلقى بين يدي الخليفة، ومنه جاء بها بديع الزّمان الهمذاني بهذا المعنى في مقامته الوعظيّة حين قال: "فاصبر عليه إلى آخر مقامته، لعلّه ينبئ بعلامته." [4] فجاءت مُنمقة موشحة باللغة الأنيقة والعبارات الرّشيقة ساحرة للسمع، آسرة للفؤاد، منبهة وموقظة للفكر، بهدف التّأثير على المستمعين، ثم حذا شحّاذو الدّولة العباسيّة حذو أولئك الواعظين فاتخذوا من الجملة المسجوعة وسيلة تأثير لكسب عطف المحسنين ونيل عطاياهم، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على انحراف معنى المقامة وتدنيه للدلالة على كلام الشّحاذين الذي كان موضة سائدة في ذلك العصر، وبعد هذا التّطور تستقر المقامة في مفهومها النّهائي الاصطلاحي، وذلك في القرن الرّابع الهجري لتدلّ على معنى قطعة أدبيّة سرديّة تتضمن حادثة يرويها راوٍ بأسلوب ساحر وساخر منمق وموشح يأتي فيها المقامي باللفظ الغريب ويتعمد فيها السّجع الآسر، ويوظف فيها الخيال الواسع، ومنه دخلت المقامة دائرة المصطلحات الأدبيّة لتُعرف بالشّكل الآتي: "المقامة قصة قصيرة بطلها نموذج إنساني مكدٍ متسول، لها راوٍ وبطل وتقوم على حدث طريف، مغزاه مفارقة أدبيّة أو مسألة دينيّة، أو مغامرة مضحكة تحمل داخلها لوناً من ألوان النّقد أو الثّورة أو السّخريّة، وُضعت في إطار الصّنعة اللفظيّة البلاغيّة." [5] وقد أصبحت المقامة من أهم الفنون النّثريّة في الأدب العربي، خاصة من حيث

الغايّة التي ارتبطت بها وهي غايّة تعليم وتلقين النّاشئة صيغ التّعبير، وهي صيغ حُليّت بألوان البديع وزُيّنت بزخارف السّجع، هي أحدوثة تعتمد على راوٍ يسرد حكايّة بطل ذكي يمتاز بسحر اللسان وبالنّضوج الأدبي، وهذه القطعة الأدبيّة تضم العناصر القصصيّة السّرديّة من البدايّة إلى النّهايّة، وهي مُطعمة بشخوص هامشيّة، لها بُعدٌ زمكاني، تحتوي على حبكة تنعقد وتتأزم ثم تُحَّل، يتخللها الحوار، وتنتهج الأسلوب الحكائي الوصفي الممزوج بالفكاهة والسّخريّة، كما تتضمن بين طيّاتها شواهد من آيات قرآنيّة وأحاديث نبويّة وأمثال وحكم مأثورة كما أنها لا تخلو من التّناص الأدبي فانتظم كل ذلك في مقامات مُبهرة.

2.2 أوّليّة المقامة ونشأتها: كانت بدايّة المقامة في القرن الرّابع الهجري العاشر ميلادي، وقد اشتد الخلاف بين بعض الباحثين في أصل هذا الفن، وحول النّابغة الذي تُنسب إليه أسبقيّة المقامة، لكن الشّائع والمعروف لدى الجميع أن بديع الزّمان وعلاّمة همذان هو أول من ابتكر فن المقامات، وقد أقرّ له بفضل السّبق أشهر من عُرف بفن المقامة بعده، وهو الحريري الذي قال: "إنه قد جرى ببعض أنديّة الأدب، الذي ركدت في هذا العصر ريحه وخبت مصابيحه، ذِكرُ المقامات التي ابتدعها بديع الزّمان وعلاّمة همذان رحمه الله تعالى...فأشار من إشارته حكم وطاعته غنم، إلى أن أُنشئ مقامات أتلو فيها تلو البديع وإن لم يدرك الظّالع شأو الضليع." [6]

وشهد له القلقشندي في صبح الأعشى حين قال: "إن أول من فتح باب عمل المقامات علامة الدّهر وإمام الأدب البديع الهمذاني، فعمل مقاماته المشهورة المنسوبة إليه، وهي في غايّة البلاغة وعُلّو المرتبة في الضّنعة، ثم تلاه الإمام أبو محمد القاسم الحريري فعمل مقاماته الخمسين المشهورة، فجاءت غايّة من الحُسن وأقبل عليها الخاص والعام." [7] وهناك فريق أنكر ذلك وقال أن بديع الزّمان الهمذاني أخذ فكرة كتابة مقاماته من سابقيه وتحديدا من ابن دريد

ومن أبرز من تعرض لهذا الطّرح الحُصري في زهر الآداب حيث قال "لما رأى أبا بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي جاء بأربعين حديثاً، وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره وانتخبها من معادن فكره، وتوسع فيها إذ صرف ألفاظها ومعانيها في وجوه مختلفة وضروب منصرفة، وأبداها للأبصار والبصائر وأهداها للأفكار والضمائر، في معارض عجميّة وألفاظ حوشيّة...عارضه فيها الهمذاني بأربعمائة مقامة في الكديّة تذوب ظرفاً وتقطر حُسنا." [8] لكن الاختلاف واضح وجلي بين أحاديث ابن دريد ومقامات بديع الزّمان، وقد أشار إليه شوقي ضيف وغيرهم حينما عقدوا موازنة بينهما، فوجدوا أن ابن دريد أوحى لبديع الزّمان فكرة كتابة الأحاديث التّعليميّة، أما في المواضيع والخصائص والأساليب "فالأحاديث تعتمد على السّجع إلا في لمحات من الوصف، ولا تدور على بطل وراويّة ولا تعتمد على التّسول والكديّة بل أقاصيص عربيّة، تتناول التّاريخ وتصور الشّمائل العربيّة في الغالب." [9] ثم أن الدّكتور مصطفى الشّكعة ينكر وبشدة نهل بديع الزّمان من ما جاء به ابن دريد حيث يعتبر هذا ظلماً في حقّ الرّجل، فكلا الرّجلين يختلفان في أهدافهما وواقعهما، "فأحاديث ابن دريد كانت تعليميّة صرفة، والقصد منها تلقين النّاشئة أصول اللغة وغريبها عن طريق الأحاديث، أما المقامات فإلى جانب غرض الإنشاء الجميل والإطراف المضحك، تتخذ موضوعات بعينها من مدح واستجداء ووعظ في صيغة قصة، هي في كثير من الأحيان مسبوكة النّسيج والهيكل." [10] ومهما علا التّضارب في الآراء يبقى بديع الزّمان هو الذي أخرج المقامة إلى النّور وهو رائدها بلا منازع، حتى أن اسمه رسخ في أذهان الخلق ملتصقاً بها، ولو تأثر بغيره كما قال البعض فإن ذلك ليس بالعيب، بل زيادة في الإبداع النّادر.

3.2 رواد المقامة العربيّة:

2ـ3ـ1 بديع الزّمان الهمذاني: يعتبر بديع الزّمان الهمذاني رائد المقامة العربيّة، وإليه نُسب اختراع هذا اللون من فنون النّثر، نظمها وسكبها في تلك القوالب السّاحرة، وأسس دعائمها، وأرسى قواعدها، وعلى منواله نسج من أتى بعده، هو الكاتب المترسل، قدوة الحريري، وقريع الخوارزمي، معجزة همذان وفريد دهره وغرة عصره بديهة وذكاءً، أبو الفضل أحمد بن الحسين رحمه الله،هكذا وردت ترجمته في العديد من الكتب والمصادر القديمة، كُنيته أبو الفضل ولقبه بديع الزّمان، المولود بهمذان، عام ثلاثمائة وثمانيّة وخمسين للهجرة، لكنه عربي النّسب. عاش في همذان عشرين عاماً، وشدّ الرّحال بعدها للعديد من المدن والحواضر العلميّة، أخذ العلم عن أحمد بن فارس وعيسى بن هشام والضّاحب بن عباد، وقد اشتهر بحدة ذكائه وقوة حافظته، وسرعة بديهته، فاستطاع بهذه الصّفات أن يجلب إليه الأنظار، وخاصة بعد أن ناظر الخوارزمي وقرعه.

وعن آثاره فلا يملك من الآثار سوى مقاماته ورسائله، وديوانه الشّعري، لكن الغايّة من الأدب ليست البيع بالقناطير، أو القياس بالكم، إنما الفائدة التي تُنال منه، فما غزلته أنامله حوى المعنى الكثير، في اللفظ القليل، وبوّأه المكانة الرّفيعة في دنيا الأدب وأشهر آثاره المقامات التي بلغت أربعمائة مقامة لم يصلنا منها سوى اثنتين وخمسين مقامة انتزعها من الحوادث التي وقعت له، أو صادفها، أو شاهدها أثناء ترحاله، أو جاء بها من وحي خياله. تتفرد بسياقها الخاص وفكرها المرتب، ومعانيها المقصودة وألفاظها المنتقاة، وهي أقاصيص بطلها واحد وهو أبو الفتح الاسكندري، وراويها عيسى بن هشام، نرى فيها البطل يجوب الآفاق مستخدما الطّرق الملتويّة والحيل للحصول على المال متنكراً في عدة أزياء فهو نموذج للبهلوان الذي يتقمص الشّخصيات الدّينيّة والاجتماعيّة والسّياسيّة فنراه خطيباً يعتلي المنابر، وتارة عسكريا، وتارة مغنياً وتارة مهرجا قرّاداً، وطبيباً

يدّعي إحياء الموتى...قام فيها بتقديم صور بانوراميّة لمجتمع مليء بالمتناقضات بأسلوب ساحر فاخر ساخر. توفي الهمذاني سنة 398 هـ. ثم حذا حذوه واقتفى أثره العديد من هؤلاء الذين ساروا على درب البديع.

2ـ3ـ2 الحريري: وهو أبو محمد القاسم بن علي الحريري البصري، من مواليد المشان سنة 446هـ/1054م نشأ فيها ثم تابع طلب العلم في بغداد وأخذه على يد أعلام مشاهير كالفيروزآبادي وغيرهم، كتب الحريري خمسين مقامة أولها "الحراميّة" وأسلوب مقاماته دليل على مكانته الأدبيّة الرّفيعة، التي ذُهل وانبهر بها أعلام الأدب والكتابة في عصره، وإلى جانب مقاماته ألف الحريري ديوانا من الشّعر، ومجموعة رسائل وكتباً في النّحو واللغة من أشهرها: "درّة الغواص في أوهام الخواص" أورد فيه أغلاط الأدباء في استعمال الألفاظ والأساليب. توفي سنة 516هـ/1112م.

3.3.2 الزّمخشري: وهو أبو القاسم محمود بن عمر النّحوي، الملقب بجار الله المولود في زمخشر سنة 476هـ ألّف العديد من التّصانيف أهمها الكشاف في تفسير القرآن وأساس البلاغة وغير ذلك، كما ألّف كتاب المقامات التي بلغ عددها خمسين مقامة وعظيّة تهدي القارئ إلى سبل التّقوى والرّشاد.

2ـ3ـ4 اليازجي: هو ناصيف بن عبد الله اللبناني المولد، الحمصي الأصل المولود في لبنان 1214هـ/1800م له ثقافة أدبيّة واسعة، ومؤلفاته تدل على ذلك، فلهُ في النّحو "طوق الحمامة" وفي الإعراب أرجوزة "اللباب في أصول الإعراب" وفي الصّرف وفي البلاغة وغير ذلك، أما مقاماته فسماها "مجمع البحرين" ويريد بالبحرين الشّعر والنّثر، وقد بلغت السّتين مقامة، جمع فيها فوائد علميّة وأدبيّة ولغويّة ودينيّة.

وهناك من أصحاب المقامات الكثير، أمثال شمس الدّين الحلبي، ومحمد بن ناقيا، وابن يوسف السّرقسطي، وابن الجوزي، وأبي العلاء الرّازي، وابن صقيل

الجرزي وابن السّيوطي. ومن المحدثين: الحسن العطار في مصر، والألوسي في العراق، وأحمد فارس الشّدياق في الشّام وغيرهم.

4.2 سمات المقامة العربيّة: اكتسبت المقامة تلك المكانة الرّفيعة في دنيا الأدب ولاقت ذلك القبول والرّواج بفضل السّمات والخصائص التي تميزها من بينها:

1.4.2 الرّاويّة: يختار أصحاب المقامات لقصصهم اسم راويّة واحد، ينقل المقامة من المجلس الذي حدثت فيه، "ويُستحب أن يكون الرّاويّة ظريف النّفس كثير الأسفا، حسن الرّوايّة، متفرغا لفنون الأدب" 1 1 مثل عيسى بن هشام عند بديع الزّمان الهمذاني والحارث بن همام عند الحريري، وسهيل بن عباد عند ناصيف اليازجي.

2.4.2 البطل: يمتاز بطل المقامات بالبراعة في القول، وكسب العيش بالحيلة والاستجداء، والذّكاء الواسع، والتّمكن في العلم والدّين والأدب والفكاهة، وفي الأغلب يرتدي ثوب البائس لينال به العطاء، كأبي فتح الإسكندري عند بديع الزّمان، وأبي زيد السّروجي عند الحريري، وميمون بن خزام عند اليازجي.

3.4.2 الطّرفة: وهي من مميزات المقامة، التي كانت من أبرز أسباب انتشارها ورواجها وقبولها بين النّاس، ولا تكاد تخلو المقامة من النّكتة أو الطّرفة، وأغلبها يحمل الحس الفكاهي، من خلال ذلك الأسلوب السّاخر الفاخر، وفكرة المقامة تدول حول تلك المُلحة.

4.4.2 الحوار: يعمل الحوار على تطوير موضوع المقامة، للوصول بها إلى النّهايّة المنشودة، حيث أنه يساعد في بناء أحداثها، ورسم شخصياتها، ويخفف من رتابتها ويُبعد عن طريقها الملل.

5.4.2 العقدة: تعتبر المقامة قصة كباقي القصص مكتملة العناصر، تظهر فيها العقدة تبعاً لتسلسل الأحداث وتطورها، لتصل إلى ذروة التّأزم ثم تنفرج في نهايّة المقامة وبحسب التّأزم يكون تشوق المتلقي أكبر لمعرفة النّهايّة.

6.4.2 اسم المقامة: أحياناً ينتقي المقامي اسم مقامته بحسب الموضوع الذي تدور حوله، كالمقامة الخمريّة والدّيناريّة والمُضيريّة وغيرها...وأحيانا تُسمى على المكان أو البلد الذي انعقد فيه مجلسها كالبغداديّة والسّمرقنديّة والبلخيّة والكوفيّة وغيرها...وهناك منها ما سميت شخصيات مشهورة كالمقامة الخلفيّة.

7.4.2 اللغة: الجوهر في المقامات هو الغرض الخارجي، فالمقاميون يرومون حليّة اللفظ، واللغة المتينة والأنيقة، والغريبة في بعض الأحيان، يقول شوقي ضيف: إنما اتجهوا بها إلى ناحيّة لفظيّة صرفة، إذ كان اللفظ فتنة القوم وكان السّجع كلّ ما لفتهم من جمال في اللغة وأساليبها" 2 1

8.4.2 الشّعر: مزج المقاميون بين الشّعر والنّثر في أعمالهم، واستخدموا النّثر أساساً لسرد مقاماتهم، وطعّموه بأبيات شعريّة تتخلل المقامة أو تختمها لتُلخص مضمون المقامة، وينتقل المقاميُ يكل أريحيّة وانسيابة من النّثر إلى الشّعر دون انقطاع الفكرة حتى أن المتلقي لا يشعر بأدنى انقطاع.

9.4.2 البيان والبديع: من أهم السّمات التي ميّزت المقامة توشيحها بالصّور البيانيّة كالتّشبيهات والاستعارات وغيرها، لكن المُلاحظ عليها غلبة الاستعارات على غيرها من الصّور، أما المحسنات البديعيّة فقد طغى عليها السّجع، إذ أصبح ملازما للمقامة منذ وُجدت، لدرجة التّكلّف أحياناً كما هو الحال عند الحريري بالإضافة إلى الجناس في المرتبة الثّانيّة بعد السّجع ثم يليه الطّباق بنوعيه والمقابلة.

3 المقامة الفارسيّة:

1.3 المقامة الفارسيّة ومدلولاتها: وردت كلمة مقامة بفتح الميم في المعاجم الفارسيّة بمعنى المكان أو الموضع، أما بضم الميم فجاء معناها الإقامة، ومثل ذلك

في اللغة العربيّة، وفي هذا يقول علي أكبر دهخدا: "وكلمة المقامة بفتح الميم تعني أيضا المنزلة." [13] بالإضافة إلى معانٍ أخرى نجدها في المعاجم الفارسيّة كالحكايّة والرّسالة والتّاريخ والحادثة وغيرها من المعاني، وقد استخدم البيهقي هذه المعاني في كتابه تاريخ البيهقي في قوله مثلا: "وكل من يطالع هذه المقامة ينبغي أن يتأملها بين العقل والعبرة." [14] ومعنى المقامة في هذا القول الحكايّة،أو الحادثة الواقعيّة التي أرخ لها في كتابه،ثم أنه أفرد عناوين من كتابه باسم المقامة، مثل: "المقامة في ولايّة العهد للأمير شهاب الدّولة مسعود وما جرى من أحواله" ويقصد بها التّاريخ. [15] كما أن البيهقي ألف كتابا سماه مقامات المحمودي، وأشار إليه في كتابه تاريخ البيهقي، حينما تحدث عن أستاذه أبي نصر مشكان فقال: "وآثاره وأخباره وأحواله ذكرتها في مقامات محمودي." [16]

ثم عُرفت المقامة بمعنى الحكمة والموعظة وكلام الضّوفيّة، ومن هذا المعنى ألّف شهاب الدّين السّهروردي كتابه "مقامات صوفيّة". يقول ملك الشّعراء بهار في كتابه سَبک شناسي (تاريخ تطور النّثر الفارسي): قيل أن المقامة هي المجلس أو الجماعة من النّاس، أو الخطبة أو العظة، أو الرّوايّة التي تُلقى في مجتمع من النّاس، والمقامة جمعها مقامات، ومعروف أن الزّهاد كانوا يخطبون في مجلس الملوك في وعظ وإرشاد الملوك، وأيضا جاءت المقامة بمعنى الموعظة، على المنبر في المحافل، وسميت بعد ذلک بالتّذكير أو القول في المجلس، لأن المجلس والمقام يستعملان بنفس المعنى تقريباً." [17]

كما أنه لا اختلاف بين هذه المعاني والمعاني التي وردت في اللغة العربيّة، ثم يضيف قائلا: "أما المقامات التي نقصدها هي الرّوايات والأساطير المدونة التي تقرأ للناس، أو تكتب بعبارات مسجعة، ومقفاة وموزونة، والآخرون يقرأونها في المجالسّ والأنديّة الخاصة، ويتلذذون بنغمة الكلمات وأسجاعها، المشتبهة بتغريد الحمامات." [18] وأحد المعاني لكلمة المقامة عند الفرس هو معنىً موسيقي يتعلق

بأنغام المقامات التي تُعزف ثم إن كاتب المقامات الحميدي ذكرها في كتابه مرات عدة، لكن بمعنى المكان المزدحم بالنّاس أو مكان الوقوف.

أما المقامة اصطلاحا عند الفرس تعني "الحكايات العربيّة نحو مقامات الحريري وبديع الزّمان الهمذاني، والحوارات التي تشتمل على حوارات مجالسّ العرب ومحافلهم والخطب المنظومة والمنثورة كمقامات الحريري والهمذاني وسميت بهذا الاسم بسبب المكان الذي يُخطب فيه." [19] وترتبط المقامة بمفهومها الاصطلاحي عند الفرس بالعرب، وما أنتجه العرب من حكايات تُنسج على نحو خاص، منظومة أو منثورة ونموذجهم الأول كان مقامات الهمذاني والحريري. يقول ملك الشّعراء بهار: "إن قراءة القصص بنغمة خاصة وصوت خاص لا تزال متداولة في البلاد الإسلاميّة، ولا شك أن الزّهاد كانوا يخطبون في المجالسّ أمام الملوك والكبار بطريقتهم الخاصة، ونغماتهم المميزة، ليؤثروا في السّامعين أكثر فأكثر، والعجيب في أن المستجدين والمتسولين في إيران والبلدان العربيّة لا يزالون يستجدون ويتسولون بالكلمات المسجعة، والموزونة وبنغماتهم المميزة، لأنهم تأثروا بأسلوب وطريقة الزّهاد المستجدين الحقيقيين في المجالسّ والخانقاة [20] فالمقامات تتيح لمثل هذه القراءات بأصوات جميلة وعبارات شعريّة أن تكون مقبولة ومسجعة ولطيفة، وكُتاب المقامات العربيّة استفادوا أيضا وقد وضعوا هذا الاسم على قصصهم، لأنهم كانوا يقرأونها في المجالسّ والأنديّة والنّاس كانوا يتلذذون بها." [21] وعليه فالمقامة عندهم تعني مجموعة من الأحاديث والقصص التي تُلقى على عامة النّاس أو خاصتهم بطريقة مسجوعة ونغمات خاصة تُميل القلوب وتأسر الفؤاد وتؤثر في النّفس سواء كانت غايتها الاستجداء أم التّودد إلى من هم أعلى مرتبة، أم المتعة والتّرفيه. أما غرض التّعليم وتلقين النّاشئة الألفاظ والعبارات والأساليب، فلم ترد في تعريفات الفرس لمصطلح المقامة.

2.3 أوليّة المقامة الفارسيّة: عرف الفرس فن المقامة منذ وقت مبكر حيث أنها انتشرت وذاع صيتها لما ألّف القاضي الحميدي مقاماته باللغة الفارسيّة وأصبحت تُلقى في المجالسّ والمحافل الأدبيّة عند الفرس، فبعد اتساع دائرة النّثر الفارسي في القرن السّادس الهجري/ الثّاني عشر ميلادي وبلوغه ذروة النّضج بدأوا بتنميق كتاباتهم بالسّجع متأثرين بالعرب، كما اشتقوا مصادر عربيّة فارسيّة جديدة, وأصبحت اللغة الفارسيّة أكثر مرونة بعدما كانت قبل ذلك لغة للكتابة فقط. ثم أصبح النّثر متكلفاً مرهقاً بالضّنعة اللفظيّة، والمحسنات البديعيّة، وأما من كان له فضل إرسائها في النّثر الفارسي وحمل لواءها فهو الحميدي، "وأصبحت المقامات الحميديّة خير ما أنتجه النّثر الفارسي في القرن السّادس الهجري." [22] وهدفه من كتابة المقامات أن يعرف أبناء وطنه هذا الفن ويتعرفوا من خلاله على البلاغة العربيّة والفارسيّة، حيث يقول في مقدمة مقاماته: "رأيت مقامات بديع الزّمان الهمذاني والحريري مصادفة، فتصفحتهما وقرأتهما...فشعرت بأن هذه المقامات لا تنفع عوام العجم، لأنهم لا يعرفون اللغة العربيّة لاسيما تلك المفردات العجيبة والغريبة، فلذلك قررت أن أكتب المقامات باللغة الفارسيّة ومزجت الفارسيّة بالعربيّة." [23]

والدّافع الثّاني أن الحميدي أراد أن يُظهر قدراته الفنيّة أمام قدرات أصحاب المقامات العربيّة، وأراد أن يُصور في الأدب الفارسي فناً يُضاهي فن المقامة عند العرب، وقد أشار عماد الدّين الأصبهاني إلى سبب تأليف الحميدي لمقاماته في قوله: "سأله بعض الأكابر الخراسانيّة أن يصنف بالفارسيّة مقامات على وزن مقامات الحريري، فصنف كتاباً مليحا بديعا في فنه فصيحا، أتى فيه بكل صنعة غريبة، وبدعة عجيبة، ونوع متشاكل وسجع متقابل، ولفظ لا يُلفظ ومعنى لا يغلظ، ولطف تستعير منه الضّبا،وظرف يستعبر به الضّبى، وقافيّة آثار الحسن صافيّة كقطار المزن، وكلامٍ كلام العذار عند العذري، ولام الفضفاض

التّبعي إذا سردَ درسَ نظم، أو حرس سحر فهم فالعقد ينفث فيها والعقود منعت منها." [24] وعن قيمتها يقول الأنوري:

هـــر ســـخن كـــان نيســـت قـــرآن يـــا حـــديث مصـــطفى

از مقامـــات حميـــد الـــدّين شـــد اكنـــون ترهـــات [25]

وترجمة البيت أنّ كل كلام بعد القرآن وحديث النّبي ﷺ لا قيمة له بجانب مقامات حميد الدّين وماهو إلا ترهات. وهذا يدل على أنه أحد مشاهير زمانه في السّاحة الأدبيّة.

3.3 رواد المقامة الفارسيّة: بعد ذيوع هذا الفن عند العرب التّقَفَهُ أهل الأدب من الفرس وكان أولهم

3.3.1 حميد الدّين البلخي: اسمه عمر المكنى بأبي بكر والملقب بحميد الدّين، وقد اشتهر باسم القاضي حميد الدّين عمر بن محمود البلخي، ولا يوجد أثر لتاريخ ولادته في الكتب، بينما أجمع المؤرخون على أن تاريخ وفاته كان سنة 559هـ/1163م، كان ذا مكانة اجتماعيّة رفيعة، حيث تولى منصب قاضي القضاة في بلخ، ومكانة أدبيّة مرموقة، لاسيما عند الشّعراء، وُصف بأنه "عميد في عصره ووقته، فارس الفصاحة الفارسيّة، وقابس الجذوة القابوسيّة، ليس في زماننا بخراسان من يجاريه في حلبته، ولا من يباريه في حليته، إذا نثر فما المنثور وما النّثرة، والزّهر والزّهرة والدّري والدّريّة، إذا نظم وهت عقود العقول...عذبته بلخيّة وعذوبته كرخيّة." [26]

كان مُتفقِهًا في الشّرع وفي العلوم الدّينيّة، وفي فنون الشّعر والنّثر، ألف العديد من الرّسائل والكتب، أهمها المقامات، وحنين المستجير إلى حضرة المجير ورسالة الاستغاثة إلى الإخوان الثّلاثة، ووسيلة العفاة إلى أكفى الكفاة، وفي أدب الرّحلة كتب رسالة السّفر إلى مدينة مرو، وغيرها من المؤلفات، ويبقى أشهرها مقاماته التي ألّفها سنة 551هـ كما قال النّظامي: "مقامات الحميدي، وهذه

المقامات أُلّفت سنة 551هـ/1156م" [27] وعددها ثلاثة وعشرون مقامة على غرار مقامات بديع الزّمان والحريري. أراد أن يُتممها للخمسين كما فعل الحريري لكن الظّروف الضّعبة حالتّ دون ذلك كما ذكر في مقدمة مقاماته، وهناك من قال أنّه ألّف أربعة وعشرين مقامة ووقع الخلاف في نسبة مقامة اسمها الخريف إليه.

2.3.2 سعدي الشّيرازي: اختلف أصحاب السّير في اسم هذا الأديب ولقبه فقيل أن اسمه عبد الله وقيل مُشرف، وعُرف بلقب الشّيخ، الشّيخ شرف الدّين سعدي الشّيرازي نسبة إلى شيراز، كما اختلفت الآراء أيضا في تاريخ ميلاده، "لم يرد تاريخ ولادته قط لا في المصنفات ولا في المراجع القديمة التي ترجمت له وأغلفت سنة ولادته كليّة." [28] لكن هناك من قدّر لميلاده سنة 571هـ وهناك من خمّنه سنة 615هـ. أما أغلب المؤرخين اتفقوا على تاريخ وفاته، وكان ذلك عام 691هـ، نشأ سعدي نشأة دينيّة علميّة على يد والدّه الذي أحسن تأديبه، وفي شبابه رحل إلى بغداد. لمواصلة تعليمه فيها وينهل من معينها الفياض، وهناك تعمق أكثر في اللغة العربيّة وفنونها الأدبيّة والبلاغيّة ونصوصها الشّعريّة والنّثريّة، وتتلمذ على يد أشهر مشايخ بغداد، في المدرسة النّظاميّة أمثال السّهروردي. ومن بغداد رحل إلى بلدان عديدة، "ويعود سعدي بعد رحلة طويلة جاب فيها أنحاء العالم، وأصاب من كل حصاد حزمة، ومن كل بيدر كومة." [29] وفي نهايّة المطاف اختار سعدي أن يعتكف في بيته في شيراز ويتفرغ للوعظ والإرشاد والتّأليف وقرض الشّعر، وتهذيب ما نظمه وتدوينه، فجادت قريحته بگلستان وتعني الرّوضة، وهي مقاماته التي عُرف بها، كما ألّف بوستان وتعني البستان، ونظم الطّيبات والخبيثات والخواتيم. وكتب رسائله السّت المشهورة.

3.3.3 مجد الخوافي: برز نجمه في القرن الثّامن الهجري، وهو مجد الدّين الخوافي المنسوب إلى خوافة وهي ناحيّة قرب نيسابور. ومن أبرز ما كتب الخوافي مقاماته الشّهيرة التي أطلق عليها اسم خارستان وتعني أرض الشّوك، وتعد هذه المقامات من الآثار القيمة في الأدب الفارسي، كما أنها لاقت شهرة عظيمة وذاع صيتها خارج بلاد فارس، ونخص بالذّكر الهند، تم تأليف مقامات خارستان سنة 733هـ/1332م ويرى العديد أن نثر الخوافي في خارستان شبيه إلى حد كبير بنثر الشّيرازي في گلستان وهناك من وصفه بالتّقليد لگلستان ولمقامات الحميدي.

وتمتاز خارستان الخوافي بخصائص تختلف عن مقامات السّعدي، منها أنها "تتضمن مقدمة قصيرة وستة عشر بابا...وبدايّة كل باب مزيّنة بحديث نبوي وتشمل الأبواب حكايات قصيرة وطويلة، تقليداً لآثار الكتاب الذين عاشوا متأخرين في القرون المتأخرة ويبلغ عددها مائتين وأربعا وعشرين حكايّة، كما انقسم نثره إلى قسمين: القسم الأول نثر بسيط، والقسم الثّاني نثر مرسل تقليدا لعصر المؤلف، ونجد في القسم الثّاني حكايات نثرها مملوء بالعبارات المسجعة والمحسنات البديعيّة، مزج نثره بالنّظم بشكل رائع." [30] وكان استشهاد الخوافي بالآيات القرآنيّة وبالأحاديث أكثر من غيره، ومال إلى المسائل الدّينيّة وذكر كرامات الأولياء المعروفين، وذكر أحوال الضّوفيّة وأقوالهم، إلا أنه لم يلتزم بالإيجاز الذي التّزم به سابقوه، كما أنه لم يوظف الأمثال والحكم، بقدر توظيف السّعدي لها."وصحيح أن مجد الخوافي كتب كتاب خارستان تقليدا لگلستان سعدي ولكنه قلّد أسلوب مقامات الحميدي والزّم نفسه إيراد السّجع والموازنة أكثر من الصّناعات الأخرى." [31]

4.3.3 عبد الرّحمان الجامي: الملقب بالملا جامي، من مشاهير الشّعراء في بلاد الفرس، وكتابهم في القرن التّاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي، ذكر

المؤرخون أنه ولد بجام، إحدى قرى خراسان سنة 817 هـ وتوفي سنة 898هـ، ألّف الجامي العديد من الكتب والرّسائل، من أشهرها في النّحو: "الفوائد الضيائيّة" التي شرح فيها كافيّة ابن الحاجب، كما كتب "ليلى والمجنون" و"تحفة الأحرار" و"يوسف وزليخا" ومن مؤلفاته "بهارستان" وتعني أرض الرّبيع وفيها اقتفى أثر السّعدي أيضا في گلستان لكنها تختلف عنها قليلا في المضمون وتبتعد عنها في الشّكل، "ففي بهارستان اعتمد الجامي على الشّعر أكثر من النّثر...كما كانت موضوعاته تدور حول التّصوف والعرفان والهزل ونقد الشّعر فأصبح بذلك كتابا علميا أكثر منه اجتماعيا دينيا. قسم الجامي كتابه إلى ثمان روضات: الرّوضة الأولى: خصصها لأقوال وأسرار مشاهير الضّوفيّة، والثّانيّة تتضمن أقوال ومواعظ الحكماء، والثّالثّة أورد فيها حكايات قصيرة عن عدل السّلاطين والرّابعة ذكر فيها كرم وجود بعض المشاهير، والخامسة تحدث عن العشق، وتضحيّة العشاق، أما السّادسة خصصها للطائف والطّرائف، والسّابعة حول نقد الشّعر وأحوال الشّعراء الفرس، والثّامنة تشتمل على حكايات جاءت على السّنة الحيوانات تشبه حكايا كليلة ودمنة. [2 3] وهؤلاء كانوا من أشهر المقاميين الفرس، بالأضافة إلى آخرين مما سيطول بنا الحديث عنهم ولو تناولنا جزءاً منهم، كما لا يسعنا المكان إلى ذكر أسمائهم.

4 أثر مقامات الهمذاني في گلستان سعدي الشّيرازي: كتب سعدي الشّيرازي گلستان الفرس الذي يعتبره الكثير ثاني كتب المقامات شُهرة بعد مقامات الحميدي أشبعها بالأفكار الضّوفيّة وبالأمثال والحكم، نمّقها بنثر مسجوع غنيّ بالألفاظ الجزلة ولم يكتب هذا الكتاب بغرض التّهذيب والتّربيّة والوعظ فحسب، إنما كان غرضه التّعليم أيضاً، وتلقين فن الإنشاء، وآداب المحاورة، شأنه شأن الهمذاني، عندما ألف مقاماته وتجدر الإشارة إلى أن سعدي عالج في گلستانه مواضيع شتى، فبالإضافة إلى الكديّة "تحدث عن الفقر واليتم، ووصف

الفقـراء والـدّراويش والأيتـام وحيـاتهم، ولربمـا كـان غرضـه تشـجيع الأغنيـاء لمساعدة الفقـراء والأيتـام، وانتقـادهم لضعف المجتمـع آنـذاك." [33] كمـا يعتبر گـلستان مـن حيث الإنشـاء وسـرد القصص والحكايـات "ضرب مـن المقامـات الـتي تعد لونا بارزا مـن ألـوان الفـن القصصي، وقـد وضـع سـعدي نصب عينيـه مقامـات الهمـذاني العربيّة والحميـدي الفارسيّة، لكنـه لم يقـع تحت وطأة المحاكاة الـتي تُفقد النّص الأدبي أصالتّه، بـل ابتـدع لونـاً نثريـاً يمثـل أصول النّثر الفني المرسل بحـذافيره...بعكس مقامـات الحميـدي الـتي تعـد تقليـداً صـرفا للمقامـات العربيّة." [34] ويرى الفرس أن مقامات السّعدي امتازت عـن سابقتها مـن المقامـات الفارسيّة بسمات عديدة دون تغييب أثر المقامات العربيّة عليها، فسعدي الشّيرازي عنـد كتابتـه لگـــلستانه لم تغب عـن مخيلتـه مقامـات الهمـذاني وهـذا واضـح وجلي. "كتب سعدي في گـلستان مقدمة وخاتمة، وقسمه إلى ثمانيّة أبواب، على غـرار أبـواب الجنـة، تـدور الأبـواب السّبعة الأولى حـول حكايـات أخلاقيّة وتهذيبيّة والباب الثّامن والأخير يُعد مـن أعلـى النّمـاذج للمقامـات الضّوفيّة، ويشـتمل علـى مجموعة من الحكم والنّصائح، والمواعظ والأمثال، وروح التّصوف والعرفان ساريّة في كل الأبواب، إلا أنها أكثر وضوحاً وتجسيداً في الباب الثّامن." [35]

ومـن السّمـات الـتي ميّـزت هـذه المقامـات نـذكر: ـ أنهـا كتبـت بنثـر مسـجوع مليء بفنون الضّنـاعة اللفظيّة، وهذا ما انتهجه بديع الزّمـان الهمـذاني، بالتّزامـه للسجع أيضا، وأسجاع السّعدي غير متكلفـة، "يوردهـا أحيانـا ليحقـق مـن خلالها الإيقـاع الموسـيقي، وهـي مـن أفضـل أنـواع السّـجع، قصـير الفقـرات متسـاوي الفصول." [36] وهي طريقة البديع الهمذاني في سجع مقاماته، فأغلب سجعه ما كان شقه الثّاني أطول من الأول وهو من المستحسن.

ـ تتخلل گـلستان السّعدي بعض الآيات القرآنيّة والأحاديث النّبويّة، والأبيات الشّعريّة الفارسيّة والعربيّة، والأمثال والحكم، وهذا ما نجده أيضا في مقامات

بديع الزّمان، ولكن بشكل متفاوت، فهو يوظف المعاني الدّينيّة ويقتبس من القرآن والحديث، خاصة في بعض المقامات ذات الغرض الدّيني والوعظي، كالمقامة الإبليسيّة والوعظيّة، إلا أنه قلما يستشهد بالآيات والأحاديث، أما الشّعر فكان أوفر حظاً، وأكثر توظيفا في المقامات الهمذانيّة، وكان الاستشهاد ببعض الأبيات الشّعريّة لسابقيه حاضراً في المقامات التي تناولت موضوع الشّعر والأدب. كالمقامة القريضيّة، والجاحظيّة والشّعريّة؛

- كتب سعدي ما يقارب المائة وتسعين حكايّة ولم يحذ كتاب المقامات التي لم تزد مقاماتهم عن الخمسين مقامة، وصحيح أن ما بلغنا من مقامات الهمذاني اثنتين وخمسين مقامة فقط لكنها في الأصل زهاء الأربع مائة مقامة يعني أن أيادي الدّهر عبثت بها ولم تبق إلا على أقلها. وهذا ذكره الكثير؛

- يهدف سعدي من خلال إنشائه لگلستان إلى إبراز براعته الأدبيّة وإظهار مدى روعة اللغة الفارسيّة، وما تمتاز به من بلاغة وفصاحة، "فيظهر بوضوح أن هدف سعدي منه في الأغلب جانبه الأدبي، ومعالجة أسلوب المقامة في أجمل أساليبها، وإبراز التّفوق والتّميز في هذا المجال، وإن امتاز بجانبه الالأخلاقي أيضاً، فهو أديب ذو مذهب اجتماعي." [37] كذلك هدف بديع الزّمان الأول كان الجانب الأدبي التّعليمي، أي تعليم النّاشئة اللغة العربيّة وصيغ التّعبير، والقصد الأول من مقامات بديع الزّمان الهمذاني هو الإتيان بألفاظ وعبارات تسحر قلوب السّامعين وتُبهر عقولهم، فاللفظة والعبارة عند الهمذاني هي الغايّة في حد ذاتها وليست الحكايّة بالمعنى الدّقيق؛

- استمد سعدي مادة گلستانه من وحي خياله، وهي لا تمت للواقع التّاريخي بصلة وإنما تتصل بالواقع الاجتماعي، "هي وليدة فكر السّعدي وخياله فقط والهدف منها هو الإبداع وليست انعكاسا للواقع، وإن قصد أيضا توظيف أدبه لغايات تربويّة ومقاصد أخلاقيّة. [38] أما إذا جئنا إلى مقامات البديع فهي ذات طابع ابتكاري أيضاً جاء بها بهدف تعليمي أدبي بالدّرجة الأولى، وتحت هذا

الهدف الرّئيس جاء المعطى الاجتماعي كمعطى ثاني، لأنه قام بسبر أغوار مجتمعه، وتغلغل بين أفراده واكتشف المفارقات الطّبقيّة التي سادت في ذلك العصر، وبما أنه كان فقيراً في بدايّة حياته، استطاع رؤيّة حقيقة المجتمع بنزوله إلى أسفل السّلم الاجتماعي، فرسم البطل على شاكلته، واتخذ من الكديّة وسيلة فضح لما يدور في المجتمع؛

- "بعض حكايات سعدي جاءت قصيرة لكن ذات مغزى...وبطلها هو السّعدي نفسه والقارئ يظن أن هذه الوقائع حدثت لسعدي إلا أنه لا شك في أنها كانت خيالا." [39] أما مقامات بديع الزّمان الهمذاني فتنوعت بين الطّويلة والقصيرة مدارها على بطل واحد أصلي هو أبو الفتح الاسكندري، وراويها عيسى بن هشام الذي ثبت أنه كان من أساتذة الهمذاني، أما البطل فهو شخصيّة خياليّة؛

- ضمت گلستان الشّيرازي أبياتا شعريّة مفردة وقطعا شعريّة، أي أنه مزج بين الشّعر والنّثر، وهذا ما عهدناه في المقامات العربيّة، ففي مقامات البديع نرى الشّعر يزاحم النّثر كثيراً، فلا تكاد تخلو مقامة من مقاماته من الشّعر يطعم به نثره، وكثيرا ما يختم به مقاماته، وفي بعضها يتساوى الشّعر بالنّثر، كالمقامة الوعظيّة والأسوديّة والعراقيّة وهناك من المقامات ما سماها باسمه كالمقامة القريضيّة والمقامة الشّعريّة؛

- الشّيرازي في گلستانه استلهم الأدب العربي وتمثّله حتى أصبح جزءاً من نسج خياله ووحي أدبه، فجاءت أشعاره العربيّة متأرجحة بين الأصالة والإبداع وبين التّقليد والمحاكاة، واصطبغ شعره العربي بصبغة عربيّة، واتسم بمسحة فارسيّة." [40]؛

- امتازت گلستان بوضوح الفكرة وعدم التّعقيد في إيصالها، والابتعاد عن غريب اللفظ وعجيبه وصعبه، كما امتازت مقامات الهمذاني قبله بالوضوح وجودة العبارة، والتّنوع في الأساليب بين الخبر والإنشاء، إلا أنه كان يأتي بالغريب والضّعب من الألفاظ بما أن غايته منها غايّة تعليميّة.

1.4 بين موضوعات گـلستان السّعدي ومقامات الهمذاني: تناول سعدي في گـــــلستانه موضوعات شتى أهمها الأدب والكديّة والفكاهة والدّين والعشق والمناظرة والفقه وغير ذلك، وهي قريبة جدا من موضوعات الهمذاني، التي كان منها ماله صلة بالحياة اليوميّة للناس، وتنوعت هي الأخرى فمنها الأدبي ومنها الفقهي، ومنها الوعظي ومنها الخمري المجوني وما يتعلق بالفساد السّياسي، أما الكديّة فأهمها.

4ـ1ـ1 الأدب: في گـلستان لا تكاد تخلو مقامة من الطّرائف واللطائف الأدبيّة، فمن الحكايات ما جعلت الموضوع الأدبي جوهرها، نحو الحكايّة الأولى في الباب السّادس بطلها عجوز فقير يسحر الرّاوي بأشعاره، وفي المقابل هناك من مقامات الهمذاني ما تتخذ من النّقد الأدبي موضوعا لها، حيث يطلق أحكامه النّقديّة فيها على الأدباء، وهي أربع مقامات: الجاحظيّة والشّعريّة والقريضيّة والعراقيّة.

4ـ1ـ2 الكديّة: وقد التّزم السّعدي بها متأثراً ببديع الزّمان الهمذاني على عكس الحميدي الذي سبقه، لكنه هذبها وسماها فقراً، وكان رحيما بالفقراء الذين سمّاهم الدّراويش لا المكديين، وخصص باباً لهم ووجه سهام اللوم في فقرهم للحكومة والمجتمع. هذا وكانت الكديّة في المقامات العربيّة صفة ملازمة لها ولبطلها، وهي "المادة الرّئيسيّة التي يقوم عليها مضمون المقامة، فمعظم المقامات تعتمد أساسا على حيل المكديين ومغامراتهم." [41]

4ـ1ـ3 المناظرة: نجد في گـلستان السّعدي مناظرات منها القصيرة ومنها الطّويلة، وقد كتبها مشابهة لمناظرات الحميدي والحريري، "ومن هذه المناظرات جدال السّعدي مع المدعي في بيان الغنى والفقر. وهذه المناظرة تشبه مناظرة الحميدي بين السّني والملحد." [42] أما المناظرة في مقامات الهمذاني فهي قليلة ولا نجدها سوى في المقامة الدّينارية التي ضمت أقبح صور الهجاء.

4-1-4 المُلحة: في گـــــلستان الشّيرازي بعض الحكايات الفكاهيّة كحكايّة السّعدي مع والدّة زوجته، لكنه لم يعتمدها بكثرة كما فعل البديع الهمذاني حيث لا تخلو أغلب مقاماته منها وهذا ما أكسبها تلك الشّهرة وذلك الرّواج ومن أمثلتها عند بديع الزّمان المقامة المضيريّة والدّيناريّة والحلوانيّة وغيرها... أما عن المواضيع الفقهيّة فلم يُفرد لها السّعدي مقامات مستقلة بل تحدث عن الفقه من خلال بعض مقاماته وكذلك فعل البديع الهمذاني كالذي ذكره في المقامة المارستانيّة، وعن المواضيع العشقيّة فهي كثيرة، وقد أورد لها باباً، وهو الباب الخامس، سمّاه باب العشق والشّباب، وهو ما غيّبه الهمذاني في مقاماته.

4-2 بين أسلوب گـــــلستان السّعدي ومقامات الهمذاني: يعتمد أصحاب المقامات في بناء مقاماتهم على السّجع بالدّرجة الأولى، وكذلك فعل سعدي الشّيرازي، لكنه لم يتكلف فيه إلاّ عند الضرورة، ومثال سجعه ما قاله في الحكايّة السّادسة والعشرين في باب فضل القناعة: " پـــدر گفت: اي پـــسر، منافع سفر چـــنين كه گفتـــي بي شمارست وليكن مسلَّم پـنج طايفه راست، ناخستين: بازرگاني كه با وجود نعمت ومكنت. غلامان وكنيزان دارد دلاويز، وشـــاگردان چابک، هر روز به شهري، وهر شب به مقامي، وهر دم به تفرج كاهي، از نعيم دنيا متمتع. وترجمة الشّاهد: قال الأب: أيها الولد منافع السّفر على هذا النّمط الذي قلته لا تحصى، ولكن المسلّم بفائدتها خمسة أصناف: الأول تاجر لوفرة نعمته، وامتلاكه الغلمان والجواري الحسان، هو كل يوم في مدينة وكل ليلة في مقام، وكل حين بمتنزه يتمتع بنعيم الدّنيا." [3] [4] أما بديع الزّمان فيبقى أسلوبه فريدا من نوعه، في صياغة لغة نوعيّة، لذلك العصر، فاختار صيغة السّجع التي تستجلب الاستحسان والإعجاب، وهذا السّجع لا يرى فيه أثر للتكلف أيضاً، فهو خفيف مستساغ، عرف كيف يصوغه بتلك النّغمات الضّوتيّة والسّجعات القصيرة البهيّة.

ـ اعتمد سعدي مزج النّثربالأشعار الفارسيّة والعربيّة، التي من نظمه هو، ولم يستشهد بشعر غيره، وهذا ما قاله في خاتمة كتابه، وكذا البديع الهمذاني قبله، قد انهدمت عنده الحواجز بين الشّعر والنّثر، فلا تخلو مقامة من مقاماته من الشّعر الذي كثيرا ما يختم به مقامته ويلخص فيه الهدف والمغزى من تلك المقامة.

ـ كما اعتمد سعدي الشّيرازي على الوصف أيضاً "بيد أن الوصف قليل وقصير في گلستان لكنه كامل على خلاف ممقامات الحميدي، لأننا في بعض الأحيان نجد الوصف فيها كثير غير أنه زائد وبغير فائدة." [44] أما الوصف في مقامات الهمذاني فهو غزير مميز دقيق يجعلنا نرى تلك المشاهد تتمثل أمام أعيننا، وخير مثال على ذلك المقامة المضيريّة.

ـ من مميزات أسلوب السّعدي أنه اعتمد على الإيجاز لا إيجاز مخل ولا إطناب ممل والبلاغة في الإيجاز. كما أنه ابتعد عن غريب اللفظ وعسيره، فلا إبهام ولا غموض ولا تعقيد، وابتعد عن المفردات النّادرة، وهذا على عكس الهمذاني الذي وظف الألفاظ النّادرة، وأحيانا يشرحها بمرادفها، بُغيّة التّعليم هذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على أن الهمذاني ينبوع عذب ثري اللغة غزير اللفظ، ميّزه الثّراء اللغوي، فكان حريصا على أن يبعث ما أهمل من المفردات وإحياء ما قتله الدّهر منها.

ـ لم يوظف سعدي من ذلك الرّصيد اللغوي الذي كان يملكه رغم أنه معروف بتمكنه من اللغة العربيّة، وسيطرته عليها، وكان حافظاً للآيات القرآنيّة والأحاديث النّبويّة ورغم ذلك كتب بلغته، على خلاف الحميدي الذي كثيرا ما كان يستعرض عضلاته البيانيّة في اللغة العربيّة، أما بديع الزّمان الهمذاني فقد وظف بعض الألفاظ، ذات الأصل الفارسي، ولكنها متداولة في اللغة العربيّة وأكثر ما ذكر الهمذاني بالفارسيّة أسماء المدن في بلاد فارس، والتي سمّى بها

العديد من مقاماته، كالمقامة البلخيّة والأصفهانيّة والأهوازيّة، والنّيسابوريّة و الشّيرازيّة وغيرها...

ومن هنا نرى أن مقامات الشّيرازي قريبة جدا من مقامات الهمذاني، في أغلب النّواحي حيث استخلص منها الضّفات والأساليب والمضامين البديعيّة، ووظفها في گلستانه كما أنه حافظ على اللغة الفارسيّة في مقاماته، وخالف البديع الهمذاني في بعض الموضوعات، فأعطى الكتاب روحاً جديدة على عكس مقامات الحميدي التي كانت تقليدا لمقامات الهمذاني والحريري.

5. خاتمة: خلاصة ما انتهى إليه هذا البحث المتواضع بعد التّتبع للمقامة في الأدبين العربي والفارسي جملة من النّتائج من أهمها:

1ـ العلاقة بين الأدبين العربي والفارسي متينة، وازدادت متانتها بعد الفتح الإسلامي وقد خلقت هذه العلاقة مجالات وفرصاً عديدة للتأثير والتّأثر بين الأدبين؛

2ـ أصل المقامة عربي ولا خلاف في ذلك، ورائدها عربي النّسب، همذاني المولد، هو من أسسها وأرسى قواعدها ثم أطلقها ليحتضنها العرب من بعده متبعين نهجه، سائرين على دربه، أمثال الحريري والزّمخشري، ولم تقف عند الحدود العربيّة بل عبرتها وتعدت إلى بلاد فارس؛

3ـ إن الأثر العربي على المقامات الفارسيّة واضح وجلي، خاصة بعد اعتراف المقاميين الفرس باطلاعهم المباشر على المقامات العربيّة وانتهاجها، والنّسج على منوالها؛

4ـ هناك من المقاميين الفرس من قلّد المقامات العربيّة في المبنى وفي المعنى، في الأسلوب وفي المضمون، خاصة ما جاء به القاضي الحميدي، على خلاف سعدي الشّيرازي الذي تأثر بها ولم يقلدها تقليدا تاما؛

5ـ موضوعات مقامات سعدي الشّيرازي أقرب إلى موضوعات مقامات بديع الزّمان الهمذاني أكثر من غيرها، حيث أنه تناول المواضيع الأدبيّة والاجتماعيّة والدّينيّة والوعظيّة، كما أنه ماثل الهمذاني في موضوع الكديّة والاستجداء، إلا أنه هذبها تحت مسمى الفقر والحاجة؛

6ـ من ناحيّة أسلوب گلستان وطريقة إنشائها، فإننا نرى السّعدي متأثرا بسابقيه، معتمدا على أهم ميزة لصيقة بهذا اللون، وهي "السّجع" الذي جاء خفيفاً غير متكلف كسجع الهمذاني، بالإضافة إلى الإيجاز والبلاغة والاعتدال في التّفنن اللفظي ومَزْج الشّعر بالنّثر كما فعل الهمذاني قبله.

قائمة المصادر والمواجع:

1ـ ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التّراث العربي، ط2، 1997، مج5، ج11.

2ـ الأصبهاني عماد الدّين ، خريدة القصر وجريدة العصر، تح: محمد بهجت الأثري مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، دط، 1955. 3ـ البيهقي أبو الفضل ، تاريخ البيهقي تر: يحي الخشاب وصادق نشأت، مكتبة الأنجلو المصريّة، دط، دت.

4ـ الحريري القاسم بن علي، مقامات الحريري، شرح: أبو العباس القيسي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المؤسسة العربيّة الحديثة للنشر والتّوزيع، بيروت، دط، 1998.

5ـ الحصري أبو أسحاق بن علي، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق زكي مبارك، نشر المكتبة البخاريّة الكبرى، مصر، ط3، 1953، ج1.

6ـ القلقشندي أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تح: يوسف علي الطّويل، دار الفكر، دمشق، ط1987،1، ج14.

7ـ النّظامي العروضي السّمرقندي، كتاب مجمع النّوادر (جهار مقاله)، تر: عبد الوهاب عزام، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، بور سعيد، دط، دت. 8ـ الهمذاني بديع الزّمان أحمد بن الحسين ، مقامات بديع الزّمان الهمذاني، شرح: محمد عبده، دار الكتب العلميّة، بيروت ط3، 2005.

9ـ أمل إبراهيم محمد، الأثر العربي في أدب سعدي الشّيرازي، الدّار الثّقافيّة للنشر مصر ط2، 2000.

10ـ شوقي ضيف، المقامة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط7، د ت.

11ـ شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النّثر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط5، دت.

12ـ عبد المالك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع الجزائر، دط، 1980.

13ـ عبد المؤمن عثمان الشّيخ، البديعيات في مقامات القرني، بحث مقدم للحصول على درجة الدّكتوراه في اللغة العربيّة، جامعة إلورن، 2011.

14ـ فرح ناز علي رفعت جو، المقامة بين الأدب العربي والأدب الفارسي (الحريري والحميدي خصوصا)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2011.

15ـ محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار الثّقافة للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة ط1، 1990.

16ـ مصطفى الشّكعة، بديع الزّمان الهمذاني، رائد القصة العربيّة والمقالة الضّحفيّة الدّار المصريّة اللبنانيّة، القاهرة، ط1، 2003.

17ـ مهين حاجي زادة، المقامة في الأدب العربي والآداب العالميّة، مجلة اللغة العربيّة وآدابها أذربيجان، العدد4، 2004.

18ـ يوسف نور عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب، دار القلم، بيروت، طَ1 1979.

الهوامش:

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التّراث العربي، ط2، 1997، مج5، ج11، باب القاف، ص3787.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تح: يوسف علي الطّويل، دار الفكر، دمشق ط1987،1 ج14، ص124.

[3] شوقي ضيف، المقامة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط7، د ت، ص7.

[4] بديع الزّمان الهمذاني، مقامات بديع الزّمان الهمذاني، شرح: محمد عبده، دار الكتب العلميّة، بيروت ط3، 2005، ص157.

[5] يوسف نور عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب، دار القلم، بيروت، ط1، 1979 ص8.

[6] الحريري، مقامات الحريري، شرح: أبو العباس القيسي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم المؤسسة العربيّة الحديثة للنشر والتّوزيع، بيروت، دط، 1998، ص12.

[7] محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار الثّقافة للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط1 1990 ص180.

[8] الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق زكي مبارك، نشر المكتبة البخاريّة الكبرى مصر، ط3 1953، ج1، ص235.

[9] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النّثر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط5، دت، ص81.

[10] مصطفى الشّكعة، بديع الزّمان الهمذاني، رائد القصة العربيّة والمقالة الضّحفيّة، الدّار المصريّة اللبنانيّة، القاهرة، ط1، 2003، ص295.

[11] عبد المؤمن عثمان الشّيخ، البديعيات في مقامات القرني، بحث مقدم للحصول على درجة الدّكتوراه في اللغة العربيّة، جامعة إلورن، 2011، ص57.

[12] شوقي ضيف، المقامة، ص10.

[13] فرح ناز علي رفعت جو، المقامة بين الأدب العربي والأدب الفارسي (الحريري والحميدي خصوصا)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2011، ص33.

[14] أبو الفضل البيهقي، تاريخ البيهقي، تر: يحي الخشاب وصادق نشأت، مكتبة الأنجلو المصريّة، دط، دت ص182.

[15] نفس المرجع، ص115.

[16] نفس المرجع، ص657.

[17] فرح ناز علي رفعت جو، المقامة بين الأدب العربي والأدب الفارسي (الحريري والحميدي خصوصا) ص36.

[18] نفس المرجع، ص33.

[19] نفس المرجع، ص38.

[20] يقول الفيروزآبادي في القاموس المحيط: "هو التّكيّة والمعبد، منزل خاص لاجتماع الضّوفيين" ج2 ص1171.

[21] فرح ناز علي رفعت جو، المقامة بين الأدب العربي والأدب الفارسي (الحريري والحميدي خصوصا) ص39.

[22] نفس المرجع، ص68.

[23] نفس المرجع، نفس الصّفحة.

[24] عماد الدّين الأصبهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، تح: محمد بهجت الأثري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، دط، 1955. ص110

[25] مهين حاجي زادة، المقامة في الأدب العربي والآداب العالميّة، مجلة اللغة العربيّة وآدابها أذربيجان العدد4، 2004.

[26] عماد الدّين الأصبهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، ص110.

[27] النّظامي العروضي السّمرقندي، كتاب مجمع النّوادر (جهار مقاله)، تر: عبد الوهاب عزام مكتبة الثّقافة الدّينيّة، بور سعيد، دط، دت، ص8.

[28] أمل إبراهيم محمد، الأثر العربي في أدب سعدي الشّيرازي، الدّار الثّقافيّة للنشر، مصر ط2، 2000 ص19.

[29] نفس المرجع، ص36.

[30] فرح ناز علي رفعت جو، المقامة بين الأدب العربي والأدب الفارسي (الحريري والحميدي خصوصا) ص107.

[31] نفس المرجع، ص108.

[32] نفس المرجع، ص109، 110.

[33] نفس المرجع، ص98.

[34] أمل إبراهيم محمد، الأثر العربي في أدب سعدي الشّيرازي، ص50.

[35] فرح ناز علي رفعت جو، المقامة بين الأدب العربي والأدب الفارسي (الحريري والحميدي خصوصا) ص 99.

[36] أمل إبراهيم محمد، الأثر العربي في أدب سعدي الشّيرازي، ص 53.

[37] نفس المرجع، ص51.

[38] نفس المرجع، نفس الصّفحة.

[39] فرح ناز علي رفعت جو، المقامة بين الأدب العربي والأدب الفارسي (الحريري والحميدي خصوصا) ص 99.

[40] نفس المرجع، ص100.

[41] عبد المالك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع الجزائر، دط 1980، ص313.

[42] فرح ناز علي رفعت جو، المقامة بين الأدب العربي والأدب الفارسي (الحريري والحميدي خصوصا) ص 103.

[43] نفس المرجع، ص106.

[44] نفس المرجع، ص105.

مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 22 العدد: 50 السّنة: الثّلاثيّ الثّاني 2020 ص: 73 - 108

الأدوار التيماتيّة في النص المسرحي الجزائري
مسرحيّة البخيل لأحمد رضا حوحو

Ultimate roles in the Algerian theater text
Scrooge play by Ahmed Redha Houhou

أ. **طيهار نسيبة**[1]
أ. **سيليني نور الدّين**[2]

تاريخ الإرسال: 24 10 2019 **تاريخ القبول:** 25 12 2019

ملخّص: يتناول هذا المقال دراسة موضوعاتيّة لمسرحيّة بعنوان" البخيل" لأحمد رضا حوحو، حيث نحاول من خلالها الاشتغال على التّيمات المكونة لبنيّة النّص المسرحي الذي يشكل الهويّة الإبداعيّة للنص الأدبي، ويتجلى من خلال كشف التّيمة المهيمنة على النّص وهي " تيمة البخل"، ومن ثمة ملاحقة الهاجس الذي يسيطر على "سي شعبان" وهو حب السّلطة والتّملك والمال القائم على خلفيات فكريّة كالجهل والاستعباد والهيمنة الذّكوريّة البرجوازيّة في المجتمع الجزائري، ثم نلاحق التّيمات الفرعيّة لها مثل" تيمة الظّلم، وتيمة الحب، وتيمة المرأة، وتيمة الخوف، وتيمة السّلطة"، وتحقق "تيمة البخل" الهيكل المحدد للعمل المسرحي لأحمد رضا حوحو.

[1] جامعة محمد بوضياف المسيلة الجزائر، البريد الإلكتروني: nassiba.tihar@univ-msila.dz
[2] جامعة محمد بوضياف المسيلة الجزائر، البريد الإلكتروني: noureddine. silini @niv-msila.dz

كلمات مفتاحيّة: كلمات مفتاحيّة: المنهج الموضوعاتي، تيمة البخل، التّيمة النّقد الموضوعاتي، السّلطة، تيمة الحب. كلمة؛ كلمة؛ كلمة؛ كلمة؛ .

Abstract: Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article).

AbstractThis article deals with a thematic of the story of the playentitled "The stingy" of Ahmed Rida Houhou wherewetry to engage in the elements of the structure of theatricaltext, whichconstitutes the creativeidentity of the literarytext, and isreflectedthrough the revelation of the dominant theme of the text, "the stinginesstheme" and thenchasing the obsession thatcontrols "Si Shaaban" whichis; love of power, ownership and money based on intellectual backgrounds such as ignorance, enclavement and male bourgeois domination in Algerian society. Then, wepursuesub-themessuch as theme of injustice, theme of love, theme of women, theme of fear, theme of power, and theme of stinginessachieves the specific structure of theatricalworkof Ahmed Rida Houhoukeywords ؛ keywords; Thematic method, theme of stinginess, thematic Criticism, Power, Love theme

Keywords: Thematic method, theme of stinginess, thematic Criticism, Power, Love theme.

المقدّمة: تهتم المناهج النّقديّة والنّظريات في الوقت الرّاهن، بدراسة النّصوص الأدبيّة وتحليلها ومحاولة استنطاقها لمعرفة الرّؤى الفكريّة والإبداعيّة ومن ثمة تعكس مستوى الإبداع لتلك النّصوص وتجسد وظيفتها الجماليّة باعتبار أن هذه النّصوص مادة طريّة، تخفي وراءها الكثير من الدّلالات والمعاني التي تنطوي عليها وتعتبر المناهج النّقديّة الأداة التي تبلور تلك المفاهيم وتفتح

مغـاليق الـنّص العميقـة في بنياتهـا التّحيّـة الـتي تحمـل الكـثير مـن المعـاني والدّلالات.

ومن المعروف على المناهج النّقديّة كالبنيويّة، واللسانيات، هذا الدّور الفعال غـير أن هنـاك منـاهج لم تلـق هـذا الاهتمـام والتّـداول، ومـن بينهـا المـنهج الموضوعاتي والذي تعد مقاربة نقديّة موضوعاتيّة من أهم المقاربات النّقديّة في التّعامل مع النّص الأدبي شعرا و نثرا، فقد ظهرت في أوربا إبان ستينات القرن العشرين مع موجة النّقد الجديد، ومتجاوبة، بشكل من الإشكال، مع تيار ما بعد الحداثة، كما ظهرت في العالم متأخرة عن نظيرتها الأوروبيّة بعقد من السّنوات، مع تصاعد النّقد المضموني وانتشار القراءات التّأويليّة والإيديولوجيّة وولادة التّحليل الوصفي البنيوي واللساني ويهدف النّقد الموضوعاتي إلى دراسة التّيمات للنصوص المبدعة، ومعرفة كوامنها ومضامينها، وكل ذلك من أجل الكشف عن أهم محاورها الدّلاليّة المتكررة واستخلاص بنياتها المداريّة تفكيكا وتشريحا.

ولدراسة أي نص أدبي كان لابد من استعمال المناهج النّقديّة المعاصرة لطرق وفهم النّصوص المسيجة والمفعمة بالدّلالات والمعاني في فهم نسيجها الدّاخلي النّسقي والنّصي، ولكن وفي خضم هذه المواجهات القراءتيّة للنصوص لاحظنا أنّ استعمال المناهج النّقديّة كالبنيويّة والسّيميائيّة والأسلوبيّة والتّفكيكيّة مقارنة مع المنهج الموضوعاتي الذي يشهد تذبذباً وحضورا نادراً لمعالجة هذه النّصوص الأدبيّة وتفجير معاني النّص وملاحقة الكاتب في مراحله الطّفوليّة الأولى؛ أي نصوص سيرذاتيّة فهذه النّصوص تحمل من الشاعريّة والإيغال في الذّاتيّة الشّيء الكثير، أو لمعالجة مشكلة واقعيّة اجتماعيّة، وتحمل بعض النّصوص كذلك رؤى فلسفيّة استشرافيّة تجسد حقيقة البنيّة الفكريّة للإنسان، وتقف على تلك المؤثرات الخارجيّة والعوامل تعزز النّص، فكان لابد لنا من الاستعانة بالمنهج الموضوعاتي على الخصوص باعتباره ينفتح على المناهج النّقديّة الأخرى فهو

يعتمد في قراءته على المناهج النّسقيّة والسّياقيّة لدراسة أي نص مهما كان ظرفه ومحيطه وزمنه الذي كتب فيه.

ومما لا شك فيه أن الأسباب التّاريخيّة هي التي أسهمت في تراجع النّقد الموضوعاتي وترك مكانته للسميائيّة فالمتتبع للمسار التّاريخي يجد هذه الحقيقة الواقعيّة رغم الأسماء الكبيرة التي حظيت بها الموضوعاتيّة.

وتعدّ دراسة المنهج الموضوعاتي من أهم الدّراسات النّقديّة العربيّة الحديثة ذلك لأن الموضوعاتيّة تعتني في دراساتها بالبحث عن التّيمة في تعدد معانيها (الموضوع الغرض، المحور، المركز، الفكرة الرّئيسيّة، النّواة الدّلالة، البؤرة)، ومن ثمة يهدف النّقد الموضوعاتي إلى استقراء التّيمات الأساسيّة الواعيّة واللاواعيّة للنصوص الإبداعيّة والمتميزة وتحديد محاورها الدّلاليّة المتكررة والمتواترة، وتهتم الموضوعات ب "التّيمة" التي تعدّ من خصائص النّقد الموضوعاتي الذي يعتبر (التّيمة) تجربة، أو سلسلة من التّجارب تؤسس وحدة محدودة في النّص الأدبي ذلك لأنه شبكة منظمة من الأفكار الملحة، على أن المفهوم الأدبي للموضوعاتيّة يحقق للنص نسيجاً لغوياً يخفي وراءه الكثير من المعاني والتي تجسد دورها وظيفة الجماليّة، وإنّ مثل هذه الدّراسات النّقديّة تسلط الضّوء على هذا النّقد الموضوعاتي الذي يمنحنا فرصة استنطاق النّص وإعادة قراءته بغيّة الكشف عن الموضوعات التي يطرحها الكاتب في نصه، ومحاولة استخراج مكونات الضّمنيّة للموضوعات في النّص المسرحي للكاتب أحمد رضا حوحو في احدى روائعه الإبداعيّة " مسرحيّة البخيل".

1. رصد للمفاهيم والتّحويل المضموني:

1.1 . مفهوم التّيمة:

- **لغة:** إنّ البحث عن الدّلالة اللغويّة لمفهوم التّيمة يستلزم بنا البحث أولا في دلالتّها المُعجميّة ومن ثمة فقد وقفنا عند المصطلح في بنياته العلائقيّة التي

تشكلت عنها المفردة لنجد أن استعمال المصطلح في المعاجم القديمة حمل بكثير من الشّرح والإيضاح والتّحليل فقد ورد **"معجم العين"** مادة (وَضَعَ):" فالوضاعة: الضّعة، تقول: (يُوضَعُ) وَضَاعَةً، والوضيعة: نحو وضائع كسرى، كان ينقل قوماً من بلادهم ويسكنهم أرضاً أخرى حتى يصيروا بها وَضيعةً أبداً والوضيعة أيضا: قوم من جند يُجعل أسماؤهم في كورة لا يغزون منها، والوضيعة: ما تضعه من رأس مالك والخياط يُوضَّعُ القُطَنُ على الثّوب توضيعاً....، ونقول: في كلامه توضيع إذا كان فيه تأنيث كلام النّساء، والوَضْعُ: مصدرُ قولك: وَضَعَ يَضَعُ، والدّابَّةُ تَضَعُ السّير وضعاً، نقول: هي حسنة الموضوع: وأوضعها راكبها: قال الله تعالي:**"وَلَأَوْضَعُوْا خلالَكُمَ"** [1].

والمواضَعَةُ: أن تواضع أخاك أمراً فتناظره فيه وفلان وضعه دخوله في كذا فاتّضع والتّواضُعُ: التّذلّلُ" [2].

وقد جاء أيضا في **"جمهرة اللغة"** مادة "ضَعة": **والوضع وضعك الشّيء وضعته، أضعه، وضعاً، وقولهم ضعة...، ووضع البعير وضعاً وهو ضرب من السّير، وأوضعته إيضاعاً أي بعثته على أن يضع، ورجل وضيع من قوم وضعاه.... وقال قوم وُضع يوضُع وامرأة واضع إذا ألقت قناعها، وشاة واضع إذا ولدت، وتمر وضيع يعبر عن جرار فلا يكنز والوضائع قوم كانوا حشما للملوك ملوك الحيرة يحفظون الحيرة إذا عز الملك ورجل متواضع خلاف المتكبر"** [3].

وقد عثرنا في هذه المعاجم على كلمة "الموضوع" الذي تعددت معانيه وتضاربت بمختلف السّياقات والحوادث، فنجدها تعني المكان وأحياناً نجدها تأتي بمعني الاتفاق والمناظرة وكلها سياقات دلاليّة لمعنى الموضوع في استعماله الدّلالي.

- **اصطلاحا:** ويشق مصطلح الموضوع وجده في المعاجم الحديثة بمفاهيم حديثة، فلقد ذكر جبور عبد النّور في معجمه الأدبي بأن الموضوع" **مضمون ما يجول في خاطرنا وليس هو ذاتنا وفي هذا المعنى يدل الموضوع على إحساس أو**

عاطفة أو الصّورة وليس بالضّرورة على شيء موجود في العالم، وأيضا هو ماله وجود في ذاته مستقل عن الفكرة التي تكون في ذهننا عنه وموضوع الكلام المادة التي يجري عليها البحث شفويا أو خطياً ومن ذلك قولنا، موضوع الرّوايّة موضوع النّقاش موضوع المحاضرة...إلخ" [4]، وقد أضاف سعيد علوش تعريفاً آخر للموضوع إذ يقول لأنّه: **"شيء مادي ينتجه ويمتلك وظيفة عند الإنسان عامة وترتبط الوظيفة ب(الموضوع) في كوده السّوسيو ثقافي حيث لا يمكن للوظيفة- قيمة جماليّة أو رمزيّة"** [5] .

في حين ترجمه السّيد إمام من خلال ترجمته لكتاب قاموس السّرديات لجيرالدّ برنس يقدم تعريفا أدق بقوله أن الموضوع: **"فئة دلاليّة على مستوى البنيّة الكبرى أو إطار- يمكن استخراجه من (...) عناصر نصيّة متميزة(...) توضحه ويعبر عن كينونات أكثر عموميّة وتحديداً(أراء، أفكار، إلخ) يدور حولها النّص أو جزء منه(..) وينبغي التّمييز بين الموضوعة والأنواع الأخرى لفئات البنيّة الكبرى أو الأطر التي ترتبط أيضا أو تأخذ في عين الاعتبار ربط العناصر النّصيّة وتعبر عما يدور حوله النّص أو أحد مقاطعه(جزئياً) أنها (الموضوعة) إطار الفكرة عوضا عن كونها مثلا إطار للفعل(الحبكة) أو إطار لموجود(شخصيّة خلفيّة) وعلاوة على ذلك يتعين التّمييز بين الموضوعة والحافز، الذي يعد وحدة أكثر تجسيداً وتحديداً(...) وبين الموضوع الذي يشكله(...) مركب محدد من الحوافز وأخيراً يمكن التّمييز بين موضوعة العمل وأطروحته (قضيته) المبدأ الذي تدعو أليه أن الموضوعة عكس الأطروحة لا تقدم إجابة بقدر ما تثير الأسئلة أنها تأمليّة تقريريّة..."** [6]، فالوظيفة ترتبط بالسّياق وتحدد وفقه، فهو يكتسب للنص دلالات خاصة إذا ما تعلق الأمر بالنّصوص الإبداعيّة ومقاربة هذه النّصوص وفق مضامين نصيّة كوظيفة ترتبط بقيمة جماليّة وفنيّة تظهر النّص وتميزه.

2.مفهوم النّقد الموضوعاتي: وتشير جاكلين بيكوش، في قاموسها التّأثيلي، إلى أن هذه الكلمة "thème"، **كانت تعنى- في القرن 13م، كل ما تعنيه كلمة"sujet (مادة أو فكرة أو محتوى أو قضيّة أو مسألة، في العربيّة)، ثم تطورت- في القرنين 16م و17م- لتدل على: امتحان مدرسي (Composition Scolaire)، وترجمة (Traduction)، وبعدها دخلت علم التّنجيم منذ القرن17م، ثم علوم الموسيقى واللغة منذ القرن19م، حيث ظهرت كلمة الموضوعاتيّة (thématique)، في القرن ذاته".**

وينطلق الموضوع إذن من فكرة اجتماعيّة فلسفيّة تجسدها شخصيات فنيّة في عمل أدبي معين في زمان ومكان معينين، وقد رسمت تلك الأفكار التي يدور حولها هذا النّص وشبكة العلاقات بينها، في حين الموضوعاتيّة تختلف عن الموضوع اختلافا واضحا بافتقادها لتلك الحدود التي صنفت الموضوع مسبقا في مجال معين فالموضوعاتيّة هي شبكة من العلاقات التي تسجد العنصر الذي ينطلق منه النّص الأدبي.

يشكل الموضوع عند ريشار نقطة الانطلاق ومبدأ فهي المصفوفة التي يتركب عليها وتتشكل عندها العمليّة النّقديّة باعتبارها مكملة للإبداع الفني داخل النّص الأدبي، ثم تتشكل عبر هذّه المصفوفة مجموع الموضوعات التي ينتمي وتكمل النّص بدلالاته وإطرادياته، فعمل المصفوفة الإبداعيّة الرّيشاريّة هي الفكرة الرّئيسيّة التي تشكل الموضوع، ومن هنا فلقد فرق بين الفكرة الرّئيسيّة والموضوعاتيّة فهي النّقطة المركزيّة التي ينطلق منها النّاقد أو الكاتب وإليها يعود، وتسمح له بالتّوسع والامتداد الشّبكي، والخطي مع ثنائيته التي تشكل معماريّة النّص مما يسمح للقرابة السّريّة أن تعتمد عليه ضمن العائلة اللغويّة التي يبني الكاتب وفقه نصه الإبداعي، و ج.ب ريشار**Jean paul weber** ويرى في هذّا الصّدد أنّ" **الموضوع وحدة من وحدات المعنى، وحدة حسيّة أو**

علائقيّة أو زمنيّة مشهود لها بخصوصياتها عند كاتب ما، كما أنها مشهود لها بأنّها تسمح- انطلاقا منها وبنوع من التّوسع الشّبكي أو الخطي أو النّطقي أو الجدلي- ببسط العالم الخاص لهذا الكاتب" [7].

ويعد اصطلاح "الموضوعاتي" (**théme**)، تحديداً إجرائياً تعالج من خلاله وحدات ذات درجة تكون تركيبيّة واحدة دون اشتمالها على عدد العناصر نفسها شريطة تداخل الأشكال المترابطة، لا الأشكال الحرة، وقد كان اصطلاح "الموضوعاتي" (أوالتّيمي) اصطلاحا انطباعيا إلى حد بعيد، استعمله ج.ب.ريشار(**Jean paul weber**)، في معنى خاص مطلقا إياه على الصّورة الملحة والمتفردة والمتواجدة في عمل ما. من ثم، ينظر إلى اصطلاح الموضوعاتي حسب منطق التّماثل، ويبرز سر الموضوعاتي في الإبداع عبارة عن حدث ينتج جراء صدمة تعود إلى أوائل شباب- إن لم نقل طفولة- الكاتب، ونحدد الموضوعاتيّة عند ج.ب.ريشار((**Jean Pierre Richard**، في شكل هويّة سريّة ذات مستويات متعددة ترتبط بالتّجربة الخاصة للوعي التّأملي، أو الخارج- تأملي، وتحدد الموضوعاتيّة- انطلاقا من السّابق- في تمفصلها إلى قنوات تعمل على انسجام العمل الأدبي، **عبر أربعة تفرعات:**

أ- خطاطة تنظيميّة محسوسة؛

ب- مركز حيوي لعالم تخيلي؛

ج- محور ترابط العمل في كتلة دالة؛

د- خلاصة لمنظوراتيّة التّعديلات" [8].

وبهذا يعدّ النّقد الموضوعاتي من أكثر المناهج غموضا وإبهاما، فيصعب بمكان تحديد مفهوم دقيق له إضافة إلى محدوديّة استعمالاته.

2.فكرة التّأسيس الموضوعاتي - رؤيّة نقديّة عربيّة- : أفرد للموضوع عدة تعريفات من طرف النّقاد العرب أدت إلى تباين المفهوم وفق التّرجمة التي قدمها

هؤلاء بحسب فهمهم للكلمة، مما كون معجما لغويا عربيا من لفظ واحد فنجد "التّيمة لدى كل من، وقد عثرنا أيضا المصطلح عند أيضا، وجدنا حضوراً كثيفاً لمصطلح "الموضوع" موازٍ ومقابل "للتيمة" فوجدنا اتفاقا واضحا في اللفظة، وقد أشار النّقاد أيضا إلى مصطلح "الموضوعة" ومصطلح "التّيمة" ومصطلح "الموضوعة" كلها مفاهيم لمصطلح واحد.

ومن أشهر رواد المنهج الموضوعاتي الذين تعاملوا مع هذا المنهج في ظل المقاربات الحديثة في الوطن العربي نجد (**سعيد علوش النّقد الموضوعاتي، عبد الكريم حسن المنهج الموضوعي ، محمد عزام سحر الموضوع و كتابه في وجوه الماس البنيات الجذريّة في أدب علي عقلة عرسان، سمير سرحان النّقد الموضوعي، كتاب يوسف وغليسي المنهج الموضوعاتي فعل وكلام ومنهج..**)، في تطبيق المقاربة الموضوعاتيّة سواء على مستوى تطبيقها في النّصوص أم على مستوى الإشكال الذي طرحته هذه المنهجيّة بحيث تبرز في تنوع التّعريفات الخاصة بمفردات ومفاهيم هذا المنهج الهلامي، فإننا نجد كل ناقد أو باحث، يعرف الموضوعاتيّة حسب التّرجمة التي اعتمدها، والفلسفة التي يعتقدها والرّؤى التي يمثلها كبناء فكري له، معطيا انطباعه حول دراسته الأدبيّة والنّقديّة التي أفرزت هذا التّنويع المفاهيمي للموضوعاتيّة وبذلك شكلت الشّكل المفهومي له من قبل الباحثين والطّلبة والدّارسين للمنهج، بحيث عثرنا على التّعريفات المتداولة والأكثر حضوراً وأصحابها الرّواد وهم: جون بول ويبر- ، وجون بيار ريشار، وجورج بولي، وجون روسي- وجيلبار دوران- ، وجون ستاروبنسكي ...وغيرهم.

جدول 1: تداول لمصطلح التّيمة واشتقاقاتها

الكلمة	الاشتقاق	اسم المؤلف
"التّيمة"	"التّيمة" أو التّيم	"لدى سعيد علوش" [9] لدى محمد عناني [10] وحميد لحميداني [11] وعزت جاد [12] ويمنى العيد [13] محمد التّونجي [14]
الموضوع"	"الموضـــــوعاتيّة، "موضوعاتيّة"	لدى كل من سعيد علوش [15] وعبد الرّحمان أيوب [16] ومحمد مرتاض [17] ويوسف وغليسي [18] ومحمد عزام [19]
الموضوعة"	الموضـــــــوعة" "موضوعة"	لدى خليل أحمد خليل [20] عبد الفتاح كليطو [21] ولطيف زيتوني [22] أيضا، وقد توقفنا عند رائد المنهج الموضوعي لدى عبد الكريم حسن مصطلح: "الموضوعي، المنهج الموضوعي، الموضوعيّة في كتابه الموضوعيّة البنيويّة [23].

المصدر: إعداد الباحثة

وقد رأينا من خلال الجدول أن المصطلحين "التّيمة" و"الموضوع" أكثر حضوراً في المعجم الاصطلاحي للألفاظ، وهذا ما يفسر عمليّة التّرجمة الحرفيّة للكلمة من ناحيّة المفهوم، ثم عمليّة التّرجمة المعنى من ناحية المضمون حتى يتمكن النّقاد من إسقاط المصطلح في خانته الحقيقيّة حتى لا يعاني الفهم والتّفسير العشوائي فلا يقترب مصطلح" الموضوع" من "الموضوعيّة"، وهذا ما

شكل غموض المصطلح لحد السّاعة، فالموضوع عكس الذّاتي، وأما الموضوعاتيّة فتعني "التّيمات" الأكثر حضوراً في النّص الأدبي، ونجد أيضا مصطلحات مصاحبة للكلمتين "الموضوع" و"التّيمة" وهي: "تيماتيكيّة، الغرضيّة، المعنى الرّئيسي"، "المضمونيّة"، مفردا إياها عدة تعريفات أدت إلى تباين المفهوم من طرف عديد النّقاد أدت إلى تباين المفهوم وفق التّرجمة قدمها هؤلاء بحسب ترجمة كل واحد منهم ومدى اتساع مفهومه واستخدامه للغة الأجنبيّة، مما كون معجما لغويا عربياً ثرياً من لفظ واحد فنجد "التّيمة" لدى استعمالها اللغوي كلاّ من لفظ واحد فنجد مصطلح "التّيمة" أو" التّيم" لدى سعيد علوش، و" التّيمة" لدى محمد عناني، وحميد لحميداني، وعزت جاد، ويمنى العيد وقد عثرنا أيضا على المصطلح عند محمد التّونجي في معجمه المفصل "التّيمة" هي في استعمالها الاصطلاحي أو "التّيمي" حيث نلحظ بأن سعيد يقطين قد وجد في كلمتي "التّيم" و "التّيماتيّة" مرادفا لمصطلح الموضوعاتيّة وهو أثر للمصطلح الأجنبي الوافد إلينا - في نظره- حيث يقول: **إن التّيمة(Thème)، بحيث ينقلها على لسان برنار دوبربي "B.DUPRIEZ" هي الفكرة المتواترة في العمل الأدبي، وتستعمل أحيانا بمعني الحافز الكثير التّواتر غير أنّ "التّيمة" أكثر عموميّة وتجريدا" [24].**

يرتكز المنهج الموضوعاتي على عدة أسس متعددة التي يعتمدها لاستقراء النّصوص وكشف دلالتّها المضمونيّة فنجد أهمها: الموضوع يحدد هذا الإجراء كأساس جوهري يكون المنهج الموضوعاتي على أنه مبدأ تنظيمي محسوس، أو ديناميكيّة داخليّة، أو شيء ثابت يسمح للعالم حوله بالتّشكل والامتداد: **"الموضوع مبدأ تنظيمي محسوس، أو ديناميكيّة داخليّة، أو شيء ثابت يسمح لعالم حوله بالتّشكل والامتداد، والنّقطة المهمة في هذا المبدأ تكمن في تلك القرابة السّريّة، في ذلك التّطابق الخفي، والذي يراد الكشف عنه تحت أستار عديدة"** [25]، وقد قدم أيضا عبد الكريم حسن تعريفاً آخر يحمل حمولة لأحد

العناصر الموضوعاتيّة فقدم له تعريفا دقيقاً حيث يقول: **"الموضوع وحدة من وحدات المعنى، وحدة حسيّة أو علائقيّة أو زمنيّة، مشهود لها بأنها تسمح انطلاقاً منها وبنوع من التّوسع الشّبكي أو الخيطي أو المنطقي أو الجدلي ببسط العالم الخاص لهذا الكاتب"** [26]، ويشكل الموضوع في نظر محمد عزام الذي جمع التّعريفين السّابقين وأعطاه بشكل أدق أيضا: **"والنّقطة المهمة في هذا المبدأ تكمن في تلك القرابة السّريّة في ذلك التّطابق الخفي الذي يراد الكشف عنه تحت أستار عديدة، فالموضوع وحدة من وحدات المعنى وحدة حسيّة أو علائقية، أو زمنيّة مشهود لها بخصوصياتها عند كاتب ما"** [27].

وقد قدمت مسعودة لعريط في هذا الصّدد تعريفا أكثر حداثة ودقة ونجاعة حيث ترى: **"أنه المادة التي تنبني عليها الكاتب والخطيب كلامه وهو يعني تلك الأجزاء الصّغيرة من الموضوعات التي تكوّن باتساقها وتناسقها الخطاب"** [28].

ولقد سجلنا تعريف الموضوع على أنه وحدة حسيّة، إذن فالموضوع يقع في أشياء واقعيّة محسوسة، ف كون((الموضوع وحدة حسيّة أو علائقيّة أو زمنيّة)) فلا بد أن الموضوعاتيّة تشكل صورة محسوسة لعالم الأشياء، وقد استمد ريشار هذا المفهوم ممّا قدمه التّفكير الظّاهراتي الذي وقف عند هذه الخصوصيّة حيث يقول: **(الجذريون يشددون بأكبر قدر ممكن على مستويي الإحساس الخام، والصّورة في مراحل تشكلها الأول، من هنا نمعن في تسجيل الأضواء والعطور والمشاهد والمواد والأصوات ومجموعة الصّفات أو الماهيات التي يثيرها النّص، ثم نربط هذه الموضوعات بعضها ببعض، بهدف إعادة بناء أو تأسيس سيرة معينة قام بها الأديب- الإنسان"** [29].

فالإحالة هي أثر أدبي يتركه المجتمع في نفسيّة الكاتب بحيث «**يعرف الأثر الأدبي بدايّة من المجتمع الذي ألف فيه وعلاقته به ومدى اندماجه معه"** [30] وليس المجتمع هو المؤثر الوحيد في النّص بل كذلك المؤلف وحياته بكل جوانبها الإيديولوجيّة والثّقافيّة والاقتصاديّة.... وغيرها، واختلاف هذه

الجوانب هو من أوجد اليوم هذه المناهج النّقديّة المتنوعة في الرّؤى ومبادئ التّحليل النّفسي، وإذا ما أردنا التّأريخ لهذا الأثر نلجأ إلى المنهج التّاريخي وهكذا. إلا أن النّقد الموضوعاتي يرفض الإحالة إلى خارج النّص ولا يأبه لها أصلاً فهو يرى النّص كعمل مستقل بذاته يحمل معانيه في طياته وبين سطوره ونجد عبد الكريم حسن يقول «**أن المنهج الموضوعاتي نقد محال وهو ينفي الإحالة إلى أي مصدر خارجي وهكذا عندما أتحدث عن مشهد عند "بروست" مثلاً فإنني لا أعير أي اهتمام لمشاهد "النّورماندي" أو غيرها من المناطق الفرنسيّة التي ألهمت بروست فالمشهد الذي أتحدث عنه مشهد من ورق مما يعني أنه وحتى في قيمته الأكثر حسيّة لا يتكون إلاّ من خلال الكتابة التي تصفه وأما خارج الجمل التي تجعل منه نصا فهو غير موجود**" [31].

ويتفق المنهج الموضوعاتي مع المبادئ البنيويّة والتي تسجن النّص وتبحث عن معانيه فيه وترفض بشدة إعادته لمصادر خارجيّة، ولم تكتف بنفي المصادر الخارجيّة بل تجاوزتها إلى استبعاد الإحالة إلى المؤلف صاحب العمل أيضا، وهذا ما أكده عبد الكريم حسن حيث يقول:" **فالكاتب يوجد خارج العمل المنقود وهذا ما يدفعنا إلى الإشادة بالقدرة التّدشينيّة للكتابة، قدرة العمل على أن يخلق أكثر مما يخلفه خالقه**" [32].

ولدراسة المنهج الموضوعاتي كان لابد لنا من الاعتماد على منهجيّة في دراسة هذه النّصوص وهي: قراءة النّص قراءة شاعريّة عميقة ومنفتحة، الانتقال من القراءة الصّغرى إلى القراءة الكبرى، وتحديد مكونات النّص المناصيّة والمرجعيّة التّأرجح بين القراءة الذّاتيّة والقراءة الموضوعيّة، البحث عن التّيمات الأساسيّة والبنيات الدّلاليّة المحوريّة، الموضوعات المتكررة، والصّور المنفصلة في النّص الإبداعي، جرد هذه التّيمات، واستخلاص الصّور المتواترة في سياقها النّصي والذّهني والجمالي، تشغيل المستوى الدّلالي برصد الحقول الدّلاليّة، وإحصاء الكلمات المعجميّة، والمفردات المتواترة، توسيع الشّبكة الدّلاليّة لهذه التّيمات

المرصودة دلاليا فهما وتفسيراً، رصد الأفعال المحركة والمولدة للمعاني في سياقاتها الصّوتيّة والإيقاعيّة والصّرفيّة والتّركيبيّة والتّداوليّة، مع دراسة دلالاتها الحرفيّة والمجازيّة، واستنطاقها فهما وتأويلاً، الانتقال من الدّاخل النّصي إلى التّأويل الخارجي، والعكس صحيح أيضاً دراسة الموضوع المعطى من أجل البلوغ إلى الجانب الحسي في الأثر الأدبي، أو الوصول إلى البنيّة الموضوعيّة المهيمنة للعمل الإبداعي، حصر العناصر التي تتكرر بكثرة، وبشكل لافت، في نسج العمل الأدبي، تحليل العناصر التي تم حصرها ورصدها اطرادا وتواتراً (الاهتمام بالمعنى السّياقي)، ومقارنتها بين الظّواهر الدّلاليّة والمعجميّة والبلاغيّة تآلفاً واختلافاً، تجنب التّزيد في التّحليل الموضوعاتي، واللجوء إلى الإسقاط القسري المتعسف، وعدم تقويل النّص ما لم يقله، ويشترط أيضا جمع النّتائج التي تم تحليلها لقراءتها تفسيراً وتأويلاً واستنتاجاً، وبناء قالب نموذجي مجرد يستطيع أن يستوعب داخله تفاصيل العمل الأدبي المدروس وذلك بربط الدّلالات الواعيّة وغير الواعيّة بصورة المبدع الذّاتيّة والموضوعيّة" [33].

3.تيمة البخل في مسرحيّة البخيل لأحمد رضا حوحو:

1.3. تيمة البخل والسّلطة بين ثنائيتي التّكرار والوصف: إنّ قراءة النّص المسرحي لمسرحيّة " البخيل" للمؤلف أحمد رضا حوحو تجعل القارئ يبني علاقة بين الحياة الأسريّة والحياة الاجتماعيّة، ويعكس بذلك تحولاتها ونص أحمد رضا حوحو من خلال مسرحيته يصور لنا تلك الحياة الجزائريّة الواقعيّة بمآسيها وأفراحها، ويرصد بذلك أهم تحولاتها في بنياتها التّحتيّة خاصة وأنها تحدد نوعا من أهم المعالم للطبقيّة الاجتماعيّة التي تسعى نحو السّلطة وفرض السّيطرة التّعسفيّة سواء على العائلة أم المجتمع، ويحتوى النّص المسرحي على ثلاثة فصول في كل فصل يحمل أبعادا مضمونيّة تجسد الواقع الجزائري في

كل تأسيس للطبقيّة البرجوازيّة الحاكمة، والذي ظهر في شخصيّة :"**سي شعبان**" فهو يرى أنّ جبروته وقوته تعتمد على رأسماله وبالتّالي يتحكم في ضعفه وخسارته أيضا، وكذا في حياته الأسريّة والاجتماعيّة وتحتل مكانته لو فقد هذه الميزة وعمود السّلطة لديه، هذه المركزيّة السّلطويّة وحب المال وشهوته أدت ب:سي شعبان أن يرى نفسه بأنّه من الطّبقة الحاكمة والمسيطرة على كل شيء إضافة إلى أنّ فقدانه لفرنك واحد يعنى زوال ماله وإمبراطورتيه العظمى، هذه النّفسيّة السّيكولوجيّة الغائلة في ذات الشّخصيّة الرّئيسيّة كشخصيّة " سي شعبان" ما هي إلا نموذج واضح لشخصيات مثيلتها في الواقع وتتفاعل مع المفهوم السّلطوي لدى شعبان مع صراعه بين الأنا والأنانيّة التي يحملها وبين الأخر الإنسان الذي يعيش معه فيتصوره في أبشع صوره خاصة خدمه الذي يراه (سارقا أو كلبا، أو خبيثا أو طماعاً...)، هذه الصّورة المتأرجحة في عقل سي شعبان شوهت له الكثير من القيم الإنسانيّة، وحتى مسؤولياته اتجاه أولاده، واتجاه ضميره وإنسانيته وسلبته عقله وتفكيره فلقد عين "عزور" و"سي المعطي" حاكما استشاريا لمقاضاته في أرائه وإبداء رؤياهم له، ووصل الأمر حتى مع ابنته حنيفة التي استغربت تصرف والدّها البخيل، إنّ فرض هذا النّوع من السّلطة يعتبر في نظر علماء علم النفس تصرفا ساديا وديكتاتوريا إلى حد ما، فلقد كشفت مسرحيّة أرض الخراب الطّافحة في بيت "سي شعبان" والمتأججة في عالم المادة يتحرك في بواطنها ألاعيب الفكر المتسخ وأبرزت مستنقع الجهل بين صراعين المال والدّم لتطيح بصلة القرابة في هوة الظّلام والظّلم "**حنيفة: لكن بابا...أهلي...أهلك...كل النّاس ما يشوفوكش بالعين اللي نشوفك بيها أنا ولهم رأى غير رأى...وهذا هو اللي مخوفني.**

عزوز: هذي كلها أوهام الشّي الواحد اللي يخوف حقيقة هو باباك ...لأن البخل والشّح تمكن من قلبو حتى صار كل شيء عندو حساب وعدان وكيل

وميزان...والطّريقة اللي يعامل أولاده، واسمحيلي يا حنيفة إذا ذكرتلك باباك بهذه الصّفة، ولكن متحقق بللي جبنا يتغلب على كل شيء...

حنيفة: حاجة واحدة تقلقني، بابا...بابا...طبيعته وعقلو...

عزوز: راني مستعد نتنكر بالهيئة اللي تعجبوا، والنّاس يعجبهم دائما من يشكرهم ويصفق لهم، ولو كانوا على الباطل، أما النّصيحة، إما كلمة الحق وإما الصّراحة بالواقع، هذي حوايج صارت تضر مولاها وما تنفعش ومن أجل هذّا راني قبلت نخدم سكرتير عندو بلاش، وحتى الميداد والكاغط من عندي..." [34]، فالمسرحيّة عالجت الواقف بطريقة اجتماعيّة، عبر شخصيّة "شعبان" الذي يسيطر عليه الخوف والطّمع والشّح ولا تؤثر فيه لا الرّغبة ولا الرّهبة ولا مشاعر الأبوة، أو الضّمير أمام أمواله التي يعدها كل شيء في حياته و**"إن اعتبار ريشار للموضوعاتيّة نواة أو خليّة يعني عنده أنها كائن حيّ، حاملة للحياة، وقادرة على التّفاعل والنّمو والتّحول عبر تفرعات وتعديلات لبناء عالم النّص وتشكيله، أو نقول بتعبير أكثر مباشرة، لتصير نصاً أدبياً كما تصير النّواة نبتة والخليّة إنساناً أو حيواناً"** [35].

فالسّلطة المخولة للأب والمفروض أن تكون سلطة شرعيّة قائمة على التّربيّة الحسنة وحب الأبناء وبرهم انعكست لاحقا إلى أب شوه معالم الأبوة السّمحة وأخذ يبيح لنفسه كل محظور حتى أنه يراه على صواب، بدون أن يجد من يردعه من الأهل والمجتمع ، وحين يمارس الأب سلطته الذّكوريّة التي تصدم أحيانا طموحات الأولاد وهذا ما نلحظه حين أراد حسن الزّواج من جميلة التي أحبها حبا جماً فأراد والدّه تزوجيه بإمرأة هجالة ثريّة كبيرة عنه في السّن، ويحتفظ لنفسه بالشّابة "جميلة" زوجة له، ثم ممارسته الذّكوريّة على ابنته حنيفة التي أراد تزويجها بمن لا تريده زوجا وهو "سي المعطي" رجل يقارب السّتين عاما ولكنه غني جدا، وهذا تعنيف جسدي ونفسي ينعكس سلبا على نفسيّة الأولاد ، خاصة وأنّ سي شعبان ظن أنه بتزويج ابنته منه تخيل أنه يفعل الصّالح

لها، "شعبان:.. يا بنتي قررت أتزوج بها أما خوك حضرت له واحد المرا هجالة وعندها- قالولي عليها هذا الصّباح...اما زواجك يكون من سي المعطى إن شاء الله.

حنيفة: سي المعطي؟؟

شعبان: نعم راجل كبير وعاقل، وعمره ما يزيدش على السّتين، وقالو ليعندو ما يخطيش

حنيفة: أنا منحبش نتزوج يابابا من فضلك....

شعبان: قتلك نعم، نعم...

حنيفة: نقتل نفسي وما نتزوجوش

شعبان: وأنا نقولك ما تقتليش نفسك وتزوجيه... شوف قلة الحيا؟ بنت تكلم باباها بهذا اللهجة عمرها ما صرات.

حنيفة: وعمرها ما صرات ثاني رجل يزوج بنته بهذا الكيفيّة اللي ما يرضاها حتى واحد" [36].

وتجسدت" **تيمة البخل**" في بناء النّص الأساسي في الموضوعات الفرعيّة لتيمة النّص الأساسيّة ومكونة له، والتي تبني قاعديّة النّص وتشكل زئبقيته المبثوثة داخل ثنايا النّص الإبداعي المسرحي في مسرديته الواقعيّة الاجتماعيّة التي عرف بها أحمد رضا حوحو ، و"تيمة البخل" شكلت ذلك العنصر الرئيسي الموجود في العمل السّردي المترامي الأطراف لثيمات أخرى ، وتشكل تيمة السّلطة موضوعاتيّة رئيسيّة تحمل في طياتها المعنى الذي يلاحق للكاتب أحمد رضا حوحو وبذلك يشكل الهاجس المطارد للكاتب، فلقد صرح ريشار في هذا الصّدد " **بقوله في محاضرة ألقاها في جامعة ديجون بفرنسا: "الموضوعاتيّة هي بحث عن المعنى في كل الاتجاهات" [37]**، وهي بذلك عكست مظاهر النّفاق والفساد التي يتحكم في المجتمع الجزائري ، إنّ إحساس "سي شعبان" بعنفوان السّلطة جعله متغطرسا إلى الحد الذي يرى نفسه على صواب دائما ، وقد شكلت هذه العقليّة

ميزة الأب الدّيكتاتوري السّلطوي اتجاه أفراد أسرته واتجاه خدمه ومن ثمة اتجاه مجتمعه الذي عده شخصيّة بارزة وذا مكانة عاليّة، ونلحظ بأن المال وحب السّلطة والرّغبة في التّحكم شكلت قيما سيطرت على الفكر والقيم ، حيث "دندان: الله يهلك الشّح والمشحاحين؛

شعبان: واش راك تقول؟

دندان: واش نقول

شعبان: واش تقول الشّح والمشحاحين؟

داندان: قلت الله يهلك الشّح والمشحاحين

شعبان: منه اللي راك قاصد بذا الكلام؟

شعبان: ومنهم الشّحاحين" [38].

ثم تعود هذه الإطراديّة الموضوعاتيّة إلى البحث في الذّات الطّاغيّة لدى "سي شعبان" ويعود بذلك ترددها الموضوعاتي للإطرادي الذي يفضي إلى مساءلة حثيثة بين سلطويّة المال وسلطة الآخر، فنلحظ ونحن نقف عند مدى بخل "سي شعبان" في **قول دندان: راكى غلطان وما تعرفش سي شعبان، عندو صواردو أعز من روحو ومن ولادو وأغلى وأغلى من دينو وحياتو وما تديلوشصوردي واحد من صواردو الحجر الحديد الذّكير كلهم اليم نو يمكنك تخر...الدّيامنت من الحجر الواد لكن ماتقدرش تخرج صوردي من يجيب سي شعبان"** [39].

دكنون: تشوف يا دندان، تشوف أنا نعرف نحلب وعندي السّر العجيب اللي يفتح جيوب المشحاحين، لأني نضرب على قلوبهم نخليها تخبط، على النّسا يادنيدن زي ما قال المثل المرأة هي كل شي ترد شباب والمشحاح سخي ومبذر..." [40].

وقد ترددت الألفاظ المصاحبة لمعاني البخل في ترددها الموضوعاتي:(**البخيل البخل، مشحاح، يدير حساب لكل شيء، ألف فرانك ما يمدهاش، شح بابا**

وبخلو المشحاحين، معنديش صوارد، واش من مصاريف ياك معنديش الصّوارد ....)

من الإجراءات التي أقر بها " ج. ب. ريشار" **لقيام المنهج الموضوعاتي وقد جعل منها عنوانا لأحد كتبه قراءات مجهريّة وهي أن يركز النّاقد في تحليله للعمل الأدبي على الأجزاء أو العناصر الصّغيرة ، فالتّركز على الجزء الأصغر في النّص الانطلاق منه يعد جوهر المقاربة الموضوعاتيّة عند ريشار حيث يترصد هذا الجزء وتحركاته وتعديلاته داخل النّص، والذي من الأفضل أن يكون قصيراً حتى يسهل التّحكم به إذن هي قراءة تفكيكيّة تفجيريّة يحاول النّاقد من خلالها تقسيم النّص إلى وحدات صغرى يتوسل بها لإدراك الموضوعات على هذا النّص"** [41]، وسنحصي هذه التّكرارت الموجودة عبر كامل النّص المسرحي [42].

جدول 2: تيمة البخل والسّلطة

الموضوعة	التّكرار	الصّفحة
الشّح والبخل السّلطة	110	عبر كامل النّص

المصدر: إعداد الباحثة

2.3.تيمة الحب بين ثنائيتي الإحصاء والوصف: وتتفجر معاني النّص القرائيّة في بنياتها العميقة التي تحمل معاني النّص في قراءاته الدّلاليّة معاني خفيّة تحتاج للتأويل فالحب أحد أهم التّيمة التي ينبني عليها النّص باعتبار أن تيمة الحب وحدة علائقيّة شائكة تربط معاني النّص، فحب شعبان للمال حب مادي، وكذلك يوجد حب نفسي أي حب المشاعر والأوصال والإحساسات وحب عزوز لحنيفة يعكس هذه النّفسيات "**عزوز: واش صار يا حنيفة راني شايفك تغيرت من اليوم اللي صرحت لي فيه بحبك ورضيت بللي تكوني خطيبتي، لعلك ندمت على كلمتك؟ على كل، رغم قلبي شاعل بحبك**

وغرامـك فأنـا مسـتعد بـاش نحـررك مـن وعـدك، والمحبـة عمرهـا مـا تكـون بالسّيف...

حنيفة: لا...يا عزيزي راك غلطان، أنا خائفة على هذا الحب لا ما يتمش.

عزوز: واش سبب خوفك وأنا وأنت نحب بعض.

حنيفة: مايّة وحاجة مخوفيني، طبع بابا، أعراض العائلة، كلام النّاس وقلبك أنت يا علي...خايفة من قلبك لا يبرد من حرارة هذا الحب ويتبدل كي ما تتبدل كي قلوب الرّجالة...

عزوز: لا حنيفة ما نسمحلكش بللي تعاقبيني بذنب غيري، اتهميني بكل شيء إلا زوال حبك، هذا شيء مستحيل لأنه حب قوي يدوم مع حياتي" [43] وتصطدم حنيفة بواقع أخر هو زوال حبها مع جبروت وطغيان الأب، وهو خوف من الأهل والمجتمع، وهي قيم دلاليّة توثق هوس السّلطة وحب التّسلط لدى رب المنزل.

وحب حسن لجميلة يحمل معاني، **"حسن: قلي يا دندان وين عادت المسالة اللي كلفتك بها، المسألة راهي ما تشكرش وخصوصا بعد ما علمت بللي بابا هو غريمي في جميلة.**

دندان: باباك يعشق؟ هذه من غرايبتاخير الزّمان.

حسن: نعم وبذلت كل جهدي باش خبيت عليه حبي.

دندان: باباك يهتم بالحب واش اللي صابو هذا؟ يتمصخر بالنّاس...والحب هذا خلقو للي زيو؟

حسن: كل هذا من زهري المعكوس.

دندان: لكن علاش خبيت عليه حبك لجميلة

حسن: حتى يسمع كلامي لما نحاول باش نخليه يبطل هذا الزّواج اللي قادم عليه ولكن قلي والمسألة اللي كلفتك بها واش عملت فيها [44].

و"تيمة الحب" ترتبط بالمعنى الذي يربط ثنايا النّص **فأما المعنى الواضح فهو ما يقدمه النّص بشكل مباشر، وأما المعنى الضّمني فهو صدى المعنى الأول، إنه أفقه وهامشه على حد تعبير علم الظّواهر، وبين مستويي الواضح والضّمني لا يوجد انقطاع ، وهذا الشّعور بعدم وجود الانقطاع هو العامل المحرك للنشوة الموضوعيّة، فالتّزحلق من المباشر إلى الضّمني، من المعقول إلى اللامعقول هو تزحلق بلا فجوات"** [45] وهذا، **"وتنطلق الموضوعاتيّة، في تعاملها المنهجي، من التّطابق والتّماثل بين المعنى الواضح والمعنى العميق الضّمني غير المباشر فهما وتفسيراً، من خلال ربط الدّاخل بالخارج، والوعي باللاوعي في علاقتهما بما قبل الوعي"** [46].

ونجد من القيم الدّلاليّة كذلك الحب بمعانيه المتعددة والمتكررة في النّص(**الحب، حبك، نحب، حبي، حبيت، محبوب، قلبي، ملكة قلبي نحبك، قبلته يحبها وتحبو، عجبتني، يحبني، مجنون، قلبها، غرامك الغرام، يفرح قلبي عاشق حبيتها.....**)، ويتوجه هذا المعطى الغريزي الانفعالي النّاتج عن تعالق الأرواح ويحمل قيما دلاليّة تكون الانشطار الانفعالي التّعالقي بين ما هو خفي وهو مبطن في صورة المرأة، وبين ما هو ظاهر في المرأة وجمال روحها وأخلاقها وعقلها، بغض النّظر عن جمال الجسد من الحجم والقيمة والمساحة، ويشكل الجسد وحدة إنتاجيّة للنص ويبين الأثر الذي تتركه في نفسيّة المتلقي، فالنّص والحب يتقاطعان مع علاقاتهما الدّلاليّة في تشكيل الموضوعات الفرعيّة له وهو المرأة في الأساس، وعلى هذا الأساس فإن هذه الجماليّة أعطت الكثير من الخصوبة الإبداعيّة للنّص، وتحمل دلالة الممارسة الجسديّة والنّفسيّة، ونعثر عليها مبثوثة في ثنايا النّص المسرحي" **عزوز: واش صار يا حنيفة راني شايفك تغيرت من اليوم اللي صرحت لي فيه بحبك ورضيت بللي تكوني خطيبتي، لعلك ندمت على كلمتك؟ على كل، رغم قلبي شاعل بحبك وغرامك فأنا مستعد باش نحررك من وعدك، والمحبة**

عمرها ما تكون بالسّيف..." [47]، وسنحصي هذه التّكرارات عبر كامل النّص المسرحي [48].

جدول 3: تيمة الحب

الموضوعة	التّكرار	الصّفحة
الحب	96مرة	279- 280- 281- 282- 284- 288- 292- 293- 295- 296- 300- 304- 309- 2- 315- 319- 320- 327.

المصدر: إعداد الباحثة

3.3.تيمة الخوف بين ثنائيتي الإحصاء والوصف: ونرصد "تيمة الخوف" التي تشكل أهم أقطاب الموضوعات الفرعيّة التي تبرز النّواة التي يتركب عليها تشكيل العلاقة الأسريّة الواضحة في العمل الأدبي المسرحي "مسرحيّة البخيل" و كذا تشرح السّبب الحقيقي وراء النّفسيّة المفروضة على كل من "حسن حنيفة" إزاء الوضعيّة كأبناء، فالخوف هنا نتيجة سلبيّة خاطئة في تربيّة الفرد وهو يعاني منها، نتيجة لمعاملة الوالدّين من قسوة وكراهيّة حيث نجد أن حسن وحنيفة يرتباهما نوع من الوحدة والانعزاليّة والانطواء وعدم الثّقة بالنّفس والاطمئنان نتيجة الخوف الشّديد من الأب حيث تتدخل السّيطرة الأبويّة ويعود ذلك نتيجة لطبيعة الحياة لدى بعض الأسر خلال تنشئة أبنائها ومحاولة التّوافق بينهم، وعدم طمس شخصياتهم، ونتيجة للخوف الشّديد من الوالدّ أخفوا حقيقة مشاعرهم وحبهم وتجنبا لغضب الأب واستنكارهم في تزويج ابنه وابنته حنيفة مادام يرى أن المال سر السّعادة، ولهذا فإنّ حسن لم يكن له أن يتحكم في كامل تصرفه الشّخصي الكلي في إصدار قراراته الشّخصيّة والذّود عنها إلا وقد وجدناه يشعر أحيانا بالقلق والتّوتر، والارتباك وبعدم الرّاحة ، هذا الضّعف ناتج عن انفعالات نفسيّة لانّ الخوف ثمرة من ثمار السّيطرة السّلطويّة الأبويّة النّاتجة عن الخجل والقلق والضّعف الشّخصي وسيطرة أحد مظاهر

الحياء والاحترام للأب حتى ولو كان القرار بشأن الزّواج، وبهذا يعد التّأويل خاصيّة مشتركة بين أغلب المناهج النّقديّة وليس حكراً على المنهج الموضوعاتي غير أنه أثناء تعامله مع المناهج يلتزم بالتّأويل الفلسفي والمعرفي الخاصة بكل منهج ، وهذا ما يختلف فيه الدّارسون والنّقاد فكل واحد من هؤلاء يستعين بالعمليّة التّأويليّة لإبراز القيمة الجماليّة والفنيّة التي تفجر مكنونات النّص المسرحي، وتستجلي معانيه، عبر الاعتماد على تقنيّة التّأويل.

ويعد التّأويل في دراسته على ثنائيتين، ثنائيّة التّأويل والنّص وثنائيّة التّأويل والقارئ، فأما فيما يتعلق بالنّص والتّأويل فأبدا من تعريف أمبيرتو ايكو للنص بأنه كون مفتوح إذ **((إن تأويل نص، معناه هو شرح كيف أن هذه الكلمات تحيل في ذاتها على أشياء مختلفة، وليس على أشياء أخرى"** [49] ، فينطلق المؤول من النّص لاكتشاف معاني نصيّة جديدة يمكن أن يحملها النّص الأصلي مع مراعاة أن هذا التّأويل يحافظ على النّص ولا يدخل إليه معاني أخرى لا تمت إليه بصلة، ليصبح هذا التّأويل تأويلا لما أراد المؤول قوله وليس النّص وهذا مما حذر ايكو منه بقوله:**((إنّ النّص ليس مجرد أداة تستعمل للتصديق على تأويل ما، بل هو موضوع يقوم التّأويل ببنائه ضمن حركة دائريّة تقود إلى التّصديق على هذا التّأويل من خلال ما تتم صياغته باعتباره نتيجة لهذه الحركة))** [50].

وتجسدت هذه المخاوف النّفسيّة في قول" حسن: **حوايج كثيرة يا ختي مجموعة في كلمة واحدة: نحب.**

حنيفة: تحب...؟

حسن: نعم نحب ولكن راني عارف بللي راني تحت رحمة والدّي، ربي وحده اللي خلقه يقدر لو، يعتقد إني مادمت ابنه لازم نطيع ونخضع في كل شيء الحق والباطل، وكل شيء اللي يراه هو صواب، واللي نراه حنا خطأ كأنه معصوم ما يخطيش أبدا، وإحنا ما نصيبوش أبدا والدّ عمر ما يعطي الحق

لولاده وإلا يسمع كلامهم والدّ بخيل مشحاح، وقتلك باللي راني عارف هذا كله، وحبيت لأن حبي كان أقوى من هذه الأشياء كلها..." [51].

وقيمة قيم الدّلاليّة في ترددها الموضوعاتي للاطراديّة:(سبب خوفك، حاجة مخوفيني، خايفة، هو اللي مخوفني، الخوف والحيرة، اللي خوف حقيقة هو باباك خايف إلا يروح، خايفة، يمكن يخوفني، نخاف، خايف، كيما يخافك نخاف، ....)

جدول 4: تيمة الخوف

الموضوعة	التّكرار	الصّفحة
الخوف	18 مرة	279- 280- 284- 289- 298- 299- 310.

4. 3 . تيمة الظّلم بين ثنائيتي الإحصاء والوصف: وتعد "تيمة الظّلم" تيمة تمثل القرابة السّريّة داخل النّص المسرحي حيث تقوم القرابة السّريّة على تجميع العناصر السّابقة والتي تنبني عليها الموضوعاتيّة، فهي توحد العناصر المتلاحمة وتشكل هويّة التّيمة، وتتفرد بها وبالتّالي تنسجم دلالاتها ضمن خطاطة تشكل الموضوع الثّابت، فهي تلحق الموضوع وتكشف عن العلاقات الخفيّة داخل النّص الأدبي، وقد حدد فيه ريشار تعريفاً قوياً ينجلي تحته تعريف للموضوعاتيّة، حيث يقول: **"ويمكننا تبني هذا التّعريف بتطبيقه على حقول غير الحقول الفيلولوجيّة ويصبح الموضوعاتي بذلك المبدأ الملموس للتنظيم، وخطاطة أو موضوعاً ثابتاً ينزع إلى أن يتكوّن وينتشر حوله عالم يكون أساسه هذّه "القرابة السّريّة "التي يتكلم عنها مالارمي "وجان بيار ريشار في مقدمة "العالم التّخيلي لمالارمي"، [52].**

والظّلم فعل فردي ناتج عن الجهل والصّراع والغفلة وحب السّيطرة الذي يعتري **"سي شعبان" "شعبان: والبنت تحبك وقابلة تتزوجك؟**

حسن: يظهر لي يا بابا بللي تحبني.

شعبان: (وحده) هاه درك عرفت كل شيء (لولدو) اسمع يا بني لازم تنسى هذا البنت وتنح من قلبك هذا الحب لأن هذا البنت عاد نتزوجها أنا أما انت فإن المرا الهجالة الغنيّة اللي قتلك عليها راهي تستنى فيك، وكن مستعد باش تتزوجها...

حسن: هكذا لعبت بي أماله، اعلم بان نتخلاش على جميلة ما نتخليش هذا الزّواج اللي بالدّراع يتم بينك وبينها لانك راجل خرفت ومراكش عارف واش تدير.

شعبان: أنا يا واحد الكلب تكلمني بهذا الكلام يا واحد الخنزير، ضرك نعت لك قلة الحيا مع باباك بهذا الكلام، شهاب شهاب اعطيني الكرافاش..." [53]

يصور لنا أحمد رضا حوحو مظاهر العنف النّفسي والجسدي وقسوة الوالدّ اتجاه أبنائه حيث أنّ "سي شعبان" مارس أفعال الظّلم في وسط عائلته وتنوع في ابرازه أيضا على خدمه، حيث نجد هذه المعاني مبثوثة في ثنايا النّص(تعاقبني بذنب غيري غلطان، اتهمني، راك غلطان، يزوجوني بالذّراع، هذا ظلم، ...) وسنحصى عدد التّكرارات الموجودة في النّص المسرحي" [54].

جدول6: الظّلم

الموضوعة	التّكرار	الصّفحة
الظّلم	30مرة	282- 283- 284- 285- 290- 291- 292- 292- 209- 316- 319- وما بعدها

3. 5.تيمة المرأة بين ثنائيتي الإحصاء والوصف: وتعد كذلك "تيمة المرأة" المبدأ الذي ينطلق منه النّص المسرحي ويعكس تحولاته حيث **يقول" جون بيار ريشار"وفي خلاصة، فإن وجود في القراءة الموضوعاتيّة لنقطة بدء ونقطة وصول فالمدخل إلى حقل القراءة الموضوعاتيّة مدخل حر، مما يضفي عليها شيئاً من السّحر، وعندما يكتب أحد النّقاد الموضوعاتيين في مقدمته دراسته أنّه سيبدأ**

من نقطة ما فإن هذه البدايّة ستكون بدايّة كتاباته هو، لا بدايّة يلزمه بها منطق حقيقي للموضوع المدروس" [55]:

فالمرأة تعد البناء الأساسي واللبنة التي يقوم عليها النّص، وتعد حريّة المدخل باعتبارها ذات قيمة فعالة في تكوين المجتمع الجزائري، وما تلعبه من دور فيه فهي تمثل رمزا سوسيولوجيا تاريخيا مكونا للمجتمع منذ الأزل،

حسن: واش ندير هذا هو زهري المعكوس اللي وصل الأمور لهدا الحال لكن يا جميلة واش هو رأيك انت.

جميلة: واش من راي عندي يا حسن يا خويّة، لا ماناش حكمي في أيدي ما عندي ماندير.

حسن: كيفاش ما عندك ما تديري هدا هو حبي ليك وغرامي بيك.

جميلة: لكن واش في ايدي اجعل روحك في مضربي واش تقدر تدير هاني تحت ايدك أمرني نفعل ما تحطليش شريف برك وقلي واش تحب ندير ندير انا بنت والبنت ماعندهاش راي ولا حكم حكمي في ايد امه ومانقدرش نعصيها لو تقطعني طراف" [56].

ومنه تتشكل "تيمة المرأة "معماريّة النّص المسرحي عبر هذه التّوترات النّصانيّة المبثوثة في ثناياها " فالمرأة" تشكل هذه التّيمة في حريّة مدخلها، تيمة رئيسيّة للموضوع وبذلك تعد هاجسا للكاتبة خاصة وأن" المرأة تعد مصدرا للشرف والعزة وهي صورة أنثويّة تشكل المجتمع، ويتشكل وفقها بناؤه، فالرّجل يرى في المرأة حياة شخصيّة ، وهي إذا ما تضعضعت تحولت إلى خراب وعار يلازمه الى الأبد، فـ"سي شعبان" هو الأخر يملك أيضا هاته الفكرة، شعبان: (وحده) أنا ظهر لي أن المسألة وما فيها، ونظرة ابني لهدا البنت ما هيش نظرة الطّفل لمرت باباه، لازم نطلع على المسألة...حنيفة...حنيفة... [57]

ومن القيم الدّلاليّة لمعاني المرأة في تكرارها الدّلالي نجد:(المرأة، مرت، مرتي حبيبتي، ملكة قلبي، زوجتي، الهجالة، الطّفلة، الفتاة، بنتي، عزيزتي، البنت

الأم الزّوجات، مرا أخرا، العروس، سيدتي، مدام...)، ونجدها متكررة ولكن معظمها ذات إيحاءات دلاليّة [8 5].

جدول 7: تيمة المرأة

الموضوعة	التّكرار	الصّفحة
المرأة	66 مرة	279- 280- 281- 282- 291- 204- 318- 315- 319- 320- 321.

المصدر: إعداد الباحثة

4. خاتمة: ويعالج الموضوع "تيمة البخل" في مسرحيّة البخيل أحمد رضا حوحو من خلالها حاولنا تسليط الضّوء على أهم الموضوعات الفريّة في النّص المسرحي ولشبكاته التّعبيريّة مثل (الحب، والعنف، الألم، الصّراع، الجهل السّلطة، الطّمع حب المال، الخيانة ...)، ويبحث أيضا النّص عما يجسد وحدة النّص العضويّة والموضوعيّة اتساقاً وانسجا ما، ومن خلال دراستنا لتيمتي «المرأة، والسّلطة «عن جملة من الخصائص المؤسسة للعمل الادبي، بحيث نخلص إلى النّتائج التّاليّة:

- يتناول الكاتب تيمتاي السّلطة والمرأة، وهما التّيمتان الأكثر حضورا في النّص المسرحي، وتعد أكثر الموضوعات الواعيّة التي عالجها أحمد رضا حوحو بحيث تشكل المرأة نواة المجتمع والذي تسهم فيه بالإيجاب أو السّلب إما بخلخلته أو بنائه وأما السّلطة فتمثل إحدى دعائم الطّبقات البر جوازيّة في البلاد التي تشكل إحدى الموجات التّحرريّة التي تمثل اعلى سلطة سواء داخل الاسرة مثل الاب أم رئيس البلديّة، أم رئيس الجمهوريّة، وتتجسد في نظامها المعقد والمقيد بل وغايّة في التّعقيد مما تنطوي عليه من كبر وتعال وتحكم لأنه يرتبط بالقدرات الذّهنيّة والعقليّة والمخياليّة النّفسيّة ، فهذا النّوع من البشر يعيش واقعا ملموسا ومرئيا مبنيا على الرّغبات والماديات التي تتحكم فيه، وله مكوناته العرقيّة والدّينيّة والثّقافيّة والتّربويّة والنّفسيّة والذّاتيّة والقيم الجماليّة التي

دائما ما توجه قدراته مساراته ورؤاه في تمثيل الوجود بكل ما فيه من موجودات جريئة؛

- نتبين من الشّكل المعماري للنص أن محور القضيّة يتشكل وفق مفهوم السّلطة في تكوين طبقات المجتمع، وتظهر في قاعها المضموني وتمظهراته التّفصيليّة، مما يعني عدم وجود شخصي ذاتي بعيد عن مفهوم السّلطة، وتحمل الشّخصيّة السّلطويّة حمولات جهولة، وميولات مزاجيّة، وانحيازات ذاتيّة ورغبة في ممارسة أنواع السّيادة السّلطويّة؛

- تركز المسرحيّة على شخصيّة المرأة العربيّة خاصة الجزائريّة التي غالبا ما تقع فريسة أسري في دهاليز الاستبداد الذّكوري أو التّمثيل الذّكوري الذي يتحكم في ذاتها ونفسيتها ولباسها وحتى حياتها وقراراتها الشّخصيّة، ولذا نجد المرأة حاضرة دائما في كل الأعمال الأدبيّة والقصصيّة والمسرحيّة لدى أحمد رضا حوحو؛

- لحضور المرأة دور مهم في الحضور البنيوي للمجتمع والتّاريخي لأنه يعكس خصوصيات الهويّة في آيّة تجربة تمثيل فرديّة أو ذاتيّة، حيث تمثل صورة المرأة بما تحمله من انتماءات اجتماعيّة وتاريخيّة وثقافيّة وجغرافيّة والبحث في الهويات المجتمع، وتكشف المسرحيّة أيضا عن صورة انطولوجيا تقريبيّة ل" حنيفة" وهي تعيش في منزل تفتقد فيه شخصيتها ولا تتحكم في قرارتها، وهي الصّورة التي تكشف لنا عن مفاتيح كثيرة للتعرّف على شخصيّة هذه المرأة الوجوديّة بمعناه الفلسفي، تلك المرأة التي تعيش على هامش الحياة وحيدة معزولة لا تقرأ ولا تكتب، ولا تحفظ لا تملك أدنى فكرة عما يدور في الحياة فما تملكه فقط هو الحب، امرأة مسلوبة من أدنى حقوقها في الحياة والحريّة؛

- يتشكل مفهوم الميراث لدى الأسرة الجزائريّة بمفهوم الخضوع لرغبات السّلطة الابويّة حتى يتمكن الابن من انتزاع حقه من الإرث في حال وفاة الاب أو زواج الابن؛

- وضعيّة المرأة المتأزمة جاءت من وضعها الاجتماعي تهميشا واحتقارا، وفرض سلطة الذّكور على الإناث عامة، ويعد رمزا للمرأة القويّة التي تصارع بنديّة الرّجل في مجال خاص وهو مجال التّنظير الأدبي، مدافعة عن حق المرأة في الوجود الحر والمستقل، فالمرأة ليست إلا نتاج علاقات اجتماعيّة متوارثة وعرفيّة يجب التّخلص منها حتى تجد المرأة وضعيتها السّليمة التي جبلت عليها مفهوم المرأة هو مفهوم سائد حملته الموروثات الاجتماعيّة والثّقافيّة بمعنى الخنوع والدّونيّة والتّهميش والازدراء، وهو مفهوم جذري أصيل يشكل الخصوصيات المميزة للمرأة بيولوجيا وحتى نفسانيا وذهنيا من الجل/ الآخر؛

- يتجلى المشكل الاجتماعي من خلال دور الأسرة ودور التّربيّة في تشكيل نفسيّة وشخصيّة المرأة، فتناقض مشاعر المرأة يستمد من تناقض المجتمع أمام قضايا خاصة، فالسّلوك العام للمرأة ناجم عن عدم الوضوح الذي يعانيه المجتمع، فهو لا يدعو إلى تعليم المرأة وحقها في التّعبير والحريّة، فلا حظ للمرأة في الحب أو الاعتراف بمشاعرها الفرديّة الخاصة، وإن كان لها الحق في التّعلم والعمل ومخالطّة الرّجال... وكأن المرأة مجرد شهوة ومصدر للغوايّة.

5. قائمة المراجع:

1. سورة التّوبة: الآيّة:47.

2. بشير متيجة، الطّيب ولد العروسي، مسرحيّة البخيل، الأعمال الكاملة لأحمد رضا حوحو، (دار موفم للنشر، الجزائر، ج1، 2015)؛

3. أحمد بن خليل الفراهيدي، العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السّامرائي سلسلة المعاجم والفهارس، (مصر، ج2، د ط)؛

4. ابن دريد، "جمهرة اللغة"، (دائرة المعارف: ج3، ط1، 1344هـ)؛

5. جبور عبد النّور، المعجم الأدبي، (بيروت، دار العلم للملايين، ط1، 1979)؛

6. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبيّة المعاصرة، (دار الكتاب اللبناني بيروت، ط1 1985)؛

7. جيرالدّ برنس، قاموس السّرديات، تر: السّيد إمام، (ميريت للنشر والمعلومات القاهرة ط1، 2003)؛

8. عبد الكريم حسن، المنهج الموضوعي "نظريّة وتطبيق"، (المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتّوزيع، ط1، 1411هـ - 1990م)؛

9. سعيد علوش، النّقد الموضوعاتي، (شركة بابل للطباعة والنّشر والتّوزيع، الرّباط المغرب، ط1، سنة 1989م)؛

10. سعيد علوش، النّقد الموضوعاتي، (شركة بابل، الرّباط، 1989)؛

11. محمد عناني، المصطلحات الأدبيّة الحديثة، (مكتبة لبنان ناشرون- بيروت الشّركة المصريّة العالميّة للنشر- لونجمان، 1996).

12. حميد لحميداني، سحر الموضوع عن النّقد الموضوعاتي في الرّوايّة والشّعر (منشورات دراسات سال، المغرب، د ط).

13. عزت محمد جاد، نظريّة المصطلح النّقدي، (د س، د ط).

14. يمنى العيد، فن الرّوايّة العربيّة بين خصوصيّة الحكايّة وتميز الخطاب، (دار الآداب بيروت، ط 1 ، 1998).

15. محمد التّونجي، المعجم المفصل في الأدب، (ط1، د س، د ط).

16. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبيّة المعاصرة، (منشورات المكتبة الجامعيّة الدّار البيضاء، 1984).

16. عبد الرّحمان أيوب، ترجمة (مدخل إلى جامع النّص)، (د س، دط).

17. محمد مرتاض، الموضوعاتيّة في شعر الطّفولة الجزائري، (ديوان المطبوعات الجزائر 1993).

18. يوسف وغليسي، النّقد الجزائري المعاصر- من اللانسونيّة إلى الالسّنيّة إصدارات رابطة إبداع الثّقافيّة، (المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، الجزائر، 2002).

19. محمد عزام، سحر الموضوع عن النّقد الموضوعاتي في الرّوايّة والشّعر (منشورات دراسات سال، المغرب، د ط).

20. خليل أحمد خليل، موسوعة لالاند الفلسفيّة، أندريه لالاند، (منشورات عويدات بيروت، باريس، ط2، د س).

21. عبد الفتاح كليطو، الغائب- دراسة في مقامة الحريري، (دار توبقال، الدّار البيضاء، ط 2 ، 1987).

22. لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرّوايّة، (مكتبة لبنان ناشرون- دار النّهار للنشر، بيروت، ط 1 ، 2002).

23. سعيد يقطين، القراءة والتّجربة، (دار الثّقافة، الدّار البيضاء، المغرب، ط1 1985م)؛

24. عبد الكريم حسن، المنهج الموضوعاتي "نظريّة وتطبيق"، (المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتّوزيع، ط1، 1411هـ - 1990م).

25. محمد عزام، المنهج الموضوعاتي، (مجلة الموقف الأدبي، مجلة فصليّة تصدر عن دار الكتاب العرب، دمشق العدد:335، سنة2001).

26. مسعودة لعريط، مفهوم المنهج الموضوعاتي في المقاربات الغربيّة الحديثة (مجلة التّبيين، العدد36، الجزائر 2011) .

27. محمد السّعيد عبدلي، البنيّة الموضوعاتيّة في عوالم نجمة لكاتب ياسين (أطروحة دكتوراه دولة، الجزائر، سنة2003) .

28. جميل حمداوي، المقاربة النّقديّة الموضوعاتيّة، (الألوكة، يوم:2018/04/10 السّاعة: 23:00، WWW.alukah.net.) .

29. بشير متيجة، الطّيب ولد العروسي، مسرحيّة البخيل، الأعمال الكاملة لأحمد رضا حوحو، (دار موفم للنشر، الجزائر، ج1، 2015).

30. محمد السّعيد عبدلي، البنيّة الموضوعاتيّة في عالم نجمة، (أطروحة دكتوراه دولة الجزائر، سنة2003) .

31. بشير متيجة، الطّيب ولد العروسي، مسرحيّة البخيل، الأعمال الكاملة لأحمد رضا حوحو، (دار موفم للنشر، الجزائر، ج1، 2015) .

32 جميل حمداوي، المقاربة النّقديّة الموضوعاتيّة، (الألوكة، يوم:2018/04/10 السّاعة: 23:00، WWW.alukah.net.) .

33. بشير متيجة، الطّيب ولد العروسي، مسرحيّة البخيل، الأعمال الكاملة لأحمد رضا حوحو، (دار موفم للنشر، الجزائر، ج1، 2015)؛

34. سعيد علوش، المقاربة الموضوعاتيّة في النّقد الأدبي، يوم 09.11، 2018 السّاعة:11:33) .

6. هوامش:

[1]- سورة التّوبة: الآيّة:47.

[2]- أحمد بن خليل الفراهيدي: العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السّامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، ج2، مصر، د ط، مادة: «وَضَعَ»، ص:196/195.

[3]- ابن دريد: "جمهرة اللغة"، دائرة المعارف، ج3، ط1، 1344هـ، ص: 95.

[4]- جبور عبد النّور: المعجم الأدبي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت 1979، ص:272.

[5]- سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبيّة المعاصرة، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1985 ص:231.

[6]- جيرالدّ برنس: قاموس السّرديات، تر: السّيد إمام ط1، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة 2003 ص:199.

[7]- عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعي"نظريّة وتطبيق"، ط1، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتّوزيع، (1411هـ - 1990م)، ص:39.

[8]- سعيد علوش: النّقد الموضوعاتي، شركة بابل للطباعة والنّشر والتّوزيع، الرّباط، المغرب ط1، سنة 1989م، ص:6.

[9]- سعيد علوش: النّقد الموضوعاتي، شركة بايل، الرّباط، 1989، ص:19.

[10]- محمد عناني: المصطلحات الأدبيّة الحديثة، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، الشّركة المصريّة العالميّة للنشر- لونجمان، 1996، ص:118.

[11]- حميد لحميداني: سحر الموضوع عن النّقد الموضوعاتي في الرّوايّة والشّعر، منشورات دراسات سال المغرب، ص:22.

[12]- عزت محمد جاد: نظريّة المصطلح النّقدي، ص:490.

[13] يمنى العيد: فن الرّوايّة العربيّة بين خصوصيّة الحكايّة وتميز الخطاب ط1، دار الآداب بيروت، 1998 ص77، 79

[14]- محمد التّونجي: المعجم المفصل في الأدب، 297/01.

[15]- سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبيّة المعاصرة، منشورات المكتبة الجامعيّة، الدّار البيضاء، 1984 ص:19.

[16]- عبد الرّحمان أيوب: ترجمة (مدخل إلى جامع النّص)، ص:93، 100.

[17]- محمد مرتاض: الموضوعاتيّة في شعر الطّفولة الجزائري، ديوان المطبوعات الجزائر، 1993، ص:02.

[18]- يوسف وغليسي: النّقد الجزائري المعاصر- من اللانسونيّة إلى الالسّنيّة، إصدارات رابطة إبداع الثّقافيّة، المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، الجزائر، 2002، ص:45.

[19]- محمد عزام: سحر الموضوع، المرجع السّابق، ص:19.

[20]- خليل أحمد خليل: ترجمة (موسوعة لالاند الفلسفيّة، أندريه لالاند، ط2، منشورات عويدات بيروت، باريس، ص:1449.

[21]- عبد الفتاح كليطو: الغائب- دراسة في مقامة الحريري، ط1، دار توبقال، الدّار البيضاء، 1987 ص30.

[22]- لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرّوايّة، ط1، مكتبة لبنان ناشرون- دار النّهار للنشر، بيروت، 2002، ص:112.

[23]- عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعي، المرجع السّابق، ص:49.

[24]- سعيد يقطين: القراءة والتّجربة، دار الثّقافة، الدّار البيضاء، ط1، المغرب، 1985م ص:232.

[25]- عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعاتي، المرجع السّابق، ص:46- 47.

[26]- عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعاتي...ص:48.

[27]- محمد عزام: المنهج الموضوعاتي، مجلة الموقف الأدبي، مجلة فصليّة تصدر عن دار الكتاب العرب دمشق العدد:335، سنة2001، ص:03.

[28]- مسعودة لعريط: مفهوم المنهج الموضوعاتي في المقاربات الغربيّة الحديثة، مجلة التّبيين، العدد36 الجزائر 2011، ص:45.

[29]- محمد السّعيد عبدلي: البنيّة الموضوعاتيّة في عوالم نجمة لكاتب ياسين، أطروحة دكتوراه دولة سنة2003، ص:57.

[30]- عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعي، ص:133.

[31]- عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعاتي، ص:133.

[32]- عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعاتي، ص:113.

[33]- جميل حمداوي: المقاربة النّقديّة الموضوعاتيّة، الألوكة، يوم:2018/04/10، السّاعة: 23:00 WWW.alukah.net.ص: 8، 9.

[34]- بشير متيجة، الطّيب ولد العروسي، الأعمال الكاملة لأحمد رضا حوحو، دار موفم للنشر، ج1 الجزائر، 2015، ص:280.

[35]- محمد السّعيد عبدلي: البنيّة الموضوعاتيّة، المرجع السّابق: 56.

[36]- المصدر نفسه، ص:290، 291.

[37]- محمد السّعيد عبدلي: البنيّة الموضوعاتيّة في عالم نجمة، المرجع السّابق، ص: 56.

[38]- المصدر نفسه، ص:286.

[39]- المصدر نفسه، ص:301.

[40]- المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

[41]- محمد السّعيد عبدلي: المرجع نفسه، ص:84.

[42]- المصدر نفسه، ص: 279.

[43]- المصدر نفسه، ص:279.

[44]- المصدر نفسه، ص:295.

[45]- عبد الكريم حسن:(نقد المنهج الموضوعي)، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت لبنان، العددان:44-45، ص:39- 40.

[46]- جميل حمداوي: المقاربة النّقديّة الموضوعاتيّة، ص:09.

[47]- المصدر نفسه، ص: 279.

[48]- المصدر نفسه، ص: 295.

[49]- محمد السّعيد عبدلي: البنيّة الموضوعاتيّة في عوالم نجمة لكاتب ياسين، ص:131.

[50]- محمد السّعيد عبدلي: الصّحفة نفسها.

[51]- المصدر نفسه، ص: 281.

[52]- سعيد علوش، المقاربة الموضوعاتيّة في النّقد الأدبي، يوم 09.11، 2018 السّاعة:11:33، ص: 131.

[53]- المصدر نفسه، ص:319.

[54]- المصدر نفسه، ص:320.

[55]- عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعاتي، ص: 185، 186.

[56]- المصدر نفسه، ص: 315، 316.

[57]- المصدر نفسه، ص:319.

[58]- المصدر نفسه، ص:320.

مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 22 العدد: 50 السّنة: الثّلاثيّ الثّاني 2020 ص: 109 - 124

الإيقاع بين علم الموسيقى وعلم العروض

The rhythm between music and Arabic prosody.

أ. سياحوي رفيقة[1]

تاريخ الاستلام: 03 08 2019 تاريخ القبول: 29 09 2019

الملخّص: إنّ العروض العربي هو ذلك العلم الذي يوزن به الشّعر ليُعرَف صحيحه من فاسده أمّا الإيقاع فهو ترتيب أجزاء البيت الشّعري ليقابل بعضُها البعض الآخر في كلّ شطر وبيت، فتتردّد مقادير هذه الأجزاء في نسب محدودة وثابتة، ولّما كان الخليل بن أحمد عالما بأصول الشّعر العربي وبالإيقاع وبالموسيقى وبالنّغم- وما كتبه المؤلفة في مختلف هذه العلوم التي ذكرها القدماء إلاّ دليل على ذلك- يحق لنا اليوم أن نتساءل عن علاقة علم العروض بالإيقاع، وكيف انتقل هذا المصطلح من النّظام الموسيقى إلى النّظام العروضي؟ وهل كان الخليل بن أحمد على درايّة بالعلمين معا لما كان يضع في موازين الشّعر وأصول العروض وثوابته؟ وما علاقة الإيقاع بالوزن وباللغة؟ وهل يمكننا المساواة بين الوحدات والأجزاء التي تشكل النّظام الموسيقي بوحدات النّظام العروضي؟

الكلمات المفتاحيّة: الإيقاع، الإيقاع اللغوي، العروض، الوزن، المقطع اللغوي

Rhythm– rhythm of language– Arabic prosody– mrters– syllable.

Abstract: The Arabic prosody is the study of poetic meters which identifies the meter of a poem and determines whether the meter is sound or broken in lines of the poem. As for the rhythm; it is the

[1] المركز الجامعي مرسلي عبد الله . تيبازة، البريد الإلكتروني: raforafika@yahoo.fr

arrangement of the parts of poetic verse in order to meet each other in every section and verse. The quantities of these parts cranes in a limited and constant rates .El Khalil Ben Ahmed El Farahidi was a scholar of the origins of Arabic poetry and rhythm , music and sound . Today we have the right to ask about the relationship between the science of prosody and the rhythms, and how the term moved from the music system to the prosody system? Was Khalil Bin Ahmed familiar with the two sciences together for what he put in the balance of poetry and the assets of prosody and its constants? What is the relation between rhythm ,meters and language? Can we equate the units and parts that form the musical system with the units of the prosody system?.

المقدّمة: إنّ اللغة نشاط إنساني لساني، يتراوح بين توالي وتعاقب مجموعة من الحركات تتخللها بعض السّكنات والوقفات على ترتيب معين، وإيقاع مخصوص، وهي النّظام والنّموذج الفعلي المختزن في أذهان المتكلمين، أمّا الإيقاع فهو ذلك الأداء الذي تخرج من خلاله اللغة المنجزة في شكلها الموقّع إلى الوجود في أصناف الكلام المنوّعة من شعر، وغناء، ونشيد، وترتيل، وتجويد، وكلام مسجوع ، إذن فالكلام الإنساني كلّه موقّع شعرا كان أم نثرا، لأن الإيقاع وليد الفطرة وهو أيضا وليد القدرة والاكتساب ولا أدّل على ما نقول ما كان يعرف بالتّنغيم في تراثنا العربي القديم، الذي يراه محمد العلمي بأنه هو المقصود في عبارة الباقلاني" إنّ العرب تعلم أولادها قول الشّعر بوضع غير معقول" [2].

إنّ هذا النّص ينسب في واقع الأمر إلى الخليل بن أحمد حينما سأله الحسن بن يزيد عن العروض إن كان يعرف لها أصلا، فأجابه أن " نعم: مررتُ بالمدينة

حاجّا فبينما أنا في بعض طرقاتها، إذ بصرتُ بشيخ على باب يعلّم غلاما وهو يقول له قل:

نعم لا نعم لالا نعم لا نعم نعم نعم لا نعم لالا نعم لا نعم لالا

قال الخليل: فدنوتُ منه فسلمتُ عليه، وقلتُ لهُ: أيها الشّيخُ، ما الذي تقوله لهذا الصّبي؟ فذكر أنّ هذا العلم شيء يتوارثه هؤلاء الصّبيّة عن سلفهم، وهو علم عندهم يسمى التّنعيم، لقولهم فيه نعم، قال الخليل: فحججتُ المدينة فأحكمتها" [1].

فالعرب كانت تعرف بفطرتها وسجيتها علاقة اللغة - والشّعر على وجه الخصوص- بالإيقاع والتّنغيم أو التّنعيم على حد قول الخليل، كما أنها كانت تدرب صغارها عليه لتكتسبه وتكتب شعرها عليه ليكون موقّعا وموزونا وإنّك ترى معي كيف أنّهم كانوا يستعملون هذين الحرفين لما فيهما من شبَهٍ بين إيقاع النّطق بهما من حيث الحركات والسّكنات، وبين إيقاع النّطق الحاصل من تفاعيل الخليل التي وضع على أساسها ميزان الشّعر وعرف خاطئه من صحيحه وقيس فاسده من موزونه، فالحرف (نعم) يشبه في إيقاعه الوتد المجموع والحرف (لا) يشبه في إيقاعه السّبب الخفيف، وعندما تجمع بين هذين الحرفين على نسق معين فإنّك ستحصل على (نعم لا) وهي تشبه في إيقاعها (فعولن) وتحصل على (نعم لالا) وهي تشبه في إيقاعها (مفاعيلن).

مصطلح الإيقاع بين المتقدمين والمتأخرين: كلنا يعلم أنّ مصطلح الإيقاع هو مصطلح ملازم لعلم الموسيقى، ثم انتقل بعد ذلك ليكون ملازما للشعر واللغة حتى قيل إيقاع الشّعر وإيقاع اللغة، وذلك لما لهما من جوانب وخصائص إيقاعيّة تربطهما بهذا العلم.

إن العرب لم يستعملوا مصطلح الإيقاع في بدايّة الأمر إلا للدلالة على الموسيقى، فاهتموا به كثيرا، وألّفوا حوله العديد من الكتب التي عكفت على تحديد ماهيته وبنيته وطبيعة أجزائه المؤلفة له وطرق تركيبها، واهتموا أيضا

بالقوانين التي تربط بين هذه الأجزاء، متبعين في ذلك منهجيّة تشبه إلى حد كبير منهجيّة علم العروض، الذي اهتم المشتغلون به بتحديد وحداته المؤلفة له وطبيعتها ودرسوا القوانين التي على أساسها تتراكب هذه الوحدات وتترابط فيما بينها فيأتي الكلام متآلفا، موزونا ومقفى وموزعا بين شطري البيت الواحد في اتساق وانسجام متكاملين، ثم أطلقوا بعد ذلك هذا المصطلح على علم العروض من قبيل المشابهة بين العلمين، حيث رأى ابن فارس أنّ :" أهل العروض يُجمعون على أنّه لا فرق بين صناعة العروض وصناعة الإيقاع. إلاّ أنّ صناعة الإيقاع تقسم الزّمان بالنّغم. وصناعة العروض تقسّم الزّمان بالحروف المسموعة" [2].

وكان الأرموي ممّن اهتموا بالإيقاع الموسيقي قديما، فقد قال عنه بأنّه " جماعة نقرات تتخللها أزمنة محدودة المقادير على نسب وأوضاع مخصوصة" [3] وهو يقصد بذلك ترتيب مقاطع الكلام مع نسبها حتى تقابل بعضها البعض تفصيلا، فيقابل المقطع القصير مقطعا قصيرا مثله ويقابل المقطع الطّويل مقطعا طويلا مثله، وتقابل النّقرةُ الثّقيلة النّقرةَ الثّقيلة مثلها، كما تقابل النّقرة البسيطة النّقرة البسيطة مثلها، أما الحسن بن أحمد بن علي الكاتب فيقول عن الإيقاع بأنّه " قسمة الزّمان الصّوتي، أعني مدّة الصّوت المنغّم بنقرات إما كثيرة وإمّا قليلة" [4].

لقد اتفق هؤلاء القدماء جميعا على أنّ الزّمن هو العصب الأساسي للإيقاع وأنّ النّقرة هي الوحدة الأساسيّة التي يقوم عليها الإيقاع الموسيقي، وتلعب دورا أساسيا في تساوي أزمنته، فهي بمثابة الحرف أو الصّوت بالنّسبة إلى اللغة، وهي بمثابة السّبب والوتد بالنّسبة إلى العروض.

كما تعرض كل من أبي حيان التّوحيدي والسّجلماسي للحديث عن الإيقاع والتّعريف به في معرض حديثهما عن الشّعر، فقال عنه أبو حيان بأنه " فعل يكيل زمان الصّوت بفواصل متناسبة متعادلة" [5]، وهو يقصد بالفواصل المتناسبة

الأوزان أمّا التّعادل الإيقاعي فإنه يعني به ذلك التّعادل الذي نجده بين الصّدر والعجز في الشّعر أو بين العروض والضّرب، بل حتى أننا نجده بين المتحركات والسّواكن. أما السّجلماسي فإنّه يقول عنه بعد أن يدخله في تعريفه للشعر: " الكلام المخيل المؤلف من أقوال موزونة متساويّة وعند العرب مقفاة، بمعنى كونها موزونة: أن يكون لها عدد إيقاعي" [6]. وعلى ذلك يكون مفهوم الإيقاع عندهما مرتبطا بمفهوم الوزن، لأنّ الوزن هو روح اللغة والشّعر فإن كان زمان الصّوت يكيل بأوزان متناسبة ومتعادلة فإنّ هذا التّوالي الزّمني هو جوهر الموسيقى، وعليه فإنّ الموسيقى ترتبط بالشّعر وبالوزن وتشترك معهما في كثير من الميادين، في " طبيعتهما المتعلقة بالزّمن، تعاملهما مع هذا الزّمن بنيتهما نوعيّة الإحساس الذي يثيره كل منهما عند السّامع، الفطريّة التي هي من سمات ملكة ممارستهما" [7].

أما المحدثون فقد اختلفوا في تحديدهم لمفهوم الإيقاع كلّ على حسب وجهة نظره، فقد عرّفه ويردي بأنّه " توازن الأجزاء مع نسبتها حتى تقابل بعضها تفصيلا وذلك بترتيبها حسب أشكال الإيقاع اللامتناهيّة" [8]، فالإيقاع بهذا المعنى هو ترتيب أجزاء الكلام بحيث يقابل بعضها البعض الآخر في كل شطر وبيت، فيقابل المقطع القصير المقطع القصير ويقابل المقطع الطّويل المقطع الطّويل، وتتردد مقادير هذه الأجزاء في نسب زمنيّة محددة وثابتة، مما يجعل أجزاء الكلام متساويّة زمنيا بمقاديرها، وإذا أمعنّا النّظر في هذا التّعريف وجدناه ينطبق على تعريف الوزن العروضي، الذي تكون فيه أجزاء البيت والشّطر متكافئة مع الحروف السّاكنة والمتحركة التي تتشكل بها المقاطع الطّويلة والقصيرة. فتتعادل أجزاء الأصوات وأجزاء الكلام، وهو نفس المبدأ الذي اعتمده الأرموي في تعريفه للإيقاع.

أما إبراهيم أنيس فقد عرّفه بأنه " الظّاهرة الصّوتيّة التي تنقل النّص ... من مجال النّثر إلى مجال الشّعر وهو الصّفة الأساسيّة التي لا يكون الشّعر شعرا

بدونها... فحين نتتبع مؤلفات القدماء في العروض نراهم يكتفون بذكر أوزانه أو بحوره مقتصرين في هذا على بيان نظام توالي المقاطع ومثل عملهم هنا مثل النّوتة الموسيقيّة التي يعوزها التّعبير الفعلي عن كل دقائق النّغم فلا بد من النّوتة الموسيقيّة من الموسيقي الماهر الذي ينطقها ويبعث فيها الحياة. كذلك أوزان الخليل لا بدّ معها من الإيقاع الإنشادي" [9]. لقد حاول إبراهيم أنيس أن يحدد مفهوم الإيقاع بعيدا عن معناه الموسيقي حيث يرى أن الإيقاع يتمثل في إنشاد الشّعر وترتيله، فهو يعاتب القدماء على اكتفائهم بذكر أوزان البحور الشّعريّة دون الاهتمام بالإيقاع وهو يشابه عملهم ذاك بعمل الموسيقي الذي تبقى نوتاته ثابتة ساكنة بلا روح ما دامت مكتوبة على الورق، ولا يحركها إلا عزف الآلة الموسيقيّة، كذلك الوزن يبقى ثابتا في القصيدة حتى يحركه إيقاع إنشاد الشّاعر وترتيله، وقد حصر مبارك حنون الإيقاع في توالي المتحركات والسّواكن التي ترتّبُ على شكل معين لتتألف منها التّفعيلات التي تتركب منها الأسباب والأوتاد والفواصل، وكل هذه أصلها متحرك وساكن، فالأمر يتعلق " بتناسب المتحركات والسّواكن: تماثلها وتعادلها وتساوي مقاديرها وبواسطتها يجزّأ الكلام الشّعري إلى أجزاء متساويّة زمنيا. ومن ثمّة، فإنّ هناك تساويا، على المستوى الصّوتي بين الحروف المتحركة والحروف السّواكن وتساويا بين أجزاء الكلام" [10].

لقد اتفق المحدثون في تحديدهم لماهيّة الإيقاع بربطه بالوزن العروضي الذي تتعادل فيه مقادير المقاطع ونسب تردّد أجزائها زمنيا بأجزاء الكلام تارة، وبربطه بطرق إنشاد الشّعر تارة أخرى، مبتعدين عن معناه الموسيقي حتى لتشعر بأنّ الإيقاع هو البحر الشّعري بتمام ضوابطه.

والشّعر في حقيقة أمره لغة ووزن، فإذا كان الإيقاع يتطابق مع الشّعر والوزن في العديد من الميادين، فإنّ للكلام الذي يؤلفه حظه هو كذلك من الإيقاع ويتبيّن ذلك من خلال أجزائه التي تكونه " مقسمة تقسيما متعادلا، وأن

الأصوات اللغويّة باعتبارها تشكل الكلام، تقسم إلى أجزاء متعادلة، وأنّ أجزاء الكلام متساويّة المقادير تساويا زمنيا، وأنّ أجزاء الأصوات متساويّة تساويا زمنيا. ومجمل هذا الطّرح أنّ للكلام إيقاعا مضبوطا ومحكما" [11]، وعليه نستطيع أن نتحدث عن الإيقاع اللغوي ليكون للشعر إيقاعا ثنائيا إيقاع لغة وإيقاع وزن.

تعريف الإيقاع اللغوي: تتشكل اللغة في مجموعات من الوحدات اللغويّة الدّالة وغير الدّالة، وكل مجموعة تحوي بدورها عددا من العناصر؛ قد تكون محدودة العدد، أو تكون غير محدودة، والنّص هو مجموعة كبرى تتشكّل من مجموعات صغرى هي الأصوات والمفردات والتّراكيب، فالأصوات هي الوحدات الدّنيا التي تدخل في تشكيل عناصر المجموعات التي تعلوها، وهذه الأصوات إمّا أن تكون متحرّكة أوساكنة، ومن هنا جاء فكّ الكلمات المنطوقة المسموعة في أصوات تقاس بعدد المتحركات والسّواكن، لأن المتحركات المتتاليّة وحدها دون ساكن يتوسطها لا تؤسس انسجاما ونغما وتعتبر نشازا، وكذلك السّواكن الممتدة التي لا يفصلها المتحرك لا تشكل إلا نشازا مهما طال تمديدها، وعليه فإنّ الإيقاع اللغوي " يهتم بالدّرجة الأولى بالتّمييز بين الممدود وغير الممدود وتوضيح الوحدات الدّالة التي تأخذ جزءا من معناها من هذا المد الوظيفي كما أنّ هذا الإلقاء يبرز حدود الكلمات والتّراكيب والجمل وذلك تبعا لوظيفة تحديديّة تبرز مكونات اللغة" [12].

فالإيقاع اللغوي إذن يبرز ويتشكّل في المستوى الصّوتي لأنّه يختص بسواكن ومتحركات الألفاظ والعبارات، فيكون بذلك له علاقة بالوزن العروضي أو ما يعرف بموسيقى الشّعر من جهة، ويكون له علاقة بالبديع من جهة أخرى، أو ما يعرف بالإيقاع الدّاخلي للنص اللغوي أو الإيقاع اللفظي، حيث يختار متكلمو اللغة والشّعراء منهم على وجه الخصوص ألفاظهم وعباراتهم ويتحرون ما هو كائن بينها من تلاؤم للحروف وحركاتها وانسجام للأصوات وجرسها فيصوغون الكلام ويسبكونه حتى يجري على السّنتهم سهلا سلسا.

وما يثبت أنّ إيقاع الشّعر من إيقاع اللغة تلك الثّوابت اللغويّة التي تشترك فيها اللغة مع الشّعر من كراهة توالي المتحركات وذلك بتحويل فتحة الحرف الآخر سكونا في الأفعال الثّلاثيّة بعدما تسند إلى ضمائر الرّفع المتحركة، ونون النّسوة، و(نا) الدّالة على الفاعلين على نحو: ضربْتُ وأكلْنَ ووجدْنا، أضف إلى ذلك عدم قبول التّقاء السّاكنين حيث يتحرّك المضارع المجزوم بالكسر عندما يلتقي بالألف السّاكنة في قولنا (لم يكنِ الرّجل مهتما)، ولكن يمكن أن يلتقي السّاكنان في بعض الحالات على كراهيته وذلك كما في قولك:(قدِم مُرَبّو الأجيال)، وهو ما نجده تماما في قواعد الكتابة العروضيّة التي ترفض التّقاء السّاكنين في حشو البيت الشّعري، إلا أنها تقبله في حالات محدودة في القافيّة في النّهايات التي تقبل التّذييل كما في مجزوء الكامل والرّجز، فالمسلك الجاري في اللغة جار أيضا في الوزن والبحر.

أمّا الإيقاع الخارجي فهو ما يتعلق بالبنيّة الخارجيّة للنص الشّعري، وهو الانتقال المنظّم بين الحروف ذات الفواصل والوقفات التي تقع بين حدود الكلمات أو الألفاظ وفي نهايّة الأشطر والأبيات، فيكون بذلك للحرف إيقاع وللمقطع إيقاع وللنبر والتّنغيم إيقاع كذلك فتندرج كل هذه الصّور الإيقاعيّة ضمن الإيقاع الصّوتي والإيقاع الصّيغي والإيقاع التّراكيبي، ليصبح النّص الشّعري بأكمله إيقاعا.

وتجدر الإشارة هنا أنّ لكل بحر من بحور الشّعر إيقاعه الخاص به، وهذا الإيقاع في الحقيقة هو الذي يحدد الوزن، فبعض التّفعيلات العروضيّة التي وضعها الخليل ليزن بها الشّعر العربي وإن كانت تبدو في ظاهرها متشابهة إلاّ أنّها تختلف في تركيبها، فالتّفعيلات: (مستفعلن ومستفع لن) و(فاعلاتن وفاع لاتن) وإن كانت متماثلة ومتطابقة من حيث عدد حروفها ومن حيث حركاتها وسكناتها إلا أنها تختلف إيقاعيا، والسّبب في هذا الفرق الإيقاعي هو وحدتي الوتد المجموع والوتد المفروق وهذا ما يؤكد على أنّ الخليل بن أحمد كان على

علم بدور الإيقاع في تحديد نوع البحر وذلك ما سهل عليه ضبط تفاعيله. وأنّه كان على علم أيضا بالعلاقات الإيقاعيّة التي تنشأ من اتحاد الأسباب والأوتاد لأنّ " الوعي بهذه التّفعيلات في بحورها مبني على مساحات زمنيّة تنبئ عنها السّكتات بين التّفعيلة والتي تليها، وكذلك ما بين الوحدة والوحدة التي تليها ومن هنا كان جمع الوتد عنده ممثلا لإيقاع يختلف عن فرق الوتد. وما كان للخلاف أن ينشأ بينهما لو كانت حسبة الإيقاع حسبة حركات وسكنات أو حسبة مقاطع" [13]، فاحتساب دور السّكتة واعتبار ما لها من قيمة إيقاعيّة، هو ما جعل الخليل يفرق بين بحر وآخر وبين تفعيلة وأخرى، ، فإذا نظرنا إلى بحر الكامل مثلا وجدناه مكوّنا من:

" متفاعلن × متفاعلن× متفاعلن

فليس معنى ذلك أن نقول أنّه مكوّن من:

فعلن× مفاعلتن× مفاعلتن× علن

لأنّ التّصور الأول يفصح عن سكتتين داخليتين، بينما التّقسيم الجديد يعطي إمكانة لثلاث سكتات داخليّة، وهذا أمر لم يرد في النّظام الإيقاعي للكامل" [14]، ممّا يعني أنّه لّما جرّد أبعاد النّظام الشّعري لم يغفل أثناء ذلك مطالب الاستعمال، وعليه يمكننا أن ننظر إلى الوزن العروضي على أنه محكوم ومضبوط ومتجلٍّ، وأنّه وليد العقل ومظهر من مظاهره مثله في ذلك مثل الحساب والرّياضة والموسيقى، أما الإيقاع فهو منفلت خفي ويحاول كشف الباطن.

إنّ المظهر الإيقاعي في الجانب اللغوي يتأتّى في الزّمن الذي يستغرق من أجل نطق الأصوات متحركة كانت أم ساكنة، وقد اهتم علماؤنا بهذا الجانب اهتماما كبيرا وكان على رأسهم الأخفش الذي حدّد المدة الزّمنيّة التي نستغرقها في نطق الأصوات أي القيمة الكميّة للأصوات وهنا يتحقق الإيقاع حيث يقول: " فأقلّ الأصوات في تأليفها الحركة، وأطول منها الحرف السّاكن

لأنّ الحركة لا تكون إلا في حرف ولا تكون حرفا، والمتحرك أطول من السّاكن لأنه حرف وحركة"[15]، فهو يحدد لنا الفرق الكمي بين الحركة والحرف السّاكن والحرف المتحرك وهي النّتائج التي توصل إليها العلم الحديث بفضل الآلات التّكنولوجيّة المتطورة، وعلى هذا الأساس تمّ تحديد المقاطع وأنواعها قديما وحديثا.

المقطع اللغوي: إنّ مفهوم المقطع اللغوي (syllabe) هو مفهوم يوناني قديم توارثه الغربيون جيلا بعد جيل وبنوا عليه تحليلاتهم الصّوتيّة، أمّا علماؤنا العرب فقد انتقل إليهم هذا المصطلح بعد أن ترجمت المفاهيم الصّوتيّة اليونانيّة إلى العربيّة، فاستساغها الفلاسفة العرب وعلماء الموسيقى وأضافوا إليها أشياء جديدة، وكثيرا ما كانوا يعودون إلى نظرتهم العربيّة الأصيلة ليترجموا تصور هؤلاء بألفاظ أولئك، يقول الفارابي: " وكل حرف غير مصوت أتبع بمصوت قصير قرن به فإنه يسمى المقطع القصير والعرب يسمونه الحرف المتحرك من قبل أنهم يسمون المصوتات حركات. وكل حرف لم يتبع بمصوت أصلا وهو يمكن أن يقرن به فإنهم يسمونه الحرف السّاكن. وكل حرف غير مصوت قرن به مصوت طويل فإنّا نسميه المقطع الطّويل، وكلّ حرف متحرك اتبع بحرف ساكن فإنّ العرب يسمونه السّبب الخفيف.. وكلّ مقطع طويل فإنّ قوته قوة السّبب الخفيف فلذلك يعدّ في الأسباب الخفيفة وكل ما لحق الأسباب الخفيفة لحق المقاطع الطّويلة.. وكلّ سبب خفيف فإنّه يقوم مقام نقرة تامة تعقبها وقفة، وكذلك كلّ مقطع طويل"[16]

ويقول عنه ابن رشد كذلك: " وأما حدود المقاطع ففيها كلمة الحروف التي تركب منها المقاطع وذلك أنّ الحروف منها مصوت وغير مصوت، والمصوت منه ممدود ومنه مقصور، والمقطع هو الذي يأتلف من حرفين مصوت وغير مصوت، فإن كان المقطع مقصورا قيل في حده إنّه الذي يأتلف من حرفين مصوت وغير مصوت، فكان منحصرا في حده حد الحرف المصوت وغير المصوت

وكذلك المقطع الممدود ينحصر في حده الحرف الغير مصوت والمصوت الممدود.." [17]. ويقول في موضع آخر :" وإذا تقرر أنّ هاهنا أمورا مركبة لم يجتمع منها شيء واحد بالفعل كالمركبة من الأشياء التي لا يكون منها واحد إلا بالالتّماس مثل الكدس المجموع من حبوب كثيرة بل يكون المجتمع منها بحيث يحدث عنه شيء زائد غير المجتمعات من غير أن يكون المجتمعات أنفسها مثل المقطع الذي يحدث عن اجتماع الحرف المصوت وغير المصوت، فإنّ المقطع ليس هو اجتماع الحروف التي تولد منها شيء بل هو شيء زائد على الحروف مثل المقطع الذي هو باء أو لام [...] فإذا السّلابي شيء آخر هو وليس هو الحروف أي الحرف المصوت والذي لا صوت له بل هو شيء آخر أيضا... فإذا المقطع ليس هو الحروف التي تركب منها أعني المصوت وغير المصوت" [18].

المقطع كما تصوره ابن رشد وحدة صوتيّة عليا مركبة من التّأليف بين مجموعة من الصّوامت والمصوتات، ولكن هذا التّجميع بينها لا يكون كيفما اتفق، وإنما هو تجميع يكون الغرض منه تكوين وحدة لسانيّة أكبر من الصّوت اللغوي، فهو ليس ركاما بين صوامت وصوائت، وإنما هو بنيّة لها نظامها الخاص المتميز المتفرد بفضل صوغه الخاص لوحدتي الصّامت والصّائت.

وتعرض أيضا علماء اللغة المحدثون إلى الحديث عن المقطع فقد عرفه عبد الرّحمن أيوب بأنه " مجموعة من الأصوات التي تمثل قاعدتين تحصران بينهما قمة ويمكن كما سبق تقسيم الكلام إلى مقاطع بمجرد السّماع ولكن ليس من الممكن على وجه التّحديد تعيين النّقطة التي ينتهي عندها مقطع ليبدأ بعدها المقطع الذي يليه، وذلك أنّ الكلام الإنساني متداخل الأجزاء" [19]، إنّ تصور المقطع على هذا الأساس يؤكد تأثره بما يسبقه وما يلحقه من المقاطع الأخرى لأنّ الكلام الإنساني متداخل، وعليه يمكننا تحديد نوعين من المقاطع أحدهما تجريدي مكون من حروف، والآخر صوتي محسوس مسموع، فالكلام ليس مجرد توال لمقاطع صوتيّة فحسب.

إنّ المقطع اللغوي هو أصغر وحدة لغويّة يمكنها أن تبتدئ وتنفصل فهو يمتلك هذه العلاقة البنائيّة لأنه يكون داخلا في تركيب الوحدات الكلاميّة الكبرى ويكون جزءا منها، فإذا اعتبرنا بأنّ السّبب والوتد والفاصلة هي مقاطع لغويّة فنجدها تبتدئ وتنفصل وتتحرك بحريّة داخل الوحدة العروضيّة الكبرى وكلما تغير موضعها تغير إيقاع الوحدة وحصلنا على وحدة جديدة وهذا ما يفسر ربط الفارابي بعد تحديده لصنفين من المقاطع (الطّويل والقصير) بذكره لأركان العروض، يقول في ذلك: " وكلّ حرف متحرك أتبع بحرف ساكن، فإنّ العرب يسمونه " السّبب الخفيف". وكلّ حرف متحرّك أتبع بحرف متحرك فإنّهم يسمونه " السّبب الثّقيل". والسّبب الثّقيل متى أتبع بحرف ساكن، سموه " الوتد المجموع" لاجتماع المتحركين فيه. والسّبب الخفيف متى أتبع بحرف متحرك سموه " الوتد المفروق" لافتراق المتحركين فيه بالسّاكن المتوسط والسّبب الخفيف متى أتبع بحرف ساكن، سمي " الوتد المفرد" لانفراد المتحرك فيه. والسّبب الثّقيل متى أتبع بمتحرك، فلنسمه نحن " السّبب المتوالي" لتوالي المتحركات الثّلاثة فيه" [20] و"كل مقطع طويل، فإنّ قوته قوة السّبب الخفيف فلذلك يعد في الأسباب الخفيفة، وكل ما لحق الأسباب الخفيفة لحق المقاطع الطّويلة وسائر ما يركب تركيبا أزيد مما عددناه، فإنّ جميعها مركبة إما عن أسباب وإما عن أوتاد وإما عنهما جميعا وكل سبب خفيف فإنه يقوم مقام نقرة تامة تعقبها وقفة، وكذلك كل مقطع طويل، وكل حرف ساكن تبع السّبب الخفيف فإنه يقوم مقام نقرة لينة تتبع نقرة تامة ساكنة [...] والحروف المتحركة إذا مدت حركاتها أدنى مد أوقرنت حركاتها بنبرات أو «هاء» خفيفة، كانت قريبة من سبب خفيف" [21].

وعليه يمكننا أن نحدد المقاطع الصّوتيّة العربيّة بخمسة مقاطع هي:

المقطع الأوّل: يتكون من حرف صامت + حرف مدّ (حركة طويلة) ويرمز له ص م أو ص ح ح... ونموذجه في اللغة الكلمات (يا- لا...)؛

المقطع الثّاني: ويتكون من حرف صامت+ حركة قصيرة، ويرمز له بـ ص ح ... ونموذجه الحرف حين يتحمل حركة قصيرة مثل: (ل- ب...)؛

المقطع الثّالث: ويتكون من حرف صامت+ حركة قصيرة + حرف صامت ويرمز له بـ (ص ح ص) ونموذجه الكلمات (منْ- عنْ..)؛

المقطع الرّابع: ويتكون من حرف صامت + حرف مدّ + حرف صامت ويرمز بـ ص م ص أو ص ح ح ص ونموذجه اللغوي الكلمات (ريم..كير..)؛

المقطع الخامس: ويتكون من حرف صامت+ حركة قصيرة + حرف صامت+ حرف صامت ويرمز له بـ (ص ح ص ح) ونماذجه اللغويّة الكلمات (بكْر- عمْرو...) والمقطعان الرّابع والخامس قليلا الشّيوع ولا يكونان إلاّ في أواخر الكلمات وحين الوقف" [22]

أمّا مصطفى حركات فقد اختصر المقاطع اللغويّة في الشّعر العربي في نوعين هما:

"**مقطع قصير:** وهو مكوّن من حرف متحرك متبوع بحركته مثل: بِ، ع؛

مقطع طويل: وهو عبارة عن حرف متحرك متبوع بحركته متبوع بساكن وقد يكون السّاكن حرفا صامتا مثل: منْ، قُمْ. وقد يكون السّاكن حرف مدّ دال على امتداد الحركة مثل: ما، بي"[23]، ويرى أيضا بأنّ الأسباب والأوتاد تحققها مقاطع لغويّة كالآتي:

" • السّبب يحققه مقطع طويل أو مقطع قصير أو مقطعان قصيران؛

• الوتد المجموع يحققه مقطع قصير متبوع بمقطع طويل؛

• الوتد المفروق يحققه مقطع طويل متبوع بمقطع قصير. [3]

وعليه تكون المصطلحات المعتمدة بين علم العروض وعلم الموسيقى هي نفسها مما يؤكد على أنه لا يمكننا الفصل بين علم العروض وعلم الموسيقى فهما

متلاحمان إلاّ أنّ صناعة الإيقاع تقسم الزّمان بالنّغم، وصناعة العروض تقسم الزّمان بالحروف المسموعة على رأي السّيوطي.

قائمة الهوامش:

[1]: محمد العلمي، العروض والقافيّة دراسة في التّأسيس والاستدراك، ص37.

[2]: أحمد بن فارس، الصّاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب ي كلامها، دار الكتب العلميّة بيروت لبنان، ط1، 1977، ص212.

[3]: الأرموي صفي الدّين عبد المؤمن، الرّسالة الشّرفيّة في النّسب التّأليفيّة، منشورات وزارة الثّقافة والإعلام بغداد، العراق، 1982، ص189.

[4]: الكاتب الحسن بن أحمد بن علي، كمال آداب الغناء، تحقيق: غطاس عبد الملك خشبة، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1975، ص94.

[5]: أبو حيان التّوحيدي، المقابسات، تحقيق: محمد حسين، مطبعة الإرشاد، ط 1970، ص285.

[6]: أبو القاسم محمد السّجلماسي، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق: علال غازي مكتبة المعارف، الرّباط، ط1، 1980، ص218.

[7]: مصطفى حركات، نظريّة الإيقاع، الشّعر العربي بين اللغة والموسيقى، دار الآفاق للنشر والتّوزيع الجزائر، ص12.

[8]: ويردي ميخائيل الله، فلسفة الموسيقى الشّرقيّة، مطبعة ابن زيدون، دمشق ، سوريا، ص465.

[9]: إبراهيم أنيس، عناصر الموسيقى في الشّعر العربي، مقال بمجلة الشّعر، العدد 2، أفريل، سنة 1976 ص16.

[10]: مبارك حنون، التّنظيم الإيقاعي للغة العربيّة، نموذج الوقف، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، ط1، 2010، ص51- 52.

[11]: مبارك حنون، التّنظيم الإيقاعي للغة العربيّة، ص50.

[12]: مصطفى حركات، نظريّة الإيقاع، ص166.

[13]: أحمد كشك، محاولات للتجديد في إيقاع الشّعر، دار غريب للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة 2004 ص9.

[14]: أحمد كشك، محاولات للتجديد في إيقاع الشّعر، ص111.

[15]: الأخفش، كتاب العروض، تحقيق ودراسة سيد البحراوي، ومراجعة محمود علي مكي، مجلة فصول الهيئة المصريّة العامة للكتاب، يناير، فبراير، مارس،1986، ص 143.

[16]: الفارابي، كتاب الموسيقى الكبير، تح: غطاس عبد الملك خشبة، دار الكتاب العربي للطباعة والنّشر بالقاهرة، سلسلة تراثنا، مصر، 1967، ص1075.

[17] : ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد، تفسير ما بعد الطّبيعة، دار المشرق ، بيروت ، لبنان 1967، ص 892.

[18] : ابن رشد، تفسير ما بعد الطّبيعة، ص 1016.

[19] : عبد الرّحمن أيوب، أصوات اللغة، مطبعة الكيلاني، ط2، 1968، ص 139.

[20] : الفارابي، كتاب الموسيقى الكبير، ص1078- 1079.

[21] : الفارابي، كتاب الموسيقى الكبير، ص1078- 1084.

[22] : أحمد كشك، الزّحاف والعلة، رؤيّة في التّجريد والأصوات والإيقاع، دار غريب، للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة ص168- 169.

[23] : مصطفى حركات، نظريتي في تقطيع الشّعر، دار الآفاق، الجزائر، دط، دت، ص100.

مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 22 العدد: 50 السّنة: الثّلاثيّ الثّاني 2020 ص: 125 - 154

البعد الأخلاقي في شعر عروة بن الورد

ethical dimension in Orwa ben el-Ward's poesy

أ. خلاف بوحالة*
المشرف : أ. موسى مريان

تاريخ الإرسال: 10 10 2019 تاريخ القبول: 04 02 2020

الملخّص: يهدف هذا البحث بكل حيثياته إلى استجلاء مجمل الأبعاد الأخلاقيّة التي طغت على شعر"عروة بن الورد" أحد الصّعاليك الجاهلين المشهورين المقدّمين الأجواد وذلك من خلال تحليل وشرح مجموعة من أشعاره التي تغطيها نسمة إنسانيّة أخلاقيّة فكم هي كثيرة تلك الآراء التي تحكم على العصر الجاهلي بصفات الطّيش والتخلف والبعد عن التجمل بالصّفات الأخلاقيّة الحسنة، لكن أكثر من ذلك آراؤهم حول طائفة الشّعراء الصّعاليك التي يعتبرونها مثالا عن التمرد والقسوة والنّهب والبطش فقط، ناسين ذلك الجانب الأخلاقي المتستر تحت أشعار بعض منهم ونخص هنا بالذّكر "عرووة بن الورد"، لأنه وإن صح حكم المجحفين فلن يشمل على الأقل هذه الشّخصيّة الرّفيعة بأخلاقها وإنسانيتها في ذاك العصر.

وعليه فقد اخترنا هذه المحطة بالذّات كي تسمح لنا من التغلغل في هذه الشّخصيّة التي تستحق البحث والدّراسة والاهتمام وفق رؤيّة موضوعاتيّة نراها تتناسب أكثر مع عدسة بحثنا وتمكننا من معرفة مدى حضور القيم الأخلاقيّة

* جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، البريد الإلكتروني: bouhalakhelef@gmail.com

في شعر هذا الشّاعر، وتؤكد لنا كذلك أنّ الأخلاق لا ترتبط بعصر دون آخر أو دين دون آخر.

الكلمات المفتاحيّة: عروة بن الورد، الصّعاليك، البعد الأخلاقي. العصر الجاهلي.

Abstract: The main objective of this paper is to clarify the all ethical dimensions which have dominantly been existed in Orwa ben el-Ward's poesy, one of the best and famous poets called "al-Sa'alik" at the preislamic epoch, by analyzing and explicating a party of his poems with a social, humanistic and ethical content. Where a several viewpoints with bad qualities such immorality and backwardness and those without good ethical qualities governed this preislamic age, but, moreover, their opinion on the poets "al-Sa'alik" denomination, inasmuch those people considered them just the example of rebellion, cruelty, pillage and oppression , also, totally forgetting that ethical aspect that is hidden in the poesy of some such poets , we mention here especially the father of the "Sa'alik" : "Orwa ben el-Ward", because even if an oppressive judgment it is, it wouldn't include at least this sublime personage with his ethics and humanity at that epoch. Thus, we have especially chosen this station which allows us to dive in this personage that deserves research, study and interest according to a thematic vision that seems more suitable with our study and allows us to know the existence range of ethical values in the poesy of this poet, also, this study underline for us that ethics are not exclusive to a specific epoch or religion.

Key words: Orwa ben el-Ward, al-Sa'alik, ethical dimension, preislamic epoch.

1.المقدّمة: إنّ ما لا شك فيه أنّ القيم الأخلاقيّة والفضائل الإنسانيّة تحضر بكثرة في الشّعر العربي الجاهلي بما في ذلك شعر طائفة الشّعراء الصّعاليك وذلك ليس لأنّ بحثنا يدور حول شاعر من هذه الفئة (عروة بن الورد) بالذّات وإنّما لكون شعرهم ينتمي إلى الحقبة الجاهليّة التي تعتبر عمومًا الأصل الأوّل لمختلف الطّباع والسّجايا العربيّة التي ذكرها الشّعراء في أشعارهم وتفننوا في ذلك « فالشّاعر يضع القيم والمبادئ والأخلاق في مقدّمة اهتماماته» [1] وللأمانة فإنّ هؤلاء الصّعاليك الجاهليين الشّجعان لم يكونوا كلهم لصوصا وقطاع طرق غايتهم المغنم والتزوّد فقط، وإنّما وجد فيهم من يبتغي أغراضا شريفة من مساعدة المحتاجين وإغاثة المرضى المصابين ونصرة المظلومين المضطهدين أيضا.

وعند الحديث عن هذه الصّفات الخلقيّة والإنسانيّة الحميدة لدى الشّعراء الصّعاليك لا نقصد أحدا قبل الفارس النّبيل 'عروة بن الورد'، ذلك الشّاعر الذي جمع بين الفروسيّة والشّاعريّة في آن واحد، كيف لا وهو من أهم الشّعراء العرب الجاهليين وأحد الفرسان المقدمين بأخلاقه النّبيلة أو بشجاعته ومواقفه الكبيرة مع المحتاجين وقت الضّيق.

وقد تميز شاعرنا بجوده وكرمه وباقي أخلاقه الكريمة التي تتمثّل في جميع قيم النّبل الحقيقي والتي مست جميع المحتاجين والفقراء وليس رفاقه من الصّعاليك فقط، وهذا ما دفع الخليفة الأموي 'عبد المالك بن مروان' أن يقول فيه:« ما يسرُّني أن أحدا من العرب ممّن ولدني لم يلدني إلا عروة بن الورد لقوله [2]:

إنّي امرؤ عافي إنائي شركةٌ
وأنت امرؤ عافي إنائك واحدُ
أتهزؤ مني أن سمنتَ ولأن ترى
بوجهي شحوب الحق والحقُّ جاهدُ

أفـــــرّقُ جســـــمي في جســـــوم كـــــثيرةٍ

وأحســـــو قـــــراحَ المـــــاء والمـــــاءُ بـــــاردُ

فهذا ما جعل الشّاعر عروة الأكثر جاذبيّة للدراسة والاهتمام في المجال الإنساني والأخلاقي وحتى الاجتماعي، حيث سنحاول أن نكتشف بعض الخصال والفضائل التي تميز بها هذا الشّاعر من خلال بعض الأبيات الشّعريّة التي تصحح النّظريّة التي جاءت بها بعض الدّراسات الأدبيّة والتاريخية القائلة بأن الشّعراء الصّعاليك بعيدون عن مجمل الصّفات الأخلاقيّة ولا يعرفون سوى الإغارة والنّهب وقطع الطّريق والبطش بالأعداء !.

وحقيقة أنّنا نجد بعض التفكير والنّظرة السّاذجة التي خيّمت على بعض الدّارسين مطولا حيث ما ذكرت لفظة الصّعلوك إلاّ وفُهم منها ما يتنافى مع القيم الأخلاقيّة و الإنسانيّة النّبيلة، وذلك لحكمهم العام على الفترة التي سبقت الإسلام ككل بالفترة المتخلفة والجاهلة في كل من نواحي الحياة، وأنّ العربي شخصٌ لديه شخصيّة فريدة إذ ينظر إلى الحياة بنظرة جامدة من كل الصّفات المعنويّة فقد قال أحد الباحثين بأنّ:« العربي ينظر إلى الأشياء نظرة ماديّة وضيعة، ولا يقومها إلاّ بما تنتج من نفع، يمتلك الطّمع مشاعره، وليس لديه مجال للخيال والعواطف، ولا يكترث بشيء إلاّ بقدر ما تنتجه من فائدة عمليّة » [3] وعليه فأحسن رد على أصحاب هذه النّظرة والحكم الضّيق أن نستحضر مجموعة من الأبيات الشّعريّة التي تفند رؤيتهم السّطحيّة وتؤكد في نفس الوقت صحة اختيارنا للشاعر عروة بن الورد مثالا للدراسة والاستدلال على ضيق نظرتهم، وإلاّ فما معنى حكم الخليفة الأموي عليه وافتتانه بشخصيته المتميزة؟ !.

2. الأخلاق لغة واصطلاحا:

2.1. لغة: تدور الدّلالة اللغويّة للفعل "**خلق**" حسب ما جاء في المعاجم اللغويّة حول طبيعة الإنسان وسجيته التي خلق عليها، يقول ابن منظور: « الخَلْقُ، بضم اللام وسكونها: وهو الدّين والطّبع والسّجيّة وحقيقته أنّه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصّة بها » [4].

فالخلق - وجمعها أخلاق- وصف لهيئة الإنسان وصورته الباطنة التي خُلق عليها وقدِّر على نحوها فها هو صاحب القاموس المحيط يجعل الخَلق هو التقدير في مادة (خ.ل.ق) بقوله:« الخلْقُ، التقدير والخالقُ في صفاته تعالى المبدع للشيء المخترع على غير مثالٍ سَبَقَ،وصانعُ الأديمِ ونحوه وخلقَ الإفكَ افتراهُ كاختلقَهُ وتخلّقَهُ » [5].

والمعنى كذلك في قول 'الرّاغب الأصفهاني'« الخلقُ أصله: التقديرُ المستقيم، ويستعمل في إبداع الشّيء من غير أصلٍ ولا احتذاء » [6]، فمعناه الخلق والإبداع الأول، حيث نجده في القرآن الكريم في قوله تعالى في القرآن الكريم « خَلقَ السّمواتِ والأرضَ » [7]، أي أبدعهما وخلقهما أول مرّة وأحدثهما بعد أن لم يكن لهما وجود مسبق، وأيضا قوله تعالى في سورة الزّمر؛ « ويخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلقٍ في ظلماتٍ ثلاثٍ » [8]، فالله عز وجل في هذه الآيّة هو الموجد والمبدع الأول الذي أحدث شيئا معدومًا لم يكن له وجود مسبق كما أشرنا في الآيّة التي سبقتها- فسبحان الله أحسن الخالقين- .

ويمكن اعتبار الخلق مجموعة من القواعد والصّفات التي تحدِّد للشيء ماهيته وصفته من طرف خالق وفي هذا المعنى أيضا - تقدير الشّيء - يقول الأزهري:« وفلانٌ خليقٌ بكذا، أي جديرٌ به، وقد خُلقَ لذلك بالضّم، كأنّه ممن يقدر فيه ذلك وتُرى فيه مخائله » [9]. فهنا تكون اللفظة دالة على الصّفات

الباطنة والكامنة في النّفس البشريّة والتي اكتسبها الإنسان وأصبحت كأنها خُلقت معه.

« والخلْقُ والخُلُقُ في الأصل واحد، كالشّرب والشّربِ، والصّرمِ والصّرمِ، لكن خُصّ الخلْقُ بالهيئات والأشكال والصّور المدركةِ بالبصر، وخُصّ الخُلُقُ بالقوى والسّجايا المدركة بالبصيرة » [10]، فالخلْقُ والخُلُقُ إذا عبارتان تستعملان مع حيث يراد بالأولى مجمل الصّور الظّاهرة التي نراها بالعين المجردة أمّا الثّانيّة فيراد بها الأشياء والصّور الباطنة التي لا نراها بأعيننا وإنّما ندركها بأنفسنا وعقلنا سواء كان ذلك خيرا أو شرا فإن قيل مثلا هذا الشّخص حسنُ الخلْق والخُلُق فإنّ المراد بذلك هو جمال شكله ونفسه أيضا أي ظاهره وباطنه.

2.2. اصطلاحا: يوجد العديد من الأقوال والتعريفات التي اهتمت بالأخلاق وحددت ماهيتها وموضوعها على مرِّ العصور قديما وحديثا، حيث اهتم بموضوع الأخلاق الكثير من الفلاسفة والمفكرين، سواء من الغرب أم من العرب المسلمين حيث نراهم يخصصون فصولا ومباحث واسعة في تحديد ماهيّة الأخلاق وموضوعها وهدفها وغايتها...الخ.

فقد قيل بأنّها « حالة للنفس داعيّة لها إلى أفعالها من غير فكر ولا رويّة وهذه الحالة تنقسم إلى قسمين منها ما يكون طبيعيا من أصل المزاج كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب، ويهيج من أقل سبب، ومنها ما يكون مستفادًا بالعادة والتدرب وربما كان مبدؤه بالرّؤيّة والفكر ثم يستمر عليه أوّلا فأوّلا حتى يصير ملكة وخلقا ... » [11]، أي أنّ الأخلاق هي حالة للنفس تصدر عنها الأفعال بكل سهولة ويسر من غير تكلف زائد، وبهذا يمكن اعتبار جميع الأفعال الغير راسخة في الإنسان ليست بأخلاق حيث مثلا نصادف غضب الحليم فجأة أو جبن الشّجاع فذلك يدخل تحت التخلق أو التكلف لما لا تنطوي عليه نفسيته مثلا، لهذا فهي ليست صفات راسخة متأصلة في أصحابها وإنما صدرت

عن أصحابها صدفة أو بعسر وتكلف، ويقول 'صاحب كشاف اصطلاحات الفنون' « الأخلاق في عرف العلماء، ملكة تصدرُ بها عن النّفس الأفعال بسهولة من غير قدم فكر ورويّة وتكلف، فغير الرّاسخ من صفات النّفس كغضب الحليم لا يكون خلقًا وكذا الرّاسخ الذي يكون مبدأ للأفعال النّفسيّة بعسر وتأمل كالبخيل إذا حاول الكرم والكريم إذا قصد بإعطائه الشّهرة » [12]

ويضيف 'الطّاهر بن عاشور' في هذا السّياق قوله: « والخلق في اصطلاح الحكماء: ملكة (أي كيفيّة راسخة في النّفس أي متمكنة من الفكر) تصدر بها عن النّفس أفعال صاحبها بدون تأمل، فخلق المرء مجموعة غرائز(أي طبائع نفسيّة) مؤتلفة من انطباع فكري: إمّا كسبيّ ناشئ عن تمرن الفكر عليه وتقلّده أياه لاستحسانه إياه عن تجربة نفعه أو عن تقليد ما يشاهده من بواعث محبة ما شاهد...فإن استقر وتمكن من النّفس صار سجيّة له يجري أعماله على ما تمليه عليه وتأمره به نفسه بحيث لا يستطيع ترك العمل بمقتضاها » [13]، فهذه التعريفات السّالفة تتفق في أن الأخلاق تصدر عن النّفس بسهولة ويسر دون أيما تكلف، كما تتفق في مصدر هاته الأخلاق والسّجايا إذ هناك ما يكون منها في طبيعة النّفس وفطرتها التي جبالت بها، أو ما يكون منها مكتسبا عن طريق العادة أو الميول أو التقليد الذي يجعل الصّفة تتأصل في صاحبها حتى التصير سجيّة طبيعيّة تقوم بها النّفس بعفويّة ولا تترك العمل بمقتضاها أبدا فالمقصود هنا هو جميع السّجايا والصّفات الخلقيّة التي لا يمكن لها أن تتغير بسهولة واضحة.

« وقد يطلق لفظ الأخلاق على جميع الأفعال الصّادرة عن النّفس محمودة كانت أم مذمومة، فتقول فلان كريم الأخلاق، أو سيء الأخلاق، وإذا أطلق على الأفعال المحمودة فقط دل على الأدب لأنّ الأدب لا يطلق إلاّ على المحمود من الخصال » [14]، فالأخلاق إذن تطلق على جميع الأفعال الصّادرة عن النّفس

الفاضلة منها والمنحطة، الخيرة والشّريرة، الحسنة والقبيحة، ففي محكم التنزيل قوله تعالى حين خاطب رسوله الكريم وأراد أن يصور لنا صفة خلقه وأفعاله قال:« وإنّك لعلى خلقٍ عظيم » [15] أي أنت يا محمّد لعلى أدب عظيم من الصّفات الحسنة والأخلاق الرّفيعة.

وتطلق لفظة "خليق" على وزن " فعيل" على الصّفات الطّبيعيّة في المرء التي تولد معه أو تتأصل فيه وتكون من طبعه، كما قال الشّاعر 'زهير بن أبي سلمى' [16] :[الطّويل]

ومهما تكن عند امرئ من خليقة

وإن خالها تُخفى على النّاسِ تُعلمِ

فالخليقة هنا يريد بها الشّاعر زهير مجمل الأخلاق أو الصّفات التي تكون طبيعة في المرء ومن فطرته وسليقته، أو على الأقل قل هي الصّفة الرّاسخة فيه والمفطور عليها فتميزه عن غيره ويصعب التخلي عنها بسهوله أو حتى إخفاؤها وعدم إظهارها.

كما أنّه هناك « فكرتان يتحدد بهما معنى 'الخلق' وجمعه 'أخلاق'، الأولى الرّسوخ بمعنى الثّبات والدّوام والثّانيّة التلقائيّة (هيئة راسخة من غير تكلف) والملاحظ أن الخلق بهذا غير السّلوك، فهو ملكة أو هيئة في النّفس تصدر عنها الأفعال: فهي منبع السّلوك وهذا شيء لابد من استحضاره لدراسة النّصوص القديمة... فالسّلوك في الحقل الثّقافي العربي القديم هو ممارسة الفعل وليس الفعل ذاته... فالكرم خلق للنفس أمّا إكرام هذا الضّيف أو ذاك فهو سلوك والفرق هو أنّ الكرم صفة راسخة في النّفس، أمّا سلوك مسلك الكريم فهو فعل صادر عن تلك الصّفة » [17].

وما يمكن استنتاجه في الأخير أنّ لفظة 'الخلق' وجمعها 'الأخلاق' قد تأتي للدلالة على الهيئة الموجودة في النّفس والتي تعطينا أفعالا دون رويّة أو فكر، وهذا

يتوافق مع ما نسميه الفطرة والطّبع والسّجيّة "caractère"، أو تأتي للدلالة على الحالة المكتسبة بالعادة أو التقليد والممارسة حتى يصير الإنسان خليقا بها فتصبح من مزاجه وطبعه، كما أنّها قد تأتي مقرونة بصفة حسن أو سيء للدلالة على الهيئة الرّاسخة في الإنسان إن كانت حسنة أم سيئة.

3. مظاهر تجلي بعض القيم الأخلاقيّة في شعر عروة بن الورد:

1.3. الجود والكرم: إنّ شعر الصّعاليك حافل بنماذج حيّة لصورة الكرم عندهم والتي تعكس شخصيات متشبعة بمبادئ أخلاقيّة وإنسانيّة عاليّة تلغي جزئيا الحكم على الحقبة الجاهليّة بالتخلف الفكري وحتى الحضاري « فكما معلوم أنّ لفظ الجاهليّة الذي كان السّبب في خطأ تلك الأحكام هو لفظ ديني سياسي يعني الجهل بالدّين وليس الجهل ضد العلم، إنّه لفظ أطلقه الإسلام على الحقبة السّالفة عنه ... بل العكس هو الصّحيح فلقد أنجبت هذه البيئة رجالا كانوا قمّة في الإنسانيّة، ورهافة الحس، وحسن الخلق... » [18]، والشّعراء الصّعاليك نجدهم خير من يجسد هذه الرّؤيّة وعلى رأسهم عروة بن الورد، فمن خلال بعض أشعاره تتضح الصّورة أكثر وتعكس لنا نبله وكرمه، فبالرّغم من شخصيته الاندفاعيّة كباقي الصّعاليك وتمرده عن قبيالته أيضا إلاّ أنّنا نجده يتميز بحس مرهف ونبل اجتماعي إنساني سامي يجسد فيه قيمة المروءة العربيّة وفطرتها الحسنة، يقول عروة بن الورد [19]: [الطّويل].

إنِّـــي امـــرؤ عـــافي إنـــائي شـــركةٌ
وأنـــت امـــرؤٌ عـــافي إنائـــكَ واحـــدُ
أتهـــزأ منّـــي أن سمنـــتَ وأن تـــرى
بـــوجهي شـــحوبَ الحـــقِّ والحـــقُّ جاهـــدُ
أقسِّـــمُ جســـمي في جســـومٍ كـــثيرةٍ
وأحســـو قـــراَح المـــاءِ، والمـــاءُ بـــاردُ

لعلّ هذه الأبيات هي التي خلدت 'عروة بن الورد' وجعالته مثالا يضرب في الإنسانيّة والبذل، فقد جاء في الأغاني أنّ الخليفة عبد الملك بن مروان قال عندما سمع هذه الأبيات « ما يسرّني أنّ أحدًا من العرب ممّن ولدني لم يلدني إلاّ عروة » [20]، فهذه الأبيات لا يوجد ما أوضح منها في الدّلالة والكشف عن طبيعة شخصيّة عروة بن الورد الباحثة عن العدل الاجتماعي، ومحاولة إنصاف الفقراء ومساعدتهم بالتضامن والتكافل معهم، وهذا كله هو انعكاس لشخصيته النّبيلة ونسبه الأصيل، لأنّه لا يترك فقيرا ولا صعلوكًا إلاّ وأعانه وتصدق عليه بما يملك من مال وطعام لأنّ هذه النّزعة لا نجدها إلاّ عند عروة بن الورد.

والشّيء الجميل في شخصيّة عروة أنّ كرمه وجوده على الآخرين لم يكن بغيّة حاجة يبتغيها، أو مطمع يسيل لعابه، وإنّما ذاك هو أدبه مع الغير وأخلاقه العاليّة التي فُطر عليها مثل قوله [21]:

أقسِّم جسمي في جسومٍ كثيرةٍ
وأحسو قراحَ الماءِ والماء باردُ

كما أنّ صورة الجود والكرم المتعلقين بالضّيافة وحسن الاستقبال نجدها أوضح ما تكون عند 'عروة بن الورد' الذي كان يقري الضّيف ويحسن ضيافته والاهتمام به كذلك إذ يقول في ذلك [22]: [الطّويل].

فراشي فراشُ الضّيفِ والبيتُ بيتُه
ولم يُلهني عنه غزالٌ مقنّعُ
أحدّثُه إن الحديث من القرى
وتعلمُ نفسي أنه سوفَ يهجعُ

ففي هذين البيتين تتجسد لنا شخصيّة عروة الحقيقيّة في إكرام الضّيف والاعتناء به، وتوفير له كل سبل الرّاحة اللازمة، لهذا نراه يجعل من فراشه فراش الضّيف، لا تهمّه نفسه بقدر ما تهمه ضيافة من يطرق بابه وكيف يساعده ويقوم بأمره على أحسن وجه.

ومن يتأمل البيتين ويمعن عميقا في معناهما العميق يلمس نوعا آخر من الكلام ينضاف إلى كرم عروة المادي ألاّ وهو الكرم المعنوي حيث نرى الشّاعر يهتم بضيفه على أكمل صورة، بالحديث الحلو مع ضيفه كي يريحه ويجعله يهجع في غفوة من السّكينة والرّاحة، كما أنّه لا ينشغل عن ضيفه بشاغلة حتى لو كانت زوجته الجميلة التي نرى الشّاعر يُكنّي عنها بالغزال المقنع، ويقول أيضا [2 3]: [الطّويل].

سَـــلي الطّـــارقَ المعتـــزَّ يـــا أمّ مالـــكِ

إذا مـــا أتـــانيْ بـــين قـــدْرِي ومجْـــزَري

أيُســـــفِرُ وجهـــــي، إنّـــــه أوّلُ القـــــرى

وأبـــــذُل معـــــروفي لـــــه دون مُنكـــــرِ

فالكلامُ هنا موجه من الشّاعر لزوجته التي يبدو أنّها عهدت منه كرمًا وجودا في كل الأوقات نحو كل السّائلين والواقفين عند الباب في كل وقت ممن يطلبون الإعانة والمساعدة، فعروة يستقبل من يطرق بابه دون تقصير منه أو تحقير الذي قد يسبب حرجا لهؤلاء السّائلين الذين كانت ظاهرتهم شائعة في العصر الجاهلي، فقد بحث الفقراء والمحتاجون عن مأوى وطعام لدى الأجواد في العصر الجاهلي، وكانت مساعدتهم تعتبر واجبًا أخلاقيا، حيث أن إنّ الباحث الحذق يستطيع أن يميز بين نوعين من الفقراء في ذاك العصر، الأولى تشكّل طائفة الفقراء العاديين الذين يكونون في كل زمان ومكان، أمّا الطّائفة الثّانيّة فتتكون من النّاس المحتاجين الذين يسألون النّاس المساعدة بطريقة مباشرة

وصورة التضامن مع الفقراء ومساعدتهم أشد ما نجدها عند هؤلاء الشّعراء الصّعاليك، كما يضيف الشّاعر قوله [24]: [الطّويل].

قُعَيدُك عمر الله هل تعلمين
كريمًا، إذا اسوَدَّ الأنامل أزهرَا
صبُورًا على رزءِ الموالي وحافظًا
لِعرضي حتى يُؤكَل النّبتُ أخضرَا
أقبُّ ومخماصُ الشّتاء مرزَّأً
إذا اغبرَّ أولادُ الأذلّةِ أسفَرَا

فهنا الشّاعر يصور لنا سخاءه وجوده مع الفقراء الذين يضيق بهم حالهم فيأتونه في فصل الشّتاء وقد اسودّت أنامل النّاس من شدة وقد النّار، وعروة مازال حينها يقري الضّيف ويساعد المحتاجين الضّعفاء فنراه يؤثر الأضياف في حين يبقى هو ضامر البطن لا يهتم لحاله بقدر ما يهتم لغيره من الضّعفاء.

ونجد عروة في مقام آخر يصور لنا حاله مع الضّعفاء بقوله [25]: [الطّويل].

إذا قالت جاء الغنى حالَ دونه
أبو صبيّة يشكُو المفاقرَ أعجفُ
له خلّةٌ لا يدخلُ الحقُّ دونها
كريمٌ أصابته خطوبٌ تجرِّفُ

فمن خلال البيتين يتضح لنا أنّ النّاس يقصدون عروة دون سواه في حالة الجدب والقحط، وفي حالة فقدان هؤلاء الضّعفاء ممتلكاتهم وهلاك مالهم أيضا، وذلك لسماحته وخلقه الإنساني الرّفيع الذي يحنّ ويتضامن مع كل فقير ومحتاج، ما يجعل الغِنى لا يلحق شاعرنا كغيره من النّاس لأنّ ماله دائما في خدمة الضّعفاء يقسِّمه عليهم، ويغيث من يستغيث به في كل مرّة، فكما جاء

في "الأغاني" أنّ أناسًا من عبس كلما أصابتهم السّنة يأتون 'عروة' فيجلسون أمام بيته ويبدأون في الصّراخ قائلين يا أبا الصّعاليك أغثنا، ثم بعد ذلك يخرج بهم عروة غازيا بحثا عن غنيمة يسدّون بها حاجتهم » [26]، فهم بهذا يتكلون على زاد غيرهم وكأنّ مبدأهم في الحياة هو مقولة « خير المال عين ساهرة لعين نائمة »27 .

ويقول أيضا [27]:

أفي نـــــــابٍ منحناهـــــــا فقـــــــيرًا

لـــــه بطنابنـــــا طَنَـــــبٌ مُصـــــيتُ

وفضـــــلَةِ سمنـــــةٍ ذهبـــــتْ إليـــــهِ

وأكثَـــــرُ حقِّـــــه مـــــا لا يفـــــوتُ

فهنا الشّاعر بسخائه وعطائه يدافع عن تصرفه وكرمه الزّائد الذي جلب له اللوم والعذل، فهو يرجو من عاذالته أن تتوقف، كما أنّه يعتبر أنّ هذا التفضل والتكرم على المحتاج بمنحه الإبل المسنة وقطعة السّمن لا يعد إطلاقا قياما بالواجب على أكمل وجه لأنّ الفقير يحتاج أكثر من ذلك من التضامن والسّند كما أنّ فلسفة 'عروة' في البذل والعطاء إنّما تغطّي جانبا واسعًا من جوانب مروءته وكمال فروسيته يقول [28]:

فـــلا أتـــركُ الإخـــوان مـــا عشـــتُ للـــرّدى

كمـــا أنّـــه لا يـــترُكُ المـــاء شـــاربه

فأيّ صورة بليغة تلك التي تصوّر عروة بأصحابه كالظّمآن ومائه، كما أن الشّاعر هنا أيضا يجعل الفقراء والمحرومين عائالته وإخوانه، وهذا لا شك أنّه نوع من أنواع التعويض النّفسي، لأنّه كما هو معروف عن عروة بن الورد بأنّه قد افتقد الحنان الأبوي في صغره ولم يجد عائلة توفر له ذلك الحنان الأسري.

ومع الشّاعر عروة دائما حيث نجده يرسم لنا اندفاعه نحو عالمه الجديد الذي يبحث عنه وغايته السّاميّة التي يسعى إليها، حيث يفضل الموت على تلك الحياة الجافة الغير هادفة بقوله [29]:

دعـــــيني أطـــــوِّفُ في الـــــبلاد لعلّـــــني
أفيـــدُ غنًـــى، فيـــه لـــذي الحـــقّ محمـــلُ
ألـــــيسَ عظيمًـــــا أن تلـــــمَّ ملمّـــــةٌ
ولـــــيس علينَـــــا في الحقـــــوقِ معـــــوِّلُ
فـــإن نحـــنُ لم نملـــك دفاعًـــا بحـــادثٍ
تلـــمُّ بـــه الأيـــامُ فـــالموتُ أجمـــلُ

فالشّاعر يخاطب زوجته بأن تتركه وغايته المتمثلة في الحصول على المال والطّعام لإعانة المحتاجين وقت الشّدّة، لأنه يري بأنه من العار أن تأتي نزلة من النّوازل ولا يجد المعوّل والمتكل على عروة ما يسدُّ به حاجته كما أنه يفضّل الموت على هاته الحالة، وهي من أحسن صور الجود والكرم، وفي هذه الحالة « يصبحُ الموتُ احتمالاً، واحتمالًا جميلا في حالة معينة هي حالة الإخفاق في إعطاء مصير الإنسان عن طريق جعل وجوده الفردي منفذا وملاذا ودرعا للآخرين، وما من قطة أخرى في الشّعر الجاهلي يبدو فيها الموت أجمل ممّا هو عليه هنا » [30].

وبهذا المبدأ القوي والطّموح يصنع لنا الشّاعر أكبر لوحة معبرة عن قيمة الجود والكرم والتضامن الاجتماعي، فنجد البعض يستغرب أن تكون مثل هذه الصّفات الحميدة من شيم بعض الصّعاليك لأنّ الشّائع عن هذه الطّائفة أنّها مجموعة من اللّصوص وقطاع الطّرق ممن يسلبون النّاس ويتلصصون عليهم في حين أنّ هذه هي الحقيقة أو جزء من الحقيقة الموجودة فعلا والتي تمثلها شخصيّة عروة بن الورد.

2.3. الشّجاعة والإقدام: لقد افتخر عروة بن الورد كباقي الشّعراء الصّعاليك بشجاعته وبسالته، وحتى قوة بطشه بالأعداء وسرعة إقدامه لمواجهة الصّعاب، ذلك أنّه صوّر بعضا من تلك المواقف الشّجاعة في شعره وتغنى ببعض البطولات الفرديّة وحتى الجماعيّة، كيف لا وهو صعلوك ليس له من ينصره سوى شجاعته وقوته، فكيف لا وهو يكون كذلك وهو لا يورث غير السّيف والدّرع والمغفر والتي ترمز للشجاعة والفروسيّة، يقول عروة بن الورد: [31] [الطّويل].

وذي أمـــلٍ يرجـــو تُراثـــي وإنّ مـــا
يصـــيرُ لـــه منـــه غـــدًا قليـــلُ
ومـــاليَ مـــالٌ غـــير درعٍ ومغفَـــرٍ
وأبـــيضُ مـــن مـــاءِ الحديـــدِ صـــقيلُ
وأسمـــرُ خطّـــيّ القنـــاةِ مثقّـــفٌ
وأجـــردُ عريـــانُ السّـــراةِ طويـــلُ

فأبو الصّعاليك هنا لا يملك ما سيتركه لوارثيه سوى السّيف والدّرع والمغفر والرّمح والحصان وكلها أدوات تستخدم في الحروب وحالات الدّفاع عن النّفس، فعروة يعتمد على شجاعته وقوة بأسه في مجابهة صعاب الحياة لهذا لا يورث مالا ولا ثروة، كما أنّ المبدأ القوي الذي آمن به الشّاعر في حياته هو مبدأ التسليم بحتميّة الموت وفق الأجل المحدد، يقول: [32] [الطّويل].

أرى أمّ حسّـــان الغـــداة تلـــومُني
تخـــوِّفني الأعـــداء والـــنّفس أخـــوفُ
لعـــلّ الـــذي خوّفتنـــا مـــن أمامنـــا
يُصـــادفُه في أهلـــه المتخلِّـــفُ

فالشّاعر هنا مع عاذالته يدافع عن موقفه بكلمات قليلة تحملُ في طياتها فلسفة عميقة تنمّ عن خبر ورؤيّة سديدة لمعنى الحياة، فالشّاعر قد سلّم بحتميّة الموت لأنّ الموت يلحقُ الصّعلوك الذي يخاطر بنفسه كما يلحق أيضا الجبان الذي يبقى بين أهله خوفا وجبنًا من الخروج لهذا اختار عروة الخروج والمخاطرة دون الاكتراث للعواقب أو الأخطار التي قد تواجهه في طريقه، يقول 'عروة': [33] [الطّويل].

أتجعلُ إقدامي إذا الخيلُ أحجَمَتْ
وكرّي إذا لم يمنَعِ الدّبرَ مانعُ
سواءً ومن لا يُقدمُ المهرَ في الوَغى
ومن دُبرُهُ عند الهزاهزِ ضائعُ
إذا قيلَ يابنَ الورد أقدم إلى الوغى
أجَبْتُ فلاقاني كميّ مصارعُ
بكفّي عن المأثور كالملحِ لونُهُ
حديثٌ كإخلاصِ الذّكورةِ قاطعُ
فأتركُه بالقاع رهنًا ببلدةٍ
تُعاوره فيها الضّباعُ الخوامعُ
فلا أنا ممّا جرّت الحربُ مشتكٍ
ولا أنا ممّا أحدثَ الدّهرُ جازعُ

ففي هذه المقطوعة يفتخرُ الشّاعر بشجاعته وإقدامه التلبيّة النّداء إلى ساحة الوغى حين يُطلب منه ذلك، كما نراه يرفض مقارنته بمن لا يهرع ولا يُقبل إلى القتال بسرعة، فالشّاعر كمي مقارعٌ ينتظر الإشارة على استعداد التلبيّة النّداء غير مشتكٍ أو خائف من النّتائج والعواقب الوخيمة، فكما جاء في العقد الفريد أنّه « قيل لعنترة الفوارس: صف لنا الحرب، فقال: أوّلها شكوى، وأوسطها نجوى

وآخرها بلوى » [34] فلهذا نرى الشّعراء يفتخرون بشجاعتهم المتمثلة في الحضور والإقبال على الحروب التي حمي وطيسها بكل رضا وافتخار دفاعا عن السّمعة والشّرف والعرض والمال.

وإن كانت الصّورة في الأبيات السّابقة واضحة جليّة توضح حالة افتخار الشّاعر واعتزازه بشجاعته وإقدامه فإنّها أوضح كذلك لصورة مناقضة تمثل حالة الذّل والخوف من الشّدائد والحروب وحتى في حالات القعود عن الغزو فالشّاعر كثيرا ما كان شعره يحمل ويسوق لنا صورة عكسيّة لصورة الصّعلوك البطل وهي حالة ذاك الصّعلوك الخامل الذي يبقى خلف أدبار البيوت متقاعسا يقول [35]: [الطّويل].

لحَا اللّه صعلوكًا إذا جنَّ ليلُه

مصافي المشاش آلفًا كلّ مجزرِ

فما أقبح هذه الصّورة التي يكون عليها ذاك الصّعلوك الذي يخاف المواجهة والمغامرة، حيث يكتفي بالعيش تحت رحمة الآخرين، وهذا المعني أو هذه الصّورة نجدها عند حاتم الطّائي في قوله [36]: [الطّويل].

ولن يكسِبَ الصّعلوكُ حمدًا ولا غنًى

إذا هو لم يركب من الأمرِ معظمًا

لحى اللّه صعلوكًا، مُنَاه وهمّه

من العيشِ، أن يلقى لبوسًا ومطعمًا

وللّه صعلوكٌ يُساور همه

ويمضي على الأحداث والدّهر مُقدِما

فالمعنى الذي ذهب إليه 'عروة' نجده نفسه تقريبا عند 'حاتم الطّائي' حيث تطرّق إليه هو الآخر بهذه الأبيات والتي ينبذ فيها الصّعلوك اللئيم الذي يعيش

خاملا خائفاً من ركب عظائِم الأمور وشدائدها فهو يكتفي بما يُجاد عليه به لهذا قال عنه "حاتم" أنّه لا يكسب حمدا ولا غنى ببقائه وخموله وكسله.

والنّموذج الذي يريد عروة أن يقدمه عن الصّعلوك الشّجاع هو ما يجب أن يكون فعلاً، وذلك بالنّظر إلى طبيعة الحياة في العصر الجاهلي وطبيعة النّظام الاجتماعي الطّبقي، حيث يتوجب على الفقراء كعروة أن يتمتعوا بالشّجاعة وقوة الإرادة وغيرها من الصّفات التي تمكنهم من الصّمود في وجه من يتمتعون بالسّيادةِ والغنى والجاه، ويؤكد عروة إقدامه للمعارك وكثرة خوضه للوقائع والأهوال بقوله [37]: [الطّويل].

فمـــا شـــابَ رأسِـــي مـــن ســـنين تتابعـــت

طـــــوالٍ ولكـــــن شـــــيّبته الوقـــــائعُ

فشيب رأس الشّاعر لم يكن من السّنين الطّوال التي عاشها كالآخرين، ولكن بفعل الوقائع الجسام التي خاضها الشّاعر وبكثرة إقدامه وإقباله عليها، فحياة الشّاعر لم تعرف السّكينة ولا الهدوء، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدل على شخصيته القويّة وشجاعته الكبيرة التي جعالت منه فارسا قويا وشجاعا.

3.3. العفة وعزة النّفس:

يقول عروة بن الورد: [38]

فســـــر في بـــــلادِ اللّـــــه والـــــتمسِ الغِنـــــى

تعـــــشْ ذا يســـــارٍ أو تمـــــوتَ فتعـــــذرَا

فسلاح الشّاعر إذا إنما حماسه وشجاعته وعزة نفسه وعزيمته الصّادقة التي لا تخور أما المصائب لهذا فهو دائما ما يدعو إلى الضّرب في الأرض والبحث عن الرّزق بدل البقاء في الدّيار دون سعي أو جهد وانتظار من يتصدق ويجود عليه لأنّ ذلك بالنّسبة له ذل وعار و لا يليق بكرامة الفارس وكبريائه فرغبة عروة في الخروج هنا هي أن يقي نفسه وأهله ذل الحاجة وذل المقام الذي قد يلحقه وأهله.

ونجد الكثير من المعاني التي تشير إلى عفة هؤلاء الصّعاليك وكبريائهم وعنفوانهم أيضا، وذلك من خلال دعواته المتواصلة نحو رفض الذّل والهوان والاعتماد على مساعدات النّاس ورحمتهم بالبقاء أمام فنائهم وأدبار بيوتهم فعروة نجده يدعو في كل مرة إلى العيش الكريم ورفض كل ما يذلّ ويهين صاحبه بقوله [39]:

إذا آذاك مالـــــــــــكُ فامتهنـــــــــــهُ

لجاديّـــــــة وإن قـــــــرعَ المـــــــراحُ

وإن أخنَـــــى عليـــــك، فلـــــم تجـــــده

فنبـــــتُ الأرضِ والمـــــاءُ القـــــراحُ

فـــــرغمُ العـــــيشِ إلـــــفُ فنـــــاء قـــــومٍ

وإن آســـــوك والمـــــوتُ الـــــرّواحُ

فالشّاعر عروة في كل مرة يدعو إلى فلسفته الواضحة بالاعتماد على النّفس ورفض الذّل وكل ما من شأنه أن يذلَّ وينقصَ من كرامة المرء مهما كان والإنسان الذي يعيشُ مرغما هو من يعتاد ويقصد فناء النّاس حتى وإن وجد عزاء وإعانة منهم، والإنسان العفيف الكريم الأنف يجد في الطّبيعة- ولاشك- الملاذ الحقيقي والملجأ الطّبيعي للنفس الأبيّة، لأنّه في الأخير تبقى هذه رؤيّة الشّاعر عروة وقناعته، فعزة النّفس ورفض الذّل كمبدأ وقيمة في الحياة يتجسّد فقط عند أصحاب النّفوس القويّة مثل ' عروة ' بالذّات فهو يعتبر مثالا حيًا للفارس البطل بسجاياه الرّفيعة وأخلاقه النّبيلة وشخصيته التواقة إلى الحريّة دائما « فمن دواعي السّرور أنّنا لا نحتاج إلى جدل كي نثبت بأنّ كرامة الإنسان إنّما تعود إلى امتلاكه للحريّة ... فما قدر يمتلكه إنّما يكمن في قدرة الفرد على أن يختار لنفسه » [40]، وهذا الشّاعر الذي نتحدث عنه هو دائم الدّعوة إلى الخروج والبحث عن الحريّة وعن الحياة الكريمة، مختارا لنفسه رؤيّة

منفتحة على العالم والوجود الخارجي أجمع، فقوله في كل مرة "ذريني ونفسي" "دعيني أسعى"، "أقلّي علي اللّوم" ...الخ كل هذه الصّيغ التي استخدمها الشّاعر تدلّ على قوة الشّخصيّة المحبة للحريّة والرّافضة للقيود الاجتماعيّة والمترفعة عن الذّل والهوان أيضا.

4.3.السّعي من اجل الرّزق:

وبحكمنا هذا (السّعي والدّعوة إلى الكسب والتموّل) لسنا نعمم الموضوع على جل الصّعاليك أو ننزلهم منزلة واحدة في سعيهم الدّؤوب لكسب الرّزق بل كان فيهم الشّاذ الذي يبقى خلف أدبار البيوت فيتكل على غيره في تحصيل رزقه كما أشار عروة بن الورد في قوله [41]:

لحـــى اللّـــهُ صـــعلوكًا إذا جـــنّ ليلُـــه
مصـــافِي المشـــاشِ آلفًـــا كـــلّ مجـــزرِ
يعُـــدُّ الغنَـــى مـــن دهـــرِهِ كـــلّ ليلـــةٍ
أصـــابَ قِراهـــا مـــن صـــديقٍ ميسَّـــرِ
ينـــامُ عِشـــاءً ثـــمّ يُصـــبحُ ناعسًـــا
يحـــثُّ الحصـــى عـــن جنبـــه المتعفِّـــرِ
قليـــلُ التمـــاسِ الـــزّادِ إلاّ لنفسِـــه
إذا هـــو أمســـى كـــالعريشِ المجـــوّرِ
يُعـــينُ نســـاءَ الحـــيِّ، مـــا يســـتعنَّهُ
ويمسِـــي طليحًـــا، كـــالبعيرِ المحسَّـــرِ

فالشّاعر هنا يذكر لنا حالة ذلك الصّعلوك الذي يقعد عن الكَسبِ والغاراتِ، بحيثُ يقنع بغنى بطنه فقط ولا يبالي بما حوله بعدها، فشبهه لنا بالبعير الضّعيف الذي يمسي طليحًا من شدة الإعياء وهذه الصّورة هي من أقبح

الصّور التي يكون عليها الصّعلوك، فحياته كلها خمول وكسل عن طلب العمل وطلب الرّزق وضعف كذلك في مواجهة الواقع ومجابهته

وها هو 'عروة بن الورد' يقدم لنا حاله وهو في صراعه مع زوجته التي تكثِرُ عليه من إلحاحها ومنعه من الغزو والخروج، لأنّ الشّاعر عروة بن الورد كان كثير الخروج والبحث عن الرّزق والمخاطرة يقول:42

ذريـــــني أطـــــوِّفُ في الـــــبلادؤ لعلّـــــني

أخليـــكِ أو أغنيـــكِ عـــن ســـوءِ محضَـــرِ

فمن خلال الفعل "ذريني" الذي استخدمه الشّاعر يتبين لنا أنّ الشّاعر يعاني ألما حقيقاً من طرف عاذالته التي تلح في منعه في كل مرة، كما نفهم أيضا بأنّ عروة كثير الخروج والسّعي في طلب الرّزق لأنّ شاعرنا يقوم بتقديم يد العون للضعفاء والفقراء دائما، ويمكنه أيضا حينها من تحقيق حاجته وحاجة عائالته بكفهم عن الجلوس خلف أدبار البيوت، فيقول [42]:

فـــــإن فـــــاز ســـــهمٌ للمنيّـــــة لم أكـــــن

جزوعًـــا، وهـــل عـــن ذاك متـــأخّرِ؟

وإن فـــاز ســـهمي كفّكُـــم عـــن مقاعـــد

لكـــم خلَـــف أدبـــار البيـــوتِ، ومنظـــرِ

فعروة نراه غير مبالٍ بما يصادفه عند خروجه، بحيث لا مانع يمنعه من تأخير خروجه وسعيه التحقيق آماله ومبادئه، فحتى قضيّة الموت بالنّسبة لعروة هي مسألة أجل محدد ومصير محتوم فلا شيء يجعله يجزع من خطر الأهوال التي قد تصادفه، كما أنّ هدف الشّاعر وغايته من السّعي أن يتمكن من تحقيق حاجته وحاجة عائالته التي هي مسؤوليّة بالنّسبة إليه تجعله بعيدًا من أن يعيش عالة على الآخرين أي خلف أدبار البيوت على حد تعبيره.

وينطلق الشّاعر من مبدأ قوي يجعله دائم الدّعوة إلى الكسب والتمول ألا وهو الإحساس بالفقر حيث نجد أنّ الشّعراء الصّعاليك يلازمهم شعور حاد بالفقر يختلف عن الفقر في حد ذاته، فالاختلاف الواضح بين الفقير والغني داخل تلك المجتمعات القبيلة هو من يصنع ذلك الفارق النّفسي لهذا « فالفرق كبير بين الفقر والإحساس به ممّا يترتب عليهما من آثارٍ في حياة صاحبيهما، وليس الفرقُ في الفقر وحده وإنّما في كل المعاني التي يمكنُ أن يترتب عليهما آثار اجتماعيّة فالثّورات على الظّلم مثلا ليس مصدرها الظّلم نفسه وإنّما مصدرها الإحساس بالظّلم » [43]، لهذا فعروة شديد الحرص على الدّعوة إلى التمول والكسب مادام شعار القبيلة هو "الغني يزداد غنى والفقير يزداد فقرا".

يقول عروة: [44]

إذا المـــــرء لم يطلـــــبْ معـــــاشً لنفسِـــــه
شـــكَا الفقـــرَ أو لامَ الصّـــديقَ فـــأكثرَا
وصـــــار علـــــى الأدنـــــينَ كـــــلاًّ وأوشـــــكتْ
صـــــلاةُ ذوي القربـــــى لـــــه أن تنكّـــــرَا
ومـــا طالـــبُ الحاجـــاتِ مـــن كـــلِّ وجهـــةٍ
مـــن النّـــاسِ إلاّ مـــن أجـــدّ وشمّـــرَا
فسِـــر في بـــلادِ اللّـــه والـــتمسِ الغنـــى
تعـــشْ ذا يســـارٍ أو تمـــوتَ فتعـــذرَا

فدعوة الشّاعر هنا هي الخروج والسّعي في طلب الرّزق بدل القعود والتقاعس عن الطّلب والمخاطرة والجد، لأنّ هذا يؤدي بالواحد إلى لوم الصّديق والإكثار من عتابه، فعروة هنا لديه الدّافع القوي للخروج والمخاطرة في سبيل الرّزق وأن يقي عائلته حاجة الفقر والجوع.

كما أنّه في هذه الأبيات بالذّات تجسد لنا فلسفة عروة في الحياة والتي تنصُّ على الضّرب في أرض الله وعدم المكوث دون سعي، فشكوى الفقر والاعتماد على الأقارب هي وجهة ستنقلب يوما على صاحبها وتفضحه وتتنكر له.

حيث نجد هذا المعنى يتكرر معنا في قول 'عروة بن الورد': [45]

أقيموا بني لبنى صدور ركَابكُم=فإنّ منايا النّفسِ خيرٌ من الهزلِ

فعروة بن الورد صاحب دعوة صريحة لقومه للاستعداد والخروج نحو الكسب والغزو وعدم البقاء دون سعي وكدّ، لأنّه حسب الشّاعر فإن طرق الموت وأنواعه التي قد تلحق الإنسان وتصادفه أفضل من فقر الرّجل وهزله.

وفي حياة عروة ودعوته الدّائمة إلى التطواف والسّعي نلمس بوضوح سعيه الدّائم وحرصه الشّديد على مواجهة عاذالته التي تلومه في كثرة خروجه المتكرر لغزواته وبحثه عن الرّزق، يقول عروة: [46]

دعـــــيني أطـــــوّف في الـــــبلاد لعلّـــــني

أقيـــدُ غنـــى، فيـــه لـــذا الحـــق محمـــل

فالهدف عند 'عروة' من كسب المال والزّاد هو أن يؤدي ما عليه من حقوق من إطعام الفقراء والمحتاجين الذين لا يملكون من يعيلهم أو يقوم بأمرهم، كما يجب عليه أن يؤدي حقوقا لا يستطيع تأديتها وهو في حالة الفقر، لأنّ الفقير شر النّاس وأهونهم كما يقول عروة:47

دعينِـــي للغنـــى أســـعى فـــإنّي

رأيـــتُ النّـــاس شـــرّهمُ الفقـــيرُ

وأبعـــدهم وأهـــونهم علـــيهم

وإن أمسَـــى لـــه حســـبٌ وخـــيرُ

ويقصـــيهِ النّـــدي وتزدريـــه

حليالتـــه وينهـــرُهُ الصّـــغيرُ

فهذه الأبيات تجسِّد لنا حقيقة مرارة الإحساس بالفقر الذي يحسّ به عروة جرّاء هذه الظّروف الاجتماعيّة القاهرة والتي تُنزِلُ الفقير أسفَل الدّرَكِ وتُعلي من قيمة الغني وتتجاوز عن أخطائه، وهذه الظّاهرة الاجتماعيّة وحدها كفيلة بدفع عروة دفعا نحو الكسب والتمول التجاوز هاته العقبة المنيعة التي فرضها المجتمع في وجه الفقراء الذين فضحهم فقرهم، كما يضيف الشّاعر: [47]

المـــــالُ فيـــــه مهابـــــةٌ وتجلّـــــةٌ
والفقـــــرُ فيـــــه مذلّـــــةٌ وفضـــــوحُ

فالاختلاف الموجود بين الغني والفقير نراه قد تجاوز الفروقات الماديّة إلى ما هو جوهري يتمثل في الحالة المعنويّة الشّعوريّة التي يحسها كل واحد منها.

أمّا في بعض الأحيان فإنّنا نجد الزّوجة هي الدّافع القوي بالنّسبة للصعلوك محفزة أياه بإلحاحها عليه بالخروج والمخاطرة بغيّة الكسب والتمول والوقوف في وجه ذلك المجتمع المرير الذي يزدري ويقلل من شأن الفقير وقيمته كقول عروة: [48]

قالـــــت تُماضِـــــرُ إذ رأت مـــــالي خـــــوَى
وجفَـــــا الأقـــــاربَ فـــــالفؤادُ قـــــريحُ
مـــــالي رأيتُـــــكَ في النّـــــدي منكّسًـــــا
وصـــبًا، كأنّـــك في النّـــديّ نطـــيحُ
خـــاطر بنفســـكَ كـــي تصـــيبَ غنيمـــةً
إنّ القعـــودَ مـــع العيـــالِ قبـــيحُ

فالمخاطرة في هذه الحالة هي حتميّة وواجبة نظرًا إلى قانون المجتمع المسلّط فالسّعي وراء الرّزق والكسب من ضروريات الحياة التي لا غنى عنها في قاموس هؤلاء الصّعاليك، لهذا فزوجة الشّاعر تلح عليه للخروج بدل القعود مع العيال

والذي يزيد من حالهم حينها فما دام الأقارب قد ابتعدوا وتركوا البر والمساعدة فإنّ النّاس الأباعد حينها سيكونون أقرب للقطيعة من الوصل مادام الفقير فيهم ليس له سلطان ينصره.

4. خاتمة: لقد درس هذا البحث شعر "عروة بن الورد" من منظور إنساني أخلاقي يتناسب مع هذه الشّخصيّة الجاهليّة التي شكالت ومازالت تشكل ركنًا مهمًا في تاريخ الشّعر العربي القديم، لهذا كانت وقفتنا مع قطوف من شعره محاولين كشف أبعادها الأخلاقيّة والإنسانيّة، فهذا الشّاعر الذي يمثل زعيم طائفة الصّعاليك قد مثّل جديدا في زمانه وقد انعكس هذا على جمالته الشّعريّة حيث نلحظ بصورة جليّة تلك الصّور والنّماذج الأخلاقيّة التي زينت شعره وجعلته رمزا للإنسانيّة والأخلاقيّة بأتم معنى الكلمة.

كما أنّه بمجرّد الرّجوع إلى شعر عروة والمواضيع التي جاءت فيها مجموعته الشّعريّة فإننا نجدها كلها تحمل بعدا راقيا في محاولة تحقيق العدالة الاجتماعيّة والإسهام في تجسيد معنى الإنسانيّة والقيم الخلقيّة التي يجب أن يتحلى بها الفارس العربي في العصر الجاهلي في مواجهة تلك الضّغوطات النّفسيّة والاجتماعيّة التي أفرزها المجتمع القبلي في العصر الجاهلي خاصّة في وجه تلك الطّبقة المحرومة التي ينتمي إليها الشّاعر ممّا زاد من حجم الهوة والفراغ بين المجتمع (القبيلة) والشّاعر(طبقة الصّعاليك).

ويبقى في الأخير شعر "عروة بن الورد" إحدى اللوحات الفنيّة الرّاقيّة التي تصور ذلك الجانب الإيجابي من حياة العربي في ذلك العصر من سماحة وبذل وكرم وجود وشجاعة وعفة وغيرها من الصّفات التي تدل على أصالة العربي وطينته التي تعتبر إلى وقتنا الحاضر مرجعا مهمّا في رسم معالم القيم الخلقيّة والإنسانيّة الرّفيعة.

المصادر والمراجع: القرآن الكريم

1) ابن السّكيت: شرح ديوان عروة بن الورد العبسي، خزانة الكتب العربيّة، الجزائر، ط01 (د/ت).

2) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج03، مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلميّة، بيروت ط01 1983م.

3) ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تح: حسين تميم، دار مكتبة الحياة لبنان ط02، 1989م.

4) ابن منظور: لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة، ط01، (د/ت).

5) الأصفهاني: الأغاني، ج02، تح: أحمد الشّنقيطي، مطبعة التقدم، مصر، ط01 (د/ت).

6) التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، تح: رفيق العجم وعلي دحرج، مكتبة لبنان لبنان ط01 1996م.

7) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج01، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د/ط)، 1982م.

8) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج01، جامعة بغداد، ط02، 1996م.

9) الجوهري: الصّحاح، ج05، دار العلم للملايين، القاهرة، ط04، 1990م.

10) حسني عبد الجليل يوسف: الأدب الجاهلي. قضايا وفنون ونصوص، مؤسسة المختار القاهرة ط01، 2001م.

11) ديوانا عروة والسّموأل: تح: كرم البستاني، دار بيروت، بيروت، (د/ط)، (د/ت).

12) الرّاغب الأصفهاني:مفردات ألفاظ القرآن واشتقاقها، تح: صفوان عدنان الدّاودي، دار العلم بيروت،ط01، 1922م.

13) رالف بارتون بري: إنسانيّة الإنسان، تر: سلمى الخضراء الجيوسي، مكتبة المعاف بيروت (د/ط)، (د/ت).

14) زهير بن أبي سلمى: الدّيوان، تح: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، ط02، 2005م.

15) الطّاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج19، الدّار التونسيّة النّشر، تونس (د/ط) 1984م.

16) عبد الحليم حفني: شعر الصّعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة ط01، (د/ت).

17) عروة بن الورد: الدّيوان، تح: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط01 (د/ت).

18) الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ج04، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة ط03 1979م.

19) كمال أبو ذيب: الرّؤى المقنعة نحو منهج بنوي في دراسة الشّعر الجاهلي، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، ط01، (د/ت.

المقالات:

1) صالح مفقودة: القيم الأخلاقيّة من خلال الشّعر الجاهلي، مجلة العلوم الإنسانيّة ع01، كليّة الآداب واللغات والعلوم الاجتماعيّة والعلوم الإنسانيّة، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2001.

2) محمد عابد الجابر: العقل الأخلاقي العربي (دراسة تحليليّة نقديّة لنظم القيم في الثّقافة العربيّة) مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، ط01، 2001م.

الهوامش:

1- حسني عبد الجليل يوسف: الأدب الجاهلي. قضايا وفنون ونصوص، مؤسسة المختار القاهرة ط01، 2001م، ص:37.

2- ابن السّكيت: شرح ديوان عروة بن الورد العبسي، خزانة الكتب العربيّة، الجزائر ط01، (د/ت) ص:13.

3- جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج01، جامعة بغداد، ط02، 1996م ص: 165.

4- ابن منظور: لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة، ط01، (د/ت) ص: 1245.

5- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ج04، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة ط03 1979م ص: 221.

6- الرّاغب الأصفهاني:مفردات ألفاظ القرآن واشتقاقها، تح: صفوان عدنان الدّاودي، دار العلم بيروت،ط01، 1922م، ص: 296.

7- القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآيّة01.

8- القرآن الكريم، سورة الزّمر، الآيّة: 06.

9- الجوهري: الصّحاح، ج05، دار العلم للملايين، القاهرة، ط04، 1990م، ص: 1471.

10- الرّاغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن واشتقاقها، ص: 297.

11- ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تح: حسين تميم، دار مكتبة الحياة لبنان ط02 1989م، ص: 13.

12- التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، تح: رفيق العجم وعلي دحرج، مكتبة لبنان لبنان ط01 1996م، ص: 762.

13- الطّاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج19، الدّار التونسيّة النّشر، تونس (د/ط) 1984م، ص: 172.

14- جميل صليبا : المعجم الفلسفي، ج01، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د/ط) 1982م، ص: 49.

15 - القرآن الكريم، سورة القلم، الآيّة: 04.

16- زهير بن أبي سلمى : الدّيوان، تح: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، ط02 2005م، ص: 70.

17- محمد عابد الجابر: العقل الأخلاقي العربي (دراسة تحليليّة نقديّة لنظم القيم في الثّقافة العربيّة) مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، ط01، 2001م، ص:33.

18- صالح مفقودة: القيم الأخلاقيّة من خلال الشّعر الجاهلي، مجلة العلوم الإنسانيّة ع01، كليّة الآداب واللغات والعلوم الاجتماعيّة والعلوم الإنسانيّة، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2001م، ص: 184.

19- عروة بن الورد: الدّيوان، تح: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلميّة، بيروت ط01، (د/ت) ص: 61.

20- الأصفهاني: الأغاني، ج02، تح: أحمد الشّنقيطي، مطبعة التقدم، مصر، ط01 (د/ت)، 184.

21- عروة بن الورد: تح: أسماء أبو بكر محمد، الدّيوان، ص: 29.

22- ابن السّكيت: شرج ديوان عروة بن الورد، ص: 155.

23- عروة بن الورد: تح: أسماء أبو بكر محمد، الدّيوان، ص: 78.

24- المصدر نفسه، ص: 66.

25- ديوانا عروة والسّموأل: تح: كرم البستاني، دار بيروت، بيروت، (د/ط)، (د/ت)، ص: 52.

26- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني،ج02، ص: 187.

27- ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج03، مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلميّة، بيروت ط01 1983م ص: 45.

28- ابن السّكيت: شرح ديوان عروة بن الورد العبسي، ص: 164.

29- عروة بن الورد: تح: أسماء أبو بكر محمد، الدّيوان، ص: 48.

30- ابن السّكيت: شرح ديوان، عروة بن الورد، ص: 206.

31- كمال أبو ذيب: الرّؤى المقنعة نحو منهج بنوي في دراسة الشّعر الجاهلي، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، ط01، (د/ت، ص: 589.

32- ابن السّكيت: شرح ديوان، عروة بن الورد، ص: 207.

33- عروة بن الورد: تح: أسماء أبو بكر محمد، الدّيوان، ص: 87.

34- ابن السّكيت، شرح ديوان عروة بن الورد، ص: 177، 178.

35- ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج01، ص: 86.

36- عروة بن الورد: تح: أسماء أبو بكر محمد، الدّيوان، ص: 68.

37- المصدر نفسه، ص:82.

38- المصدر نفسه، ص: 77.

39- المصدر نفسه، ص: 53.

40- رالف بارتون بري: إنسانيّة الإنسان، تر: سلمى الخضراء الجيوسي، مكتبة المعاف بيروت (د/ط) (د/ت)، ص: 49.

مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 22 العدد: 50 السّنة: الثّلاثيّ الثّاني 2020 ص: 155 - 170

البلاغة العربيّة في التعليم بين الفنيّة والعلميّة

Arabic rhetoric in education between technical and scientific

أ. يمينة سويقات[1]
د/ مباركة خمقاني[2]

تاريخ الإرسال: 04 11 2019 تاريخ القبول: 17 01 2020

ملخّص: تحظى البلاغة بمكانة مهمّة ضمن تعليم فروع اللغة العربيّة وخاصّة في المرحلة الثّانويّة، إذ تمثّل رافدا من روافد النّص الأدبي أو التّواصلي؛ لما لها من إسهام في توازن شخصيّة المتعلّم، وهدفنا عبر هذه الدّراسة البحث في طبيعة البلاغة في التّعليم من الزّاويتين العلميّة والفنيّة.

وقد توصلنا إلى حتميّة المزج بين الطّابعين في تعليميّة البلاغة، إذ من الضّروري للمتعلّم ــ خاصّة في بدايات تعلّم البلاغة ــ من معرفة الضّوابط والمعايير والمصطلحات، كما لا بد له من التّدرب على الشّرح، والتّذوق من أجل أن يتربى لديه الحس البلاغي.

كلمات مفتاحيّة: البلاغة ؛ التّعليم؛ الفنيّة؛ العلميّة.

Abstract: Rhetoric has an important place in the teaching of branches of the Arabic language, especially at the secondary level, as it represents a tributary of the literary or communicative text, because of its contribution to the balance of the personality of the learner, and

[1] جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، البريد الإلكتروني:yamina.souigat1@gmail.com
[2] جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر ،البريد الإلكتروني: mkhamgani@gmail.com

our goal through this study is to research the nature of rhetoric in education from the scientific and technical angles.

We have come to the point of combining the two characters in the teaching of rhetoric, since it is necessary for the learner — especially at the beginning of the learning of rhetoric — to know the disciplines, standards and terminology, as well as to practice the commentary, and to taste in order to develop a rhetorical sense.

Keywords: Rhetoric; education; technical; scientific

1. **مقدّمة:** تعدّ البلاغة من أنجع سبل التّواصل في مختلف المجالات الحياتيّة الثّقافيّة والاجتماعيّة والسّياسيّة، لما لها من تأثير ضمن الخطاب اللساني بمستوياته المختلفة، الفصيح والعامي، فتعدّد الوظائف اللغويّة للبلاغة جعل النّاس يوظّفون ظواهرها المختلفة، في أثناء التّواصل فيما بينهم، سواء في المؤسّسات التّعليميّة والثّقافيّة أم في مختلف التّعاملات اليوميّة، من حيث معرفة الكلام الصّحيح وتوظيف الأسلوب المناسب وفهم الغرض المصاحب للمقا فالبلاغة لا شك أنّها لا تقتصر على الخاصّة من الأدباء ولا على فئة المتعلّمين إذ يمارسها مختلف أطياف المجتمع، فنجدهم يوظفون في كلامهم الأساليب البلاغيّة والصّور البيانيّة والمحسّنات البديعيّة، فعلى سبيل المثال: ترى المتكلّم تارة يقدّم أو يؤخّر، وتارة يحذف أو يذكر وتارة أخرى يؤكّد أمرا ما أو ينفيه، كما يلجأ في بعض الأحاديث إلى استخدام المعاني الحقيقيّة للألفاظ، وحينا آخر يلجأ إلى التّعبير بالمعاني المجازيّة، وهو عبر توظيفه الظّواهر البلاغيّة إنّما يسعى إلى التّأثير في المتلقي أو إقناعه، لتحقيق الغرض الذي ينوي الوصول إليه.

وتهدف المنظومة التّربويّة إلى تحقيق جملة من الأهداف التّربويّة والتّعليميّة عبر تعليم البلاغة، التي تمثّل رافدا من روافد النّص الأدبي أو التّواصلي في المرحلة الثّانويّة وتحقيق الأهداف المسطرة كما هو معروف يلزم توافر مجموعة

من الخبرات والمهارات التّعليميّة التي تتمشى وطبيعة المادّة المراد تعليمها للمتعلّمين، فقبل اختيار الخبرات والمهارات التّعليميّة لا بد إذن من تحديد طابع هذه المادّة الدّراسيّة والإشكاليّة في هذه الدّراسة طرحت بخصوص البلاغة العربيّة؛ وتمثّلت في: ما محل طبيعة تعليميّة البلاغة بين الفنيّة والعلميّة؟

وللإجابة على الإشكاليّة سنتتبع أولا ميزات البلاغة الفنيّة وميزاتها العلميّة ثم الفصل في محل تعليميّة البلاغة بين الطّابعين الفنّي والعلمي.

2. ميزات تعليميّة البلاغة الفنيّة والعلميّة: لاقت تعليميّة البلاغة العربيّة اهتمام العديد من الباحثين في مجال التّربيّة والتّعليم منذ أن صار التّعليم عمليّة منظمة مقصودة؛ فراحوا يبحثون في طبيعتها، من حيث ماهيتها الفنيّة أو العلميّة، فانقسموا بين مؤيّد للطّابع الفني ومؤيّد للطّابع العلمي وهناك من سلك التّوسّط بين الرّأيين، وفي ما يلي نوضح خصائص كلّ من الطّابعين ثمّ ننظر في طابع تعليميّة البلاغة بين الفنيّة والعلميّة.

1.2 **الطّابع الفني:** غالبيّة الباحثين في مجال التّربيّة والتّعليم ينظرون إلى البلاغة من حيث إنّها ذات طابع فنّي، ويشددون على مراعاة الجانب الفنّي في إثناء تعليمها، بصفتها مادّة دراسيّة تختلف عن المواد العلميّة الأخرى، إذ هي "ليست من العلوم التي تشحذ الفكر، أو تصقل العقل، بإضافة جديد من المعلومات والحقائق، وليست ـ كذلك ـ من المواد التي تتناول مسائلها بالتّصوّر العقلي، أو القياس المنطقي، فالطّابع الغالب عليها هو الطّابع الفنّي الوجداني" [1] (عبد العليم إبراهيم، دس).

فالمقصود من وراء تعليم البلاغة ليس شحذ ذهن المتعلّم بالمعلومات عن الجمل الخبريّة وأضربها والإنشائيّة وأنواعها والصّور البيانيّة وأحكامها أو المحسّنات البديعيّة وأنواعها، وإنّما الغرض من تعليم البلاغة هو الأثر النّفسي الذي تحدثه هذه الظّواهر البلاغيّة في المتعلّم حينما تصادفه في النّصوص

الأدبيّة؛ فالأثر النّفسي سيحدّد استجابة المتعلّم في تذوق الأنماط البلاغيّة وإبداء رأيه فيها ومن ثمّ الحكم عليها.

فالبلاغة ليست علما من العلوم الآليّة كقواعد النّحو والصّرف يقصد بها توسيع المعلومات بزيادة مسائل جديدة ذات حدود وتقاسيم، كما أنّها ليست قضايا وأحكاما وتعريفات وقواعد، وإنّما هي إدراك فنّي لما في النّصوص الأدبيّة من جمال الفكرة وجمال الأسلوب إدراكا يقوم على فهمها وتحليلها، وتفصيل عناصرها، ومعرفة بواعثها، واستشعار تأثيرها، وتذوّق جمالها.(ينظر طه علي حسين الدّليمي: وسعاد عبد الكريم الوائلي 2009) [2] بمعنى أنّه لا فائدة للمتعلّم حينما يحفظ المصطلحات البلاغيّة وأحكامها وهو لا يمتلك المهارات الفنيّة التي تمكنه من إدراك الأثر البلاغي والجمالي الذي أضافته هذه الظّاهرة في التّعبير ولا يمكنه حتى تمييز التّعابير الجيدة من الرّديئة.

كما أنّ الجهود المبذولة في دروسها يغلب عليها طابع التّذوق والموازنة والمفاضلة والنّقد، وهذا يعني أنّ السّمة المميّزة لدراسة البلاغة هي السّمة الفنيّة وبالتّالي فإنّ ثمرة هذا تتمثّل في إصدار الأحكام الأدبيّة على النّصوص ولأنّ الأحكام الفنيّة لا تعتمد على حقائق ثابتة ولا يتّفق حولها النّاس فإنّ الوسيلة التي يمكن بها تذليل الصّعاب في التّذوق الفنّي وتسيير إصدار الأحكام هي إجراء مقاربات وموازنات بين النّصوص المدروسة ونصوص أخرى من جنسها ثمّ توضيح وجوه الاتفاق والاختلاف بين المجموعتين. " (ينظر عبد الرّحمن عبد علي الهاشمي وفائزة محمد فخري العزاوي 2005) [3]

ومفاد ذلك إنّ الحكم على الظّواهر البلاغيّة لا يكون بالصّيغة العلميّة المتمثّلة في الصّح أو الخطأ وإنّما يكون بالصّيغة الفنيّة المتمثّلة في الحسن أو القبح؛ وهذا راجع إلى ما يرضاه الوجدان من نظم الكلام أو ينفر منه، فما يقدّم للمتعلّم ليس معلومات جاهزة أو حقائق ثابتة، ولذلك "إنّ البلاغة ليست قواعد

بعيدة عن الفن، ولكنّها ضوابط وثيقة الصّلة بالأدب، ولذلك لا يجدي جعل البلاغة محصورة في دائرة المنهج العلمي الفلسفي الذي تأباه طبيعتها الفنيّة." (حسن شحاتة ومروان السّمان، 2013) [4]

كما يرى أنصار الاتجاه الفنّي أنّ تحقيق وظيفة البلاغة وغايتها مرهون بصلتها بالأدب "ولا يمكن للبلاغة أن تؤدّي وظيفتها وتحقّق غايتها المثلى... إلا إذا كاملنا بينها وبين الأدب، فيكون الأساس الذي يقوم عليه تدريسها هو عرض النّصوص الأدبيّة البليغة، واستنباط ما فيها من جمال، وجعلها وسيلة تعمل على تكوين الذّوق الأدبي، وإدراك مظاهر الجمال في النّصوص الأدبيّة، بتبصير الطّلبة بما فيها من نواحي القوة والإبداع وإشراكهم في تحليلها ونقدها وموازنتها بغيرها" (طه علي حسين الدّليمي: وسعاد عبد الكريم الوائلي 2009) [5].

فتعليم البلاغة وسيلة لإدراك بلاغة القول وليس غايّة في ذاتها، "لأنّ القصد من دراستها هو إدراك ما في الأدب من معان وأفكار ساميّة، وتذوق ما فيه من جمال وطرافة"(طه علي حسين الدّليمي: وسعاد عبد الكريم الوائلي، 2009) [6] وكلّ ذلك يستلزم حضور بعض المهارات الفنيّة لدى طرفي العمليّة التّعليميّة كالنّقد والموازنة وإصدار الأحكام الفنيّة، وبالتّالي "فالرّابطة بين الأدب والبلاغة .. رابطة وثيقة لاشتراكهما في الغايّة الأولى وهي تكوين الذّوق الأدبي" (عبد العليم إبراهيم، دس) [7] وهو الهدف الأسمى من تعليميّة البلاغة، إذ "إنّها ترمي إلى إقدار المتعلّم على التّفريق بين أديب وأديب وتعبير وتعبير، وهذا أمر يعتمد على الفنيّة أكثر ممّا يعتمد على القاعدة العلميّة."(حسن شحاتة ومروان السّمان، 2013) [8] وتبقى الموازنة بين التّعابير والمفاضلة بين الأدباء مهارة فنيّة يكتسبها المتعلّم بالتّمرس على شرح الظّواهر البلاغيّة وموازنتها بغيرها ثمّ إبداء رأيه في الميزات الجماليّة في النّص البليغ.

ومضمون ذلك أنّ "البلاغة فن أدبي ينضج الذّوق ويذكي الحس"(عبد العليم إبراهيم دس) [9] وفي هذا يقول عبد العليم إبراهيم: "وكان من واجب المدرسين حين يعرضون للنّص الأدبي، لمناقشة ما فيه من ألوان بلاغيّة، أن يتجهوا اتجاها أدبيا خالصًا، لا تشوبه البحوث العقليّة، فيقوّموا النّص من حيث الفكرة والعبارة، ويقدّروا حظ الأديب من المهارة الفنيّة ولا يستهلكوا الوقت والجهد في استنباط التّعاريف وتحديد اللون البلاغي وتسميته بالاسم الاصطلاحي دون تعرض لكشف أسرار الجمال فهذا المسلك لا يجدي في تكوين الذّوق الأدبي ويحبس البلاغة في دائرة المنهج العلمي الفلسفي الذي تأباه طبيعتها الفنيّة"(عبد العليم إبراهيم، دس) [10]

فالغرض من درس البلاغة هو تذوق الأدب وفهمه فهما دقيقا، لا يقف عند تصوّر المعنى العام للنّص الأدبي، بل يتجاوزه إلى معرفة الخصائص والمزايا الفنيّة للنّص وتبين نواحي الجمال الفنّي في الأدب، وكشف أسرار هذا الجمال، ومصدر تأثيره في النّفس، وفهم ما يدلّ عليه النّص من ضروب المهارة الفنيّة للأديب وما يصوّره من نفسيته ولون عاطفته، فالبلاغة تسمح بالبحث في ما للتّركيب من قوّة بيان واستشعار جماليته، ولبلوغ ذلك يعمل المعلّم في أثناء سير حصص البلاغة على انضاج الذّوق الأدبي في الطّلاب، وتمكينهم من تحصيل المتعة والإعجاب والسّرور بما يقرءون من الآثار الرّائعة، وتمكينهم ـ كذلك ـ من إنشاء الكلام الجيد، محاكاة لهذه الأنماط البلاغيّة التي يستجيدونها وإقدارهم على إجادة المفاضلة بين الأدباء وعلى تقويم انتاجهم الأدبي تقويما فنيا سديدا(عبد العليم إبراهيم، دس) [11]

وتلزم البلاغة بصفتها الفنيّة، المعلّم على أنّ السّبيل بالمتعلّمين إلى الأحكام والمصطلحات والقواعد في أثناء تعليم البلاغة يكون عرضيا؛ يفرضه السّياق التّعليمي، "مع مراعاة أن يكون الاتجاه في هذا كلّه اتجاها أدبيا يستطيعون من خلاله الإلمام بالمصطلحات البلاغيّة من غير إسراف في تفصيلها وتعريفاتها، إلاّ

إذا دعت الضّرورة الأدبيّة إلى ذلك" (طه علي حسين الدّليمي: وسعاد عبد الكريم الوائلي2009) [12] فحين تعرض على المتعلّمين ألوان من صور التّعبير يجب أن تعرض من حيث إنّها وسائل تعمل على تكوين الذّوق الأدبي لا قواعد أو مباحث يختبر فيها العقل بالتّعليلات الفلسفيّة لنواحي الجمال في القول البليغ (ينظر حسن شحاتة، 2004) [13]

ولذلك فإنّ البلاغة يتوسّلها المتعلّمون على تحقيق الغايّة من درس الأدب وهي تكوين الذّوق الأدبي وصقله وتنميته، وهذا الطّابع الفنّي يأبى أن تمسخ البلاغة إلى قواعد فلسفيّة ومباحث نظريّة وتعريفات منطقيّة أقرب إلى النّحو والصّرف منه إلى الذّوق الأدبي (ينظر طه علي حسين الدّليمي: وسعاد عبد الكريم الوائلي2009) [14]

وما عضد به أصحاب الاتجاه الفنّي الميزة الفنيّة من النّاحيّة العمليّة أمثال "عبد العليم إبراهيم" هو عدم نجاعة طرائق تعليم البلاغة بعيدا عن الأدب؛ إذ "أخفقت دروس البلاغة في تحقيق غايتها حين كانت تدرَس منعزلة عن الأدب وحين كان الاهتمام مقصورا عن الالمام بالقواعد وحفظ التّعاريف، ومعرفة التّقاسيم والأنواع، التي تفهم من جمل مبتورة وأمثلة مصنوعة متكلّفة."(عبد العليم إبراهيم، دس) [15] إذ كان "الإسراف في الوقوف عند القواعد النّظريّة وحفظ المصطلحات البلاغيّة هو المنهج العلمي الفلسفي الذي بليت به البلاغة في بعض العصور وهو لا يمس الذّوق الأدبي ولا يفيد في تربيته وإنضاجه." (ينظر راتب قاسم عاشور ومحمد فؤاد الحوامدة 2014) [16].

فما يميّز البلاغة من النّاحيّة الفنيّة أن الهدف المرجو من تعليمها هو تنميّة الذّوق الأدبي وبهذا فهي ذات صلة بالأدب من حيث الغايّة المتمثلة في تكوين الذّوق الأدبي ولا يتأتى هذا المسعى إلاّ عبر اعتماد النّصوص البليغة وإقامة الموازنات بين النّصوص الأدبيّة ليتسنى للمتعلّم معرفة الفوارق الدّقيقة التي

جعلت الخطاب بليغا ولتمييز جيدها من رديئها، وبالمران والممارسة تسهم البلاغة في تنميّة التّذوق الأدبي عند المتعلّم، وتقويم تعبيره الشّفوي والكتابي بما يحاكيه من التّعابير الأدبيّة البلاغيّة.

2.2 الطّابع العلمي: في إطار علميّة البلاغة في مجال التّعليميّة هناك العديد من الباحثين ينطلقون في تعريف البلاغة من صفتها العلميّة؛ فحسب تصورهم هي: "عبارة عن علم يحدد القوانين التي تحكم الأدب والتي ينبغي أن يتبعها الأديب في تنظيم أفكاره وترتيبها في اختيار كلماته والتّأليف بينها في نسق صوتي معين."(راتب قاسم عاشور ومحمد فؤاد الحوامدة، 2014) [17].

كما تتّصف البلاغة "بأنّها العلم الذي يحاول الكشف عن القوانين العامة التي تتحكّم في الاتصال اللغوي، فيأتي على نمط خاص، وبعبارة أخرى هي التي تعمل على توضيح الطّرق التي يمكن بها تنظيم الكلام، بحيث يتيح لأفكار الأديب أن تنتقل إلى القارئ أو السّامع على أكمل وجه ممكن. وهي بهذا تقدّم مجموعة القواعد التي يجب أن تراعى في النّتاج الأدبي"(حسن شحاتة 2004) [18]. بمعنى أنّه إذا كانت البلاغة ذات ارتباط وثيق بالأدب الذي يؤيّد فنيتها فإنّ طابعها العلمي هو الذي يحدّد المعايير التي بوساطتها تقاس فنيّة القول بشكل عام والأدب بشكل خاص.

فالبلاغة توضّح الضّوابط التي يقوم عليها الأدب لكي يكون في المستوى الفنّي فالأديب وغيره حين يستخدم اللغة ويجعلها قادرة على التّأثير والإقناع لا يحيد عن ضوابط البلاغة ومعاييرها التي تراعي مقتضى الحال، والمتلقي أيا كان، متعلّما أو غير ذلك حين يريد فهم النّتاج الأدبي يحاول فهم المكنونات البلاغيّة وتذوقها انطلاقا من الأحكام والضّوابط البلاغيّة التي في هذا النّتاج الأدبي ليتمكّن من تذوق جماليته.

وإذا ما نظرنا إلى الأدب بعده رد فعل لمثيرات تنفعل بها عواطف الأديب ومشاعره فيجب الأخذ في الحسبان أنّه إذا جاء إنتاج الأدب بعيدا عن المعايير البلاغيّة فإنّه لا يأخذ شكل الأدب، أو بالأحرى لا يتميّز بالصّبغة الفنيّة لأنّه ليس فيه من أسس البلاغة ما يعطيه الجمال المنشود. (ينظر طه علي حسين الدّليمي: وسعاد عبد الكريم الوائلي2009) [19].

"لذلك لا يسمّى الأدب أدبا إلاّ إذا كان قائما على أساس علم البلاغة، ومن هنا فإنّ علم البلاغة لم ينشأ إلاّ بالوقوف على ما في الأدب من جمال. وممّا لا شكّ فيه أنّ الأدب حين يستخدم اللغة استخداما خاصّا ويجعلها قادرة على التّأثير والإقناع يلجأ بلا شكّ إلى البلاغة فتراه تارة يقدّم أو يؤخّر، ويحذف أو يضيف، ويؤكّد أمرا ما كذلك يلجأ في بعض الأحاديث إلى استخدام معاني الألفاظ التي وضعت لها، وحينا آخر يلجأ إلى التّعبير الخيالي الذي لا يتقيد بالمعاني الحقيقيّة للألفاظ، بل يتجاوزها إلى دلالات جديدة "(راتب قاسم عاشور ومحمد فؤاد الحوامدة، 2014) [20] فهذه الظّواهر وغيرها من الظّواهر البلاغيّة هي في حقيقتها ضوابط للإبداع الأدبي تضفي معنى مخصوصا سيزول بزوالها، فكلما فهم المتعلم الضّوابط التي تحكم الكلام البليغ زادت مهارات التّذوق البلاغي والجمالي لديه.

وأمّا من حيث الغرض من تعليم البلاغة والمتمثّل في تنميّة الذّوق الأدبي فإنّ المتعلّم وخاصّة في أوّل مراحل تعلّم البلاغة عليه أن يستند إلى الأسس والمعايير البلاغيّة التي تتوفّر في القول لتكسبه الصّفة الأدبيّة أو الفنيّة، "وحتى يتذوّق القارئ الجمال في العمل الأدبي تذوّقا كاملا ويحس كلّ ما أراد الأديب أن ينقله إليه من عواطف وأفكار ودلالات لابد أن يعرف الوسائل التي هيأت للأديب ذلك فالبلاغة لا شكّ أنّها العلم الذي يزود القارئ بمعرفة الوسائل التي يستعين بها

الأديب في تعبيره عن أفكاره وتساعده على أن يتذوّق العمل الأدبي."(راتب قاسم عاشور ومحمد فؤاد الحوامدة 2014) [21].

وإذن تكمن علميّة البلاغة في تزويد المتعلّمين وخاصّة في بدايات تعلّم البلاغة بالمصطلحات والمعايير والضّوابط التي تتحكّم في الخطاب اللساني ليأتي على نمط بليغ، وباتباع هذه الأسس يستطيع المتعلّمون محاكاة النّماذج البلاغيّة.

3. تعليميّة البلاغة العربيّة بين الفنيّة والعلميّة: رأينا فيما سبق بأنّ للبلاغة العربيّة سمات فنيّة وأخرى علميّة، فالغرض الأوّل لمتعلّم البلاغة هو التّذوق البلاغي والجمالي في النّصوص الأدبيّة ومن ثم إصدار الأحكام الفنيّة لتمييز جيدها من رديئها، بينما هناك سمات علميّة تتمثّل في معرفة الضّوابط والمعايير التي تقوم الانتاج الأدبي ليأتي على نمط بليغ.

ومن هذا المنطلق هناك من الباحثين في مجال التّربيّة والتّعليم من يؤكّد تكامل الطّابعين العلمي والفنّي بصفتهما متلازمان للبلاغة، "ويرى أنصار الاتجاه الفلسفي للبلاغة العربيّة أنّ هناك فائدة في التّقسيم والتّبويب وحفظ الجزئيات، كما أنّ في التّيار الأدبي لونا من الشّرح والتّفسير، فلا غنى لدارس البلاغة عن معرفة أصولها وجزئياتها وأقسامها، ولا غنى له عن معرفة القواعد البلاغيّة التي تتحدّث عن تعيين الشّاهد البلاغي، وتخصيص الموطن البلاغي داخل الشّاهد وخطوات الإجراء، وتعيين نوع المصطلح، كما لا مناص له من التّدرب على الشّرح، والتّذوق من أجل أن يعرف العلم الذي يدرسه ويتربى لديه الحس البلاغي. وبهذا تتبدى وظيفتان للبلاغة العربيّة الأولى جماليّة، والثّانيّة وظيفيّة." (عبد الرّحمن عبد علي الهاشمي وفائزة محمّد فخري العزاوي 2005) [22].

وإضافة إلى كل ذلك فإنّه "يتحقق الجانب العلمي في معرفة المدرس الكاملة بالألوان البلاغيّة وتمكنه منها، وذلك بتطبيقها على النّصوص الأدبيّة المختلفة

التي يتعرّض لها وزيادة فرص الاطلاع على تلك الكنوز الأدبيّة لتنميّة التّذوق الجمالي. أمّا الجانب الفنّي فيتحقّق في زيادة تدريب الطّالب على مهارات تحديد جوانب التّذوّق في هذه النّصوص من خلال الأسئلة التي توجه إليه وتقوده إلى التّفكير ومن ثم إلى الإجابة الصّحيحة عنها."(عبد الرّحمن عبد علي الهاشمي وفائزة محمّد فخري العزاوي 2005) [23].

وبذلك فإنّ تعليميّة البلاغة تقتضي مراعاة الطّابعين: الفنّي والعلمي فعلميتها تسمح للمتعلّم بمعرفة المصطلحات البلاغيّة وإدراك الضّوابط والمعايير التي تتحكّم في الخطاب اللغوي ليأتي على نمط بليغ، والطّرق التي تتيح تنظيم الكلام البليغ بينما فنيتها تجعل المتعلّم قادرا على انضاج التّذوق الأدبي الذي يسمح له بتمييز الخطاب الجيد من الرّديء.

وجدير بالذّكر إضافة إلى ذلك إنّ البلاغة قبل أن تكون فنيّة أو علميّة هي "فطريّة في الكلام، تلمح صورها وألوانها في الأحاديث العاديّة، بل في لغة الأطفال فيستعملها المتعلّمون وغير المتعلّمين، فنجد في أحاديثهم مختلف ألوان الأساليب البلاغيّة وصورها البيانيّة كالتّشبيه والاستعارة والمجاز والأمر والنّهي والاستفهام، وبها تتحقّق كثير من الغايات في المعاملات، وعليه فليست الاستعمالات البلاغيّة مقصورة على لغة الأدب، وليست ـ كذلك ـ نوعا من المعلومات التي تكتسب بالتّوجيه أو التّلقين أو الاستنباط، ولكنّها فنون من الأداء وضروب من التّعبير، يكسّبها كلّ إنسان من مواد النّمو اللغوي عن طريق السّماع والمحاكاة، والاختلاط بالمجتمع والارتباط به والتّفاهم معه. (ينظرعبد العليم إبراهيم، دس) [24].

ولذلك فإنّ للبيئة اللغويّة التي ينتمي لها المتعلّم دورا فعالا في تنميّة الحس البلاغي فليست البلاغة حكرا على الخاصّة من الأدباء في امتلاكها، ولا على المدرسة في تعليمها للمتعلّمين.

ومضمون ذلك: "إنّ البلاغة فن ضروري للنّاشئة في مراحلهم المختلفة لأنّها تجمع في طبيعتها بين جانبين لا غنى لأحدهما عن الآخر وهما جانبا: العلم والفن وهما مهمّان لتنميّة شخصيّة المتعلّم عن طريق تضمين البلاغة الجوانب التّربويّة: المعرفيّة، والوجدانيّة، والمهاريّة فهي تحقّق بعضا من وظائف اللغة العربيّة، وتكشف لمتعلّميها عن دقائق اللغة، وأسرارها وتنمي لديهم مهارات التّذوق والنّقد، والقدرة على المفاضلة ممّا يجعلها قادرة على الإقناع والتّأثير" (عبد الرّحمن عبد علي الهاشمي وفائزة محمّد فخري العزاوي 2005) [25].

4. خاتمة: ضع في خاتمة البحث تلخيصا لما ورد في مضمون البحث، مع الإشارة إلى أبرز النّتائج المتوصّل اليها، وتقديم اقتراحات ذات الصّلّة بموضوع البحث.

وفي ختام هذه الدّراسة يمكن القول إنّ تعليميّة البلاغة ذات طابعين متكاملين؛ علمي وفنّي، فعلميتها تسمح للمتعلم بمعرفة المصطلحات البلاغيّة وإدراك الضّوابط والمعايير ومعرفة أصولها، وأحكامها التي تتحكّم في الخطاب اللغوي ليأتي على نمط بليغ، بينما فنيتها تجعل المتعلّم قادرا على انضاج التّذوّق الأدبي الذي يسمح له بتمييز الخطاب الجيد من الرّديء فلا غنى له عن معرفة الضّوابط والمعايير والمصطلحات، كما لا مناص له من التّدرب على الشّرح، والتّذوق من أجل أن يتربى لديه الحس البلاغي.

فتعليميّة البلاغة إذن تقتضي مراعاة الطّابعين في المراحل التّعليميّة المختلفة لأنّها تجمع في طبيعتها بين جانبين لا غنى لأحدهما عن الآخر، وتكمن أهمّيتها من حيث تنميّة شخصيّة المتعلّم عن طريق تضمين البلاغة الجوانب التّربويّة: المعرفيّة، والوجدانيّة، والمهاريّة فهي تكشف لمتعلّميها عن دقائق اللغة، وأسرارها وتنمّي لديهم مهارات التّذوق والنّقد، والقدرة على المفاضلة ممّا يجعلها تسهم في توازن شخصيّة المتعلّم.

5. قائمة المراجع: [3]

1. عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني لمدرسي اللغة العربيّة، دار المعارف القاهرة مصر ط14، (د س)

2. طه علي حسين الدّليمي: وسعاد عبد الكريم الوائلي: اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربيّة، عالم الكتاب الحديث، إربد الأردن، وجدارا للكتاب العالمي، عمان الأردن، ط1 1429هـ. 2009م

3. حسن شحاتة ومروان السّمان: المرجع في تعليم اللغة العربيّة وتعلمها، مكتبة الدّار العربيّة للكتاب، القاهرة مصر، ط1، 2013م

4. حسن شحاتة: تعليم اللغة العربيّة بين النّظريّة والتّطبيق، الدّار المصريّة اللبنانيّة القاهرة مصر، ط6، 1425ه. 2004م

5. راتب قاسم عاشور ومحمد فؤاد الحوامدة: أساليب تدريس اللغة العربيّة بين النّظريّة والتّطبيق، دار المسيرة، عمان الأردن، ط4، 1435هـ. 2014م

6. عبد الرّحمن عبد علي الهاشمي وفائزة محمد فخري العزاوي: تدريس البلاغة العربيّة رؤيّة نظريّة تطبيقيّة محوسبة، دار المسيرة، عمان الأردن، ط1 1426ه. 2005م.

6. هوامش:

[1] عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني لمدرسي اللغة العربيّة، دار المعارف، القاهرة مصر ط14، (د س) ص311.

[2] ينظر طه علي حسين الدّليمي: وسعاد عبد الكريم الوائلي: اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربيّة، عالم الكتاب الحديث، إربد الأردن، وجدارا للكتاب العالمي، عمان الأردن ط1 1429هـ. 2009م ص107.

[3] ينظر عبد الرّحمن عبد علي الهاشمي وفائزة محمد فخري العزاوي: تدريس البلاغة العربيّة رؤيّة نظريّة تطبيقيّة محوسبة، دار المسيرة، عمان الأردن، ط1، 1426ه. 2005م ص 184.

[4] حسن شحاتة ومروان السّمان: المرجع في تعليم اللغة العربيّة وتعلمها، مكتبة الدّار العربيّة للكتاب القاهرة مصر، ط1، 2013م، ص19.

[5] طه علي حسين الدّليمي، وسعاد محسن الوائلي: اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربيّة، ص107

[6] المرجع نفسه، ص108.

[7] عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني لمدرسي اللغة العربيّة، ص305.

[8] حسن شحاتة ومروان السّمان: المرجع في تعليم اللغة العربيّة وتعلمها، ص196.

[9] عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني لمدرسي اللغة العربيّة، ص311.

[10] المرجع نفسه، ص 312.

[11] ينظر المرجع نفسه، ص304.

[12] طه علي حسين الدّليمي وسعاد عبد الكريم الوائلي، اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربيّة ص107 و108.

[13] ينظر حسن شحاتة: تعليم اللغة العربيّة بين النّظريّة والتّطبيق، الدّار المصريّة اللبنانيّة القاهرة مصر، ط6، 1425ه. 2004م، ص191.

[14] ينظر طه علي حسين الدّليمي: وسعاد عبد الكريم الوائلي: اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربيّة، ص108.

[15] عبد العليم إبراهيم، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربيّة، ص305.

[16] ينظر راتب قاسم عاشور ومحمد فؤاد الحوامدة: أساليب تدريس اللغة العربيّة بين النّظريّة والتّطبيق، دار المسيرة، عمان الأردن، ط4، 1435هـ. 2014م، ص155.

[17] المرجع نفسه، ص154 و155.

[18] حسن شحاتة: تعليم اللغة العربيّة بين النّظريّة والتّطبيق، ص179.

[19] ينظر طه علي حسين الدّليمي وسعاد عبد الكريم الوائلي، اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربيّة ص106 و107.

[20] راتب قاسم عاشور ومحمد فؤاد الحوامدة: أساليب تدريس اللغة العربيّة بين النّظريّة والتّطبيق ص156.

[21] المرجع نفسه، ص156.

[22] عبد الرّحمن عبد علي الهاشمي وفائزة محمد فخري العزاوي: تدريس البلاغة العربيّة رؤيّة نظريّة تطبيقيّة محوسبة، ص177.

[23] المرجع نفسه، ص178.

[24] ينظر عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني لمدرسي اللغة العربيّة، ص 309.

[25] عبد الرّحمن عبد علي الهاشمي وفائزة محمد فخري العزاوي: تدريس البلاغة العربيّة رؤيّة نظريّة تطبيقيّة محوسبة، ص14.

مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 22 العدد: 50 السّنة: الثّلاثيّ الثّاني 2020 ص: 171 - 190

الخطاب التراثي عند عبد الرّحمن الحاج صالح

Heritage discourse at Abdul Rahman Al – Hajj Saleh

د. عبد الرّحمن بشلاغم[1]

تاريخ الإرسال: 28 01 2019 تاريخ القبول: 29 09 2019

ملخّص: لقيّ التّراث اللّغوي العربي اهتماماً كبيراً من قِبل اللّسانيين العرب، وحينما نقول تراثا فنحن نقصد الأعمال اللّغويّة التي خلّفها القدماء ويحاول عبد الرّحمن الحاج صالح دراسة هذا التّراث، فينتقي من بين جواهره الموضوعات الهامّة التي يمكن التّوفيق بينها وبين اللّسانيات المعاصرة.

الكلمات المفتاحيّة: منهج، خطاب، تراث، قراءة.

Abstract: The Arabic Linguistic heritage has received a big attention from the Arab Linguists. The term heritage denotes all the Linguistic works produced throughout history. In this respect, “Abdetrrahmane El Hadj Salah” tries to study that heritage by choosing the core topics and the most important issues, which has a direct link with modern Linguistics.

Key words: Methodology, Speech, Heritage, Reading.

1. **مقدمة:** تُعدُّ النّظرية الخليليّة الحديثة أول عمل تراثي يُقدِّمه المؤلّف معالجًا من خلاله أهمّ الأفكار المرتبطة بالنّحو العربي عند نحاتنا العرب القدماء، محاولاً إبراز مواطن الاتفاق بينها وبين الفكر اللّساني الحديث، فضلاً عما تفرّد به علماؤنا القدماء.

[1] جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، البريد الإلكتروني chakirlilniaam@gmail.com

لقد تمخضت عن النّظريّة الخليليّة مجموعة من البحوث والمقالات، عالج عن طريقها جوانب عديدة من التّراث اللغوي العربي، إذ شمل كتابه (بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة – بجزأين-) موضوعات عدّة تخص النّظريّة الخليليّة الحديثة، منها: (تكنولوجيا اللغة والتّراث اللغوي العربي الأصيل) و(الجملة في كتاب سيبويه)، و(أول صياغة للتراكيب العربيّة: نظريّة العمل العربيّة)، و(التّحليل العلمي للنصوص) و(مستقبل البحوث العلميّة في اللغة العربيّة وضرورة استثمار التّراث الخليلي)، و("تعال نحيي علم الخليل". أو الجوانب العلميّة المعاصرة لتراث الخليل وسيبويه)، و(دور النّظريّة الخليليّة الحديثة في النّهوض بالبحوث الحاسوبيّة الخاصة باللغة العربيّة). فضلا عن بحوث أخرى تخص النّهوض بمستوى مدرسيّ اللغة العربيّة من خلال النّظريّة الخليليّة الحديثة.

تُشكّل هذه الأعمال الخطاب التّراثي عند الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح وقد حاول المؤلّف جعلها فضاءً برهن عن طريقه على تميّز الفكر اللغوي العربي باختلاف توجّهاته.

وقبل الوقوف على أهم خصائص الخطاب التّراثي عند الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح في تجربته (النّظريّة الخليليّة الحديثة) أود أن أشير بعُجالة إلى (مفهومي المنهج والخطاب)، وأنواع الخطاب وأهم آلياته في التّحليل اللساني العلمي.

2. **الخطاب التّربوي:** الخطاب التّربوي أو التّعليمي هو الخطاب الذي يُعنى بنقل المعارف والمعلومات بشكلٍ بسيط يضمن سهولة اكتسابها من قبل القارئ أو المتعلّم، ويتم ذلك باعتماد منهجٍ واضح يقوم على مجموعة من الوسائل التّبسيطيّة مثل: التّلخيص، التّكرار، المخططات والرّسوم البيانيّة وغيرها.

والهدف الأساسي من الخطاب التّربوي أو التّعليمي هو تيسير بناء الرّصيد المعرفي للقارئ لتأهيله لسبر أغوار تلك المعرفة، والانتقال به من مرحلة

التّخزين إلى مرحلة الإخراج، أي من مرحلة تقبّل المعلومة إلى مناقشتها ونقدها ودحضها أيضاً وعليه يمكننا القول: إنّ للخطاب التّربوي هدفين: قريبٌ وهو التّسهيل، وبعيدٌ وهو التّأهيل فهو يُسهّل المعلومة حتى يؤهل القارئ لإعادة قراءتها في سياق علمي أكثر تعقيداً.

3. **الخطاب التّراثي:** يُعرّف الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح التّراث اللغوي العلمي أنّه "ما تركه لنا العلماء العرب القدامى من أعمالٍ جليلة انطلقت كما هو معروف من دراسة القرآن للحفاظ على لغته وذلك بطريقة علميّة وهو الاستقراء للنص القرآني واختراع نظام من الاعجام والنّقط لتصحيح القراءة" [1].

إذ يُشير لفظ (تراث) في الخطاب العربي الحديث والمعاصر إلى ما هو مشترك بين العرب، أي إلى التّركة الفكريّة والرّوحيّة التي تجمع بينهم لتجعل منهم جميعاً خَلَفاً لسلف [2].

وجديرٌ بالذّكر أنّ الجانب الأهم من التّراث هو الأصول العلميّة التي امتازت بها علوم اللسان عند العرب عنِ غيرها [3]. والرّصيد اللغوي القديم الذي خلّفه أسلافنا مادّةً وبحثاً، جزءاً لا يتجزأ من هذا التّراث، وعليه، يُمثّل (التّراث اللغوي) مجموع المنتجات الفكريّة القديمة المتعلّقة بتحليل الظّواهر اللغويّة بشكلٍ عام وظواهر اللغة العربيّة بشكلٍ خاص [4].

نخلص من هذه التّقسيمات إلى أنّ الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح قد وقف عند هذه الأنواع من الخطاب، إذ كان خطابه تراثياً فضلاً عن جمعه بين الخطاب العلمي والتّربوي فضلاً عن اللساني، إذ نلحظه - في المباحث السّابقة- يقيم موازنة بين ما قاله العرب القدماء وما قاموا به من بحوث فضلاً عن أنّ الخطاب العلمي يفترض اعتماد معجم خاصٍّ ينبع من صميم التّخصص كما تتميز الصّيغ والتّراكيب بوضوحها وقيامها على دقة القصد والإشارة المباشرة للمعنى.

هذه هي لمحة عن الخطاب اللساني المعاصر، فضلاً عن أهم تقنيات التّحليل التي يُمكن اعتمادها في دراسة الخطاب اللساني، والتي يمكن تلّمسها عند الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح من صلب المادة المطروحة - النّظريّة الخليليّة الحديثة- من قبلِ المؤلّف والتي تدور حول تحليل الخطاب التّراثي عنده، وبنيّة الخطاب فضلاً عن لغة الخطاب التّراثي التي اعتمدها الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح.

4. تحليل الخطاب التّراثي عند الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح:

1.4. **من حيث الموضوع:** يجمع الخطاب التّراثي عند الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح بين شكلين من التّفكير اللغوي: التّفكير اللغوي العربي القديم والتّفكير اللساني الحديث. وسعيّاً منه إلى التّوفيق بين التّفكيرين، يُقدم المؤلف بعض القراءات المتنوّعة بتنوّع مجالات البحث اللغوي.

يُقسّم الدّكتور مصطفى غلفان القراءات التّراثيّة على ثلاثة أصنافٍ أساسيّة [5]:

1) قراءة شموليّة؛
2) قراءة قطاعيّة؛
3) قراءة النّموذج الواحد.

فيما يخص القراءة الأولى، تُقدّم تجربته (النّظريّة الخليليّة الحديثة)، قراءة شموليّة لجميع مستويات اللغة (الصّوت، الصّرف، النّحو، الدّلالة)، إذ يعرض أفكار وآراء علمائنا القدماء ثم يوازنها مع ما يماثلها في التّفكير اللساني الحديث. فقد أسس النّظريّة الخليليّة مستنداً إلى تحليلات اللغة، طبقاً للمستويات أو المراتب الآتيّة [6]:

المستوى (6)	↑	الحديث أو الخطاب
المستوى (5)	↑	أبنيّة الكلام أو البنى التّركيبيّة
المستوى (4)	↑	اللفُظات (جمع لفظة)
المستوى (3)	↑	الكَلِم أو الكلمات
المستوى (2)	↑	الدّوال
المستوى (1)	↑	الحروف
المستوى (0)	↑	الصّفات المميزة

وانطلق العلماء في تحليل اللغة من مستوى اللفظة Lalexie وهو "المستوى الذي تتحدد فيه الوحدة اللفظيّة والواحدة الإعلاميّة أو الإفاديّة". ثم يبدأ المستوى (0) الذي يخص الصّفات المميزة المتمثلة في المخارج من الحلق إلى الشّفتين، والصّفات مثل الجهر والهمس والغنة وغيرها [7].

ثم يتدرج إلى المستوى الأول كما تدل العلامة ↑ المتمثل في الحروف، فقد اقتصرت العربيّة على ثمانيّة وعشرين حرفاً وستة أصوات (حركات وحروف مد). وتتركب الحروف في وحدات أخرى حسب مقاييس وقوانين مضبوطة لتكوّن المستوى الثّاني المتمثل في (الدّوال) أو العناصر الدّالة وهي أربعة:

أولا: المادة الأصليّة المكوّنة من حروف المعجم مثل: (ض.ر.ب)؛

ثانيا: الوزن أو الصّيغة المتمثلة في القوالب التي تفرغ فيها المواد الأصليّة؛

ثالثاً: حروف المعاني وهي جملة الأدوات التي تدخل على الاسم والفعل فتعطيها معنى إضافياً غير المعنى الأصلي لهما، ويُعرّفها الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح بأنها: "كلمة محسوسة بنيت بناءً لازماً وظيفتها تخصيص دلالة الأسماء والأفعال وقد يقوم بعضها مقام الأسماء والأفعال من حيث المعنى

والإفادة، فتُعدّ في أحد هذين القبيلين إلا أنّها تبنى بناءً لازماً كالأدوات الأخرى وذلك مثل الضّمير واسم الإشارة والاسم الموصول" [8]؛

رابعاً: العلامة العدميّة أو ترك العلامة كما سماه العرب القدماء، ويتمثل في غياب اللفظ الدّال فيما يحقق من الكلام وتتجلى عند مقابلة القطع اللغويّة بعضها ببعض، وذلك مثل: طويل (للمذكر)، وكتبت (للمتكلم) وطويلة (ـة التّأنيث) وكتب (Ø للغائب) [9].

وأما المستوى الثّالثّ من التّحليل فيبنى على المستويين السّابقين ويتمثل في (الكَلِمْ) وتندرج فيه الأسماء والأفعال، وقد عرّف سيبويه الوحدات في هذا المستوى بقوله: "فالكَلِم اسم وفعلٌ وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل" [10].

إنّ الكَلِم نوعان: متمكن يتمثل في الأسماء والأفعال المتصرفة التي لا تحتاج إلى غيرها في الدّلالة على معناها، وغير متمكن ويتمثل في حروف المعاني والأفعال النّاقصة وغير المتصرفة والأسماء المبنيّة؛ فالكَلِم المتمكنة يبتدئ بها ويوقف عليها؛ لأنّها تنفرد بنفسها في مدرج الكلام وتتركب من أصل وصيغة وأما غير المتمكنة فتحتاج إلى غيرها من الكلم وينعدم فيها الأصل والصّيغة" [11].

أما مستوى التّحليل الخاص باللفظة فينتظم انتظاماً معقداً، يقول عنه الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح:" إنّ الكلم... لا تنتظم في الكلام على مثل الانتظام البسيط الذي يتصوره بعض اللسانيين الغربيين وأكثر النّحاة المتأخرين، فإن الوحدات في هذا المستوى ليست هي الكَلِم مجردة من لوازمها بل هي وحدات يندمج فيها الاسم والفعل مع ما يقترن به لزوماً من أدوات مخصصة به ثابتة وغير ثابتة (على صورة دخول وخروج) يسمى عند نحاتنا القدامى بالتّعاقب، بل ومن وحدات مماثلة (أي من جنسها ومستواها) تخصصها على مثل ما تفعله الأدوات إذ تقوم مقامها وتؤدي ما تؤديه، وذلك مثل المضاف إليه والتّركيب المسمى بالصّلة والموصول والصّفات وحتى الأبنيّة المسماة - من حيث الإفادة فقط- جُمَلاً [12].

وعلى هذا الأساس فإن عبارات: الكتاب، كتابُ التّلميذ، بالكتاب، الكتاب المفيد الذي اشتراه التّلميذ أمس... الخ، تُعدُّ بمنزلة الكلمة الواحدة وهي التي سماها الرّضي الاسترباي "لفظة" [13] لا كلمة. ومن هذا المفهوم عندهم [14]. تكون اللفظة بهذا عبارة عن مجموعة من الكلمات "كالاسم الواحد أو بمنزلة الاسم الواحد" [15]، كما قال سيبويه: "فأما النّعت الذي جرى على النّعوت فقولك: مررتُ برجلٍ ظريف، فصار النّعت مجروراً مثل المجرور لأنّه كالاسم الواحد... أما لا النّافيّة للجنس واسمها فجُعلت وما عملت فيه بمنزلة اسم واحد" [16].

أما المستوى المتعلق بأبنيّة الكلام فيعني التّراكيب والجمل وهو أعلى من اللفظة ويبحث عن المثال المجرد الذي يبنى عليه أقل الكلام المركب وذلك بحمل كلام على آخر من جنسه [17].

بمعنى أنّ الانطلاق في التّحليل اللغوي يتم من أقل ما يمكن أن يتكلم به لكن فيما فوق اللفظة لاكتشاف البناء أو الأصل، "بل يتجاوز ذلك إلى مستوى أكثر تجريداً وهو مستوى العامل وهو العنصر اللغوي الذي يتحكم في التّركيب فيعمل فيه الرّفع والنّصب، وهو الذي يحدد العلامات الإعرابيّة في التّركيب" [18].

وقد أوجز الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح أبنيّة الكلام في العربيّة بقوله: "إنّ أصغر ما يُبنى عليه الكلام يتكون دائماً من عامل (ع) ومعمول أول (م1) ثم معمول ثانٍ (م2) [19]. وهكذا يُعدُّ العامل أو العمل النّحوي الفكرة الجوهريّة التي تأسست عليها نظريّة النّحاة العرب... فكل تغيير يحدث في المبنى والمعنى إنّما يجئ تبعاً لعامل في التّركيب، فلا تجد معمولاً إلا وتصور له العلماء العرب الأوائل عنصراً لفظياً أو معنوياً هاماً هو العامل الذي يكوّن مع معموله زوجاً مرتباً Coupleodonne.[20]

وأما المستوى الأخير من التّحليل فيتعلق بالحديث أو الخطاب وهو أعلى ما يمكن أن يصل إليه التّحليل، فقد كان للخليل وسيبويه والعلماء العرب الذين جاءوا بعدهما نظريّة لغويّة متميزة فرقوا فيها بين النّظرة إلى الكلام بعده خطاباً والنّظرة إليه بعده بنيّة ومن أهم المبادئ التي بُنيت عليها هذه النّظريّة التّمييز الصّارم في تحليلهم للغة بين جانبها الوظيفي وهو الإعلام والمخاطبة، أي تبليغ الأغراض المتبادلة بين متكلم ومُخاطب، وبين جانبها اللفظي الصّوري، أي ما يخص اللفظ في ذاته وهيكله وصيغته بغض النّظر عما يؤديه من وظيفة في الخطاب غير الدّلالة اللفظيّة [21]. فضلاً عن أنّ اللغة وضع واستعمال أي نظام من الأدلة المتواضع عليها واستخدام لهذا النّظام وليست نظاماً فقط ينظر فيه الباحث دون أن يُفكر في كيفيّة استخدام المتكلّم له كوسيلة تبليغ أولاً وكوسيلة اندماج في واقع الحياة ثانياً [22]. فاللغة عبارة عن مجموعة منسجمة من الدّوال والمدلولات ذات بنيّة عامة ثم بُنى جزئيّة وهذا يسمى الوضع، أي ما يثبته العقل من انسجام وتناسب بين العناصر اللغويّة وعلاقاتها الرّابطة وبين العمليات المُحدثة لتلك العناصر على شكل تفريعي أو توليدي، أما الاستعمال فهو كيفيّة إجراء النّاطقين لهذا الوضع في واقع الخطاب، فيختار المتكلم ما يحتاج من الدّوال للتعبير عن أغراضه فيُميّز بين ما هو راجع إلى القياس وبين ما هو راجع إلى الاستعمال؛ بمعنى أنّه يستعمل اللغة بحسب ما تقتضيه أحوال الخطاب؛ لأن قوانين الاستعمال هي قوانين الوضع أو القياس ولذلك فإن اللفظ والمعنى في الوضع يختلفان عنه في الاستعمال [23].

وبخصوص القراءة الثّانيّة التي تُركّز على (القطاعيّة)، فأعتقد أنّ بحثه الموسوم بـ (الجملة في كتاب سيبويه) [24] يُمكن تصنيفه ضمن هكذا نوع من القراءة؛ وذلك لأنه لا يعالج قطّاعاً بأكمله - وهو المستوى النّحوي – بل يعالج أفكاراً جزئيّة فيه: هي الجملة عند سيبويه، والتّمييز بين الكلام كخطاب وكبنيّة [25].

ومن أجل ذلك أقترح تسميتها بالقراءة الجزئيّة أو التّفصيليّة، التي تتمحور حول نقطة جزئيّة في قطاع عام أو نظريّة خاصة وهي: النّظريّة الخليليّة الحديثة.

أما ما يخُص القراءة التي تركّز على النّموذج الواحد، فيُقدِّم الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح بحثاً - ضمن بحوث النّظريّة الخليليّة الحديثة- بعنوان: (أقائم أخواك وطريقة تفسيره عند سيبويه والرّضي بالاعتماد على مفهوم الموضع والمثال) [26]، يعرض من خلاله أهم الأفكار التي يطرحها العالمان الجليلان - سيبويه والرّضي- بالتّفصيل ومشيراً إلى ما اتّفق منها مع التّفكير اللساني الحديث، وما يفترق عنها، إذ إنّ (مفهوم الموضع) لا يوجد مثلها في اللسانيات الغربيّة إطلاقاً [27]؛ والسّبب في ذلك أنّ التّحليل عندهم يقتصر فقط على ظاهر الكلام أي على اللّفظ المسموع وحده كما هو الشّأن عند البنيويين، والنّحاة العرب ينطلقون - أيضاً- من اللفظ في ظاهره، ولكن لا يتناولون الكلام جملة والقطعة بعد القطعة، فيقابلوا بينها لإظهار الفوارق بينهما من حيث صفاتها الذّاتيّة بل يحملون هذا النّحو على ذلك... والمثال النّاتج عن هذا الحمل هو الصّورة الجامعة [28].

ويُورِد الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح بحثاً آخر - ضمن بحوث النّظريّة الخليليّة الحديثة- بعنوان: (تعال نحيي علم الخليل أو الجوانب العلميّة المعاصرة لتراث الخليل وسيبويه) [29]، إذ تعرض المؤلّف فيه إلى عرض موضوعات ذكرها في موضوعات ذكرها في مواضع سابقة [30]، فضلاً عن إنّه بيّن ما للخليل من "تصور علمي وأدوات تحليليّة لا يضاهيها في القيمة العلميّة إلا ما ابتكره العلماء في عصرنا هذا، وذلك لا من النّاحيّة المنهجيّة فقط، بل أيضاً من النّاحيّة المنهجيّة التّجريبيّة منها والنّظريّة" [31].

وقد ذكر أنّ النّحو العربي الأصيل في جوهره إجرائي وقصد بذلك: "أنّه يُحدّد ويولّد في الوقت نفسه الكيانات النّحويّة بتحديد كيفيّة حصولها

وتحقيقها، ويتم ذلك بحصر الأصول أولاً ثم بتفريع الفروع على الأصول مع إمكانيّة ردّ الفروع إلى أصولها" [32]. فالاسم - مثلاً- يبحث فيه النّحوي أولاً عن أقل ما يمكن أن ينطق به من اللفظ ويكون في الوقت نفسه كلاماً مفيداً مثل (كتاب)، فهذا أصل يمكن أن تفرع عليه فروع بعمليّة تسمي الزّيادة، وهو تحويل في اللسانيات التّحويليّة التّوليديّة [33]، وهكذا يتمحور العمل التّراثي عند الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح حول ثلاثة موضوعات قرائيّة، نلّخصها في الجدول الآتي [34]:

نوع القراءة	العمل التّراثي
قراءة شموليّة	- المدرسة الخليليّة الحديثة والدّراسات اللسانيّة الحاليّة في الوطن العربي. - المدرسة الخليليّة الحديثة ومشاكل علاج العربيّة بالحاسوب.
القراءة القطاعيّة	- الجملة في كتاب سيبويه.
قراءة الانموذج الواحد	- "أقائم أخواك" وطريقة تفسيره عند سيبويه والرّضي بالاعتماد على مفهومي الموضع والمثال. - "تعال نحي علم الخليل" أو الجوانب العلميّة. - المعاصرة لتراث الخليل وسيبويه.

مما تقدّم يتضح لنا أن الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح لا يكتفي في أعماله التّراثيّة بالمعالجة العامة، بل يعمد إلى المسائل الدّقيقة فيحلّلها ويستخلص أهم ما تقوم عليه من مبادئ بما اتّفق معها في النّظريات اللسانيّة الحديثة.

إنّ هذا المنطلق يدل على أنّ المؤلّف لا يستند في أعماله على إخضاع التّراث اللغوي لتيار لساني محدّد، فلم يَقُلْ إنّ التّراث اللغوي العربي بنوي أو توليدي بل يحاول طرح المفاهيم ومقابلتها بما شابهها سواء أكان بنوياً أم توليدياً أم غير

ذلك. وبذلك تُصبح الموازنة لديه موازنة مفهوميّة جزئيّة، لا موازنة نظريّة عامة. وهذا يعني أنّه يتجنب إصدار الأحكام العامة التي تُخضع التّراث اللغوي العربي لتيار لساني محدد بل يحاول تناول الموضوعات بدقة موضوعيّة وعلى وفق منهجيّة علميّة يزواج بين القدماء العرب واللسانيات الحديثة.

2.4. **من حيث المنهج:** تُعدُّ دراسة التّراث وربطه بالفكر اللساني الحديث عمليّة دقيقةً وصعبة التّحقيق خاصةً وأنّ تراثنا اللغوي العربي يتميّز بضخامة حجمه المبعثر في بطون الكتب العلميّة المتعدّدة الاتجاهات، لذا تأخذ عمليّة دراسته بعدين:

البُعد الأول: جمع نتاجه وحصر مادّته لتفسيرها وفهم أبعادها.

البُعد الثّاني: وضعه الصّحيح من الدّراسات اللسانيّة الحديثة.

إنّ عملاً ضخماً كهذا، يستدعي جُهداً لا يمكن أن تغطيه تلك الجهود الفرديّة المبذولة من قبلِ بعض اللسانيين، ولبلوغ ذلك يُشير الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح إلى ضرورة تضافر مجهودات اللسانيين العرب لتغطيه أكبر عددٍ ممكنٍ من اللغويين العرب، ودراسة أهم القضايا المتطوّرة التي احتوتها أعمالهم، ومن ثَمَّ ربطها بالتّراث اللغوي العالمي [35].

وكغيره من اللسانيين المعاصرين، اهتم الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح بدراسة التّراث اللغوي العربي، مُقدّماً عدداً من المحاولات لكشف ذلك التّقارب القائم بين التّفكيرين، وللردّ على التّهميش الذي شهده التّراث اللغوي العربي في مسيرة التّأريخ للسانيات، إذ لا نبالغ إذا قلنا: إنّ هناك ظلماً طال التّراث اللغوي العربي في هذا المجال [36].

إنّ محاولة العودة إلى الأعمال التّراثيّة التي قدّمها المؤلف تُبرهن على صحة ما ذهب إليه، إذ إنّه اتخذ وضعاً وسطياً، فهو لم يتقوقع في التّراث عازلاً إيّاه عن مستجدات البحث اللساني العالمي، وفي المقابل لم ينسلخ عن هذا التّراث، منجرفاً

وراء اللسانيات الحديثة وما تحتويه نظرياتها ومناهجها، فضلاً عن إنّه لم يكتفِ بعرض أفكار القدماء، ولا منهجهم في الدّرس اللغوي، بل سعى في أكثر من موضع إلى مقارنة هذه الآراء بآراء المحدثين، وإظهار نسبة التّقارب القائمة بينها.

ويُعبّر المؤلّف عن هذا المنهج قائلاً: "إنّ أحد الأسباب التي دفعتنا إلى كتابة هذا التّحليل... هو التّناسب الوضعي الذي يوجد علم اللسان الحديث وبين علم اللسان العربي الذي وضعه العلماء العرب في أواخر القرن الأول الهجري... فهذا التّناسب لجدير بالدّراسة [37]. إذاً يتضح لنا مما تقدّم أنّ المنهج الذي تبناه الدّكتور الحاج صالح في عمله التّراثي هو (التّوافقي) فضلاً عن كونه (مقارنة)، وهو ذات المنهج الذي يعتمده أغلب دراسي التّراث العربي [38]، وإنْ كانوا لحدٍّ الآن غير متفقين على أُسسه وخطواته العامّة. يتبادر إلى الذّهن سؤال، أين تكمن مواطن الإبداع في منهجيته المعتمدة في تحليل الخطاب التّراثي في النّظريّة الخليليّة الحديثة؟ بصيغةٍ أخرى، هل يُمكننا عدّ الخطاب التّراثي في النّظريّة الخليليّة الحديثة خطاباً أصيلاً؟

يرتبط مفهوم الأصالة - هنا- بمجموعة الصّفات أو المميّزات الخاصة بالخطاب التّراثي، كما تمثّلته تجربة الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح، من حيث طريقته في معالجة ما اختار من التّراث العربي، وما تعلّق بهذه المعالجة، من مفاهيم ومبادئ ومصطلحات. وهو ما يقودنا إلى تحديد معالم النّموذج المقترح من قبله في دراسة وإعادة بث التّراث اللغوي العربي من جديد، وفي هيئةٍ جديدة بهدف استثمار أفكاره في بناء صرح لسانيٍّ عربيٍّ يتسم بالأصالة والتّجديد في الوقت ذاته.

وتتحدد الأصالة بنظر الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح من خلال قوله: "أن يكون الشّيء أو الإنسان مبدعاً مهما كان عصره أي أنّ لا يكون نسخة لغيره بالنّسبة إلى الأفكار التي ينتجها، فالأصيل هو من ليس نسخةً لغيره مهما كان الزّمان، وقد تكون أصالة في زمنٍ قديم وقد تكون أصالةً في زماننا هذا، وقد يكون

الرّجل فريداً من نوعه في ميدانٍ خاصٍ أو استعماله لبعض الوسائل العقليّة [39]. وهذه الأصالة التي ذكرها المؤلّف وجدناها بوضوحٍ تام في النّظريّة الخليليّة الحديثة، فقد تفرّد في طرح الموضوعات فضلاً عن اختلاف هذا الطّرح في كل مرة، وباختلاف الطّروحات تُكْتَشَف أشياء جديدةٍ وهذا الاكتشاف هو ما يُمكننا وصفه بالأصالة.

فقد تَميّز طرح الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح بخصائص قَلَّ التّطرق إليها عند غيره من الباحثين العرب، إذ إنّ عودة المؤلِّف إلى التّراث اللغوي العربي وسعيه إلى تعريف الآخر به، أول عنصر دال على أصالة الخطاب عنده، فهو على الرّغم من دراسته للسانيات الغربيّة، ومحاولاته الجادّة لجعلها مقوّماً من مقوّمات ثقافة العربي، فإنّه لم يتوقف عندها، وكأنّها شيءٌ من نوعه، لا سابق له ولا مثيل.

لقد أوضح مؤلّف النّظرية الخليليّة الحديثة من خلال عمله هذا، سعيه لربط الماضي بالحاضر، وإظهار استمراريّة الفكر اللغوي؛ لأنّ اللغة متطورة أبداً واللغوي الحق هو الذي يجري وراء اللغة يتتبع مسيرتها ويفقه أساليبها [40]، وما قدّمه الحاج صالح دليلٌ قاطع على أنّ اللغة متطورة، فقد تفرّد علماؤنا القدماء بآرائهم الدّقيقة والعلميّة لدرجة تجعلها تضاهي أفكار المحدثين. فبعد تقديمه مفهوم (اللفظة) في كتابه (بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة) [41]، يخلص إلى أنّ هذا المفهوم لم يذكره اللّسانيون الغربيون واقترح ترجمتها (Lexie) [42].

وعالج مفهوم (الموضع) وقارنها بما هو موجود في اللسانيات البنويّة والتّوليديّة التّحويليّة [43]، وخَلّص إلى أنّ هذا المفهوم (الموضع والمثال) لا يوجد مثلهما في اللسانيات الغربيّة إطلاقاً [44].

فأصالة الخطاب عند الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح تبرز في اعتماده المطلق على أقوال القدماء، فهو يعتمد منهجاً قوامه طرح الأدلة الفعليّة المستقاة

من أقوال القدماء، فهو ينتهج منهجاً واحداً، قوامه الموازنة بين آراء القدماء وآراء المحدثين في المفاهيم والأُسس.

5. **الخاتمة:** إنّ النّظريّة الخليليّة الحديثة قامت في ذهن مؤلّفِها بعد القراءة المتأنيّة الدّقيقَة لمفاهيم النّحو العربي، ثم سعى عن طريقها إلى إعطاء منهج حداثي لدراسة نحو العربيّة، فضلاً عن سعيه إلى ترسيخ مبادئها بإعطائها ما يُميزها من مفاهيم ومصطلحات وطرق تحليل خاصة بها على غرار ما تُعْرَف به النّظريات اللسانيّة الحديثة. وفي هذا المجال فإنّ الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح وقف مع الكثير من المفاهيم والمصطلحات النّحويّة العربيّة الأصيلة والتي استغلق فهمها عند بعض الباحثين أو أُسْقِطَ عليها مفاهيم أرسطيّة فطُمِسَ معناها، فحاول تصحيح هذه الرّؤيّة وبيان ما فيها من العلميّة والدّقة المتناهيّة إذا فُهِمَت على أصلها الذي وُضِعتْ له.

ويمكن أن نُقسِّم منهج الحاج صالح الحداثي على مستويين:

الأوّل: مستوى المفاهيم: ويتجلى من خلال إحياؤه للمفاهيم والمصطلحات العربيّة الأصيلة، وكشفه عن دلالاتها الحقيقيّة، والتي جاءت بمنهجيّة وعلميّة مستقلة عند النّحويين القدماء، والتي تصلح أن تكون مبادئ لنظريّة لغويّة نحويّة.

والثّاني المستوى التّقني: استثماره لهذه المفاهيم ودلالاتها الحقيقيّة بصورة عمليّة في تطوير هذه اللغة، وضمان حيويتها واستمراريتها [5 4].

فهو في منهجه هذا يمتلك إبداعاً لغوياً جديداً، استخدم فيه قوة ذهنيّة كبيرة وعلميّة بأنّ وضع المفاهيم في موضعها الصّحيح، وهذا راجع إلى طبيعة دراسته للرياضيات فضلاً عن المناهج اللسانيّة الحديثة، واطلاعه على علوم الفلسفة، والمنطق والحاسوب.

6. قائمة المراجع:

1) الاسند باذي، "شرح كافيّة إبن الحاجب"، تر: أحمد السّيد أحمد، المكتبة التّوفيقيّة القاهرة، د.ط، د.ت، ج1.

2) حافظ إسماعيل علوي، وليد أحمد العناتي، "أسئلة اللّغة أسئلة اللّسانيات"، الدّار العربيّة للعلوم، ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الأمان الرّباط، ط1 2009.

3) خولة طالب الإبراهيمي، "مبادئ في اللّسانيات"، دار القصبة للنشر، حيدرة الجزائر ط2، 2006.

4) سيبويه، "الكتاب"،تح: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، بيروت، لبنان،ط3 ج1.ص164

5) عبد الرّحمان الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللّسان"، موفم للنشر الجزائر 2007م، ج1- 2.

6) عبد الرّحمن الحاج صالح، "البنى النّحويّة العربيّة"، منشورات المجمع الجزائري للغة العربيّة، الجزائر، 2016م.

7) عبد الرّحمن الحاج صالح، "الخطاب والتّخاطب في نظريّة الوضع والاستعمال العربيّة"، منشورات المجمع الجزائري للغة العربي"، المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، وحدة الرّغايّة، الجزائر.

8) عبد الرّحمن الحاج صالح، "السّماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة" موفم للنشر، الجزائر، د.ط، 2011م.

9) عبد الرّحمن الحاج صالح، "أنماط الصّيّاغَة اللّغويّة الحاسوبيّة والنّظريّة الخليليّة الحديثة"، مجلّة المجمع الجزائري للّغة العربيّة، الأبيار، الجزائر، العدد 24، 2016.

10) عبد الرّحمن، "النّظريّة الخليليّة الحديثة – مفاهيمها الأساسيّة – مركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللّغة العربيّة"، بوزرّيعة، الجزائر، العدد التّراجع 2007.

11) محمد عابد الجابري، "التّراث والحداثة"، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط1 1991.

12) مصطفى غلفان، "اللّسانيات العربيّة الحديثة – دراسة نقديّة المصادر والأسس النّظريّة والمنهجيّة، منشورات كليّة الآداب، الدّار البيضاء، 1998م.

13) مهدي المخزومي، "في النّحو العربي نقد وتوجيه"، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة بغداد، ط2، 2005.

14) ميشال زكرياء، "الملكة اللّسانيّة في مقدّمة ابن خلدون"، المؤسسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، ط1، 1986.

15) نشير إبرير، "أصالة الخطاب في اللّسانيات الخليليّة الحديثة"، مجلّة العلوم الإنسانيّة جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد السّابع، 2005م.

7. الهوامش:

[1]عبد الرّحمن الحاج صالح، "السّماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة"، موفم للنشر الجزائر د.ط، 2011م، ص:07.

[2]محمد عابد الجابري، "التّراث والحداثة"، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط1، 1991، ص:24.

[3]ينظر: عبد الرّحمن الحاج صالح، "السّماع اللّغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحّة"، ص: 07.

[4]حافظ إسماعيل علوي، وليد أحمد العناتي، "أسئلة اللّغة أسئلة اللّسانيات"، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، دار الأمان الرّباط، ط1، 2009، ص: 123- 124.

[5]مصطفى غلفان، "اللّسانيات العربيّة الحديثة – دراسة نقديّة المصادر والأسس النّظريّة والمنهجيّة منشورات كليّة الآداب، الدّار البيضاء، 1998م، ص: 136- 137.

[6]نشير إبرير، "أصالة الخطاب في اللّسانيات الخليليّة الحديثة"، مجلّة العلوم الإنسانيّة جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد السّابع، 2005م، ص:17.

[7]عبد الرّحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة"، ج1، ص: 324.

[8]عبد الرّحمان الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللّسان"، موفم للنشر، الجزائر، 2007م، ص: 191.

[9]المرجع نفسه، ص: 191.

[10]خولة طالب الإبراهيمي، "مبادئ في اللّسانيات"، دار القصبة للنشر، حيدرة، الجزائر، ط2، 2006 ص: 96- 97.

[11]سيبويه، "الكتاب"، تر: عبد السّلام هارون، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان....، ج1، ص.....

[12]ينظر: عبد الرّحمان الحاج صالح، "البحوث ودراسات في علوم اللّسان"، ص: 192- 193.

[13]المرجع نفسه، ص: 192.

[14]الاسند باذي، "شرح كافيّة إبن الحاجب"، تر: أحمد السّيد أحمد، المكتبة التّوفيقيّة، القاهرة، د.ط د.ت ج1، ص:12.

[15]عبد الرّحمن، "النّظريّة الخليليّة الحديثة – مفاهيمها الأساسيّة – مركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللّغة العربيّة"، بوزرّيعة، الجزائر، العدد التّراجع، 2007، ص: 32.

[16]سيبويه، "الكتاب"، ج1، ص: 421.

[17] المصدر نفسه، ج2، ص: 274، 276.

[18] ينظر: عبد الرّحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة، ج1، ص: 326.

[19] خولة طالب الإبراهيمي، "مبادئ في اللّسانيات"، ص:100.

[20] عبد الرّحمن الحاج صالح، "أنماط الصّيّاغَة اللّغويّة الحاسوبيّة والنّظريّة الخليليّة، الحديثة"، مجلّة المجمع الجزائري للّغة العربيّة، الأبيار، الجزائر، العدد 24، 2016، ص: 22.

[21] عبد الرّحمن الحاج صالح، "البنى النّحويّة العربيّة"، منشورات المجمع الجزائري للغة العربيّة الجزائر، 2016م ص: 132- 133.

[22] ينظر: عبد الرّحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"، ج2، ص91.

[23] ينظر: المرجع نفسه، ج2، 90.

[24] ينظر: عبد الرّحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللّسان"، ص: 190.

[25] عيسى مومني، "بيبلوغرافيا اللسانيات..."، ص54.

[26] ينظر: عبد الرّحمن الحاج صالح، "الخطاب والتّخاطب في نظريّة الوضع والاستعمال العربيّة" منشورات المجمع الجزائري للغة العربية"، المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، وحدة الرّغايّة، الجزائر ص: 17.

[27] ينظر: "بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة"، ج2، ص: 9- 22.

[28] المرجع نفسه، ج2، ص 21.

[29] ينظر: " بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية"، ج2، ص:22.

[30] ينظر: المرجع نفسه، ص: 58- 59.

[31] كموضوع الأصل والفرع مثلاً.

[32] المرجع نفسه، ج2، ص: 59.

[33] المرجع نفسه، ج2، ص:78.

[34] ينظر: عبد الرّحمن الحاج صالح، "البنى النّحويّة العربية"، ص: 91.

[35] ينظر: عبد الرّحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية"، ج2، ص: 9- 58.

[36] عبد الرّحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة"، ج1، 100،101.

[37] ينظر: ميشال زكرياء، "الملكة اللّسانيّة في مقدّمة ابن خلدون"، المؤسسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، ط1، 1986، ص: 07.

[38] عبد الرّحمن الحاج صالح، "بحوث ودراسات في علوم اللّسانيات"، ص:10.

[39] عبد الرّحمن، "بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة"، ج1، 11.

[40] المرجع نفسه، ص: 12.

[41] ينظر: مهدي المخزومي، "في النّحو العربي نقد وتوجيه"، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد، ط2 2005، ص: 22.

[42] ينظر: "بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة"، ج1، ص: 219.

[43] المرجع نفسه، ج1، ص: 219.

[44] المرجع نفسه، ج2، ص11.

[45] المرجع نفسه، ج2، ص: 21- 22.

مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 22 العدد: 50 السّنة: الثّلاثيّ الثّاني 2020 ص: 191 - 212

الرّبط اللغوي عند المحدثين وأثره في اتساق الخطاب

The linguistic connection between modernists and its impact on the consistency of discourse

أ. الطّاهر تركي [1]

ملخّص: تعد القرائن اللفظيّة وسائل لغويّة تعين على إبراز العلاقات النّحويّة بين مكونات الجملة أو بين الجمل وصولا إلى فهم الخطاب عامة.

ويركز هذا المقال على قرينة الرّبط كونها تتميز عن سائر القرائن بأنها تنشئ علاقة نحويّة سياقيّة بين مكونات الجملة أو الجمل، كما يركز على نظرة المحدثين إلى هذه القرينة للوقوف على أهم الوسائل التي تستعملها اللغة كروابط وتعين على اتساق الخطاب.

كلمات مفتاحيّة: الخطاب – الاتساق – الرّبط – القرائن.

Abstract: Transition words are linguistic means that have to highlight the grammatical relations between sentence components or between sentences to understand the discourse in general. This article focuses on verbal clues as it is distinguished from all other clues in the way it creates syntactic relationship between sentence components or between sentences. It, also, focuses on the modernists' view of this transitions to find out the most important means used by language for gramatical linking and consistency of discourse.

Keywords: discourse, consistency, linking, transitions.

جامعة محمد بوضياف- المسيلة / الجزائر ، البريد الإلكتروني: tahartorki@yahoo.com

1. **مقدّمة:** يسعى هذا البحث إلى التّعرف على نظام الرّبط في اللغة بوصفه ظاهرة تركيبيّة، وإلى إبراز أهميته في ائتلاف مكونات الجملة، أو ائتلاف الجمل بعضها مع بعض، وصولا إلى أهميته في اتساق الخطاب عموما.

إن من أهم ما يساعد على فهم النّص القرائن اللفظيّة، وهي وسائل حددتها اللغة لتكون معالم واضحة تعين على إبراز العلاقات السّياقيّة النّحويّة بين المعاني الجزئيّة داخل الجملة، أو بين معاني الجمل المشكلة للنص. ومن هذه القرائن: قرينة البنيّة، قرينة الإعراب، قرينة الرّتبة، قرينة التّضام، قرينة الرّبط قرينة السّياق. وهذه القرائن مجتمعةً تعين على فهم المعنى النّحوي، إذ لا يمكن لقرينة واحدة – في غالب الأحيان – أن تؤدي هذه المهمة. ولما كان من الصّعوبة بمكان دراسة هذه القرائن كلها في عمل واحد، فقد اكتفينا في هذا المقال بتسليط الضّوء على قرينة واحدة طالما كان لها الحيز الكبير في حقل الدّرس اللغوي القديم والمعاصر، وهي قرينة الرّبط وتكمن أهميتها في أنها تتميز عن سائر القرائن بأنها تنشئ علاقة نحويّة سياقيّة بين مكونات الجملة، أو بين الجمل، وليس باستطاعة القرائن اللفظيّة الأخرى القيام بذلك.

إن النّص في عرف الدّراسات الحديثة كل متكامل، ولما كان النّص مشكلا من جمل متتاليّة، وهذه الجمل قد تطول أحيانا، وقد يعطف عليها مثلها أو أمثالها فيكون بين أول الكلام وآخره شقة بعيدة لا تعي الذّاكرة معها ما الذي ينتمي إلى هذا وما الذي ينتمي إلى ذاك، يأتي الرّبط ليوضح العلاقات بين الجمل، ويعين على فهم المعنى المقصود.

وسنسعى في هذا العمل إلى الإجابة عن التّساؤلات الآتيّة:

- كيف تعامل المحدثون مع النّص؟ وما أهم الشّروط التي وضعوها لتتحقق النّصيّة؟
- مَن هم أبرز العلماء المحدثين الذين تناولوا هذه القضيّة بالدّراسة؟

2- الرّبط عند المحدثين: بدأ الاهتمام بقضيّة الرّبط من الغرب، وكان ذلك في ظل الدّراسات التي نادت بتجاوز مستوى الجملة إلى مستوى النّص. ويعد هاليداي ورقيّة حسن من أبرز من تكلم في الأمر؛ حيث بحثا في كتابهما (الاتساق في الانجليزيّة) مظاهر الاتساق الآتيّة: الإحالة، الاستبدال، الحذف الوصل، والاتساق المعجمي.[1] وهذه العناصر من بين الوسائل التي تجعل من النّص اللغوي نصا، أي تتوفر فيه سمة النّصيّة. ولا يشترط في النّص عندهما حجم محدد أو شكل معين، فهو « كل قطعة شفويّة أو مكتوبة، طالتّ أو قصرت وكونت كلا موحدا »[2]، وبالتّالي فهما يعتبران النّص وحدة دلاليّة. ولا يقوم النّص إلا إذا توفرت فيه مظاهر الاتساق السّابقة، وهي:

2- 1- **الإحالة:** يُنظر إلى الإحالة من زاويتين؛ فهي« تعني تارة العمليّة التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة على الشّيء الموجود في العالم، أي ما كان يسميه القدامى " الخارج " ، وهي تعني تارة أخرى إحالة اللفظة على لفظة متقدمة عليها »[3] أو متأخرة. والنّوع الثّاني هو المقصود بالبحث، ويمكن تسميتها الإحالة اللغويّة، وتعني ارتباط عنصر لغوي بعنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من النّص. وتطلق تسميّة العناصر الإحاليّة على « قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب ».[4] أي أن هذه العناصر ليس لها معنى تام في ذاتها، ولتحديد معناها يجب أن تحيل إلى عناصر أخرى، وقد أشار هاليداي وحسن إلى ذلك بقولهما: « إن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التّأويل إذ لا بد من العودة على ما تشير إليه من أجل تأويلها ».[5] ففي الإحالة إذن لا بد أن يشير عنصر لغوي إلى عنصر أو عناصر أخرى مرتبطة به، وهذا العنصر المحيل يبقى فاقدا لاستقلاليته طالما أنه مرتبط في تأويله بعنصر أو عناصر محال إليها.

ويرى الباحثان أن كل لغة طبيعيّة تتوفر على عناصر تملك خاصيّة الإحالة، وهذه العناصر في الانجليزيّة هي: الضّمائر، أسماء الإشارة، أدوات المقارنة ».[6]

ويشير الباحثان أيضا إلى أنه يمكن الإتيان بعدد تراكمي كبير من الإحالات على الكلام السّابق، فقد يتبع استعمال كلمة (جون) في بدايّة النّص عدد كبير لا حد له من ضمائر (هو، عنه، له) وهي كلها تفهم بالعودة إلى (جون) الأصلي. وهذه الظّاهرة تسهم بشكل كبير في التّرابط الدّاخلي للنص، فهي تخلق شبكة من خيوط الإحالة بحيث يرتبط كل استعمال بالاستعمالات السّابقة التي تصل إلى الإحالة الأولى (الأصليّة).[7]

وتنقسم الإحالة إلى عدة أقسام، وذلك بالنّظر إلى علاقة اللفظ المحيل بمرجعه، ويمكن إدراجها في شكل ثنائيات كالآتي:

أوّلا- مقاميّة/نصيّة:

- **إحالة مقاميّة:** وهي إحالة على شيء خارج النّص، أي خارج اللغة، على اعتبار أن اللغة تحيل على أشياء وموجودات خارج النّص، وفيها يرتبط العنصر اللغوي بما هو غير لغوي « فهي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم حيث يرتبط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم ».[8] وهذا يعني أن الإحالة المقاميّة دورها ينحصر في ربط النّص بسياق الموقف وهذا ما عبر عنه هاليداي وحسن بقولهما: « الإحالة المقاميّة تساهم في خلق النّص لكونها تربط اللغة بسياق المقام إلا أنها لا تساهم في اتساقه بشكل مباشر ».[9]

- **إحالة نصيّة (مقاليّة):** أي على عنصر داخل النّص، أو داخل اللغة، وهنا يرتبط العنصر اللغوي بما هو لغوي « فهي إحالة على العناصر اللغويّة الواردة

في الملفوظ »[10] بمعنى أنها محصورة في العلاقات بين العناصر اللغويّة داخل النّص ولا شأن لها بما يحيط النّص من الخارج.

ثانيا- قبليّة/بعديّة:

- **إحالة قبليّة:** وتسمى الإحالة على السّابق أو الإحالة بالعودة، وهي التي يستخدم فيها عنصر لغوي كبديل لعنصر لغوي أو لمجموعة عناصر لغويّة سابقة له في النّص، فهي إذن « تعود على مفسِّر سبق التّلفظ به، وفيها يجري تعويض لفظ المفسِر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد المضمر »[11] وهذا النّوع هو أكثر الأنواع شيوعا.

- **إحالة بعديّة:** وتسمى إحالة على اللاحق، وهي التي يستعمل فيها عنصر لغوي كبديل لعنصر أو لمجموعة من العناصر التي تليه في النّص. ويعرفها علماء اللغة بأنها « استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سوف تستعمل لاحقا في النّص أو المحادثة »[12] وتأسيسا على هذا التّعريف فإنه يصح أن نسمي الإحالة البعديّة (إحالة على متأخر) على اعتبار أن العنصر المحيل يحيل إلى عنصر أو عناصر لغويّة متأخرة عنه في النّص اللغوي. ويرى علماء لغة النّص أنه إذا كانت الإحالة القبليّة هي أكثر أنواع المرجعيّة شيوعا وتقوم بدور فعال في تحقيق ترابط النّص، فإن الإحالة البعديّة تعمل على تكثيف اهتمام المتلقي وتساعد في حث القراء على مواصلة القراءة.

ثالثًا- قريبة / بعيدة:

- **إحالة قريبة :** وتجري في مستوى الجملة الواحدة حيث لا توجد فواصل تركيبيّة جمليّة[13] أي هي التي يكون عنصراها المحيل والمحال عليه موجودين داخل الجملة الواحدة كقول: الطّفل علمه أبوه، فالضّمير الهاء الموجود في قولك (علمه) وقولك (أبوه) يعودان على الطّفل الذي هو لفظ سابق وهذه

الإحالة إحالة قبليّة لأن المرجع كان سابقا، ولأنهما كانا موجودين في جملة واحدة فإن الإحالة قريبة.

- **إحالة بعيدة:** وهي تجري بين الجمل المتصلة أو المتباعدة في فضاء النّص حيث تتجاوز الفواصل والحدود التّركيبيّة القائمة بين الجمل.[14] أي هي الإحالة التي يكون العنصر المحال عليه فيها موجودا في غير الجملة التي ينتمي إليها العنصر المحيل. وما يمكن أن نستخلصه من هذا المفهوم هو أن هذا النّوع من الإحالة غالبا ما نعثر عليه عندما يتعدد المحيل ويكون المحال عليه واحدا. وهو ما يمكن أن يطلق عليه الإحالات الثّواني والثّوالثّ...، غير أن هذا لا يعني أن الإحالة ذات المدى القريب لا يتعدد فيها المحيل، ففي جملة مثل (زيد ضربه أبوه) نجد العنصر اللغوي الذي يحيل إلى (زيد) متعددا، وهو ضمير الغائب المتصل بالفعل وفاعله. وعلى الرّغم من تعدد المحيل في هذا التّركيب إلا أن الإحالة قريبة.

وتجدر الإشارة إلى أن الغربيين – هاليداي وحسن ومن تلاهما – غلّبوا الإحالة القبليّة على البعديّة، باعتبارها الأكثر دورانا في الكلام، أما النّحاة العرب فاشترطوا تقدم المفسِّر على المبهم لفظا ورتبة، أو محلا وتقديرا، وكادوا يمنعون الخروج عن هذا الأصل، فمنعوا تأخر المفسر عن المبهم وكادوا يقصرون الأمر على الإحالة القبليّة القائمة على تقدم المفسِّر.[15] إذن فالنّحاة العرب يعتبرون الإحالة القبليّة هي الأصل، أما الإحالة البعديّة فهي فرع أو استثناء.

2- 2- <u>الاستبدال:</u> يعني الاستبدال تعويض عنصر بآخر، وهو عمليّة تتم داخل النّص في المستوى النّحوي- المعجمي، ومعظم حالات الاستبدال النّصي قبليّة، أي علاقة بين عنصر متأخر وبين عنصر متقدم.[16] ومثال ذلك: **فأسي جد مثلومة، يجب أن أقتني أخرى حادة**، ونحو قول الله تعالى: ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[النّجم 38]. ففي المثال الأول تم استبدال لفظة " أخرى " بلفظة " فأس "

أما في الآيّة الكريمة فاستبدلت لفظة " أخرى " بلفظة " وازرة ". وقد يكون الاستبدال للّفظة بقول كامل ومثاله قول الشّاعر محمود درويش :

الملاءات جاهزة، والعطور على الباب جاهزة، والمرايا كثيرة
فادخلوها لنخرج منها تماما، وعما قليل سنبحث عما
كان تاريخَنا حول تاريخكم في البلاد البعيدة

ففي هذا المثال « استبدل الضّمير (الهاء) في الفعل (ادخلوها) بمجموعة من الجمل متمثلة في (الملاءات جاهزة، والعطور على الباب جاهزة، والمرايا كثيرة) مما يعزز من وصفه أنه استبدال قولي سد عن متواليات جمليّة معطوف بعضها على بعضها الآخر ... لذلك يستغني الشّاعر عن ذكر هذه الأشياء التي اختزلها في هذا الضّمير »(17)

يتضح مما سبق أن الاستبدال ينحصر في العمليات أو العلاقات التي تحدث داخل النّص وليس خارجه، وبذلك فهو يختلف عن الإحالة التي تتم على المستويين الدّاخلي والخارجي للنص، غير أنه يشترك معها في أن أغلب علاقاته قبليّة بين عنصر سابق في النّص (المستبدَل به) وبين عنصر لاحق عليه (المستبدَل). وبهذا تتضح أهميته وإسهامه في ترابط النّص، فهو شكل من أشكال الاتساق النّصي الذي تحدثه العناصر اللغويّة المتبادلة، حيث يحل بعضها محل بعض محققة بذلك ما يدعوه علماء لغة النّص (الاستمراريّة). والعنصر المستبدل شأنه شأن المحيل في الإحالة، فهو عنصر لغوي فاقد لاستقلاليته، ولا يفهم إلا بالرّجوع إلى ما يتعلق به من عنصر لغوي آخر يوجد في مكان آخر من النّص وغالبا ما يكون هذا العنصر المتعلق به سابقا له.

والحديث عن إسهام كل من الاستبدال والإحالة في تحقيق الاتساق النّصي قاد الباحثين هاليداي وحسن إلى التّمييز بينهما، فالاستبدال علاقة بين كلمات أو عبارات تتم في المستوى النّحوي المعجمي، بينما الإحالة علاقة بين المعاني فهي تتم على المستوى الدّلالي.(18) ويرى محمد الشّاوش أن ليس هناك من مصوغ

لهذا التّمييز من هذه النّاحيّة، بل ذهب إلى أكثر من ذلك حينما عد تصنيف الباحثين للاستبدال والإحالة – على أساس من المستوى اللغوي الذي يتم فيه كل منهما – تصنيفا متكلفا مفتعلا وفاسدا، يقول: « ونلاحظ بشأن البناء التّصنيفي الذي قدم فيه هاليداي وحسن الإحالة والاستبدال أنه متكلف مفتعل فقد فصَلا حيث لا موجب للفصل، فالإحالة وإن كانت ظاهرة تتعلق بالدّلالة فإن لها عمادا لغويا، أي صيغا لغويّة خاصة تتحقق بها (الضّمائر وأسماء الإشارة وألفاظ المقارنة التي اعتبرت خطأ من الإحالة)، والاستبدال وإن كان ظاهرة تتعلق بالنّحو والوحدات المعجميّة فهي أيضا محكومة بقواعد دلاليّة معنويّة، وبالتّالي يصبح التّمييز بينهما اعتمادا على كون الأولى نحويّة معجميّة وكون الثّانيّة دلاليّة معنويّة تصنيفا فاسدا ».[19] ويبدو محمد الشّاوش مصيبا في رأيه، ذلك أن أي حديث عن الصّيغ اللغويّة هو حديث في الوقت ذاته عن المعنى والدّلالة، وأن أي حديث عن الدّلالة لا يمكن أن يكون بمعزل عن المعنيين المعجمي والنّحوي.

وهناك ثلاثة أنواع من الاستبدال هي:[20]

- **استبدال اسمي**: ويتم باستخدام كلمات مثل: (واحد، نفس، ذات، آخر...) ويأتي لفظ من هذه الألفاظ عوضا عن اسم ذكر قبله.

- **استبدال فعلي**: ويعبر عنه بالفعل (do) في الانجليزيّة، وبالفعل (فعل) في العربيّة نحو: (نام وليد ومثله فعل وليد). فالفعل(فعل) حل محل (نام).

- **استبدال قولي**: ويتم فيه استبدال لفظة بقول كامل، أي بجملة أو بمجموعة من الجمل.

وهذا الاستبدال إلى جانب إسهامه في الاتساق النّصي فإنه يجنب المتكلم أو الكاتب تكرار الألفاظ وإعادتها ، كما أنه يسهم في تحقيق الاقتصاد اللغوي

خاصة عندما يتعلق الأمر بالنّوع الثّالثّ من أنواع الاستبدال، إذ إننا نجد كلمة واحدة تغني عن جملة أو عبارة وربما فقرة كاملة.

وبما أن الاستبدال عمليّة تتم داخل النّص بين عنصر ما وعنصر آخر متقدم عليه، فإن « الاستبدال يصبح علاقة داخليّة تقوي أواصر النّص، وتدعم تماسكه إذ لا يمكن فهم العنصر المستبدَل إلا بالعودة إلى ما هو متعلق به ...مما يحقق الاستمراريّة للعنصر المستبدل [به] ، ويملأ الثّغرات داخل النّص »[21] فبالعودة إلى قوله تعالى: ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [النّجم 38] يلاحَظ أن لفظة وازرة مستمرة في لفظة أخرى، كما أن لفظة " أخرى " كلمة مبهمة لا يمكن فهمها إلا بالعودة إلى ما تتعلق به وهي لفظة " وازرة ".

2- 3- **الحذف**: الحذف ظاهرة لغويّة، وتعتبره لسانيات النّص وسيلة من وسائل الاتساق النّصي، وهو «علاقة داخل النّص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النّص السّابق. وهذا يعني أن الحذف علاقة قبليّة »[22] والمتكلم حينما يلجأ إلى الحذف فهو لا يقصد إحداث شرخ في بنيّة المنطوق أو المكتوب، بل العكس، والدّليل أن الحذف شبيه بالاستبدال، غير أن ما يميزه أنه لا يترك أثرا له في النّص، فهو استبدال عنصر بلا شيء أي بصفر، « فلا يحل محل المحذوف أيّ شيء، ومن ثم نجد في الجملة الثّانيّة فراغا بنيويا[23] يهتدي القارئ إلى ملئه اعتمادا على ما ورد في الجملة الأولى أو النّص السّابق »[24] والمتأمل في هذا الكلام يدرك أن لدينا جملتين، لذلك فالحذف لا يحقق دورا اتساقيا إلا إذا تم تجاوز حدود الجملة الواحدة إلى العلاقة بين الجمل.[25]

والحذف لا يرد بشكل عشوائي دون ضابط يضبطه، بل « لا يتم إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنيا في الدّلالة كافيا في أداء المعنى. وقد يحذف أحد العناصر لأن هناك قرائن معنويّة أو مقاليّة تومئ إليه وتدل عليه ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره ».[26]

أما عن أنواع الحذف، فقد قسمه هاليداي وحسن إلى ثلاثة أنواع، وهو العمل نفسه الذي قاما به فيما يخص الاستبدال:[27]

- **حذف اسمي**: وهو حذف اسم داخل المركب الاسمي، نحو: **أي قبعة ستلبس؟ - هذه هي الأحسن.**

- **حذف فعلي**: وهو حذفٌ داخل المركب الفعلي، نحو: **هل كنت تسبح؟ - نعم، فعلت.**

- **حذف قولي**: ويتم داخل شبه الجملة. نحو: **كم ثمنه؟ - خمسة جنيهات.**

والحقيقة أن الحذف كظاهرة أسلوبيّة ليس أمرا عبثيا أو فوضويا، وإنما هو مقصود من المتكلم، ربما خوفا من التّصريح بكلام معين، أو رغبة في إشراك القارئ/السّامع في عمليّة التّخاطب. لذلك فالحذف يدفع المتلقي إلى البحث والتّقصي وبذل الجهد، حتى إذا وصل إلى بغيته أحس بجمال الأسلوب، وشعر بلذة كونه مشاركا، كما أن له دورا – شأنه شأن الاستبدال – في تجنب التّكرار وتحقيق الاقتصاد اللغوي باعتباره ضربا من الاختصار.

2- 4- الوصل: ويعبر عنه كذلك بمصطلح الرّبط. يعرفه هاليداي وحسن كما يلي: « إنه تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السّابق بشكل منظم »[28] ولكي يتحقق هذا التّرابط وبذلك الشّكل المنظم لا بد من استخدام جملة من العناصر اللغويّة هي بالأساس روابط تربط مفاصل النّص وأجزاءه المختلفة بعضها ببعض. هذه الرّوابط يسميها أحمد عفيفي بالرّوابط السّببيّة، يقول: « وهذا النّوع –يقصد الوصل- يعتمد على الرّوابط السّببيّة المعروفة بين الأحداث التي يدل عليها النّص. وهي عبارة عن وسائل متنوعة تربط مجموعة المتواليات السّطحيّة بعضها ببعض، بطريقة تسمح بالإشارة إلى هذه المتواليات النّصيّة، مثل: لأن، وعليه، أو، ولكن...»[29] وإذا كانت هذه الرّوابط

بمختلف أنواعها وتعدد أشكالها تصل بين أجزاء النّص على مستواه الخطي وتسهم في ترابطه، « فإن معانيها داخل النّص مختلفة، فقد يعني الوصل تارة معلومات مضافة إلى معلومات سابقة، أو معلومات مغايرة للسابقة أو معلومات (نتيجة) مترتبة عن السّابقة (السّبب)، إلى غير ذلك من المعاني »[30] وتختلف طبيعة الرّبط بالوصل عن علاقات الرّبط الأخرى (الإحالة، الاستبدال، الحذف) من حيث إنها لا تشكل علاقة إحالة، فهذا النّوع من الرّبط يصل بين جملتين أو عبارتين أو فقرتين وصلا مباشرا دون أن يتضمن إشارة ما إلى عنصر سابق أو لاحق. ولأدوات الوصل تصنيفات كثيرة أشهرها تصنيف روبرت دي بوغراند الذي أشار إلى أربعة أنواع هي: مطلق الجمع، التّخيير، الاستدراك والتّفريع[31]. وتصنيف هاليداي وحسن اللذين قسما أدوات الوصل أربعة أقسام هي:[32]

أ- **الوصل الإضافي**: يتم الرّبط بالوصل الإضافي بواسطة الأداتين (و، أو) ويمكن أن يندرج في هذا الصّنف من الوصل التّعابير التي تحمل معنى التّماثل الدّلالي من قبيل (على نحو، مثل هذا، بالطّريقة نفسها، على هذا المنوال، على هذه الشّاكلة...) كما تندرج في إطاره التّعابير الدّالة على الشّرح، مثل (أعني بذلك، بمعنى، بتعبير آخر، بكلمة أخرى، ما أقصده هو...)، والتّعابير الدّالة على التّمثيل، من ذلك (مثل مثلا، نحو، على سبيل المثال...).

ب- **الوصل العكسي**: ويطلق عليه الوصل الاستدراكي، ومعناه الأساسي الذي يتأسس عليه هو " عكس التّوقع "، وفي العادة يشار إليه بالملفوظات (لكن مع ذلك على الرّغم من ذلك، غير أن...).

ج - **الوصل السّببي**: ويعبر عنه بكلمات مثل (لهذا، بهذا، لذلك، لأن، بسبب ذلك نتيجة لذلك...) وهي كلمات تمكننا من إدراك العلاقة المنطقيّة بين جملتين أو أكثر.

د- **الوصل الزّمني**: وشأنه شأن الرّوابط الأخرى التي تسهم في خلق الاتساق النّصي، فهو يصل بين الأحداث من خلال علاقة التّتابع الزّمني، ويعبر عن هذا

النّوع من الوصل بالألفاظ (ثم، بعد ذلك، على نحو آت، نحو تال...)، كما يدخل في الوصل الزّمني « الأدوات التي تربط ما يقال بالماضي، مثل (حتى الآن، حتى هذه اللحظة)، أو بالمستقبل، مثل (من الآن فصاعدا)، فتشكل هذه الكلمات البعد الزّمني الموجود في عمليّة الاتصال ».[33]

2- 5- **الاتساق المعجمي**: يختلف عن أدوات الاتساق السّابقة (الإحالة الاستبدال الحذف، الوصل)، فهذه الأدوات تعتمد أساسا على النّظام النّحوي بينما الاتساق المعجمي عماده القاموس اللغوي الذي تحكم وحداته المعجميّة علاقات دلاليّة متنوعة ومتعددة، ولا يعني ذلك أن هذه الوحدات غير منضويّة في صيغ تركيبيّة فهي مرصوفة وفق منظومة قواعديّة ما في ذلك ريب، وإنما في هذا الضّرب من الاتساق ينظر إلى ما تحمله الوحدات المعجميّة من معان ودلالات، ومن ثم الوقوف على العلاقات الدّلاليّة التي تربط بينها. والظّواهر الاتساقيّة السّابقة أمرها يسهل - كما يرى هاليداي وحسن – مقارنة بالاتساق المعجمي، « ففي حالة الاتساق النّحوي تكون العمليّة واضحة نسبيا، إذ تفترض الإحالة مثلا أو الاستبدال أو الوصل بعض العناصر المماثلة. حين يتعلق الأمر بالاتساق المعجمي، فإن المسألة تتجاوز حدود التّعامل مع مجموعة محدودة من العناصر، ولكن كل المعجم يكون قابلا للاستعمال. ومن ثم فهو يتميز بالتّنوع والاتساع ولا يتحكم في المسألة حينئذ إلا ما يختاره المتكلم»[34]

والاتساق المعجمي يتحقق – عند هاليداي وحسن – عبر ظاهرتين لغويتين هما: التّكرير والتّضام.[35]

أولا- التّكرير: هو إعادة عنصر من العناصر المعجميّة في النّص، وهذه الإعادة تتعدد أشكالها، فقد تكون إعادة العنصر المعجمي نفسه أو مرادفه أو ما يشبه المرادف أو عنصر مطلق أو اسم عام.

ومثال ذلك:

شرعت في الصّعود إلى القمة { الصّعود / التّسلق / العمل / الشّيء } سهل للغايّة.

فكل كلمة من الكلمات التي بين حاضنتين يمكن أن تحل محل كلمة (الصّعود)، وبالتّالي فهي تستمر بشكل أو بآخر، مما يضفي على النّص طابعا من الاتساق.

ويمكن التّعريف بشكل موجز بهذه الأشكال على النّحو الآتي:

- **التّكرار المباشر**: وهو تكرار الكلمة كما هي دون تغيير، ويسمى التّكرار التّام أو المحض.

- **التّكرار الجزئي**: ويعني تكرار عنصر سبق استخدامه، ولكن في أشكال مختلفة، أي أنه يعتمد على تكرار مشتقات الكلمة مثل (علم، معلم، تعليم عالم...)، وهذا النّوع أقرب في البلاغة العربيّة إلى جناس الاشتقاق.

- **الاشتراك اللفظي**: وهو تكرار معجمي مع اختلاف المرجع، حيث يتكرر استعمال كلمتين متحدتين في النّطق ومختلفتين في المعنى.

- **التّرادف أو شبه التّرادف**: وهو تكرار المعنى دون اللفظ، أو تكرار كلمات تشترك أو تتقارب في المعنى.

- **الاسم الشّامل**: وهو عبارة عن اسم يحمل أساسا مشتركا بين عدة أسماء ومن ثم يكون شاملا لها، مثل: النّاس، الشّخص، الرّجل، المرأة، الطّفل، البنت فهي أسماء يشملها جميعا اسم (إنسان).

- **الكلمات العامّة**: وهي كلمات أعم من الشّمول الموجود في الاسم الشّامل مثل: فكرة، مشكلة، سؤال، شيء، أمر ما...

والتّكرير دوره التّوكيد والإلحاح، كما يشير إلى الطّريقة التي يبنى بها النّص دلاليا، بمعنى أنه يسهم بشكل مباشر في خلق التّرابط بين عبارات النّص وفقراته.

ثانيا - التّضام: وهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك. ومثال ذلك: **ما لهذا الولد يتلوى في كل وقت وحين؟ البنات لا تتلوى.** فيلاحظ أن ورود كلمتي (الولد ، البنات) خلق شيئا من التّرابط بين الجملتين لأن الكلمتين من نفس الحقل المعجمي.

ويرتكز التّضام على علاقات عديدة منها:[36]

- **التّضاد أو التّعارض**: حيث تترابط الكلمات بعضها مع بعض من خلال أشكال التّقابل بأنواعها المختلفة؛ المكملات ، مثل (ولد – بنت)، (يقف – يجلس)، المتعارضات مثل (يحب – يكره)، (يبرد – يسخن) والمقلوبات مثل (يأمر – يطيع).

- **التّنافر**: يرتبط على سبيل المثال بالألوان، نحو: أخضر، أزرق، أصفر... والرّتبة العسكريّة، مثل: ملازم، رائد، مقدم، عقيد، عميد، لواء.

- **علاقة الجزء بالكل أو علاقة الكل بالجزء**: مثل علاقة الأطراف بالجسم والغرفة بالبيت، والدّرج بالمكتب...

هذه هي الوسائل التي يتسق بها النّص كما بينها هاليداي وحسن، وهي وسائل إذا توافرت في نص ما جعلت منه كلا موحدا. ولئن طال الكلام حولها فلأن معظم الباحثين الذين جاؤوا بعد هاليداي وحسن يعتمدون هذه الوسائل في الحكم على اتساق النّص.

ولم يكن هاليداي وحسن وحدهما من تكلم حول وسائل التّماسك النّصي فقد أولاها الكثير من العلماء في الدّرس اللغوي المعاصر جانبا من الاهتمام

خاصة علماء النّص. ومن هؤلاء من زاد شيئا عما قاله هاليداي وحسن، ومنهم من اقترح وسائل أخرى ... إلى غير ذلك من التّفريعات. فقد جاء مثلا في موسوعة كريستال أن أدوات التّماسك تتلخص في[37] :

1- العطف. 2- المرجعيّة بأنواعها القبليّة والبعديّة. 3- الإبدال. 4- الحذف. 5- التّكرار. 6- أدوات معجميّة.

ويلاحظ أنها نفس الأدوات التي اعتمدها سابقاه. كما ذكر ج.براون و ج.يول أن من هذه الأدوات: العطف، والسّببيّة، والزّمنيّة، ثم قسما الأدوات إلى ما هو خارج النّص وما هو داخل النّص.[38]

أما من وجهة النّظر العربيّة فيبدو تمام حسان من أوائل المهتمين بقضيّة الرّبط والرّوابط، حيث عالج هذه الظّاهرة اللغويّة من منطلق أنها قرينة لفظيّة تقوم على اتصال أحد المترابطين بالآخر، وأنها تتضافر مع غيرها من القرائن النّحويّة الأخرى لفظيّة كانت أو معنويّة، لتشكل بديلا عن نظريّة العامل في الإفصاح عن المعنى دون لبس، وبعيدا عن كل تفسير ظني أو منطقي. وقد أجمل تمام حسان مواضع الرّبط في اللغة العربيّة في قوله: « والمعروف أن الرّبط ينبغي أن يتم بين الموصول وصلته، وبين المبتدإ وخبره، وبين الحال وصاحبه، وبين المنعوت ونعته وبين القسم وجوابه، وبين الشّرط وجوابه »[39] ثم حصر آليات الرّبط في اللغة العربيّة فيما يلي:

1- الضّمير العائد الذي تبدو فيه المطابقة، كما يفهم منه الرّبط.

2- الحروف الدّاخلة على الجمل والمفردات.

3- إعادة اللفظ أو إعادة المعنى.

4- اسم الإشارة.

5- دخول أحد المترابطين في عموم الآخر.

6- الرّبط بـ(ال).[40]

وقد أضاف في الخلاصة النّحويّة إلى هذه الرّوابط روابط أخرى، تربط الجملة بالجملة؛ سماها الرّوابط الملحوظة تمييزا لها عن الرّوابط الملفوظة والمحذوفة وهي علاقات الجمل بعضها ببعض، كعلاقة التّفسير والتّعليل والاستدراك والسّببيّة.[41]

وقد ذكر محمد العبد من جهته أن من هذه الأدوات:

1- الإسناد إلى متقدم 2- الارتباط السّببي 3- التّخصيص 4- الارتباط الزّمني 5- المقابلة 6- السّؤال والإجابة 7- الإضراب وغيرها من الأدوات.[42]

كما يضيف حماسة عبد اللطيف بعضا آخر من أدوات التّماسك منها: الموقع الإعرابي، الحالة الإعرابيّة، العلامة الإعرابيّة.[43] ومنه فهو يرى أن كل ما يؤدي إلى الوضوح وعدم اللبس فهو يؤدي بالضّرورة إلى التّماسك والتّرابط.

أمّا صبحي إبراهيم الفقي فلخص عناصر التّماسك كالآتي: (44)
(انظر الشّكل)

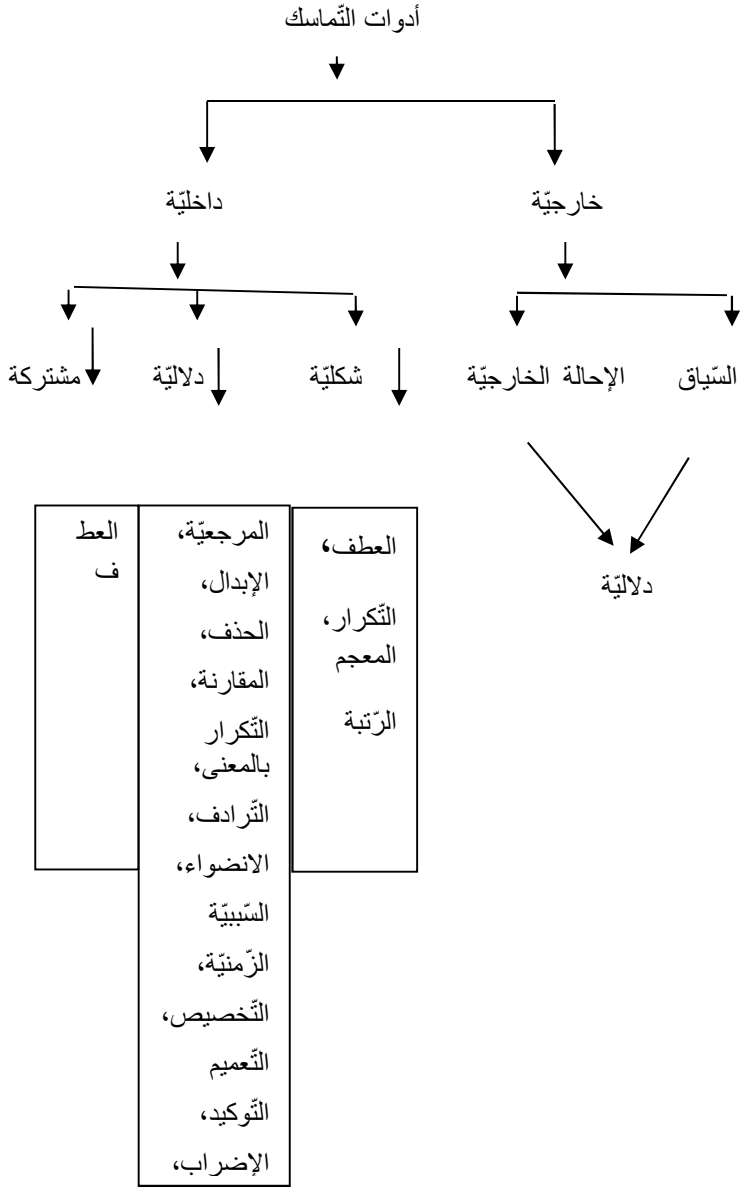

3- خاتمة: تناول هذا العمل نظام الرّبط في اللغة وحاول تتبع مختلف الوسائل التي تعتمدها اللغة كروابط والتي تتضافر في تحقيق نصيّة النّص وهاته الرّوابط منها ما يعتمد على القاموس اللغوي كالاتساق المعجمي ، ومنها ما يعتمد أساسا على النّظام النّحوي كالإحالة والاستبدال والحذف والوصل.

لقد كان لهاليداي ورقيّة حسن فضل كبير في مجال لسانيات النّص من خلال نظريتهما في الاتساق، فمعظم الدّراسات التي جاءت بعدهما تدور في فلك هذه النّظريّة.

لقد عزز هذا العمل من فكرة المساحة المشتركة بين النّحو العربي ولسانيات النّص، فللضمير في ضوء نظريّة النّحو العربي مكانة هامة في الرّبط، وهو من منظور لسانيات النّص من أهم عناصر الإحالة، وهي بدورها من أهم أدوات الاتساق النّصي، والأمر نفسه يقال بالنّسبة لأدوات الاستثناء التي تصل الفعل إلى ما بعدها لكنها تؤدي معنى الإخراج، وهو ما يسمى في لسانيات النّص بالوصل العكسي. كما أن أدوات الشّرط في النّحو العربي تربط بين عبارتين فتجعلهما جملة واحدة، وهذا ما يسميه هاليداي وحسن بالوصل السّببي. كل هذا يثبت التّقاطع الكبير بين النّحو العربي ولسانيات النّص، وهو ما يمكن أن يكون نواة لبحث آخر يثبت أكثر هذه الفكرة.

قائمة المراجع:

1- أحمد مختار عمر: **علم الدّلالة**، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1985.

2- أحمد عفيفي: **نحو النّص اتجاه جديد في الدّرس النّحوي**، مكتبة زهراء الشّرق القاهرة ط1، 2001.

3- الأزهر الزّناد: **نسيج النّص**، المركز الثّقافي العربي، ط1، 1993.

4- تمام حسان: **الخلاصة النّحويّة**، عالم الكتب، ط1، 2000.

5- تمام حسان: **اللغة العربيّة معناها ومبناها**، دار الثّقافة، الدّار البيضاء المغرب، دط 1994.

6- براون ويول: **تحليل الخطاب**، ترجمة لطفي الزّليطي ومنير التّريكي، النّشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود، الرّياض، السّعوديّة، ط1، 1997.

7- روبرت دي بوغراند: **النّص والخطاب والإجراء**، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب القاهرة ط2، 1997.

8- محمد حماسة عبد اللطيف: **بناء الجملة العربيّة**، دار غريب، القاهرة، د ط 2003.

9- محمد خطابي: **لسانيات النّص**، المركز الثّقافي العربي، المغرب، ط2 2006.

10- محمد الشّاوش: **أصول تحليل الخطاب**، المؤسسة العربيّة للتوزيع، تونس ط1 2001، ج1.

11- مفتاح بن عروس: **الاتساق والانسجام في القرآن**، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر 2008.

12- صبحي إبراهيم الفقي: **علم اللغة النّصي بين النّظريّة والتّطبيق**، دار قباء القاهرة ط1، 2000، ج1.

13- عزة شبل محمد: **علم لغة النّص النّظريّة والتّطبيق**، مكتبة الآداب، القاهرة ط2 2009.

14- فتحي رزق الخوالدّة: **تحليل الخطاب الشّعري، ثنائيّة الاتساق والانسجام في ديوان أحد عشر كوكبا**، دار أزمنة، عمّان، ط1، 2006.

هوامش:

1- محمد خطابي: **لسانيات النّص**، المركز الثّقافي العربي، المغرب، ط2، 2006، ص11.

2- محمد الشّاوش: **أصول تحليل الخطاب**، المؤسسة العربيّة للتوزيع، تونس، ط1، 2001 ج1، ص106.

3- نفسه: ص125.

4- الأزهر الزّناد: **نسيج النّص**، المركز الثّقافي العربي، ط1، 1993، ص 118.

5- **لسانيات النّص**: ص17.

6- نفسه: ص17.

7- براون ويول: **تحليل الخطاب**، ترجمة لطفي الزّليطي ومنير التّريكي، النّشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود، الرّياض، السّعوديّة، ط1، 1997، ص 239.

8- **نسيج النّص**: ص 119.

9- **لسانيات النّص**: ص17.

10- **نسيج النّص**: ص 118.

11- نفسه: ص 118.

12- صبحي إبراهيم الفقي: **علم اللغة النّصي بين النّظريّة والتّطبيق**، دار قباء، القاهرة ط1، 2000، ج1 ص40.

13- **نسيج النّص**: ص 123.

14- نفسه: ص 124.

15- **أصول تحليل الخطاب**: ص 125 – 126.

16- انظر: **لسانيات النّص**: ص 19.

17- فتحي رزق الخوالدّة: **تحليل الخطاب الشّعري، ثنائيّة الاتساق والانسجام في ديوان أحد عشر كوكبا** دار أزمنة، عمّان، ط1، 2006، ص 72.

18- **لسانيات النّص**: ص 19.

19- **أصول تحليل الخطاب**: ص 132.

20- انظر: **لسانيات النّص**: ص 20. وانظر أيضا: **أصول تحليل الخطاب**: ص 133 .وانظر أيضا: أحمد عفيفي: **نحو النّص اتجاه جديد في الدّرس النّحوي**، مكتبة زهراء الشّرق، القاهرة، ط2001،1، ص 123.

21- **تحليل الخطاب الشّعري**: ص 71.

22- **لسانيات النّص**: ص 21.

23- الأصح أن يقال بـنَوي قياسا على (قريّة – قروي) و (عليّ - علوي).

24- **لسانيات النّص**: ص 21.

25- نفسه: ص 22. وانظر: **أصول تحليل الخطاب**: ص 135.

26- محمد حماسة عبد اللطيف: **بناء الجملة العربيّة**، دار غريب، القاهرة، د ط، 2003 ص 208.

27- **لسانيات النّص**: ص 22. وانظر أيضا: **نحو النّص**: 127.

28- **لسانيات النّص**: ص 23.

29- **نحو النّص**: ص 128.

30- **لسانيات النّص**: ص 24.

31- روبرت دي بوغراند: **النّص والخطاب والإجراء**، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب القاهرة ط1997،2، ص 346 وما بعدها.

32- **لسانيات النّص**: ص 23.

33- عزة شبل محمد: **علم لغة النّص النّظريّة والتّطبيق**، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2 2009 ، ص 112.

34- مفتاح بن عروس: **الاتساق والانسجام في القرآن**، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر 2008، ص 253.

35- انظر: **لسانيات النّص**: ص 24 – 25. وانظر أيضا: **الاتساق والانسجام في القرآن**، ص 340 وما بعدها.

36- أحمد مختار عمر: **علم الدّلالة**، عالم الكتب، القاهرة، ط1985،1، ص 79 وما بعدها.

37- انظر: **علم اللغة النّصي بين النّظريّة والتّطبيق**، هامش 2، ص 118.

38- نفسه: ص 118.

39- تمام حسان: **اللغة العربيّة معناها ومبناها**، دار الثّقافة، الدّار البيضاء، المغرب، دط 1994، ص 213.

40- نفسه: ص 213.

41- تمام حسان: **الخلاصة النّحويّة**، عالم الكتب، ط1، 2000، ص 99.

42- **علم اللغة النّصي بين النّظريّة والتّطبيق**: ص 119.

43- **بناء الجملة العربيّة**: ص 78 – 79.

44- **علم اللغة النّصي بين النّظريّة والتّطبيق**: ص120.

مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 22 العدد: 50 السّنة: الثّلاثيّ الثّاني 2020 ص: 213 - 236

السّياق ودوره في تحديد دلالات الاستلزام التخاطبي
دراسة في كتاب " اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشّيخان "
نماذج مختارة من الحديث النبوي

Context and its role in determining the mplications of discourse invocation.

Study in the book of "peals qnd coral as agreed by the tzo sheikhs"

Selected models from the prophets hadith.

أ. عبد الصّمد بطوش [1]

إشراف الدّكتور: سليمان بن سمعون

تاريخ الإرسال: 06 02 2019 **تاريخ القبول:** 17 10 2019

ملخّص: يهدف البحث إلى تسليط الضّوء على دور السّياق في تحديد المعاني وكذا علاقة السّياق بنظريّة الاستلزام التّخاطبي في الوصول من معنى مباشر إلى معنى غير مباشر مستلزم، بدءا بتعريف السّياق والاستلزام وبحث الفرق بينهما، ثم بيان مظاهر تطبيقهما على الحديث النّبوي وهذا من خلال نماذج مختارة من الحديث النّبوي من كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشّيخان

الكلمات المفتاحيّة: السّياق، الاستلزام التّخاطبي، معنى مباشر، معنى مستلزم الحديث النّبوي.

_Abstract : This research shed light on the role of context in determining to meanings as well as to relation of to context to the theory of discourse invocation in access from a direct meaning starting with

definings the context and invocation, then showing the manifestations of applying them to the prophets speech hadith this would happen through selected samples from the prophets hadith from the book of "pearls and coral as agreed by the two sheikh"

Key words: Context, discourse invocatin, direct meaning, necessning meaning the prophets hadith.

مقدّمة: عُرف السّياق قديما وحديثا في الدّراسات العربيّة والغربيّة، بذات المعنى مع اختلاف طفيف في المضامين، وله حضوره في الوقوف على المعنى المراد من العبارات أو الوحدات الكلاميّة [2]، فبه نصل إلى المعنى، والسّياق ليس حكرا على علم بعينه، لأنّنا لا نجانب الصّواب إذا قلنا أنّ السّياق وجد بقوة عند الفيلسوف، وعند النّحوي، وعند البلاغي، وعند الأصولي، وعند أصحاب النّظريات الحديثة على تنوعها واختلافها فكانت له الهيمنة بفرض نفسه، حيث لا يستطيع أي أحد من هؤلاء أن يقول إنّي لا أحتاج إليه، أو أُنتج عباراتي وجملي ونصوصي مستقلة وبعيدة عنه، ونحن نقول: السّياق موجود وله دخل كبير في تحديد عمليّة التّواصل، لهذا أردنا أن نقترب منه في بحثنا هذا، إلا أنّ هذا الاقتراب لا يكون بالطّريقة التّقليديّة، أي بسرد تعريفاته، بل بوضع عناصر اخترناها حيث رأينا أنّه لا يمكن تحديدها، أو الوقوف على جوانبها إلا به.

أوّلا: بين النّظريّة السّياقيّة ونظريّة الاستلزام التّخاطبي: تعدّ كلتا النّظريتين نظريّة مهمّة من نظريّات اللّغة، تصبو إلى استكناه المعنى النّموذجي للخطاب، وقد جاءت المقاربة بينهما تداوليا، بالنّظر إلى بنيّة المعنى فيهما ومستواهما الوظيفيّ في النّص وأدائهما كتحصيل سياقي ملائم مع الجوّ الخطابي وعلاقة الخطاب بأحوال المتخاطبين ومقاصدهم [3].

وتعنى النّظريّة الأولى بـ: «السّياق التّواصلي، للألفاظ والعبارات، ودراسة كل ما يحيط بالحدث اللّغوي من ظواهر غير لغويّة كـ:(المقام، والمتكلمين

ومقاصدهم وحيثيات الاستعمال، وغيرها)، وأثر ذلك في استخلاص المعنى من النّص أو الخطاب في حين كان اعتناء النّظريّة الثّانيّة بالبحث عن معايير وضوابط (القدرة التّواصليّة) كوسيلة للوصول إلى المعنى في شكله التّداولي المطلوب» [4].

وبالتّدقيق في النّظريّتين نجد أنّهما: «يتشربان المعنى تداوليا ويسعيان إلى إنتاج علاقة خطابيّة مناسبة مع أوضاع المتخاطَبين ومقاصدهم وظروفهم المرهونة حيث يوظَّف الخطاب في كلتيهما لبلوغ المقصد التّواصلي، من خلال الرّبط بين النّص وغرضه، بغيّة الوصول إلى المعنى النّموذجي» .[(3)]

وقدّم هيثم محمد مصطفى مخططا [5] خلص من خلاله إلى استدلال بيانه: «توفر الإطار التّداولي المتكامل بين النّظريّتين والقضايا العلميّة الوظيفيّة للّغة والذي يكون المعنى فيهما مرهونا بخصوصيات سياق المقام الكلامي، وقدرة المبادئ الحواريّة المفترضة على احتواء وتحديد عمليّة الاتصال الضّروريّة للعبارة اللّغويّة، من خلال القدرة على الملاءمة والمناسبة للخطاب بما يهيئ التّواصل النّاجح بين المتكلّم والمخاطَب [6] وجاء المخطط على النّحو الآتي:

المقاربة التّداوليّة

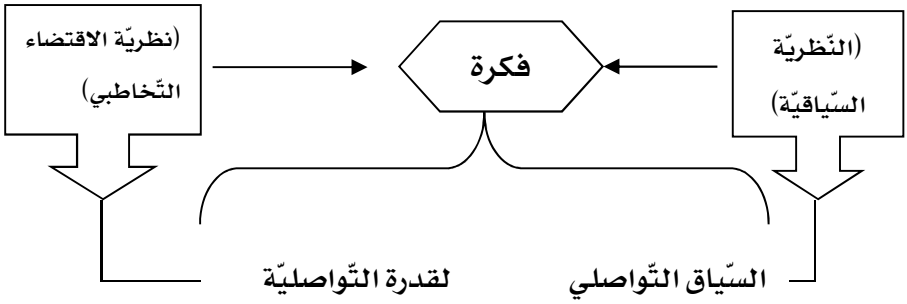

1. السّياق وأهميته:

للسياق [7] أهميّة كبيرة في فهم النّصوص وتحليلها، حيث إنّه كما قلنا سابقالم يكن محل اهتمام الباحثين في تخصص لسانيات النّص في الوقت الحالي لوحدهم، بل عمّ كل علماء اللسانيات، فانتبهوا له وأعطوه قيمته، وبرز حضوره في الدّرس اللساني وأيضا كما ذكرنا في توطئة هذا الفصل أنّ علماءنا القدامى أعطوه أهميّة فائقة، لِما كان له من دور في تحديد المعنى، وتوجيه دلالات العلامات اللّغويّة خاصة في كتاب الله العزيز وسنة نبيه الشّريفة.

فعمليّة التّواصل دائما متعلّقة بعناصر تتدخل في تبيان المعنى: «إذ لا يمكن للمؤَوِّل بحال من الأحوال الوصول إلى تأويل النّص دون النّظر في هذه العناصر ومن هنا يكون السّياق _ في الوقت الذي يُعدُّ فيه رافدا معرفيا للتداوليّة _ ضابطا تأويليّا يحدُّ من جُموح الافتراضات المتعدّدة التي قد تثيرها الرّسالة مكتوبة كانت أو ملفوظة أو غير ذلك، فإنّ السّياق بما يضعه بين يدي المحلل من معلومات «يحصر مجال التّأويلات، ويدّعِم التّأويل المقصود، ومن ثَمّ فهو الحارس الأمين للمعنى ». [8] ونفهم من هنا أنّ السّياق عنصر ضروري من عناصر ضبط المعنى في العمليّة التّواصليّة.

ويشير ابن قيّم الجوزيّة إلى أنّ: «السّياق يُرشد إلى تبيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوّع الدّلالة، وهو من أعظم القرائن الدّالة على مراد المتكلّم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالطٌ في مناظرته». [9] فهو يعدُّه الفيصل في توجيه قصد المتكلّم، لأهميته في موروثنا العربي _ بعدِّه المنهج الأمثل في تفسير القرآن الكريم وشرح سنة نبيّهﷺ_ فضلا على فهم المعنى وكشفه إذا حدث لبس أو غموض، كما يعدّ السّياق من أبرز ما اهتمت به كبار المدارس اللّغويّة على المستوى العالمي، فقد غدى نظريّة للدراسة الدّلاليّة، ومن بين المدارس التي اهتمت به مدرسة «فيرث (firth) _ اللّغوي الانجليزي _ الذي وضع نظريّة سمّاها "نظريّة السّياق". [10]

فجاء تصريحه الآتي بيانا لأفكاره: «إنّ المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسيّيق الوحدة اللّغويّة، أي وضعها في سياقات مختلفة، فمعظم الوحدات الدّلاليّة تقع مجاورة لوحدات أخرى، وإنّ معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها» [11]، ومن الميادين المعرفيّة التي برزت فيها أهميّة السّياق؛ التّداوليّة، حيث أخذ مسارا أكثر بعدا مع هذه الدّراسة، والتي عمّق أصحابها في مسالة السّياق اعتمادا على تجاوز الإطار اللّغوي المحض، ليشمل السّياق الاجتماعي، والنّفسي، والثّقافي، حيث تسعى التّداوليّة أساسا للإجابة عن أسئلة المتكلّم وعلاقته بالمتلقّي، ودراسة اللّغة في علاقاتها بالعالم الخارجي، أي علاقاتها بظروف إنتاجها. [12] أي إنّ التّداوليّة حين تسعى للإجابة على تساؤلات المتكلّم فهي حتما تحتاج إلى ربط القول هنا بملابساته، وصبِّ اللّغة في قالب إنتاجها.

2. أقسام السّياق: إنّ دراسة معاني الكلمات عند أصحاب نظريّة السّياق تتطلب تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها، حيث اقترح بعضهم: «تقسيما للسياق شمل كل ما يتصل باستعمال الكلمة من علاقات لّغويّة، وغير لغويّة...» [13].حيث كان للاهتمام الذي حظيّ به السّياق دوره في تقعيد النّظريّة السّياقيّة، وتوضيح تفصيلاتها ووضع منهجيّة لها، ففصّل العلماء في أنواع السّياق وصنّفوه إلى قسمين هما الأشهر [14].

1.2. السّياق اللّغوي، (المقالي) context linguistic : وهو سياق داخلي يتمثل في البيئة اللّغويّة للتركيب اللّغوي، حيث يضمّ مجموعة من العناصر (الوحدات الصّوتيّة، والصّرفيّة، التّركيب النّحوي، المعنى المعجمي المصاحبة الأسلوب البلاغي، ظواهر الأداء المصاحب للأداء اللّغوي) [15]. ويقول عنه أحمد محمد قدور في كتابه، مبادئ اللسانيات: « إنّه حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة متجاورة وكلمات أخرى مما يكسبها معنى خاصا محدّدا، ويشار في

هذا الصّدد إلى أنّ السّياق اللّغوي يوضّح كثيرا من العلاقات الدّلاليّة عندما يُستخدم مقياسا لبيان التّرادف والاشتراك، أو العموم، أو الخصوص، أو الفروق ونحو ذلك» [16] وكأنّه يقول بأن السّياق اللّغوي هو الذي يُحدّد العلاقات داخل التّراكيب الاسناديّة، وهو ما تُنتجُه الكلِمة بضمّها إلى أخواتها، وبضمّ القول إلى القول. ونمثل لذلك بحديث عائشة رضي الله عنها: أنّ قريشا أهمّهم شأن المرأة المخزوميّة التي سرقت، فقالوا: ومن يُكلّم فيها رسول الله ﷺ؟ ثُمّ قالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حِبُّ رسول الله ﷺ؟ فكلّمه أسامة، فقال رسول اللهﷺ: (**أتشفع في حد من حدود الله؟**) ثمّ قام فاختطب، ثمّ قال: "**إنّما أهلك الذين قبلكم أنّهم كانوا إذا سرق فيهم الشّريف تركوه، وإذا سرق فيهم.**

السّياق	المعنى
قطعت يدها(قطع اليد)	بترها وفصلها عن الجسم
قطع دابرهم	استأصلهم
قطع النّهر	عبره
تقطعوا أمرهم بينهم زبرا	تقسموه وتفرقوا
قطع الرّحم	عقها ولم يصلها
قطع الحديث	لم يكمله
قطعناهم في الأرض أمما	فرقناهم فرقا
تقطعت بهم الأسباب	انقطعت أسبابهم ووصلهم
تقاطع الشّيء	بان بعضه من بعض
القطع والقطيعة	الهجران
قطع لسانه	أسكته
انقطع البرد والحر	ذهب وقته
فقُطع دابر القوم الذين ظلموا	استُؤصِلوا من أخرهم

الضّعيف أقاموا عليه الحدّ؛ وأيم الله! لو أنّ فاطمة ابنة محمد سرقت لقطعتُ يدها" [17]

فبالنّسبة للألفاظ التي اخترناها هي لفظة "الحدّ"، ولفظة "قطعت" ثمّ نأتي ببعض السّياقات المختلفة التي تكون فيها اللّفظة، والجدولين الآتين تفسير لذلك:

لفظة قطعت (قطع) [18] لفظة الحدّ [19]

السّياق	المعنى
حدود الله تعالى	الأشياء التي بين تحريمها وتحليلها
حدّ السّارق	قطع يمينه
حدود الله	سميت كذلك لأنها تحدّ من إتيان ما جعلت عقوبات فيها (تلك حدود الله فلا تقربوها)
	أي أصبت ذنبا اوجب العقوبة
و من الحديث	
إني أصبت حدّا فأقمه عليّ	
حدّ السّكين وغيرها	منتهاه (المضاء)
حادّه	غاضبه مثل شاقّه
الحدُّ	الحيز والنّاحيّة
	المضاء في الدّين والصّلابة والمقصد إلى الخير
حديث عمر كنت أداري من أبي بكر بعض الحدِّ	
حد كل شيء	طرفه
حدّ الرّجل	بأسه ونفاذه في نجدته
حدَّ الرّجل عن الأمر	منعه
الحَدُّ	الصّرف عن الشّيء من الخير والشّر

من خلال هذه المحاولة البسيطة، نلاحظ كيف كان للكلام سياقا داخليا متمثلا في تلك العناصر التي ذكرناها، وأنّ الكلمة الواحدة تختلف باختلافه.

2.2. السّياق غير اللّغوي، أو سياق الموقف، أو سياق الحال context of situation:

ويُعرف أيضا بالسّياق الاجتماعي ويتمثل في: « كل العناصر غير اللّغويّة المحيطة بالعمليّة اللّغويّة» [20] أيضا هذا وكما يدل سياق الموقف على «العلاقات الزّمانيّة والمكانيّة التي يجري فيها الكلام، ونجد إشارة له عند البلاغيين، حيث عبّروا عنه بمصطلح (المقام)، وقد غدت كلمتهم (لكل مقام مقال) مثلا مشهورا» [21] وينوّه الدّكتور تمّام حسّان إلى أنّ فكرة المقام عند البلاغيين سبقت ما صاغه الغربيون « تحت عنوان: context of situation بحوالي ألف سنة أو ما فوقها، بيد أن كتب هؤلاء لم تجد الدّعايّة الكافيّة على المستوى العالمي ما وجده مصطلح هؤلاء، بسبب انتشار العالم الغربي في كل الاتجاهات» [22]

وتبعا لقول البلاغيين (بالمثال يتضح المقال)، نمثل بحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، حين قال: قال النّبيّ ﷺ: (**الحرب خُدْعَة**) [23] إنّ القارئ للحديث النّبويّ الذي بين أيدينا يتبادر إلى ذهنه أنّ النّبيّ ﷺ أمرنا بالخداع في الحرب، وهو الظّاهر من كلامه فإن كان الأمر كذلك، فالإسلام إذن دين خداع ومكر،... و حاشاه ﷺ من كل هذه الصّفات، حيث يقول فيه الله ﷻ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم /الآيّة 4، و الدّليل من سنته ﷺ، أنّه نهى عن قتال العدو ممن لم تبلغهم الدّعوة حتى يدعوهم إلى الإسلام لأنه يلزمهم الإسلام قبل العلم [24] استنادا إلى قوله ﷻ: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ (الإسراء/ الآيّة 15) و بالتّالي لا يجوز قتالهم

على ما لا يلزمهم، وإن بلغتهم الدّعوة فالأحبّ أن يُعرض عليهم الإسلام وجاء سياق الحديث في غزوة الخندق، حيث رأى أنّ الرّأي في الحرب أبلغ من القتال [25]. وذكر بعض أهل السّير«أن النّبيّ ﷺ قال هذا يومَ الأحزاب لمّا بعث نعيم بن مسعود أن يَحول بين قريش وغطفان، ويهود، ومعناه أنّ المماكرة في الحرب أنفع من المكاثرة والإقدام على غير علم، ومنه قيل نفاذ الرّأي في الحرب أنفذ من الطّعن والضّرب وقيل [...] الخداع في الحرب جائز كيفما أمكن ذلك إلاّ بالأيمان والعهود والتّصريح بالأيمان فلا يَحلُّ شيء من ذلك » [26]

حيث جُوِّز في الحرب ما لم يُجوَّز في غيرها من التّعريض مما يُنحى به نحو الصّدق مما يَحتمل المعنى الذي فيه الخديعة والغدر والألغاز، لا القصد إلى الإخبار عن الشّيء بخلاف ما هو عليه، ومنه: قول المبارز لندّه: خذ حزام فرسك قد انحلَّ؛ يشغله عن الاحتراس منه فيجد فرصة، وهو يريد أن حزام سرجه قد انحلَّ فيما مضى من الزّمان، أو يخبره من خبر يفظعه من موت أميره وهو يريد موت المنام أو الدّين ولا يكون قصد الإخبار عن الشّيء على خلاف ما هو عليه البتة، لأنّ ذلك حرام [27]

وهذه العبارة كثيرة المعنى مع اختصارها، فَمِنْ معناها، الأمر باستعمال الحيلة مهما أمكن و لو مرة، و إلا فقاتل [28] و من بين اللغات التي جاء عليها نص الحديث «قال سلمة بن عاصم تلميذ الفراء: من قال الحرب خُدْعَة فهو يَخْدَعُ و إذا خَدَعَ أحد الفريقين صاحبه فكأنها خُدِعَت هي، ومن قال خِدعَة، فقد وصفها باسم المصدر فيحتمل أن يكون في معنى خِدعَة تخدَعُه أي هي تَخْدَعُ وصف المفعول بالمصدر كما تقول: درهم ضرب الأمير، و إنّما هو مضروب الأمير. و قال بعض أهل اللغة: معنى الخَدْعة: المرّة الواحدة [...] والحرب خَدْعَة هذه أفصح اللّغات بفتح الخاء و إسكان الدّال » [29]

ومنها أيضا: « ... بالفتح فيهما، وهو جمع خادع أي أنّ أهلها بهذه الصّفة و كأنّه قال أهل الحرب خُدعَة [...] و فيه التّحذير على أخذ الحذَر في الحرب [...]

و هو كقوله ﷺ: (**الحج عرفة**) [30]، ومعنى الحرب خُدعَة، أي الحرب الجيدة لصاحبها الكاملة في مقصودها إنّما هي المخادَعَة لا المواجهة، و ذلك لخطر المواجهة، وحصول الظّفر مع المخادَعَة بغير خطر» [31] وأول ما قالها ﷺ في غزوة الخندق.إذن بالرّجوع إلى سياق الحديث، وربطه بملابسات القول يتضح أنّ المعنى مختلف تماما إنّما هو خاص بمكر الحرب، و بالتّشاور و الأخذ بالرّأي الصّواب فيها لأن القضيّة قضيّة حياة أو موت، يقول المتنبي [32]:

الـــرّأي قبـــل شـــجاعة الشّـــجعان هـــو أول و هـــي المحـــل الثّـــاني
فـــإذا همـــا اجتمعـــا لـــنفس حـــرة بلغـــت مـــن العليـــاء كـــل مكـــان
و لربّمـــا طعـــن الفتـــى أقرانـــه بـــالرّأي قبـــل تطـــاعن الفرســـان

و صدق الله العظيم، إذ يقول في وصف الحبيب المصطفى ﷺ بعد M: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾ النّجم/ 1- 4

ثانيا: العبارات اللّغويّة عند غرايس (H.P GRICE): لاحظ غرايس أنّ جمل اللّغات الطّبيعيّة يمكن في بعض المقامات أن تدلّ على معنى غير المعنى الذي يوحي به محتواها القضوي (أو معناها الحرفي) [33] أي إنّ للكلام دلالتّان: صريحة ومضمرة [34]، ولهذا جاءت العبارات اللغويّة عنده على صنفين:

1. المعاني الصّريحة: وهي المعاني المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها [35] أي هي تلك الدّلالة التي تدل عليها البُنيّة اللّغويّة بالوضع [36]، حيث تشمل:

1.1 المحتوى القضوي: وهو مجموع معاني مفردات الجملة مضموم بعضها إلى بعض في علاقة إسناد، أي إنها الدّلالة الحرفيّة.

2.1. القوة الانجازيّة الحرفيّة: وهي القوة الدّلاليّة المؤشر لها بأدوات تصبغ الجملة بصبغة أسلوبيّة ما: كالاستفهام، والأمر، والنّهي، والتّوكيد، والنّداء والإثبات والنّفي... [37]

2. المعاني الضّمنيّة: حيث يكون للسياق دخل في تحديدها والتّوجيه إليها وتتجلى دلالتّها في: « ذلك الذي لا تدل عليه ألفاظ التّعبير، ولا صورة التّركيب؛ وإنمّا يدل عليه السّياق (المقام) » [38]. وتشمل:

1.2. معان عرفيّة: وهي الدّلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطا أصيلا وتلازم الجملة ملازمة في مقام معين، مثل معنى الاقتضاء [39].

2.2. معان حواريّة (أو سياقيّة): تُولد حسب السّياقات التي تنجز فيها الجملة، أو حسب المقامات، وهي بذلك: معان استلزاميّة [40].

وإذا قلنا أن العبارات صريحة و ضمنيّة، فمفهوم الضّمني قد شدّ انتباه التّداوليين فأوستين [41] (J.L. AUSTIN) يشير إليه أكثر من مرة مع أنه في كتابه [42] لا يقترح صياغة له - صياغة مفهوميّة ولا صياغة نظريّة- و قد ماثل بين الإخبارات والأعمال الإنجازيّة بواسطة « الاقتضاء » [43]، وعلى إثر أوستين يعرف سورل [44] (J.SEARLE) الضّمني بشكل أكثر وضوح باعتباره الشّرط السّياقي لنجاح عمل لغوي [45]

وقد اقترح أحمد المتوكّل خطاطة توضح تصنيف المعاني المكوّنة للحمولة الدّلاليّة لجمل اللغات الطّبيعيّة حسب مقترحات غرايس وهي كالآتي:

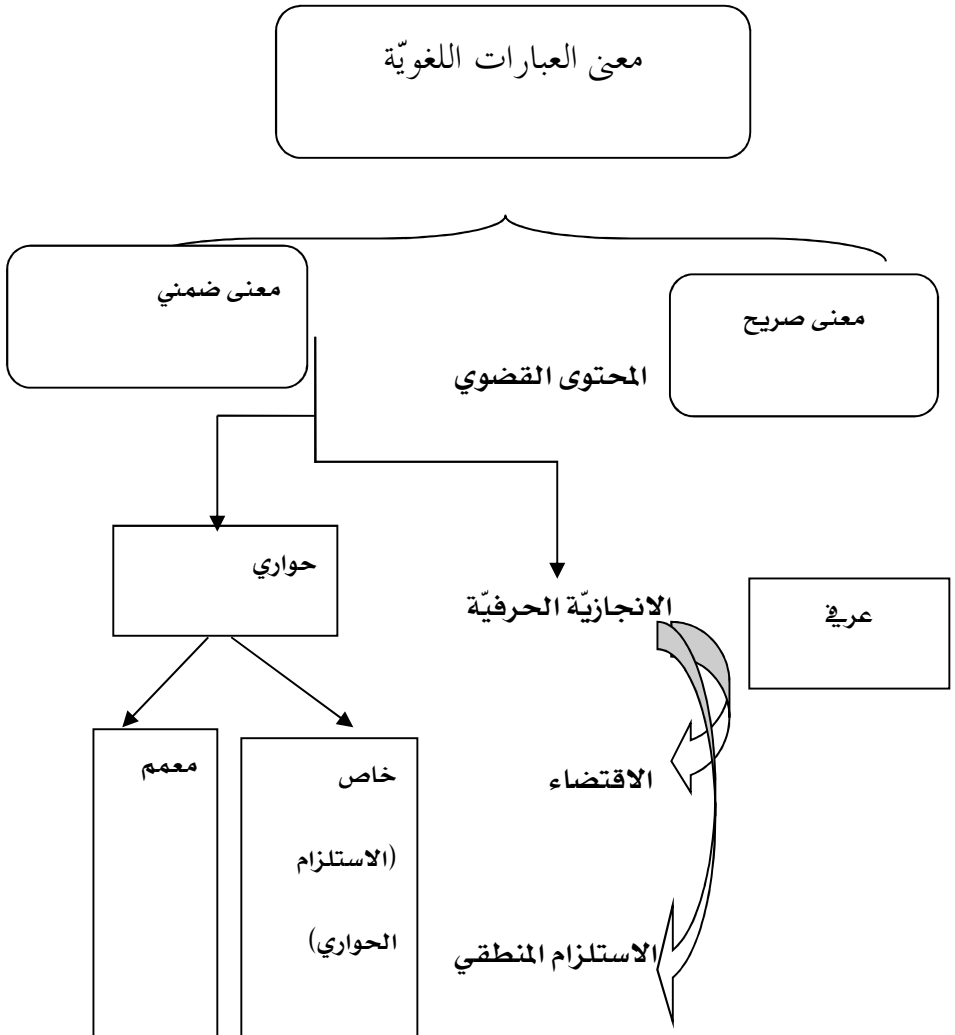

المخطط 46

وجاء منه في الحديث النّبوي:أنّ رسول الله M قال: (أفلا تخرجون مع راعينا في إبله فتصيبون من ألبانها وأبوالها؟) [47]

فالمعنى الصّريح للحديث مشكّل من محتواه القضوي وقوته الإنجازيّة، فأما المحتوى القضوي: فهو ناتج من ضم معاني مكوناته : الخروج مع الرّاعي

للاستزادة من ألبان الإبل في مرابدها لِما فيه من فائدة وهو ساخن أي بعد أن يُحلب مباشرة.

وأمّا قوته الإنجازيّة الحرفيّة، والمؤشر لها بالأداة (أفلا)، فهي الاستفهام، وينتج معناه الصّريح من ضم محتواه القضوي إلى قوته الإنجازيّة الحرفيّة، والمعنى الضّمني للحديث يتألف من معنين جزئيين هما كالآتي:

معنى عرفي هو الاقتضاء: جاء قوله ب(فتصيبون) من ألبانها، أي على جناح السّرعة، وإنّما كان هذا اقتضاء حالهم الصّحيّة أي لسقم أجسامهم

ومعنى حواري استلزامي: وهو طلب النّبيّ ﷺ من القوم الذين شكوا سقم أجسامهم له، الخروج بسرعة مع راعي الإبل، ولم يكن يستشيرهم في ذلك والمخطط [48] الآتي يوضح هذا التّصور:

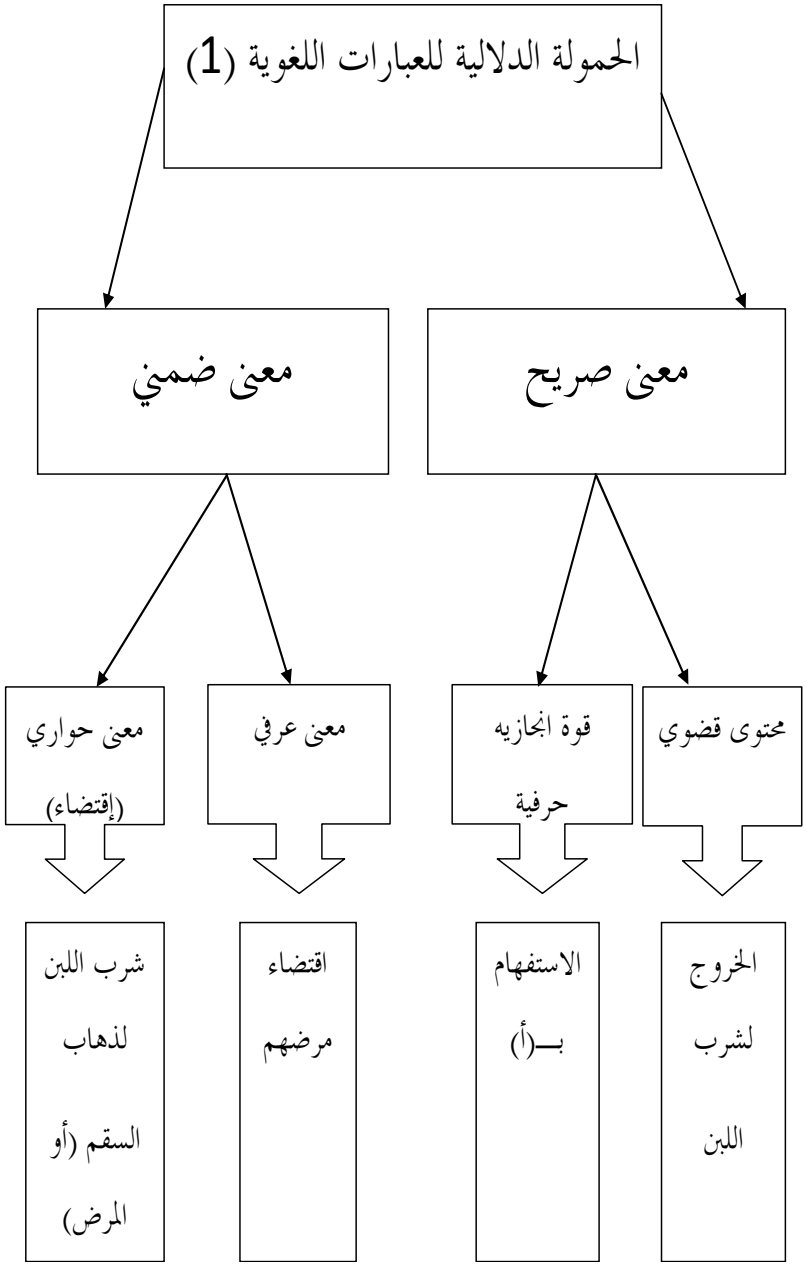
الحمولة الدلالية للعبارات اللغوية (1)
معنى صريح
معنى ضمني
محتوى قضوي
قوة انجازيه حرفية
معنى عرفي
معنى حواري (إقتضاء)
الخروج لشرب اللبن
الاستفهام بـــ(أ)
اقتضاء مرضهم
شرب اللبن لذهاب السقم (أو المرض)

ثالثًا: قانونا التّعرف على الاقتضاء: وقد حدّد دارسونا بعض القوانين التي يمكن من خلالها التّعرف على استلزامات القول، وعلى رأس ذلك ما أوجبه طه عبد الرّحمن من إتباع قانونين تخاطبيين للوصول إلى الاستلزامات، وهما [49]:

1. **قانون الاختصار:** يقضي هذا القانون بأن يضمر المُلقي في كلامه ما دلّت عليه القرائن، مقاليّة كانت أم مقاميّة، بحيث قد يفضي التّصريح به للمتلقي إلى أن يطلب فيه هذا المتلقي معنى غير المعنى الذي سيق له هذا الكلام [50].

ويشير طه عبد الرّحمن هنا إلى أنّ اللسان العربي ينماز على كثير من الالسّن بكونه:«يميل إلى إيجاز العبارة وطي المعارف المشتركة طيا، اعتمادا على قدرة المخاطَب في تدارك ما أضمر في الكلام، وفي استحضار أدلته السّياقيّة، بل إبداعها من عنده متى اقتضت ذلك حاجة الفهم، ومعلوم أنّه على قدر ما يأتي المتكلّم من الإضمار يأتي المستمع من الجهد في الفهم » [51]

وسنوضح هذا من خلال حديث البرّاء ﷺ قال: أُهديت للنبي ﷺ حُلّة حرير فجعل أصحابه يمسونها و يعجبون من لينها،فقال" **أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ خير منها أو ألين"**، وفي حديث أنس ﷺ قال: أُهدي للنبيّ ﷺ جُبّة سُندسٍ وكان ينهى عن الحرير، فعجب النّاس منها فقال: **"و الذي نفس محُمّد بيده! لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا "** [52]

وجاء في هامش كتاب اللؤلؤ والمرجان بعض من شرح الحديث فمثلا: المناديل جمع منديل وهو هذا الذي يُحمل في اليد قال ابن الأعرابي وابن فارس وغيرهما: هو مشتق من النّدل، وهو النّقل، لأنّه ينقل من واحد إلى واحد. وهي أدنى الثّياب لأنّه معدٌّ للوسخ والامتهان، فغيره أفضل.

وفي الحقيقة اعتمدنا على شرح هذه اللّفظة دون غيرها من ألفاظ الحديث لأنّها محلُّ الشّاهد في هذا الحديث، ومن هنا نطرح السّؤال الآتي: كيف

للنبيّ ﷺ أن يساوي حلّة الحرير بمنديل!؟ هل في الحقيقة أنّ تلك المناديل أحسن من حلّة الحرير؟ أم أنّ وراءها سرٌّ عظيم أي إنّ النّبيّ ﷺ حين قال المناديل لم يكن يقصد المناديل في حدّ ذاتها، إنّما هناك شيء وراءها، فإذا عدنا و استقرانا ألفاظ الحديث فسيُكشف لنا بعض اللبس و الغموض، فقول النّبيّ ﷺ أو تساؤله: أتعجبون من لين هذه؟ وجاء حين كان أصحابه يلمسون تلك الحلّة و يعجبون و يتعجبون من لينها و جمالها، حيث إن النّبيّ ﷺ ردها في البدايّة على صاحبها وجاء في حديث قيس بن النّعمان: « أنّه لّما قدم أخرج قباء من ديباج منسوجا بالذّهب فرده النّبي ﷺ، ثُمّ إنّه وجد في نفسه من رد هديته فرجع به، فقال له النّبي ﷺ ادفعه إلى عمر» [53] وكان النّبي ﷺ يريد أن يقول شيئا وهذا يتحدد من خلال سياق الحديث، أي إن هذه السّلعة رخيصة ولا تساوي عند الله شيئا- ألا إنّ سلعة الله غاليّة، ألا إنّ سلعة الله الجنّة- [54] فيستدل بمناديل سعد بن معاذ خير منها في الحديث الأوّل، وفي الحديث الثّاني، لمناديل سعد بن معاذ في الجنّة خير منها ففي الحديث الأوّل كانت القرينة الدّالة على أنّ سعدا في الجنّة مقاميّة، من خلال سياق الحديث، وأمّا في الحديث الثّاني فكانت القرينة مقاليّة وهي لفظة الجنّة فالنّبيّ ﷺ لم يقل إنّ معاذا في الجنّة وإنّما أشار إلى مناديله فإذا كانت مناديل سعد بن معذ خير من هذه الحلّة هذا اقتضاء على أنّ سعدا بن معاذ في الجنّة، قال الإمام النّووي: (قال العلماء هذه إشارة إلى عظيم منزلة سعد في الجنّة، حيث إن أدنى ثيابه فيها خير من هذه) [55]

و إذا أردنا تطبيق "قانون الاختصار" على الحديث النّبوي رقم: [1]، فإنّنا سنصل من خلاله إلى جملة من الإضمارات التّداوليّة، وهي عبارة عن الإضمارات التي يكون الأصل فيها مقامات الكلام وسياقاته من حيث مناسبته لها؛ ونذكر في هذا الصّنف من الإضمارات مايأتي: [1] حديث جرير [56]، قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ألا تَرِيحُني من ذي الخلصة [57] ؟)**

أ- إنّ المتكلم يخاطب المستمع في حضوره، (الكلام بين النّبي ﷺ و جرير)

ب- إنّ هناك علاقة تعارف تجمع بينهما ؛

ج- إنّ هناك طرقا في التّعامل بينهما ؛

د- إنّ الجهاد في سبيل الله عمل محمود، (بعثه لكسر الأصنام الموجودة هناك)؛

هـ- الاستعانة في الجهاد بالغير عمل مشروع، (استعان النّبي ﷺ بجرير في مجاهدة أهل ذي الخلصة).

كما نتعرف فيه بفضل هذا القانون- قانون الاختصار- على جملة من الإضمارات الدّلاليّة، وهي عبارة عن الإضمارات التي يكون الأصل فيها هو مجرد البُنيّة الدّلاليّة للقول [58]. رغم أنّه لم يفصل بين الجانب التّداولي والدّلالي ونورد من هذا الصّنف من الإضمارات مايأتي:

و- إنّ المخاطَب يملك قدرة؛

ز- إنّ المخاطَب يقبل الذّهاب؛

ح- إنّ المتكلّم لا يستطيع الذّهاب.

إنّ المتكلّم يملك ثقة في المخاطَب.

إنّ المتكلم يطلب التّخلص من قوم يعبدون الأصنام.

2. قانون حفظ المقتضى: «يوجب هذا القانون أن يبقى المقتضى محفوظا في القول متى تقلبت عليه أساليب الكلام، إن خبرا أو إنشاء، إيجابا أو سلبا، بحيث يبقى في مقدور المتلقي أن يجد لكلّ صيغة أسلوبيّة يرد فيها القول المقتضي (بكسر الضّاد) تأويلا يلزم منه وجود المقتضى (بفتح الضّاد) » [59].

ويجلّي طه عبد الرّحمن التّعريف: «بأنه ينطوي على افتراض أنّ لكل صيغة تعبيريّة وجها فأكثر لفهم معناها ؛ يترتب على ذلك بأنّه بالإمكان تقسيم

الصّيغ التي يدخل في تركيبها القول المنظور في اقتضاءاته إلى قسمين اثنين أحدهما: قسم الصّيغ التي لا تحمل على الأكثر إلاّ تأويلا واحدا » [60].

حيث لاحظ إن الاقتضاءات الملازمة للقسم الأوّل تكون واجبة الوجود فيه بينما تكون اقتضاءات القسم الثّاني جائزة الوجود فيه، وإنّه لايستبعد أن تتفاوت درجة هذا الجواز، فقد يكون التّأويل الحامل للاقتضاءات المطلوبة لنا راجحا على غيره من التّاويلات الممكنة الصّيغة أو يكون مساويا له أو حتى مرجوحا؛ و لا ضير في هذا لأن المطوب ليس إلّا إمكان بقاء المقتضى من وراء تقلب الصّيغة، وليس أبدا وجوب هذا البقاء، ويكفي في ذلك الظّفر بتأويل يحفظ هذا المقتضى، غلب على الصّيغة أم لم يغلب عليها [61].

وإذا أردنا تطبيقه على الحديث السّابق، [1] فسنصل من خلاله إلى التّحقق من الصّفة الاقتضائيّة لتلك المجموعة من الإضمارات السّابقة بنوعيها: التّداوليّة والدّلاليّة وذلك بإضهار عدم تأثرها بمختلف التّحويلات الأسلوبيّة التي نجريها عليه إذ تبقى هذه الإضمارات حاضرة في الصّيغ الخبريّة والإنشائيّة التي ننقل إليها هذا الحديث، حيث نلاحظ من خلالها بقاء الإضمارات المذكورة، وهي:

[2] لا تريحني من ذي الخلصة؛

[3] أرحتني من ذي الخلصة، (خبر مثبت)؛

[4] لن تريحني من ذي الخلصة، (خبر منفي)؛

[5] هل تريحني من ذي الخلصة؟، (إستفهام)؛

[6] ما أعجلك في إراحتي (في التّخلص) من ذي الخلصة، (تعجب)؛

[7] يا ليتك (لو) تريحني من ذي الخلصة، (تمن).

وسنوضح إن شاء الله كيف أنّ تلك الإضافات في التّركيب لم تغير القول الأصل، مستندين في ذلك أو متّبعين في ذلك الطّريقة التي طبقها طه عبد

الرّحمن في كتابه، التّكوثر العقلي في الصّفحة 114- 115، حيث نأخذ على سبيل المثال صيغة التّمني، [7] ونعمل على مقابلتها بغيرها، حيث تبدو وكأنّها تقوم مقام الصّيغة، [1] - صيغة الحديث – حيث نستطيع الاستغناء في اختبارنا لبقاء المقتضي بـ [7] عن الصّيغتين [4] المنفيّة، [5] الاستفهاميّة، لأنّ دلالتّهما الحرفيّة تنتقل إلى دلالة مستلزمة وهي (طلب) وما عليه التّمني في [7]، فتبقى لنا الصّيغتان [3]، [6] والظّاهر هنا أنّ ما لـ [3] من الاقتضاءات، ما تدخل فيه اقتضاءات التّعجب: [6]، وعن طرق التّعديّة نستغني عن [3]، [6] ومنه نصل إلى إثباتنا بكفايّة جملة التّمني [7] في التّدليل على بقاء المقتضى.

وعند الرّجوع للمقارنة بين [1] و [7] يتضح لنا بقاء المضمرات التّداوليّة في [7] على الرّغم من تلك التّغيرات مع تغير الأدوات.

خاتمة:

وفي ختام هذا الفصل نكون قد وصلنا إلى ما تساءلنا عنه في توطئتة إن شاء الله، حيث إنّنا استنتجنا ما كان للسياق من دور في تحديد وتوجيه دلالات الاقتضاء وكيف كان له دخل في الوقوف على طرق أبواب الصّريح من الكلام وكسر أبواب الضّمني منه، وأيضا كيف كان حضوره بقوة في قوانين التّعرف على الاقتضاء (قانون الاختصار)، (قانون حفظ المقتضى) وعليه نستطيع القول إننا لا نستطيع فصل الاقتضاء عن السّياق، وهذا ما خلصنا إليه حيث إنّه:كلّما وجدت عناصر لغويّة حاملة لقوة اقتضائيّة معينة، في جملة أو تعبير أو ملفوظ كلّما حصل اقتضاء بالقوة أو بالفعل.

الاقتضاء يحدّد باعتبار المقامات (السّياقات) التي ينجز فيها، والتي تضمّ المواقف القضويّة ومقاصد كل من المتكلم والمخاطب

يعد السّياق ركيزة أساسيّة نصل من خلالها إلى المعنى المضمر في هاته المدونة، والسّياق أيضا عامل مهمّ في تحديد محتوى القضيّة.

الهوامش:

[1] جامعة غردايّة، الجزائر، البريد الإلكتروني: Bettouche2603@gmail.com

[2] جون لاينز، **اللّغة والمعنى والسّياق**، ترجمة عباس صادق الوهاب، دار الشّؤون الثّقافيّة العامة، بغداد العراق، ط 1، 1987، ص 242.

[3] - ينظر نفسه، ص 249.

[4] - نفسه، ص 250.

[5] – يحاول من خلاله إعطاء أسبقيّة البيان لهذه المقاربة الحاصلة في البحث بين النّظريتين .

[6] – هيثم محمد مصطفى، **بين نظريّة السّياق ونظريّة الاستلزام الحواري**، ص 250.

[7] - جاء في لسان العرب، سوق: «السّوق: معروف، ساق الإبل وغيرها، يسوقها سوقا وسياقا وهو سائق وسوّاق، شدّد للمبالغة.

[8] - عيد بلبع، **السّياقيّة و السّياقيون**، مقدمات تأسيسيّة، مجلة سياقات، العدد 1، دار بلنسيّة القاهرة، مصر، ط 1، 2008، ص 12.

[9] – ابن قيّم الجوزيّة، **بدائع الفوائد**، تحقيق علي بن محمد العمران، دار علم الفوائد، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، جدّة، السّعوديّة، ط 1، 1424ه، مج 4، ص1314.

[10] - ينظر محمود بوستة، **الاتساق والانسجام في سورة الكهف**، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخصر، باتنة ، الجزائر، 2009، ص 156.

[11] - أحمد مختار عمر، **علم الدّلالة**، عالم الكتب الحديث، القاهرة، مصر، ط 5، 1998 ص 69.

[12] - ينظر علي آيت أوشان، **السّياق والنّص الشّعري من البنيّة إلى القراءة**، مطبعة النّجاح الجديدة الدّار البيضاء، المغرب، ط 1، 2000، ص16، وينظر باديس لهويمل، **السّياق ومقتضى الحال في مفتاح العلوم _ متابعة تداوليّة_** ، مجلة المخبر ، ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر العدد09، 2013، ص 165.

[13] - أحمد محمد قدور، **مبادئ اللسانيات**، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 2، 1999، ص 295. وينظر عبد الهادي بن ظافر الشّهري، **استراتيجيات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة** دار الكتاب الجديدة، بيروت لبنان، ط 1، 2004، ص 42- 43- 44.

[14]- ينظر شاذليّة سيد محمد السّيد، **السّياق وأثره في بيان الدّلالة، دراسة تأصيليّة تطبيقيّة في غريب الحديث**، مجلة الدّراسات اللغويّة والادبيّة، كليّة التّربيّة، جامعة الجزيرة، السّودان ص 110.

[15]– ينظر نفسه، ص 110- 111.

[16]- أحمد محمد قدور، **مبادئ اللسانيات**، ص 295.

[17]- محمد فؤاد عبد الباقي، **اللؤلؤ والمرجان** . . .، كتاب الحدود، باب قطع السّارق وغيره...، ص 269.

[18]- ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة مصر، ط 1 1981، المجلد 5، ج 41، باب القاف، مادة قطع، ص 3674.

[19]- ابن منظور، **لسان العرب**، المجلد 2، ج 10، باب الحاء، مادة حدد، ص 800.

[20]- شاذليّة السّيد محمد السّيد، **السّياق و أثره في بيان الدّلالة**...، ص 112.

[21]- أحمد محمد قدور، **مبادئ اللسانيات**، ص 298.

[22]– ينظر تمّام حسّان، **اللّغة العربيّة معناها و مبناها**، دار الثّقافة، الدّار البيضاء المغرب، د ط، 1994 ص 337.

[23]- محمد فؤاد عبد الباقي، **اللؤلؤ و المرجان**...، كتاب الجهاد، باب الحرب خدعة، ص 281.

[24]- النّووي، **كتاب المجموع شرح المهذب للشيرازي**، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، مكتبة الارشاد جدة، المملكة العربيّة السّعوديّة،د ط، د ت، المجلد 21، كتاب الجهاد و السّير ص 144.

[25]- ينظر النّووي، **كتاب المجموع شرح المهذب للشيرازي**، ص 154.

[26]- ينظر ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، ج 5، كتاب الجهاد، باب الحرب خدعة، ص 187

[27]- ينظر نفسه، ص 187.

[28]- ينظر ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، كتاب فضل الجهاد و السّير، باب الحرب خدعة، ج 6 ص 183.

[29]- ينظر ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، ج 5، كتاب الجهاد، باب الحرب خدعة، ص 188.

[30]– مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، ط 1 1348ه- 1972 المجلد 5، ج 9، 33.

[31]- ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، نفسه، ص 183.

[32]- حامد كمال، **معجم أجمل ما كتب شعراء العربيّة**، دار المعالي، عمان، الأردن، ط 1 2002، ص 412.

[33]- ينظر أحمد المتوكل، **اللسانيات الوظيفيّة مدخل نظري**، ص 26- 27- 28.

[34]- ينظر بنعيسى أزاييط، **الخطاب اللساني العربي**، عالم الكتب الحديث، اربد، الاردن، ط 1 2012، ج 1، ص 63

[35]- أحمد المتوكل، **اللسانيات الوظيفيّة** ص 28.

[36]- بنعيسى أزاييط، **الخطاب اللساني العربي**، ج 1،ص 101.

[37]- مسعود صحراوي، **التّداوليّة عند العلماء العرب**، دار الطّليعة، بيروت، لبنان، ط 1 2005، ص 35

[38]- بنعيسى أزاييط، **الخطاب اللساني العربي**، ج 1،ص 102.

[39]- مسعود صحراوي، **التّداوليّة عند العلماء العرب**، ص 35.

[40]- حافظ إسماعيلي علوي، **التّداوليات علم استعمال اللغة**، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط 1 2011، ص 266.

[41]- أحد أعلام التّداوليّة، صاحب نظريّة أفعال الكلام، و رائد مرحلة تأسيس النّظريّة.

[42]- نظريّة أفعال الكلام (كيف نصنع أشياء بالكلمات).

[43]- فيليب بلانشيه، **التّداوليّة من أوستين إلى غوفمان**، تر:صابر الحباشة، دار الحوار اللاذقيّة سوريا، ط 1، 2007، ص 145.

[44]- أحد أبرز أعلام التّداوليّة مع صديقه أوستين، رائد مرحلة البناء (بناء نظريّة أفعال الكلام).

[45]- فيليب بلانشيه، **التّداوليّة من أوستين إلى غوفمان**، ص 146.

[46]- أحمد المتوكل، **اللسانيات الوظيفيّة**، ص 29.

[47]- محمد فؤاد عبد الباقي، **الؤلؤ و المرجان**، حديث انس، ص 265.

[48]- ينظر مسعود صحراوي، **التّداوليّة عند العلماء العرب**، ص 37.

[49]- ينظر طه عبد الرّحمن، **اللسان و الميزان أو التّكوثر العقلي**، ص 112.

[50]- نفسه، ص 112.

[51]- نفسه، ص 112.

[52]- محمد فؤاد عبد الباقي، **اللؤلؤ و المرجان**...، كتاب فضائل الصّحابة، باب من فضائل سعد بن معاذ،ص 420.

[53]- ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، كتاب الهبة، باب قبول هديّة المشركين، ص274.

[54]– عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: "من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إنّ سلعة الله غاليّة، ألا إنّ سلعة الله الجنّة". ينظر التّرميذي، **سنن التّرميذي**، دار الكتب العلميّة بيروت، لبنان، ط 2، د ت المجلد 2، ج1، ص 410.

[55]– محمد فؤاد عبد الباقي، **اللؤلؤ و المرجان**، الهامش ص420.

[56]– نفسه، كتاب فضائل الصّحابة، باب من فضائل جرير بن عبد الله، ص421.

[57]– ذي الخلصة: هو بيت في اليمن كان فيه اصنام يعبدونها.

[58]– ينظر طه عبد الرّحمن، **اللسان و الميزان أو التّكوثر العقلي**، ص 113- 114.

[59]– طه عبد الرّحمن، **اللسان و الميزان او التّكوثر العقلي**، ص 113.

[60]– نفسه، ص 113.

[61]– ينظر طه عبد الرّحمن، **اللسان و الميزان أو لتكوثر العقلي** ، ص 113.

مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 22 العدد: 50 السّنة: الثّلاثيّ الثّاني 2020 ص: 237 - 258

القارئ الضّمني ولعبة الكتابة الإبداعيّة
" دراسة تطبيقيّة في العتبات النصيّة لروايّة كتاب الأمير لواسيني الأعرج "

The implicit reader and creative writing game
An applied study in the textual thresholds of the «Prince 's Book » Waciny Laredj

أ/ فاطمة الزّهراء شودار[1]

تاريخ الإرسال: 05 11 2019 تاريخ القبول: 09 01 2020

ملخّص: شهدت الحركة النّقديّة عبر محطاتها، ومساراتها انتقالا ملحوظا من خلال المعاينة الاستنطاقيّة، التي تبحر بالنّص الأدبي إلى عوالم تنكشف فيه وتتجسد المعاني الظّاهرة، والخفيّة وصولا إلى مساحة التّشيد، لنقف في الأخير أمام تأليف ثانٍ يجمع بين قوة التّوليفات النّصيّة، وطاقة الآليّة النّقديّة المتبعة. لهذا كان لنا ضمن هذه المساحة البحثيّة الإجرائيّة ممارسة خاصة ضمن أرضيّة نقديّة جسدها مفهوم القارئ الضّمني في الفضاء الإبداعي لروايّة " **كتاب الأمير**" لواسيني الأعرج من خلال العتبات الموازيّة للنص إذ لم نقل "سر الكتابة" لأنها رهان الرّوايّة في جلب متلقيها.

كلمات مفتاحيّة: القارئ الضّمني، المسرود له، الكتابة الرّوائيّة، العتبات النّصيّة.

[1] جامعة بسكرة، الجزائر، البريد الإلكتروني: fatima.choudar@univ-biskra.dz

Abstract: The movement of cash through its stations and its paths has witnessed a remarkable transition through the exploratory examination, which travels the literary text to the worlds where it is revealed, and the hidden and hidden meanings are reflected in the space of the construction. Finally we stand in front of a second composition that combines the power of text combinations, Cash used. For this reason, we have within this procedural space a special practice within a monetary space embodied in the implicit concept of the reader in the creative space of the novel "The Prince's Book" by the labyrinthine Lousini through the parallel lines of the text.

Keywords Lecteur–implicil /Listed / creativity/ Text thresholds.

1. **تمهيد:** يعدّ القارئ من بين أهم المرتكزات الأساسيّة التي شكلت دورا هاما في الحلقة الإبداعيّة باعتباره تلك الكتلة الثّقافيّة الموجهة للمعنى صوب الإفصاح، والكشف وليس هذا بقدر ما هو منتج جديد للمعنى المتوالدّ في كل عمليّة استنطاقيّة تبحر نحو إمكانيات تأويليّة تختلف عن الأخرى من حيث القيمة المستنبطة، والآليات المتبعة. فالقارئ أولا وقبل كل شيء هو "**الشّخص الذي يقرأ نصا ما والمفروض أن يكون المؤلف قد وضع ذلك النّص بقصد أن يخاطب قارئه من خلال الكلمات الرّامزة لمعان كامنة في نفسه، وإلا كف عن الكتابة واكتفى بالتّأمل صامتا**"[1] وفي هذه الحالة يكف تدفق الإبداع ،والنّقد معا وتضحى هذه العمليّة شبه مستحيلة في واقع يستحيل فيه الإبداع لاستحالة استقباله ،وهنا يبرز الدّور الواضح والهام لهذه الذّات – الذّات المتلقيّة- أو هذا الكيان المعرفي في استقباله للنصوص عامة سواء كانت النصوص شعريّة، أم سرديّة ويتكئ في ذلك على أهم الملامح التي بثها المؤلف لأجله على الرّقعة

النّصيّة ليخلق تلك الرّوح التّفاعليّة النّاتجة عن عمليّة الفحص، والتّحليل والمعاينة.

2. **<u>بين القارئ الضّمني والمسرود له:</u>** القارئ الضّمني هو من بين المفاهيم الأساسيّة التي ظهرت على يد ايزر أحد أبرز أعلام المدرسة الألمانيّة – الكونستانس- إذ يعد " **الأداة الإجرائيّة المناسبة لوصف التّفاعل الحاصل بين النّص والقارئ لأنه يستطيع أن يبين لنا كيف يرتبط القارئ بعالم النّص وكيف يمارس هذا الأخير تعليماته، وتوجيهاته، وتأثيراته التي تتحكم في بناء القارئ للمعنى النّصي إنه مرتبط عضويا ببنيّة النّص وببناء معناه** "[2] ويتحقق في هذا القول قدرة القارئ الضّمني في الولوج إلى عالم النّص وتغلغله في كل عمق، أو زاويّة نصيّة فيصبح مرتبطا به ارتباطا وظيفيا يستحيل الانفصال بينهما – القارئ والنّص- وعليه فالقارئ الضّمني هو " **ليس شخصا خياليا داخل النّص، ولكنه دور مكتوب، ويستطيع كل قارئ أن يتحمله بصورة انتقائيّة وجزئيّة وشرطيّة. ولكن هذه الشّرطيّة ذات أهميّة قصوى لتلقي العمل ولذلك فإن دور القارئ الضّمني يجب أن يكون نقطة ارتكاز لبنيات النّص التي تستدعي استجابة**" [3] جماليّة فالقارئ الضّمني هو " **حالة نصيّة وعمليّة إنتاج للمعنى على حد سواء** " [4] وبهذا يتجلى الدّور الواضح لهذا القارئ، ويجعله يختلف عن مجموعة القراء التي شهدتها الحركة النّقديّة على نحو متباين. كالقارئ المثالي والقارئ المعاصر والجامع والقارئ المخبر، والمستهدف. والملاحظ من هذه الأنواع أنها " **كانت واقعة تحت هيمنة توجهات نظريّة مختلفة، و لذلك فقد وجد ايزر أنها تعبر عن وظائف جزئيّة وهي غير قادرة على وصف العلاقة بين المتلقي، والعمل الأدبي**" [5] وعليه فإذا حاولنا فهم الأعمال الأدبيّة، وتأثيراتها واستجابتها بالنّسبة للقارئ لابد لنا أن نسلم بحضور هذا القارئ دون أن نحدد مسبقا بأي حال من الأحوال طبيعته، ووظيفته التّاريخيّة فالقارئ الضّمني له

جذور متأصلة في بنيّة النّص ومجسد كل الاستعدادات المسبقة الضّروريّة لكل عمل أدبي النّابع من ذاته، وليس استنادا لأي تأثيرات واقعيّة أو تجريبيّة ، وإذا كان هذا القارئ هو بنيّة نصيّة فإنه يتوقع حضور متلق دون تحديد مسبق له ويضع هذا المفهوم لكل متلقي بنيّة مسبقة للدور الذي يلتزم به فيتعين إذن للقارئ الحقيقي دورا واضحا وهذا الدّور الذي يسند له هو الذي يكون مفهوم القارئ الضّمني [6].

هذا ما جعله يختلف عن القارئ الحقيقي حسب جيرالدّ برنس لأن" **المسرود له يجب أن يميز عن القارئ الضّمني أو المضمر، فالأول يشكل جمهور النّص ومنطبع كذلك فيه، أما الأخير فيشكل جمهور المؤلف الضّمني**" [7] وعليه فالقارئ الحقيقي أو المسرود له هو القارئ الذي يشكل تلك القراءات الفعليّة لعالم الرّوايّة ولهذا نجده ينطلق دائما من النّص لأنه الملاذ الذي يلجأ إليه بطاقاته التّأويليّة وتنطبع أثاره من خلال عمليّة الاستجواب الذي يمارسها تجاه النّص بينما القارئ الضّمني يتخذ بعض الصّور، والتّوجهات الضّمنيّة المضمرة داخل النّص لأن "**البناء السّردي للروايّة يتضمن – أحيانا- توجها مباشرا إلى القارئ من خلال الكلمات نفسها [...] الذي يتوجه به العمل الأدبي إلى المتلقي**"[8] تحت تأثيرات المواقف التي يبثها روح المؤلف الضّمني على جسد النّص فيحاول القارئ جاهدا نصب مدركاته وكافة قواه الفكريّة والعقليّة ليستطيع مواجهة زخمه المعرفي الذي شكل الدّيكور الأساسي للنص.

2. **<u>القارئ الضّمني و لعبة الكتابة الرّوائيّة</u>:** تعد الرّوايّة من أبرز الفنون النّثريّة التي استطاعت أن تحجز لنفسها مكانا هاما على مسرح التّفاعلات الإبداعيّة ، والنّقديّة فلكيانها الأثر العميق داخل العالم الإبداعي لأنها تشكل جزءا هاما منه، ولهذا يمكن ملامسة تلاوينها المختلفة التي تتشكل بفعل طبيعة كل مبدع لها، و تتخذ لشكلها الوضوح مع كل استقبال يحدد لها ملامحها

الخاصة، وإيقاعها الذي يتغلغل في كل ذات قارئة تهوى أساطير الجمال مادامت هذه الكتابة الإبداعيّة تسعى إلى إدخال هذه الذّات كسلطة مركزيّة تسعى دائما نحو "**ملء مساحات الصّمت والإخفاء المدثرة بالمجازات، والتّقنيات الفنيّة المتعددة**" [9] التي تعمل على تحقيق تلك الغايّة التي من أجلها يسعى الكاتب لأن الرّوايّة هي "**نبش للمشاعر،تعر للحقيقة لأناس ... عبروا من هذه الحياة بدون ضجة وبدون طقوس ... لأنهم عاشوا لمهمة نبيلة، وفاتنة ،وصعبة ممزوجة بروح المغامرة**" [10] الإبداعيّة التي يغامر أيضا من أجلها القارئ لينفتح بدوره إلى مغامرة أشد منها وقعا حين يلامس تلك التّجاعيد التي يسعى لأسرها من قيد الالتّباس. أو تلك الفجوات التي يتركها هذا المغامر الإبداعي في وجه إبداعه ليحقق لمغامر آخر المتعة، وبناء للمعنى الذي هو بصدد إماطة اللثام عنه لكتابة نص آخر يكون نتيجة المخاض الإبداعي للمبدع، والاحتكاك الايجابي المتفاعل للمعاني النّصيّة والمتلقي الذي يحقق ويفعل إمكانيات النّص الدّلاليّة الموزعة عبر البنى اللغويّة التي ينسجها المبدع بأناملة الإبداعيّة.

حاولنا من خلال هذا العنصر استنطاق العضو الهام من جسد الرّوايّة وميثاقها التّعريفي الأول ألا وهو الغلاف والذي يطبع عليه الجانب التّرويجي والإشهاري وكذا الجانب المغري فيها لاقتنائها و الرّغبة في الإبحار في عوالمها الخفيّة لاكتشاف وتحري المزيد من العمق المعرفي، والفكري الذي وزعه الرّوائي في النّسيج الإبداعي المكون بشتى ألوان الزّخرف الفني في حقله الإبداعي، وفي روايّة " **كتاب الأمير**" استطاع واسيني إدخال هذه الذّات المتلقيّة وبالتّحديد روح القارئ الضّمني في ثنايا النّص، فهو يغرس صدى هذا القارئ كبنيّة نصيّة ليتمم به عمليّة نسجه للخيوط الإبداعيّة للروايّة بروح التّجريب الذي يطبعه على جسد النّص لتصبح سمة بارزة فيه ولأننا أيضا نحن كقراء لا" **نلتقي بالنّص بانفتاح صامت ولكننا نلتقي به متسائلين** " [11] أرتأينا أن تكون المعاينة

وفق منظور التّلقي، وبالتّحديد انطلاقا من مفهوم القارئ الضّمني الذي يحمل في ثناياه كل الاستعدادات القادرة على بناء معنى النّص الذي هو محور لتفعيل كافة القيم المتغلغلة فيه، والتي هي من صميم الرّؤيّة الواعيّة للروائي.

- **وبناء عما سبق هل يمكننا الأخذ بهذه المفاهيم النّقديّة الإجرائيّة التي تنطبع على جسد النّص والتي تحاول إثارة كوامنه وكشف مضامينه؟**
- **وكيف يمكننا ملامسة ملامح هذا القارئ – القارئ الضّمني- من خلال تلوينات العتبات النّصيّة المختلفة؟**

1.3 <u>الغلاف وملامح القارئ الضّمني</u>: الغلاف هو عتبة من عتبات النّص وجزء هام فيه لهذا أولت له عنايّة واضحة على مستوى الإخراج، والتّصميم و المعاينة، لأن " **أخبار الدّار على باب الدّار**"[12] بتعبير سعيد يقطين فهو الواجهة الحيّة يطرق من خلاله القارئ باب الفن والجمال ولأننا" **نعيش اليوم عصر ثقافة ما بعد المكتوب، عصر الصّورة والمجتمع الفرجوي**" [13]الذي يعطي لحواسه أولويّة التّعامل مع قصدياته الحياتيّة، ومزاجاته البصريّة التي تعتمد على الأشكال الملفتة التي تجذب انتباهه، وميولاته النّفسيّة تجاه المواضيع المحيطة به فكتسب الغلاف خصوصيّة واضحة لأنه يحدد لكل أثر إبداعي ملامحه الخاصة التي تدل عليه فالفكرة التي يتخذها المبدع كشكل في غلاف إبداعه لابد لها من أساس توجيه ضمني تحدد عمليّة استقباله بعيدا عن الأشكال التّزويقيه التي لا جدوى منها فالشّكل يتضافر مع المضمون للارتقاء بالفكرة، والقيمة الضّمنيّة أو القارئ الضّمني كبنيّة نصيّة يقوم بتوجه مسار القارئ نحو ملء الفجوات التي يتركها المبدع على سطح غلاف إبداعه.

- **فما هي ملامح القارئ الضّمني على سطح الغلاف؟**
- **وكيف تجسدت هذه الملامح؟**

عند الالتّقاء الأول بين غلاف الرّوايّة، والقارئ قد تشكل له بالضّرورة مجموعة من الانطباعات الأولى، والتي هي أولى جسور التّواصل التي يضبط من خلالها القارئ مدركاته وفق عمليّة نابضة بروح التّأثير الجمالي. وروايّة " **كتاب الأمير**" فإن للوهلة الأولى يدرك القارئ أنه أمام غلاف تتضح ملامحه الخاصة من خلال تلك الصّورة البارزة فيه، والتي جاءت داخل إطار خشبي مستطيل الشّكل باللون البني المائل إلى الاسوداد، وارتسمت على تلك الصّورة ملامح رجل على هيئة اتزان برداء يوحي بالعروبة ،و العرق الإسلامي، ودال على الهويّة يجلس بهدوء، ووقار ومن منا لا يعرف شخص الأمير عبد القادر الجزائري أحد أبرز الشّخصيات، والرّموز الوطنيّة الجزائريّة التي أسهمت في رسم الخطط الكفاحيّة من أجل النّهوض بالوطن في وجه الاستعمار الغاصب للحريات الوطنيّة.

وهنا تتضح ملامح القارئ الضّمني منقبا في المعنى المنغمس في إدراج الصّورة وعن غايّة الرّوائي من هذه الرّوايّة.

هل كان منقبا في التّاريخ وتجاعيده وموثقا له تحت رايّة الكتابة الإبداعيّة التي يمكن أن تتسع لأفكاره ورؤيته تجاه كل ما يحيط به؟

أو لأن ممارسة فعل الكتابة مغامرة يستطيع لكل مبدع الخوض في غمارها مستعيرا بعض الأدوات التي يستعين بها في البناء، والصّياغة القائمة على ضوابط منهجيّة واضحة.

كما امتزج في الصّورة البارزة على غلاف الرّوايّة اللونان الأبيض والأسود في تحدد معالم تلك الهيئة الجهاديّة فيتضح للقارئ شخصيّة مكتملة البنيّة بلحيّة سوداء تدل على الشّهامة، والأصالة العربيّة النّابعة من الرّجل العربي الذي يتمسك بصفات الرّجولة الحقة ، وعينان تظهر فيهما نبرة التّحدي ولغة الاتزان التي تميز شخصيته الدّالة على الهدوء والسّكينة، وعمامة وثوب بنفس اللون – الأبيض- ألا وهو لون الصّفاء والنّقاء الموحي بصفاء النّوايا التي يسعى

الرّجل من أجلها فليس هو باللباس الفاخر ولا اللباس المزركش بالألوان المختلفة والمرصع بالإكسسوارات التي تميز لباس السّلاطين والملوك والأمراء وإنما هو لباس يدل على الوقا، والتّواضع وكذا معالم الهيئة الرّجوليّة التي تتقيد بالزّي العربي الجزائري الأصيل فهو متمسك بالهويّة والثّقافة المنشئ والملاذ وما يؤكد هذه الصّورة وما خطه الرّوائي وترجمها في صفحات الرّوايّة حين قال :

" ثم فجأة لاحظ بأن صدر أخيه مصطفى كان ما يزال مطرزا بالنّياسشين الذّهبيّة على الرّغم من أنه طلب من العائلة التّقليل بعض الشّيء من مظاهر البذخ والتّباهي قبل دخوله في عزلة الأسبوع. وبدون تردد، مد يده نحو صدر أخيه، فنزع بغضب النّياشين واحدا واحدا، تحت دهشة هذا الأخير ورماها أرضا وهو يردد: ابتداء من اليوم كل شيء سيتغير. لسنا في حاجة إلى هذا البذخ لكي نحارب الآخرين. الانتصار على الغزاة صعب. نحتاج إلى أسلحة حقيقيّة، إلى الماء، إلى زراعة مغذيّة ...

ولكنك لا تستطيع أن تغير عادات الأجداد وتجعلنا شبيهين لبقيّة النّاس. أولاد الشّيخ محي الدّين يصيرون مثل بقيّة البشر؟

وشكون حنا حتى لا نكون مثل بقيّة الخلق؟ من نكون نحن إذا فشلنا حقيقة في خدمة الآخرين؟ هل تعرف ماذا فعلت هذه المبايعة في النّاس؟ ما راك عارف والو." [(14)] يبرز دور القارئ الضّمني عمق الخطاب البصري من خلال استغلال هذه الصّورة بكامل تفاصيلها ، وأشكالها والتي أضحت أيقونة مرئيّة عملت عمل الموجه لمدركات القارئ صوب تكثيف كافة الطّاقات التّأويليّة التي تسعى إلى فك أسر التّقنيات الدّلاليّة المبثوثة على سطح غلاف الرّوايّة لاستقطاب متلقيها. فاختير لتصميم هذا الغلاف إدراج هذه الأيقونة البصريّة

الصّورة) التي تتوهج منها تلك الشّخصيّة التّاريخيّة بكامل عظمتها وقوتها، وحدتها من خلال هيئتها وتفاصيل ملامحها لنسج خيوط التّواصل التي تحقق الاستجابة الجماليّة المقصودة لذاتها والتي تقوم برسم ملامح القارئ الضّمني الذي يعمل على ترميم المعنى الموزع في ثنايا الغلاف وبنائه وتشيده ليكون في الأخير الغايات والمقاصد التي تشكل الرّؤيّة العامة للأثر الأدبي. وقد أدرج بجانب الصّورة المحددة بالإطار الخشبي شكل الكرسي الذي يدلي هو الآخر بتوجهه الضّمني المؤثر في المتلقي والمكون لملامح القارئ الأيزري فالكرسي هو رمز التّقديس والعظمة وعند بعض الحكام ملك غير مشاع فهو تملك لشخص واحد بعينه مما يلغي الثّقافة الدّيمقراطيّة التي تبنى عليها الشّعوب النّاطقة بلسان الحريّة والغايّة من شكل الكرسي الذي تربع على غلاف الرّوايّة لتأكيد معاني السّلطة والجاه والسّلطان والسّيطرة لكن يبقى السّؤال المطروح الذي يتبادر في ذهن القارئ والمتلقي لهذا الغلاف هو:

لماذا اختير للأمير أن يبقى في إطار الصّورة وترك الكرسي فارغا؟ وهل يكون هذا الملمح هو ما عمق مفهوم ودور القارئ الضّمني بتوجهاته للمتلقي في بناء المعنى وبالتالي تعميق الاستجابة المقصودة لذاتها؟

لأن الأمير عبد القادر الجزائري بكل بساطة لم يختر الطّابع السّلطوي بالمعنى الذي نعرفه الآن ويتنازع عليه بعض الحكام المتسلطين وإنما اختار مهمة قيادة الثّورة الوطنيّة ضد المستعمر الغاصب للحريات، والأمن العام، وهنا يكمن القصد من إدراج هيئة، و ملامح الأمير عبد القادر في الصّورة وليس جالسّا على الكرسي لأن الصّورة محملة بأبعاد الخلود، والأمير في نظر الرّوائي لم يكن بحاجة إلى كرسي السّلطة، وإنما اختار الإمارة لقيادة ثورة كانت مفتاح الحريّة، والتّحرر للواقع الجزائري آنذاك الذي حمل لواء المسؤوليّة، والكفاح تجاه الوطنو نصرته أمام غاصبي الحريات والأمن والاستقرار وخصوصيّة الذّات

الجزائريّة وما يؤكد هذه الرّؤيّة في صفحات الرّوايّة حين توج الأمير بالأمارة بواسطة الرّؤيا التي رآها الشيخ محي الدّين

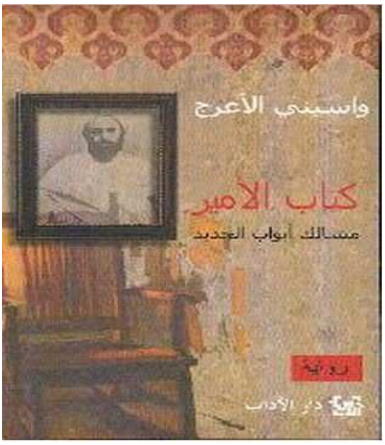

" لقد عاودتني الرّؤيا نفسها من جديد بشكل ضاغط. عاد الهاتف نحوي وهو يصر ويضغط علي: ماذا تنتظر لكي يصير عبد القادر سلطان الغرب؟ أنت تمارس معصيّة ضد نفسك وضد ربك. الرّؤيا يجب أن تجد طريقها ومسالكها.

هز عبد القادر رأسه ولم يعلق إلا بكلمات محدودة.

علينا أولا أن نعرف رأي القبائل القريبة منا. لقد خلقنا قوة كبيرة لمحاربة الغزاة ولا أريدها أن تتفرق بسبب حسابات صغيرة. المهم ليست الخلافة ولكن من يقود الحرب حتى النّصر؟ إلى اليوم لا يوجد غيرك من يستطيع أن يحقق إجماعا"[15]

وأيضا في قوله: " في مساء اليوم نفسه وقبل أن تنطفىء الشّمس وراء سهل اغريس، أعلن عبد القادر سلطانا وأميرا للمؤمنين. ولتفادي غضب ملك المغرب اكتفى عبد القادر بلقب الأمير حتى يحافظ على أواصر على الرّغم من بدايّة تفككها. " [16]

وفي قوله أيضا: " يا أبي، لا تجعلني أندم على إمارة لم أطلبها.." [17]

ترجم الرّوائي مضمون الغلاف في هذه الكلمات التي كانت بمثابة المفاتيح الأساسيّة لمغالق الأثر الأدبي فاللأمير بحاجة إلي وعي خاص في الذّاكرة الوطنيّة التي تخط في كيانها اللقاء الحميم بأبطالها ورجالها الذين صنعوا منه الوطن الحصين إذ تجسد دور القارئ الضّمني من خلال ما تقدم في توجيهه لفعل القراءة من خلال توجيه القارئ لتلك المعاني المبثوثة في وسط الشّكلين داخل عمق الغلاف.

وقد تجسدت هذه الرّوح الضّمنيّة أيضا من خلال شفافيّة الصّورة التي شكلت ملامح الأمير وأدرجت في تصميم الغلاف، وهذه الشّفافيّة في الصّورة تؤكد على أن هناك حلقة قد تكون مفقودة يجب فكها والكشف عنها لأن الشّفافيّة قد تدل على معاني كالوضوح لأن الأمير لديه مواقف واضحة وثابتة يتخذ قرارات شفافة نزيهة وبعيدة عن كل صور التّجاوزات والانفلات من الواقع وقد تدل شفافيّة الصّورة أيضا على الضّعف والانكسار والهشة كما نلاحظ أن شفافيّة الصّورة على خلفيّة الغلاف وعلى بعض من شكل الكرسي.

2.3 العنوان وملامح القارئ الضّمني: يعد العنوان الواجهة البراقة التي يختارها المؤلف بعنايّة فائقة لكي يقوم بوظيفة التّأثير والوقع الجمالي المؤثر على القارئ الذي يعد البؤرة الحقيقة والرّئيسيّة التي تحدد قيمة العمل ومن ثمة فإن العنوان هو المفتاح الرّئيسي لمغاليق النّص لسبر أغواره الشّائكة والمدسوسة بكل أنواع المعاني المتغلغلة في عمق مقاصده الظّاهرة والخفيّة.

وهو من أبرز البنى النّصيّة التي يستتر من ورائها القارئ الضّمني، ويحقق تواجده فيها والعنوان الذي بين أيدينا محمل بالعديد من الإشارات المضمرة بدايّة بلفظة "الكتاب" فتدل هذه الكلمة على الأغلب مجموعة الكلمات المبثوثة داخل أطر ورقيّة تكون موجهة إلى القارئ وهو أيضا المخزون الثّقافي الذي يدلي

بـه الكاتـب ليطلـع عليـه الآخـر، وإذا أمعنـا النّظـر نجـد أن الكتـاب يبقـى دائمـا محافظا على قيمته، وعن مفهومه، وعن كيانه و يحمل أيضا دلالة واحدة ألا وهـي دلالـة الخلـود لأن الكتـاب لا يفنـى بـل هـو مسـتمر مـع اسـتمرار المعـارف و الثّقافات وهذه الدّلالة استدرجناها سابقا مع الصّورة التي أدرجت على سطح الغلاف. جاءت لفظلة الأمير كذلك مرتبطة بلفظة الكتاب لتمم بذلك معنى الجملة الاسميّة أي " **كتاب الأمير**" وتكتمل الدّلالة النّهائيّة التي يحضر فيها روح القارئ الضّمني، ودلالتي الخلود، والسّلطة هما إشارة ضمنيّة وزعها المؤلف الضّمني على المستوى البصري، وعلى مستوى الكتابة على غلاف الرّوايّة، وحقق بذلك تواجد هذا القارئ الضّمني.

يمكن إجمال ما تقدم من خلال هذا المخطط:

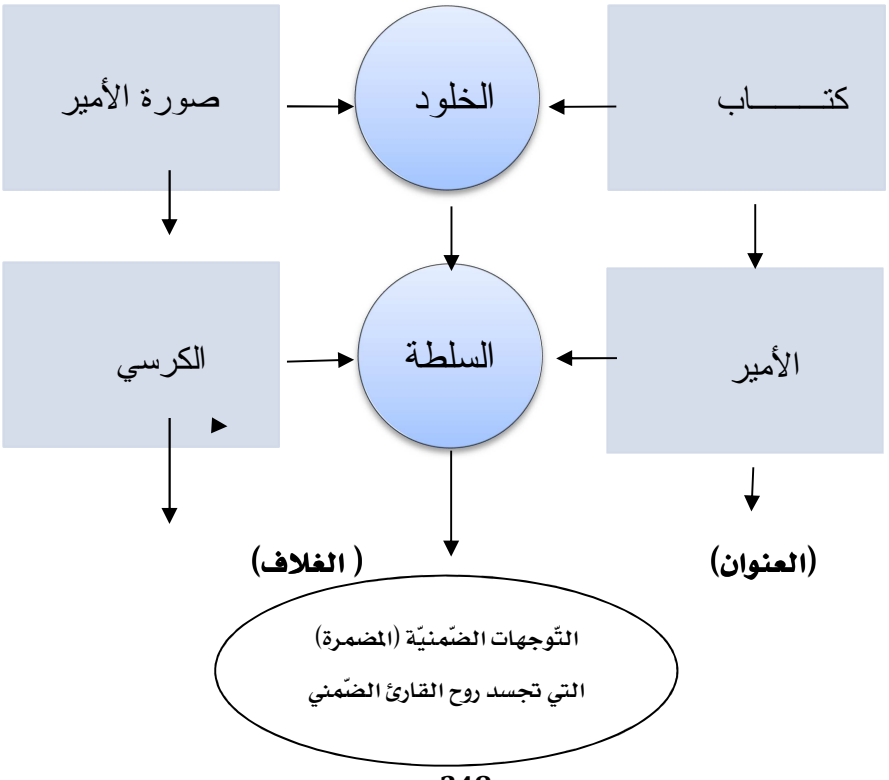

3.3 : <u>اللون و تعزيز الرّوح المضمرة للقارئ الضّمني:</u> من ناحيّة أخرى امتزج الغلاف بألوان مختلفة شكلت أيقونات دلاليّة متباينة أهمها اللون الأحمر الذي أعطى كل قوته حينما كتب به العنوان الرّئيسي للروايّة و**"المتعارف عليه في الثّقافة اللونيّة اليوم هو، أن لكل لون أبعاده الإيحائيّة ودلالاته الرّمزيّة التي تعلل وجوده في سياق بعينه دون غيره فيتعدى بذلك كونه مجرد فضاء لوني إلى موضوع دلالي مشبع بأبعاد رمزيّة "** [18]تستدرج القارئ لاكتشاف عوالمه ومقاصده الجماليّة واللون الأحمر " **في الجسم يعني الفرق بين الحياة والموت واللون الأحمر ربما منح الحياة للجسد الفاني** "[19] وهذا ما أعطى للعنوان البعد المضمر في طريقة توظيفه لأن اللون الأحمر الذي وظفه الرّوائي لا يدل على الموت بقدر ما هو دال عن الحياة وتظهر علامات القارئ الضّمني هنا عند ربط هذا اللون – الأحمر- بالصّورة التي أدرجت في هيكل الغلاف والتي حددت هيئة الأمير عبد القادر الجزائري ولفظة الكتاب التي في عنوان الرّوايّة ودلالتّهما على الخلود كما ذكرنا سابقا والأحمر يمنح الحياة ويمنح الطّاقة المتجددة للإنسان كما نلاحظ اللون الأبيض الذي وظف في كتابة اسم الرّوائي ودار النّشر ولون الثّوب وعمامة الأمير عبد القادر الجزائري " **ولعل معنى الصّفاء و النّقاوة هو المقصود في اختيار** " [20]هذا اللون كما يمكن القول أن اللون الأبيض لون القداسة ورمز الطّهارة التي يتسم بها العمل والرّجل الصّالح في الدّنيا وهذا المعنى تجسد في قول الأمير عبد القادر معبرا في صفحات الرّوايّة عن أهدافه من الإمارة "**إن هدفي الأسمى أن أحقق ما فيه الصّلاح والخير و اتكالي على الله وحده فمنه وحده أنتظر الثّواب والفلاح**"[21]. وهذا اللون تقمص تحديد هويّة الأمير من خلال الزّي الذي كان يرتديه إذ تتغلغل الرّوح الضّمنيّة النّابعة من القارئ الأيزري في تحديد معنى هذا التّوظيف والتي تتصل بالمعنى الثّقافي الدّال على

شخصيته القويّة والمتينة المرتبطة بثقافة المنشئ، وكمعنى ديني يدل على التّزامه وتواضعه.

كما حدد اللون البني هيكل الكرسي وشكل معالمه لأن اللون البني " **يرتبط بالجانب المادي للحياة** " [22] وقد استغل هذا اللون في تأكيد تلك الاشارت الضّمنيّة والتي يسمو من خلالها القارئ الضّمني في تمرير شحناته الدّلالية التي توزعت في سطح الغلاف والتي استدرجناها من خلال شكل الكرسي آنفا الذي يمثل المفهوم السّلطوي.

1. 4.3: <u>القارئ الضّمني .... ولغة الإهداء نحو استدراج الفعل الإنساني:</u>

يبرز الإهداء كأحد المواثيق النّصيّة التي تمنح للقارئ كعتبة نصيّة مؤثرة من طرف المبدع ليثمن قيمة الإبداع الرّوائي الذي يفرغ فيه تلك المضامين التي قد تكون أشبه بالأيقونات المشفرة الممنوحة للمتلقي الفعال الذي يجول بصريا ليكتشف في الأخير العمق الضّمني ليكون، ويعزز ذلك الأثر الأدبي ليمنحه في الأخير جملة التّخطيطات الإبداعيّة التى عمل المبدع في هندستها لتحريض القارئ صوبها ولأنها في حقيقة الأمر " **قوى عمل، هي في الوقت نفسه قوى لتفكيك النّص**"[23]. للكشف عنها والكشف عن جل الأفعال الإيمائيّة النّابعة من وحي المبدع المنتج الأول والأخير للأثر الأدبي.

تبرز أهميّة الإهداء كفعل إبداعي يهندسه المبدع للأهداف غائيّة يبثها في جسد إبداعه ليثمن بقاء هذا الفعل بواسطة تلك العتبات التي تكون مستفزة للقارئ الذي يحاول الولوج لأعماقها لكشف كنهها فالإهداء في مجمله يتقمص كينونة المبدع –الرّوائي- في رحلة تشيده معمار إبداعه، أو كوشوشات تنطق بسر اختلج داوخله، وأصيب إثره بلعنة الكتمان إلى أن استسلمت لكوابيس إبداعه في الإفصاح عنها "**فالأدب يبدأ بالكتابة، و الكتابة هي مجموعة من**

الطّقوس، هي الاحتفال الواضح، أو الخفي الذي عن طريقه"[25] يمكن الكشف عن أفكاره ،و مذاهبه ورؤاه.

فيصبح الإهداء هنا رحلة الكاتب للإفضاء عن هواجس إنسانيّة لحضة الحقيقة اعترافا منه بجهد الطّاقة الإبداعيّة التي دعمت الفعل الإبداعي، ولعبة الكتابة إلى الوجود حيث الفضاء التّأسيسي لها النّابع من رحم القيمة المستدرجة من وحي المبدع الفنان للغة الكتابة وفي روايّة "**كتاب الأمير**" استطاع واسيني أن يعزف في أوتار القارئ حمولة الاكتشاف، والانصياغ وراء القيم الضّمنيّة التي قام بإدماجها في كل ثغرة، وتوليفة نصيّة لأن واسيني هاهنا لم يخاطب في روايته هذه قارئا مستهلكا فحسب بل خاطب قارئا هو في الحقيقة مفجر كل الأسرار التي تتصل اتصالا مباشرا بفعل المراوغة النّصيّة التي تحتضن في أرضيتها مفهوم القارئ الضّمني الذي هو دون شك البنيّة النّصيّة الأولى المتممة لفعل القراءة حسب التّوجه الأيزري في مضمار الإنتاج، والتّفعيل الجديد للنص الأدبي والاشتغال في هندسة الأثر الأدبي لأنه أثرا مادام لم يتوج بالقراءة .

ولهذا كان لنا في هذا العنصر أسئلة تفرض نفسها للأجابة عنها ولعل أهمها:

- هل يمكن للقارئ الضّمني أن يحدد الأفعال الإبداعيّة المسطرة لشبكة الفعل الرّوائي والذي يكشف عن هويّة المبدع داخل سلطة الإهداء؟
- هل نجد في لغة الإهداء صدى للقارئ الضّمني كبنيّة نصيّة يقوم بفعل التّوجيه الفعلي المتمم لفعل القراءة؟

من التّقليد الشّائع في كتابة الإهداء عند الكاتب هو اتخاذه لعبارات معنويّة تمس شخصا بعينه، أو عدة أشخاص ثناء منه وتبجيلا عن غيرهم من الأشخاص كقوله مثلا أهدي عملي هذا إلى:

- زوجتي (...)؛

- رفيق الدّرب (...)؛
- الأساتذة (....)؛
- الأستاذ (...).

يهمس هذا النّوع من الإهداء الذّوات الشّخصيّة ليثمن قيمة الإبداع الأدبي انطلاقا من الشّخص المهدي له فالشّخصيّة المبدعة في مجالها الفني تدعم إبداعها بهاته الوشوشات الفنيّة عرفانا، وتقديرا لها كل في مجالها الواقعي أو المفترض أحيانا أخرى.

ولهذا نجد فيه تعبيرا عن فاعليات الكاتب تجاه ما يحيط به من مؤثرات العبور الخارجي المؤثر في كياناته التي تشكل صدى لشخصيتة المبدعة في إطارها الواقعي الخارجي.

لكن واسيني الأعرج في روايّة " **كتاب الأمير** " نجد إهداء من نوع آخر خلال جل المسلمات التّوقعيّة لدى القارئ فأصبح في جو الصّدمة إذا صح التّعبير وهذا من خلال التّوظيف المفاجئ لهذه العتبة وبعباراته الموحيّة التي أجاد فيها بدون شك بفن التّخلص منه من على المتن الرّوائي فجاءت عباراته كما يلي:

" وفاء لوعد قطعه الرّوائي واسيني الأعرج للشاعرة نور قحطاني، فإنه يتنازل عن حقوقه في هذا الكتاب والكتاب الذي سبقه لجمعيات الأطفال المرضى بالسّرطان". (26)

إن المثير للانتباه في روايّة "**كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد**" لـ: واسيني الأعرج هو الاستغلال المثير لعتبة الإهداء، وبسطه للعبة الكتابة السّرديّة في مساحة التّرويض الحميمي لفعل القراءة لأن فكرة التّرويج منحت للروايّة سلطة الفعل الإنساني الذي مارسه واسيني في تشكيل خطوط الفعل الإبداعي للروايّة .

انطلاقا من هذه السّلطة – سلطة الفعل الإنساني- تتغلغل الذّات الضّمنيّة المتممة لفعل القراءة و الذي يجسدها القارئ الضّمني بمنحه تلك الإشارات التي تجسد الموقف المفاجئ للقارئ الذي يقف موقف المندهش من الفاعليات الدّينامكينة التي جسدها التّرويج الإنساني في مساحة الغلاف لتحفيز فعل القراءة التي سيمارسها القارئ ليقتحم في الأخير الجو الإبداعي الواعي الذي خطه واسيني بعنايّة تامة في روايته " كتاب الأمير" .

ولهذا كانت الغايّة من هذه البروتوكلات الإبداعيّة في لمسة الإهداء هو تحرير القارئ الحقيقي من بوتقة الاستهلاك إلى فضاءات أخرى يتقاسم فيها مع المبدع أسرار الكتابة ليشكل في الأخير حدود الرّوايّة التي انطلقت في تأسيسها من الفعل الإنساني الذي بسط في الآخر- المتلقي- سياجه التّرويجي المحفز لفعل المغامرة الاستكشافيّة الواعيّة بثقل حمولة الرّؤيا، وأسئلة الكتابة السّرديّة، ومن هذه الاستراتيجية التّرويجيّة ينطلق القارئ الضّمني بمنح إجراءات خاصة تتصل بفعل القراءة أو بالدّور الذي يتقمصه القارئ نحو تأسيس جو استقبالي فعال يضمن للعمليّة القرائيّة الرّوح التي تتوج المنتوج الإبداعي بأوسمة الاستحقاق الفعلي لسيرورة الفعل التّأويلي .

إذن ما دعم هذه الأرضيّة الضّمنيّة في غلاف الرّوايّة فيما سبق هو فن التّرويج للفعل الإنساني الذي شكل في الأخير سمات القارئ الضّمني، ودوره في مد وصال الشّبكة التّأسيسيّة للعبة الكتابة نحو فضاء الاكتشاف المحمل بأبعاد المشروع التّأويلي لهذه اللعبة إذا لم نقل وشوشات الكاتب لحظة البوح بحقيقة الكتابة والمغامرة الابداعيّة.

ومن بين اللمسات الإبداعيّة الأخرى في الإهداء التي جعلت من لعبة الكتابة السّرديّة لعبة فنيّة جادة، وتقنيّة استعراضيّة لحياة حدد ملامحها الوجود الإنساني هي طريقة كتابة الإهداء التي جاءت في الغلاف، ومدرج تحت التّعريف بالرّوايّة وكأن الرّوائي يتبرأ من إدرجه في المتن ليترك للمصمم " ريم الجندي"

حريّة التّعبير والتّرويج للترك في إهدائه همسة الوفاء في التّنازل عن الحقوق الماديّة له إلى جمعيات الأطفال المرضى بالسّرطان فمارس عليه واسيني إذن فن " التّخلص" ليترك هذا المجال وهذه الحريّة إلى المصمم.

وفي هذه اللمسة الإبداعيّة تتجلى الخطوات الفعليّة للقارئ الضّمني الذي يقوم ببناء الأرضيّة التي يستند إليها القارئ في تأسيس الفعل الاستقبالي وبناء فعل القراءة وتحريك تلك الماكنة التي تعمل على تشييد المنطق الابداعي الذي مارسه واسيني من خلال الغلاف وبالتّحديد انطلاقا من عتبة الاهداء التي منحها للمصمم في تقديمها للمتقلي.

وفي هذا الشّكل نحاول أن نصور تلك التّقنيات التي فعّلها القارئ الضّمني لتحريك فعل التّلقي والقراءة "**وحينما تعلو سلطة القارئ فإنما يعني علو قدسيّة القارئ على النّص**" [27] وفي المقابل أيضا تعلو قدسيّة النّص في نظر القارئ إذا استطاع استيعاب هذه المفاهيم النّقديّة التي تحقق معنى التّلقي وجو القراءة.

من الشّكل البارز يتضح أن للقارئ الضّمني دورا واضحا في تحريك اللعبة السّرديّة انطلاقا من جو التّلقي الذي يفرضه القارئ الحقيقي الذي يتمم معالم تلقيه من خلال الخطوط البارزة الذي تركت على عتبة الإهداء لمسات فنيّة متعددة انطلاقا من:

أولا: التّرويج الإنساني: الذي سيطر على معنى الإهداء من خلال المعنى المروج له بتعبير مصمم الغلاف فإن للوهلة الأولى يدرك القارئ أنه أمام عتبة نصيّة شخصت المفهوم الإنساني الذي سيطر دون شك على مدركات القارئ الأولى قبل الولوج إلى التّلقي الآخر –تلقي المتن- ؛

ثانيا: التّوجه المادي في الإهداء: بعكس التّوجه الآخر الذي يشخص القيمة المعنويّة للشخص المهدى له فحسب لكن في هذا الإهداء نلتمس ذلك التّوجه

المادي للغرض الإنساني لأن عباراته "**تحمل بين طياتها لحضات مكاشفة إنسانيّة تسقط فيها الحواجز النّفسيّة بين الكاتب وقرائه**" [28] ليحقق في ذلك الانسجام، والتّناغم الفني؛

ثالثًا: خلخلة المسلمات التّوقعيّة للقارئ من خلال الحريّة الممنوحة للمصمم في اختيار الرّوبرتاج الفني المناسب لترجمة أفق الإهداء في الرّوايّة (مرونة التّجربة السّرديّة من خلال فن التّخلص).

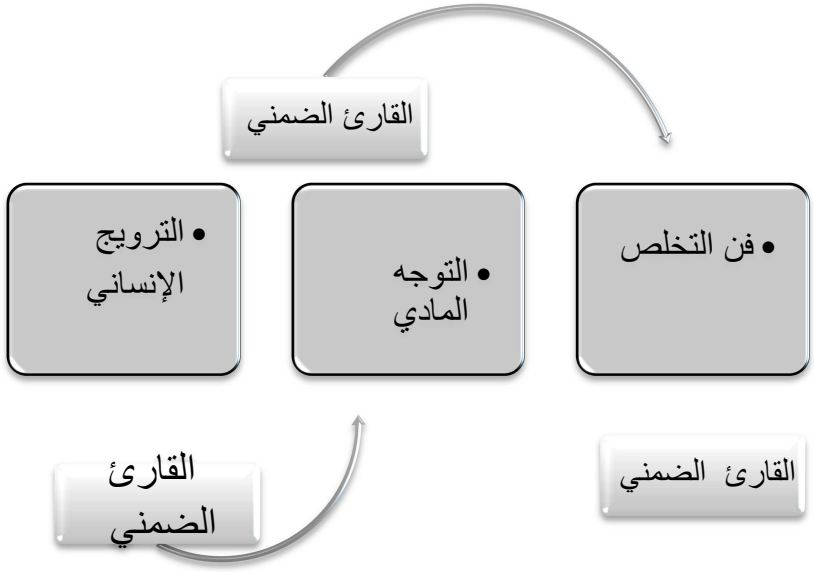

الشّكل رقم 02: سيرورة القراءة انطلاقا من توجهات القارئ الضّمني من خلال عتبة الإهداء

5. خلاصة: من خلال ما تقدم يمكن أن نستخلص ما يلي:

تعد الرّوايّة نصا مفتوحا على مختلف الآليات، والمفاهيم التي من شأنها الولوج إلى عوالمها، واكتشاف مكنوناتها، والقارئ الضّمني هو من بين المفاهيم الإجرائيّة التي جاءت في إطار الطّرح النّقدي الذي بثه أيزر أحد موسسي مدرسة

الكونستانس التي أزالتّ اللبس على المتلقي وأتاحت له كافة الشّرعيات في ممارسة الفعل التّأويلي؛

لقد شكل التّصميم الطّباعي للروايّة الأمير حيزا هاما في عمليّة تلقي الرّوايّة من خلال الفجوات التي أصبحت تجسد روح القارئ الضّمني الذي يقوم بمنح إشارات توجه فعل القراءة، وبناء المعنى، وقد حدد هذا القارئ معالم، ومسارات قراءة الغلاف من خلال طريقة توظيف الأشكال كالصّورة، والكرسي وبث فيهما تلك الرّوح الضّمنيّة كما تضافرت الألوان في تعزيز هذه الرّوح؛

شكل العنوان هو الآخر مجموعة من البنيات التّأثيريّة التي تحيل إلى وجود القارئ الضّمني لأنه ليس بنيّة نصيّة مجانيّة على غلاف الرّوايّة إنما هو بنيّة نصيّة مغمورة، ومدسسة تهدف إلى إيجاد متلق قادر على تفعيل الدّلالات الخفيّة والإشارات الضّمنيّة الصّامتة.

بالإضافة إلى الفنيات الإبداعيّة الأخرى كالإهداء في الرّوايّة، والذي فسح المجال للقراءة انطلاقا من تجسيد القارئ الضّمني ضمن البنى الضّمنيّة التي فُعَلت بدايّة بالتّرويج الإنساني، والتّوجه المادي في مضمونه إلى فنيّة إدراجه على ورقة الغلاف.

وفي الأخير نجد أن المفاهيم النّقديّة وخاصة التّجريديّة منها (القارئ الضّمني) تحتاج إلى سطح، وحالة إبداعيّة لا تكتفي بالوصف، والنّقل بل إلى تعيين واع، وتشكيل فني خاص للأشياء، وبزاويّة إبداعيّة مختلفة تنأى عن دائرة المشابهة.

الهوامش والإحالات:

(1) مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص 282.

(2) عبد الكريم شريف: من فلسفات التّأويل إلى نظريات القراءة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 2007، ص 185.

(3) قولفكانك إيزر: آفاق نقد استجابة القارئ، ترجمة أحمد بوحسن، من قضايا التّلقي والتّأويل منشورات كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، سلسلة ندوات ومناظرات، العدد 36، الرّباط المغرب، 1955، ص 213.

(4) روبرت هولب: نظريّة التّلقي " مقدمة نقديّة"، تر عز الدّين إسماعيل، المكتبة الأكاديميّة، القاهرة مصر، ط1، 2000، ص 136.

(5) ناظم عوده خضر، الأصول المعرفيّة لنظريّة التّلقي، دار الشّروق، عمان الأردن، ط1998،1، ص 162.

(6) ينظر: فولفغانغ إيزر، فعل القراءة نظريّة جماليّة التّجاوب في الأدب، تر حميد لحميداني والجيلالي الكديّة، منشورات مكتبة المناهل، فاس، المغرب دط، دت، ص 30،29

(7) جيرالدّ برنس: المصطلح السّردي، تر عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، مصر، ط1 2003، ص 142.

(8) ناظم عودة خضر: الأصول المعرفيّة لنظريّة التّلقي، ص 159.

(9) عبد اللطيف محفوظ، وظيفة الوصف في السّرد، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2009، ص 7.

(10) أيمن الغزالي، لذة القراءة في أدب الرّوايّة، دار نينوى، دمشق، سوريا، ط1 2001، ص 15.

(11) عبد الحق بالعابد: عتبات جيرار جينت من النّص إلى المناص، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1 2008، ص 13.

(12) عبد الحق بالعابد، عتبات جيرار جينت من النّص إلى المناص، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1 2008، ص 13.

(13) إبراهيم محمد سليمان، مدخل إلى مفهوم سميائيّة الصّورة، المجلة الجامعة قسم الإعلام، كليّة الآداب، جامعة الزّاويّة، العدد16 ،2014،ص 153.

(14) واسيني الأعرج، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، دار الآداب، بيروت لبنان، ط1، 2005، ص

.93،94

(15) الرّوايّة، ص 84.

(16) الرّوايّة، ص 89.

(17) الرّوايّة، ص 95.

(18) خاوة ناديّة، الاشتغال السّيميولوجي للألوان وأبعادها الظّاهرتيّة في ديوان " البرزخ و السّكين" للشاعر عبد الله حمادي، الملتقى الثّالثّ السّمياء والنّص الأدبي، جامعة محمد خيضر بسكرة، ص 348.

(19) أحمد مختار عمر، اللغة واللون، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1998 ص 20.

(20) المرجع نفسه، ص 163،164.

(21) الرّوايّة، ص 90.

(22) نجيب أمين: قراءة في عتبات ديوان الشّاعر محمد العياشي منابع الأشواق http://warachate.in-goo.com/t110-topic، 2017/04/11.

(23) محمد بنيس، الشّعر العربي الحديث بنياته و إبدالاتها، دار التّوبقال للنشر الدّار البيضاء، المغرب ط3،2001، ص 26 .

(24) موريس بلانشو: أسئلة الكتابة، ترجمة نعيمة بنعبد العالي، دار التّوبقال للنشر، الدّار البيضاء المغرب، ط1، 2004، ص 39.

(25) الرّوايّة، صفحة الغلاف.

(26) حمزة فاضل يوسف: تأويل القرآن سلطة القارئ أم سلطة النّص، مجلة القادسيّة في الآداب و العلوم التّربويّة ، العددان(1- 2) المجلد7 2008 ص 7.

(27) نعمة عز الدّين: إهداءات الكتب...رحلة تكشف المتع والغريب في الأدباء إرم نيوز www.eremnews.com

مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 22 العدد: 50 السّنة: الثّلاثيّ الثّاني 2020 ص: 259 - 290

اللّسانيّات الحاسوبيّة في الجزائر

Computational Linguistics in Algeria

محمّد بن مبخوت[1]

تاريخ الإرسال:14 10 2019 تاريخ القبول: 30 01 2020

ملخّص: يهدف هذا البحث إلى تحرير مصطلح اللّسانيّات الحاسوبيّة، وتتبّع حصيلة بواكير الدّراسات العلميّة المكتوبة بالعربيّة المتعلّقة به في الجزائر.

ويسعى إلى حصر مفردات القسمة الثّلاثيّة التي استقرّ عليها هذا العلم بحسب "دليل أكسفورد في اللّسانيّات الحاسوبيّة"، وهي: اللّسانيّات الحاسوبيّة والمعالجة الآليّة للّغات، وتطبيقات اللّسانيّات الحاسوبيّة.

كلمات مفتاحيّة: اللّسانيّات، الحاسوبيّة، الرّتّابيّة، المعالجة، الآليّة، الجزائر البوّابة.

Abstract. This research aims at editing the term linguistic computations and tracing the results of scientific studies written in Arabic related to it in Algeria. It seeks to demonstrate the threefold division on which this science is based, according to “the Oxford Handbook of Computational Linguistics”: Computational Linguistics, Automatic Language Processing and Applications of Computational Linguistics.

Keywords: linguistics, computing, hierarchy, processing, machinery, Algeria, portal.

مقدّمة: تعدّ اللسانيات الحاسوبيّة إحدى علوم اللسانيات التّطبيقيّة، وهي تعنى بدراسة اللغة الطّبيعيّة من منظور حاسوبي من خلال تصميم برامج للنظريات اللغويّة والوصول إلى المعالجة الآليّة للغات الطّبيعيّة بالذّكاء الاصطناعي.

وتسعى إلى تصميم برامج حاسوبيّة للنظريات اللغويّة، ومعالجة الكلام البشري، وفهمه، وتحليله من خلالها، وتهدف بصفة عامة إلى تطبيق النّماذج الحاسوبيّة على الملكة اللغويّة، وتوظيف الحاسوب في مجال محاكاة اللغة والطّرق التي تعمل بها.

وقد بدأت العنايّة الرّسميّة بهذا العلم في الجزائر منذ إنشاء معهد العلوم اللسانيّة والصّوتيّة سنة 1966م برئاسة الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح رحمه- ، إذ كان من بين أقسامه قسم اللسانيات الرّياضيّة الذي يختص بدراسة التّحليل الإحصائي، والصّياغة المنطقيّة الرّياضيّة للغات البشريّة، وإيجاد أنسب المثل الرّياضيّة لتوجيه وتفسير مجاري اللغة، ومخارج الكلام.

وكان الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح يرادف آنذاك مصطلح اللسانيات الحاسوبيّة باللسانيات الرّتّابيّة، ومن بواكير الأعمال التي أنجزها في هذا الميدان "الرّصيد اللغوي للطفل العربي" بالاشتراك مع الأستاذين أحمد الأخضر غزال وأحمد العايد، وقد تمّ ذلك على فترتين الأولى من 1967م إلى 1969م والثّانيّة من 1969م إلى 1974م.

وإذا كان ذلك كذلك، فإنّ البحث اللساني الحاسوبي في الجزائر يعد أوّل بحث عربي في هذا الميدان، وليس كما اشتهر عند الباحثين بأنّ مسألة الاتصال العلمي بين الحاسوب واللغة العربيّة بدأ ت سنة 1971م مع الأساتذة إبراهيم أنيس ومحمّد كامل حسين وعلي حلمي موسى، وظهور الدّراسة الإحصائيّة للجذور الثّلاثيّة وغير الثّلاثيّة لمعجم الصّحاح للجوهري.

وههنا إشكال يثير الاهتمام: ما اللسانيات الحاسوبيّة؟ وما المصطلحات ذات العلاقة بها؟ وكيف عني بها البحث العلمي في الجزائر؟ وماهي أهم بيانات مدوّنة اللسانيات الحاسوبيّة فيها؟

للإجابة على هذا الإشكال، ورفع الالتّباس عن ذاك السّؤال أنجزت هذا البحث وسميته بـ "اللسانيات الحاسوبيّة في الجزائر"، وقد كسّرته على مبحثين وهما: اللسانيات الحاسوبيّة والألفاظ المتعلّقة بها، ومدونة اللسانيات الحاسوبيّة في الجزائر، كما أقمته على هدفين، وهما جمع ما تفرق من بواكير هذا العلم في الجزائر، وتصحيح الأوهام المتعلّقة بنشأته في العالم العربي.

وهو بحث لا يخلو من جديد كتحرير مصطلح اللسانيات الحاسوبيّة وتحقيق بداياته في العالم العربي، وإقامته على القسمة الثّلاثيّة: أساسيات اللسانيات الحاسوبيّة، ومعالجتها الآليّة للغات الطّبيعيّة، وتطبيقاتها العمليّة

وقد اتبعت فيه المنهج المتكامل المتعدد المداخل، وبخاصّة الوصف والتّحليل واستعنت على ذلك بشيء من التّاريخ. والله المستعان، وعليه التّكلان.

المبحث الأوّل: اللسانيات الحاسوبيّة والألفاظ المتعلّقة بها: اللسانيات الحاسوبيّة (Computational Linguistics) إحدى فروع اللسانيات التّطبيقيّة التي تعنى بدراسة اللغة الطّبيعيّة البشريّة من منظور حاسوبي، وتطبيق النّماذج الحاسوبيّة على المَلَكة اللغويّة البشريّة، وسنتناول أهم المفاهيم المتعلّقة بها في ما يلي.

المطلب الأوّل: تحرير مصطلح اللسانيات الحاسوبيّة.

1- تعريف اللسانيات الحاسوبيّة.

سنعرف اللسانيات الحاسوبيّة باعتبار مفرديها، ثم باعتبار تركيبها.

أ- اللسانيات الحاسوبيّة باعتبار مفرديها.

تتكوّن لفظة اللسانيات الحاسوبيّة من مفردين:

- الأوّل: اللسانيات، وتعني في العربيّة علوم اللغة، ويعدّ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت458ه) أوّل من ذكرها في المعجم العربي، وعطفها على الدّيانيات التي هي علوم الدّين(المحكم، 1973، 1/ 31- 32) ، وأوّل من أحيا

استعمالها في العصر الحديث هو الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح منذ استقلال الجزائر، حيث أسس سنة 1963م دائرة اللسانيات بقسم اللغة العربيّة بكليّة الآداب، وأنشأ سنة 1966م معهد العلوم اللسانيّة والصّوتيّة بجامعة الجزائر (مجلّة اللسانيات، 1971م، ص/ 50- 53)، وكان يطلق عليه أحيانا معهد اللسانيات (مجلّة الأصالة، 1973- 1974م، ص/ 355) ، وأطلق سنة 1971م مجلّة اللسانيات، وهي مجلّة في علم اللسان البشري تصدر عن معهد العلوم اللسانيّة والصّوتيّة، وقد كتب فيها بين سنتي 1971م و1973م أربع حلقات عنونها بـ" مدخل إلى اللسان الحديث".

وأمّا في الاصطلاح فهي كما قال الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح (مجلّة الفيصل، 1397ه/1977م، ص/32): «نعني بالعلوم اللسانيّة أو اللسانيات (أو علم اللسان الحديث) ما يسمّى الآن في البلاد الغربيّة بـ(Linguistics). والمقصود به هو الدّراسة العلميّة الموضوعيّة لجميع ظواهر اللسان البشري من خلال دراسة الالسّنة الخاصّة بكل قوم، وبصفة خاصة القدر المشترك فيها من القوانين التي تخضع لها هذه الظّواهر، أي اللسان كأداة للتبليغ، وكظاهرة فيزيائيّة ونفسيّة واجتماعيّة عامّة الوجود. فاللسانيات بهذا المعنى لا تعني الدّراسة التي ترمي إلى اكتساب لغة من اللغات، وتحصيل الملكة اللسانيّة (القدرة على الفهم والإفهام مشافهة وكتابة)، بل تعني الدّراسة التّجريبيّة والنّظريّة للظواهر المذكورة لاستنباط القوانين التي تضبط بها، وتفسيرها تفسيرا علميا محضا، على مثل تفسير الظّواهر الطّبيعيّة الأخرى تماما، أي إجراء البحوث الميدانيّة، والمشاهدة المباشرة لأحوال التّخاطب، وشيوع الكلمات في المجتمع وكيفيّة نقل النّاس لها، أو النّفور منها، وكذلك التّراكيب، وكيفيّة الأداء لها وتداخل اللغات، وغير ذلك من الظّواهر الاجتماعيّة اللغويّة، ثم تحليل هذه المعطيات بوسائل علميّة دقيقة كالإحصاء بالأدمغة الإلكترونيّة، والتّحليل الفيزيولوجي والفيزيائي...».

- والثّاني: الحاسوبيّة، وهي نسبة إلى الحاسوب، وهو اسم آلة على مثال فاعول[2]، من الفعل حسَب، يحسُب، بمعنى: عدّ (كتاب العين، د ت، 3/ 149) وأحصى (كتاب العين، د ت،1/ 79)، «والإحصاء: إحاطة العلم باستقصاء العدد» (كتاب العين، د ت، 3/ 268).

ويقال للحاسوب أيضا الحاسب، وهو «جهاز، أو منظومة لتنفيذ مجموعة من العمليات المحدّدة بتسلسل سبق إعداده، وتشمل هذه العمليات عمليات حسابيّة ومنطقيّة، أو عمليات نقل البيانات بين أجزاء الحاسب المختلفة وتخزينها واسترجاعها، وقد يعتمد تسلسل العمليات على قيم البيانات المتداولة. ويسمّى تسلسل العمليات برنامجا. وتخزن البيانات والبرامج في وسط للتخزين يسمّى بذاكرة الحاسب» (معجم الحاسبات، 2003م، ص/ 66).

كما يسمّى أيضا الحاسب الآلي، وهو «جهاز الكمبيوتر، أو ما يسمّى بالعقل الإلكترونيّ، ويسمّى كذلك: حاسبة، وحسّابة، وحاسوب، وهو جهاز يعمل إلكترونيّا لإجراء عمليات حسابيّة دقيقة وسريعة، وذلك باختزان معلومات يُغذَّى بها، ويقدِّمها عند الحاجة» (معجم اللغة العربيّة المعاصرة، 2008م، 1/ 489).

ويعرّب كذلك بالكمبيوتر- بضم الكاف، وكسر الباء- إنكليزي(computer)، وهو كما يقول ف. عبد الرّحيم (معجم الدّخيل في اللغة العربيّة الحديثة ولهجاتها، 2011م، ص/ 182): «جهاز كُهيربي لتخزين المعلومات المدخلة فيه، وتحليلها، ولإجراء عمليات حسابيّة معقّدة، وما إلى ذلك عربيه الحاسوب؛ ويجمع على حواسيب. الفعل منه: حوسب حوسبةً».

وقد غلب على الاستعمال العربي الجزائري المعاصر في هذه الآلة اسم الحاسوب، وإليه تنسب اللسانيات الحاسوبيّة.

ب- اللسانيات الحاسوبيّة باعتبار تركيبها: « فرع عن علمي اللغة والحاسب، يهدف إلى تصميم نماذج رياضيّة للتراكيب اللغويّة؛ للتمكن من معالجة اللغة آليا عن طريق الحاسب» (مدخل إلى اللسانيات الحاسوبيّة 2016م، ص/ 6).

وهي من وجهة نظر لغويّة: « تشكيل للنظريات والنّماذج اللغويّة وتنفيذها على الآلة» (مدخل إلى اللسانيات الحاسوبيّة، 2016م، ص/6).

وبذلك فإنّ اللسانيات الحاسوبيّة فرع من اللسانيات التّطبيقيّة يعنى بدراسة اللغة الطّبيعيّة من منظور حاسوبي من خلال تصميم برامج للنظريات اللغويّة والمعالجة الآليّة للغات الطّبيعيّة، والتّنفيذ العملي لتطبيقاتها في تحليل النّصوص والخطابات.

وهي مصطلح لا يخلو من غموض، فهل الوصف للسانيات بالحاسوبيّة يوضّحها، أم يخصّصها، وإن قلنا بالتّخصيص فإن المعنى يصير: علوم اللغة المنسوبة إلى الحاسوب، ولو قيل بالإضافة: حاسوبيّة اللسانيات؛ لكان أقرب وأقرب منه في نظري حوسبة اللسانيات.

2- الألفاظ ذات العلاقة بمصطلح اللسانيات الحاسوبيّة

من الألفاظ ذات الصّلة باللسانيات الحاسوبيّة:

- علم اللغة الآلي؛ علم اللغة الحسابي، وهو كما يقول محمّد علي الخولي(معجم علم اللغة التّطبيقي، 1986م، ص/ 21): « فرع من علم اللغة التّطبيقي، يعنى بتطويع اللغة للعقل الإلكتروني، واستخدام هذا العقل في دراسة اللغة ذاتها؛ ولهذا يعنى هذا العلم بالتّرجمة الآليّة، واستعادة المعلومات المختزنة في ذاكرة العقل الإلكتروني».

- اللغويات الحاسوبيّة، وهي: «مجال يطبق أساليب علوم الحاسب على اللغة، وبياناتها، ويتضمّن اتجاهات عديدة من الأبحاث في المدوّنة

الحاسوبيّة...»(لغويات المدوّنة الحاسوبيّة، 2016م، ص/ 447).

- اللغويات الحسابيّة، وهي « علم حوسبة اللغات الطّبيعيّة بنوعيها المنطوق والمكتوب، بمعنى آخر إنّها دراسة علميّة للغة الطّبيعيّة من منظور حاسوبي. وهذه الدّراسة لا يمكن أن تتم إلاّ ببناء برامج حاسوبيّة لأنظمة اللغات البشريّة من خلال تقييس ومحاكاة نظام عمل الدّماغ البشري لنظام عمل الحاسب الآلي» (اللسانيات الحاسوبيّة واللغة العربيّة، ص/ 28).

ولهذا العلم ألقاب أخرى، وقد أحصيت منها واحدا وعشرين اسما، وها هي ذي مرقمة آليا، ومرتبة بحسب فرز البيانات الرّقميّة:

1. تكنولوجيا اللغات؛
2. العلاج الآلي للغة؛
3. علم اللسان الكمبيوتري؛
4. علم اللغة الآلي؛
5. علم اللغة الحاسوبي؛
6. علم اللغة الحسابي؛
7. علم حساب اللغة؛
8. اللسانيات الإعلاميّة؛
9. اللسانيات الحاسوبيّة؛
10. اللسانيات الرّتابيّة؛
11. اللغويات الحاسوبيّة؛
12. اللغويات الحسابيّة؛
13. اللغويات المعلوماتيّة؛
14. المعالجة الآليّة للغات الطّبيعيّة؛

15. معالجة اللغات الطّبيعيّة؛

16. المعلوماتيّة الالسّنيّة؛

17. المعلوميّات اللّسانيّة؛

18. الهندسة الآليّة؛

19. الهندسة اللسانيّة؛

20. هندسة اللغات الطّبيعيّة؛

21. الهندسة اللغويّة.

وقد غلب على الاستعمال العلمي العربي المعاصر في الجزائر مصطلح اللسانيات الحاسوبيّة، وهو ما رجحه، واستقر عليه بآخرة الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح – رحمه الله- ، حيث قال: « وفيما يخصّ علم الحاسوب فهو أفضل من غيره؛ لأنّنا نستطيع أن نشتق منه فعل: حوسب، واسم مفعول: محوسَب ويمكن أن ينسب إليه، فنقول: اللسانيات الحاسوبيّة، وكل هذا متعذر بالنّسبة لكلمة معلوماتيّة أو معلوميات، أو علم الكمبيوتر» (الأخطاء في تأديّة المفهوم في التّعريب والتّرجمة خاصّة، 2010م، ص/ 08).

والأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح – رحمه الله- من أول الباحثين الجزائريين والعرب قاطبة في هذا المجال، وأكثرهم إنتاجا فيه، وقد استعمل في الأوّل مصطلح اللسانيات الرّتابيّة، ثم عدل عنه إلى اللسانيات الحاسوبيّة كما سبق.

ومن لطائف هذا العلم أن تولدت عنه في العربيّة عدة أفعال رباعيّة جديدة على مثال فَعْلَلَ: حوسب ورقمن عند الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح، وكمبت عند الأستاذ مازن الوعر، وكبتر عند الأستاذ فخر الدّين قباوة، ونوظم ونوسق عند عبد الغني أبي العزم.

المطلب الثّاني: أقسام اللسانيات الحاسوبيّة ومسائلها:

1- **أقسام اللسانيات الحاسوبيّة: درج كثير من الباحثين على عدم التّفريق بين اللسانيات الحاسوبيّة CL (Computational Linguistics) وبين المعالجة الآليّة للغة الطّبيعيّة NLP (Natural Language Processing) والتّفريق بينهما موضع خلاف بين كثير من الباحثين.**

ومن الذين يفرقون بينهما الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح إذ جعل علم العلاج الآلي للغة فرعا من اللسانيات الحاسوبيّة (بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة، 2006م، 2/ 170)، وهو ما استقر عليه البحث اليوم.

ويتجلّى الفرق بينهما عموما في ما يلي:

أ. اللسانيات الحاسوبيّة يغلب عليها التّنظير، وتميل أكثر لأبحاث كليات حوسبة اللغات، وتدرس المعارف اللسانيّة linguistic knowledge، وطريقة اكتسابها من خلال إنتاج وفهم اللغة، وطبيعة تمثيلاتها nature of linguistic representation، ومعرفة كيف يستخدم الإنسان الحساب لبناء نماذج رياضيّة models باستخدام الخوارزميات، وتسعى إلى إيجاد أنسب الصّيغ المنطقيّة الرّياضيّة للغات البشريّة؛

ب. المعالجة الآليّة للغة الطّبيعيّة فرع من اللسانيات الحاسوبيّة، يغلب عليها التّطبيق، وتميل أكثر لأبحاث كليات علم الحاسوب من خلال التّحليل الآلي للنصوص اللغويّة باستخدام برامج حاسوبيّة تعتمد على نتائج تطبيق الخوارزميات أكثر من اعتمادها على احترام قواعد لغة ما، وتسعى إلى تطوير المعالج الآلي للغة الطّبيعيّة.

ويكاد هذا العلم بحسب "دليل أكسفورد في اللّسانيّات الحاسوبيّة" يستقرّ على القسمة الثّلاثيّة: أساسيات اللسانيات الحاسوبيّة، ومعالجتها الآليّة للغات الطّبيعيّة، وتطبيقاتها العمليّة. وهو كتاب تأسيسي في ثلاثة أجزاء، الجزء

الأوّل: أساسيات اللسانيات الحاسوبيّة، والثّاني: المعالجة الآليّة للغات، والثّالثّ: تطبيقات اللسانيات الحاسوبيّة.

وقد صدرت ترجمته إلى العربيّة هذا العام عن مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدّولي لخدمة اللغة العربيّة بالشّراكة مع المنظّمة العربيّة للترجمة حرّره "رسلان متكوف"، وشارك في تأليف مباحثه مجموعة من الباحثين، ونقله إلى العربيّة طارق إبراهيم.

2- مسائل اللسانيات الحاسوبيّة

طرق كتاب "دليل أكسفورد في اللّسانيّات الحاسوبيّة" في القسم الأوّل منه: علوم اللسان كالفنولوجيّة، والتّصريف، والمعجم، والتّراكيب، والسّيمياء والخطاب والتّخاطب، وصياغة الأنحاء.

وطرق في القسم الثّاني: تجزئة النّص، وتصنيف أقسام الكلم، والتّحليل النّحوي، وغرابة اللفظ، وعودة الضّمير، ونشأة اللغة، وإدراك الخطاب، وقراءة نص، وتقنيّة لغة الحالة المحدّدة، وطرق الإحصاء، والتّعلم بالحاسوب واكتساب المعرفة المعجميّة، والتّقويم، واللغات الفرعيّة واللغات المراقبة، والمدونات اللسانيّة والأنطولوجيات، وتشجير الأنحاء.

وتعرض في التّطبيقات إلى التّرجمة الآليّة، واسترجاع المعلومات واستخراجها والإجابة الآليّة عن السّؤال، وتلخيص النّص، واستخراج الحدود والفهرسة الآليّة واستغلال بيانات النّص، وتداخل اللغة الطّبيعيّة، واللغة الطّبيعيّة في الوسائط وأنظمتها المتعدّدة، ومعالجة اللغة الطّبيعيّة في تعلّم اللغة بمساعدة الكمبيوتر ومعالجة اللغة الطّبيعيّة للغات المتعدّدة على الخط.

المبحث الثّاني: مدوّنة اللسانيات الحاسوبيّة في الجزائر: المدوّنة اسم مفعول من الفعل: دوّن، يدوّن، بمعنى: كتب، وخطّ واصطلاحا: «ما يشكّل الرّصيد اللغوي، أو مجموع المعطيات التي يخضعها الباحث للتحليل والدّرس» (المعجم

الموحّد لمصطلحات اللسانيات، 2002م ص/38).

وتُعنَى مدوَّنة اللسانيات الحاسوبيّة بالمعالجة الآليّة للنصوص المكتوبة والخطابات الشّفويّة، وتخزينها حاسوبيًّا، وتعليمها ووَسْمها يدويًّا وآليًّا واستخراج المعلومات اللغويّة منها، وإعداد الكشّافات السّياقيّة عنها. وفي ما يلي سنتناول مدوّنة اللسانيات الحاسوبيّة في الجزائر.

المطلب الأوّل: نشأة اللسانيات الحاسوبيّة العربيّة بالجزائر: بدأت العنايّة الرّسميّة في الجزائر باللسانيات الحاسوبيّة منذ إنشاء معهد العلوم اللسانيّة والصّوتيّة التّابع لجامعة الجزائر سنة 1966م، وقد كانت اللسانيات الرّياضيّة رابع أقسامه بالإضافة إلى قسم الصّوتيات التّجريبيّة، وقسم اللسانيات التّربويّة وقسم جغرافيّة اللغة.

وقد حدّد غرض اللسانيات الرّياضيّة في التّحليل الإحصائي، والصّياغة المنطقيّة الرّياضيّة للغات البشريّة بتحويل نظام اللغات إلى صيغ رياضيّة وإيجاد أنسب المثل الرّياضيّة لتوجيه وتفسير مجاري اللغة، ومخارج الكلام (مجلّة اللسانيات. 1971م. ص/53)، ثم أصبح هذ القسم منذ 2004م يسمّى بصفة رسميّة قسم اللسانيات الحاسوبيّة، ويعنى بالدّراسات والأعمال المتعلّقة بالعلاج الآلي للغة، وبالمساهمة في إثراء وتثمين موروث اللغة العربيّة (الجريدة الرّسميّة للجمهوريّة الجزائريّة. 2007م. ص/25).

وكان لقسم اللسانيات الرّياضيّة آنذاك رتّابة (دماغ إلكتروني)، وهو مصطلح استعمله الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح للدلالة على الحاسوب ولكن لم يكتب له البقاء على الرّغم من استيفائه لما تقتضيه العمليات الرّئيسيّة التي يقوم بها الحاسب (بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة.2012. 1/230- 231).

كما كان الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح يزاوج آنذاك بين مصطلحي اللسانيات الحاسوبيّة اللسانيات الرّتّابيّة (بحوث ودراسات في اللسانيات

العربيّة.2012. 1/230- 231)، ثم استقر بآخرة على مصطلح اللسانيات الحاسوبيّة، ورجحه على غيره من الحدود كما قلنا سابقا.

وأوّل الأعمال العربيّة في هذا العلم هو الرّصيد اللغوي للطفل العربي الذي قام به الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بالاشتراك مع كل من أحمد الأخضر غزال وأحمد العايد، وهو مجموعة من مفردات العربيّة تؤدّي مفاهيم الطّفل المغاربي في سن معيّنة، تلك المفاهيم التي وردت على لسانه، وتلك التي أضيفت اعتبارا لحاجاته، وقد تم ذلك على فترتين الأولى من 1967م إلى 1969م والثّانيّة من 1969م إلى 1974م (الرّصيد اللغوي الوظيفي. 1975م. ص/أ).

وهذا ما يصحح الوهم العلمي المشهور الذي درج عليه الباحثون العرب في اللسانيات الحاسوبيّة بأنّ قصّة الاتصال العلمي بين الحاسوب واللغة العربيّة بدأت سنة 1971م مع الأساتذة إبراهيم أنيس ومحمّد كامل حسين وعلي حلمي موسى من خلال اقتراح إحصاء الحروف الأصليّة لمواد اللغة العربيّة بمساعدة الحاسوب، وكان من ثمرة ذلك صدور الدّراسة الإحصائيّة للجذور الثّلاثيّة وغير الثّلاثيّة لمعجم الصّحاح للجوهري (مجلّة اللسانيات. 2007م. ص/ 16).

ومن عنايّة الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح باللسانيات الحاسوبيّة أن افتتح سنة 1980م دبلوم الماجستير في علوم اللسان والتّبليغ اللغوي، وجعل من فروعه العلاج الصّوري للغة والمعلوماتيّة اللسانيّة (مجلّة اللغة العربيّة. 2005. ص/ 166).

وكتب- رحمه الله- كثيرا من البحوث العلميّة المتعلّقة بهذا العلم فألقى سنة 1984م محاضرة في مجمع اللغة العربيّة الأردني بعنوان "تكنولوجيا اللغة والتّراث اللغوي الأصيل" (بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة. 2012م. 1/265)، تطرق فيها إلى أهميّة استغلال الوسائل التّقنيّة في البحث العلمي واختبار النّظريات اللغويّة على ضوء تكنولوجيا اللغة للوصول إلى الصّياغة المنطقيّة الرّياضيّة التي تقتضيها بالضّرورة المعالجة الآليّة للنصوص.

وشارك سنة 1989م في مؤتمر اللغويات الحاسوبيّة المنعقد بالكويت ببحث "المدرسة الخليليّة الحديثة ومشاكل علاج العربيّة بالحاسوب" (بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة. 2012م. 1/230- 264)، بيّن فيه الفوارق بين اللسانيات الحاسوبيّة العربيّة واللسانيات الحاسوبيّة الغربيّة، وأشار فيه إلى ما توصّل إليه هذا العلم المتعدّد التّخصّصات.

وشارك سنة 1989م في اجتماع الخبراء العرب في اللسانيات الحاسوبيّة المنعقد بالقاهرة ببحث عنوانه" العلاج الآلي للنصوص العربيّة والنّظريّة اللغويّة" (بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة. 2012م. 1/84- 108)، عرض فيه الوضع الرّاهن للعلاج الآلي للغات وخاصّة اللغة العربيّة، وأشار إلى أنّه يهدف إلى إيجاد أحسن الطّرق وأخصرها للوصول إلى صيغ رياضيّة لغويّة تمكن من استعمال الحاسب الإلكتروني أو الرّتّاب – كما يسميه الأستاذ الحاج صالح - لمعالجة النّصوص اللغويّة بكيفيّة آليّة.

وشارك في النّدوة الأولى للغويات الحاسوبيّة بالقاهرة سنة 1992م ببحث بعنوان" أوّل صياغة للتراكيب العربيّة: نظريّة العمل العربيّة" (بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة. 2012م. 1/304- 314)، وقد عالج فيه بشيء من التّوسع مستوى التّراكيب أو بنيّة الجملة في اللسانيات الخليليّة.

وشارك أيضا في ندوة استخدام اللغة العربيّة في تقنيّة المعلومات المنعقدة بالسّعوديّة سنة 1992م/1422هـ ببحث "منطق النّحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات" (بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة.2012م. 1/315- 335)، بيّن فيه أنّ الغايّة من العلاج الآلي للغة هي الانطلاق من نظريّة لغويّة متماسكة تتميّز بوضوح مفاهيمها، واستقلاليتها، وشموليتها، ومثلها يمكن أن يوجد في مدرسة الخليل بن أحمد التي قامت على منطق العرب، ومنطق الرّياضيات.

وشارك في النّدوة الأولى لاتحاد المجامع اللغويّة العربيّة بعمان سنة 2003م ببحث تحت عنوان "دور النّظريّة الخليليّة الحديثة في النّهوض بالبحوث الحاسوبيّة الخاصّة باللغة العربيّة" (بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة. 2012م. 2/80- 94)، أوضح فيه أنّ البحوث الحاسوبيّة الخاصّة بالعربيّة تستلزم اعتماد نظريّة لغويّة تستنبط من رحم اللغة العربيّة، وتصاغ صياغة رياضيّة منطقيّة، وأنسب نظريّة لذلك هي النّظريّة الخليلة الحديثة.

وقدم لمؤتمر مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة لسنة 2004م بحثا عنوانه "حوسبة التّراث العربي والإنتاج الفكري العربي في ذخيرة محوسبة واحدة كمشروع قومي" (بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة.2012م. 2/148- 157)، دعا فيه إلى ضرورة حوسبة التّراث العربي الإسلامي، وأشاد فيه بمشروع الذّخيرة العربيّة وبيّن أهداف المشروع، وفوائده، ووظائفه، ونشأته، وتطوّره.

وأسهم في المؤتمر السّنوي الخامس: اللغة العربيّة في عصر المعلوماتيّة المنعقد بمجمع اللغة العربيّة بدمشق سنة 2006م/1427هـ ببحث أصيل عنونه بـ"أنماط الصّياغة اللغويّة الحاسوبيّة والنّظريّة الخليليّة الحديثة"(مجلّة المجمع الجزائري للغة العربيّة، 2007م، ص9- 32. و2016م. ص 9- 28). أوضح فيه أنّ التّحليل الخليلي يمثّل أعمق تحليل لغوي يختص باللغة العربيّة، ومن أهم ميزاته: التّفريق بين الوضع الذي هو نظام اللغة المجرّد، وبين الاستعمال وهو كيفيّة استثمار الوضع في واقع الخطاب. وحدّد النّظام في مجموعة العناصر التي تنتظم على المستويات اللغويّة، وهي: 1- الحروف الصّوتيّة. 2- الكلم المتصرّفة. 3- الكلم عموما. 4- اللفظة. 5- الجملة.6- الخطاب. ولكل مستوى قسمة تركيبيّة خاصّة به.

ومن مشاريع العمر للأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح في مجال اللسانيات الحاسوبيّة مشروع الذّخيرة اللغويّة العربيّة[3] أو الإنترنت العربي (بحوث

ودراسات في اللسانيات العربيّة.2012م. 1/395- 422) الذي عرضه في المؤتمر الخامس للتعريب بعمان سنة 1985م، كما عرضه على المجلس التّنفيذي للمنظّمة العربيّة للتربيّة الثّقافة والعلوم سنة 1988م، وعرضه على الجلسة السّادسة لمؤتمر مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة سنة 1995م، ورحب به اتحاد المجامع العربيّة في سنة 1998م كمشروع قومي عربي، وتبناه المجمع الجزائري للغة العربيّة سنة 2001م، كما تبناه مجلس جامعة العربيّة سنة 2004م.

وهو إنترنت عربي، أو مدوّنة عربيّة حاسوبيّة ضخمة، أو بنك آلي من المعلومات بالعربيّة، أو قاعدة من المعطيات المحوسبة الجامعة لألفاظ اللغة العربيّة المستعملة قديما وحديثا.

ومن مزايا الذّخيرة اللغويّة شموليتها، واستفاضتها، واعتمادها على الاستعمال الحقيقي للغة العربيّة، وعلى الحواسيب وما إليها من الوسائل السّمعيّة والبصريّة. ومن خلالها يتمّ تمكين الباحث العربي من العثور على معلومات شتّى من واقع استعمال العربيّة بكيفيّة آليّة، وفي وقت وجيز، كما يمكنه الاطلاع على حياة العرب، ومعرفة أحوالهم، ومعرفة استعمالهم الحقيقي للعربيّة

وتعدّ هذه الذّخيرة اللغويّة العربيّة مصدرا لمختلف المعاجم والدّراسات كالمعجم الآلي الجامع للألفاظ العربيّة المستعملة، والمعجم الآلي للمصطلحات العلميّة والتّقنيّة المستعملة، والمعجم التّاريخي للغة العربيّة، ومعجم الألفاظ الحضاريّة، ومعجم الأعلام الجغرافيّة، ومعجم الألفاظ الدّخيلة والمولدة، ومعجم الألفاظ المتجانسة والمترادفة والمشتركة والأضداد، وغيرها.

وقد بين الأستاذ الحاج صالح " طريقة إنجاز مشروع الذّخيرة اللغويّة العربيّة" (مجلّة اللسان العربي. 2003م. ص396- 406)، ويمكن تلخيصها في ما يلي: توزيع المهام على أكبر عدد من المؤسّسات مع التّنسيق والمتابعة، وذلك من خلال

القيام بإحصاء شامل للتراث العربي، وما يجري استعماله في الخطاب والتّخاطب عند العرب، ثم حوسبة هذه النّصوص وتخزينها، ومعالجتها آليا، والتّشاور بشأن الألفاظ المشكلة منها.

المطلب الثّاني: فهرس مدونة اللسانيات الحاسوبيّة بالجزائر:

للفهرس أربعة معان، الفهرس بمعنى الكتاب الذي تجمع فيه أسماء الكتب ومثاله فهرست ابن النّديم، والمعنى الثّاني: الكتاب الذي تجمع فيه أسماء الشّيوخ المستفاد منهم، والكتب المسموعة عليهم، كفهرست ابن خير الإشبيلي والمعنى الثّالث: ثَبَتٌ في أوّل الكتاب أو آخره بمحتوياته، وموضوعاته التّفصيليّة. والمعنى الرّابع: بطاقة التّعريف بالكتاب مخطوطا.

ونقصد بالفهرس ههنا محاولة أوليّة لحصر أسماء الكتب والبحوث والمقالات المنجزة باللغة العربيّة في ميدان اللسانيات الحاسوبيّة بالجزائر، وعلى الأخص من خلال مدوّنتي: البوّابة الوطنيّة للإشعار عن الأطروحات www.pnst.cerist.dz، والبوّابة الجزائريّة للمجلاّت العلميّة www.asjp.cerist.dz .

وها هي ذي قوائم أوليّة للكتب والرّسائل الجامعيّة والمقالات العلميّة المتعلّقة باللسانيات الحاسوبيّة في الجزائر مرتبة على التّاريخ، ووفق نظام التّوثيق لدى الجمعيّة الأمريكيّة لعلم النّفس:

أ/ الكتب

1. المجلس. المجلس الأعلى للغة العربيّة

(2007م). البرمجيات التّطبيقيّة باللغة العربيّة. منشورات المجلس. الجزائر.

(2011م). دليل وظيفي في المعلوميات. منشورات المجلس. الجزائر.

2. ابن عربيّة. راضيّة بن عربيّة(2017م). محاضرات في اللسانيات

الحاسوبيّة. منشورات ألفا. الجزائر.

3. حميدي. بن يوسف حميدي(2019م). مفاهيم وتطبيقات في اللسانيات الحاسوبيّة. حميدي بن يوسف. مركز الكتاب الأكاديمي. الأردن.

ب/ الرّسائل الجامعيّة المناقشة

1. غيتري. غيتري سيدي محمّد (1998م). التّركيب الفعلي العربي - دراسة لسانيّة حاسوبيّة. غيتري سيدي محمّد. جامعة أبو بكر بلقايد. تلمسان.

2. دالي. دالي سليمة (2001م). وظيفة الفاعليّة في اللغة العربيّة دراسة لسانيّة حاسوبيّة. دالي سليمة. جامعة أبو بكر بلقايد. تلمسان.

3. إبراهيمي. إبراهيمي بوداود (2007م). القياسات الحاسوبيّة للكميات الصّوتيّة في التّراث، براهيمي بوداود. رسالة ماجستير. جامعة وهران 1.

4. شاشة. شاشة فارس (2008م). المعالجة الآليّة للغة العربيّة: إنشاء نموذج لساني صرفي إعرابي للفعل العربي. رسالة ماجستير. جامعة الجزائر.

5. قدراوي. أمين قدراوي (2010م). نحو بناء معجم الكتروني للمعالجة الآليّة للغة العربيّة. رسالة ماجستير. جامعة أبو بكر بلقايد. تلمسان.

6. حمادي. سميّة حمادي (2016م). اللسانيات الحاسوبيّة العربيّة من خلال أعمال الدّكتور نهاد الموسى. رسالة ماجستير. جامعة الحاج لخضر. باتنة.

7. عدوان. عدوان صافيّة وآيت هنيّة كهينة(2016م). اللسانيات الحاسوبيّة ودورها في تطوير البحث اللساني العربي. رسالة ماستر. جامعة عبد الرّحمن ميرة. بجايّة.

8. عيجولي. حسين عيجولي (2018م). تصميم طرق معالجة لغويّة لتلخيص النّصوص العربيّة. أطروحة دكتوراه. جامعة أبو بكر بلقايد. تلمسان.

المقالات:

سبقت الإشارة إلى بعض مقالات الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح الرّائدة في

اللسانيات الحاسوبيّة، وهذه قائمة بأهم المقالات في البوّابة الجزائريّة للمجلاّت العلميّة المتعلّقة بهذا العلم.

1. زمولي. موسى زمولي (2002م). التّجارب الرّاهنة حول حوسبة النّصوص التي تعتمد اللغة العربيّة. مجلّة اللّغة العربيّة. المجلّد 4. العدد 2. ص 272- 297.

2. ديدوح. عمر ديدوح (2005م). منهج النّماذج المنغولة في حوسبة اللغات الطّبيعيّة حالة تطبيقيّة على اللغة العربيّة الفصحى. مجلّة الآداب واللغات. المجلّد 9. العدد 9. ص 272- 288.

3. يحياتن. محمّد يحياتن (2005م). دور معهد العلوم اللسانيّة (جامعة الجزائر) في ترقيّة اللغة العربيّة (1964- 1986)[4]. مجلّة اللّغة العربيّة. المجلّد 7. العدد 1. ص 159- 168.

4. دحماني. دحماني الحبيب (2006م). المعالجة الحاسوبيّة لمعاجم اللغة العربيّة من حيث الجذريّة والأصوات. مجلّة الصّوتيات. المجلّد 2. العدد 1. ص 94- 101.

5. ديدوح. ديدوح عمر (2009م). فعاليّة اللسانيات الحاسوبيّة العربيّة. مجلّة الأثر. المجلّد 8. العدد 8 . ص 87- 91.

6. شابي. سعاد شابي (2011 م). صورنة التّراكيب اللغويّة العربيّة. مجلّة الحقيقة. المجلّد 10. العدد 18. ص 65- 84.

7. قريشي. قريشي عبد الكريم وحاج صابري فاطمة الزّهراء (2012م). آفاق التّعليم في ظل التّفاعليّة البر مجيّة الحاسوبيّة متعددة الوسائط. مجلّة الباحث في العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة المجلّد 4 العدد 9. ص 37- 45.

8. ابن عامر. سعيد بن عامر (2014م). إشكاليات التّرجمة الآليّة أسماء

الأماكن أنموذجا. مجلّة الإشعاع. المجلّد 1. العدد 1. ص 137- 142.

9. سماش. سماش راضيّة (2014م). البرامج التّعليميّة الحاسوبيّة وأثرها في الاتجاه نحو التّعلم الذّاتي والتّحصيل العلمي. مجلّة العلوم الاجتماعيّة. المجلّد 3. العدد 9. ص 45- 62.

10. محمودي. محمودي شعيب (2014م). مصطلحات مفتاحيّة للسانيات الحاسوبيّة: عرض مفاهيمي وصعوبات التّناول. مجلّة العلوم الإنسانيّة. المجلّد 25. العدد 3. ص 107- 115.

11. ابن النّوي. مسعودة بن النّوي(2015م). جهود الأفراد والجماعات في وضع معاجم مصطلحات الحاسوبيات في اللغة العربيّة. مجلّة اللغة العربيّة. المجلّد17، العدد1. ص 129- 154.

12. بابا أحمد. رضا بابا أحمد (2015م). اللّسانيات الحاسوبيّة - التّرجمة الآليّة. مجلّة الإشعاع. المجلّد 2. العدد 3. ص 49- 67.

13. عرباوي. محمّد عرباوي (2015م). انعكاس الممارسات التّرجميّة والمعلوماتيّة على تحليل مستويات اللغة. مجلّة النّص. المجلّد 1. العدد 1 . ص 86- 108.

14. حركات. مصطفى حركات (2016م). المعالجة الآليّة لضوابط الكتابة العربيّة. مجلّة اللّغة العربيّة. المجلّد 11. العدد 1. ص 392- 412.

15. عرباوي. عرباوي محمّد (2016م). تأثير مرجعيات التّرجمة والحوسبة في محاكاة وتمثيل اللغة العربيّة. حوليات الآداب واللغات. المجلّد 4. العدد 7. ص 58- 86.

16. فاهم. سعيد فاهم (2016م). نحو معجم لساني حاسوبي عربي- قراءة في المنهج والإجراء- . مجلّة ألف. المجلّد 3. العدد 2. ص 96- 112.

17. ابن عربيّة. راضيّة بن عربيّة (2017م). حوسبة النّظام اللغوي العربي - المعجم الآلي عند البروفسور عبد الرّحمن الحاج صالح - أنموذجا- . مجلّة اللّغة العربيّة. المجلّد 19. العدد 3. ص 15 - 34.

18. بايّة. بايّة سهام (2017م). اللسانيات الحاسوبيّة والمعجميّة العربيّة. مجلّة لغة كلام. المجلّد 3. العدد 2. ص 227- 241.

19. برماد. أحمد برماد (2017م). المدونات الحاسوبيّة وصناعة المعجم التّاريخي العربي المختص. مجلّة الذّاكرة. المجلّد 5. العدد 2. ص 101- 108.

20. بوعمران. بوعلام العربي بوعمران (2017م). مبادئ التّصنيف الآلي للنصوص العربيّة. مجلّة الحكمة للدراسات الأدبيّة واللغويّة. المجلّد 5. العدد 3. ص 29- 39.

21. بومود. بومود طارق (2017م). دور تكنولوجيات الاتصال في تطوير الممارسة البيداغوجيّة لتعليم العربيّة. مجلّة الممارسات اللّغويّة. المجلّد 8. العدد 41. ص 139- 158.

22. تومي. يوسف تومي جويدة (2017م). حوسبة اللغة العربيّة. مجلّة جسور المعرفة. المجلّد 3 العدد 12. ص 234- 240.

23. فاهم. سعيد فاهم (2017م). الدّرس اللساني الحاسوبي العربي- قراءة في نماذج ناجحة- . مجلّة آفاق لعلم الاجتماع. المجلّد 7. العدد 1. ص 63- 75.

24. محمودي. محمودي رقيّة (2017م). واقع استخدام الحاسوب وشبكة المعلوماتيّة في تدريس وحدات اللغة العربيّة بالطّور المتوسّط - دراسة ميدانيّة بولايتي "المديّة- تيبازة- . مجلّة دراسات حول الجزائر والعالم. المجلّد 2. العدد

7 . ص 1- 33.

25. ابن عربيّة. راضيّة بن عربيّة (2018م). فاعليّة المنهج التّوصيفي في تحرير المقال اللساني الحاسوبي. مجلّة اللغة الوظيفيّة. المجلّد 5. العدد 1. ص 204- 214.

26. ابن عربيّة. بن عربيّة لزعر راضيّة (2018م). حوسبة المعجم اللساني عند اللغويين المحدثين العرب. مجلّة دراسات لسانيّة. المجلّد 2. العدد 9. ص 265- 277.

27. بربارة. بربارة سهيلة (2018م). تقييم نِتاج التّرجمة الآليّة إلى اللغة العربيّة بين أداء نظام "الوافي الذّهبي" اللغوي ونظام "غوغل" الإحصائي. مجلّة اللسانيات. المجلّد 24. العدد 2. ص 175- 206.

28. بربارة. بربارة سهيلة (2018م). حوسبة اللغة العربيّة بين المقاربة اللغويّة والمقاربة الإحصائيّة. مجلّة اللّغة العربيّة. المجلّد 20. العدد 4. ص 187- 220.

29. تاحي. تاحي بختة (2018م). اللسانيات الحاسوبيّة - دورها في تنميّة اللغة العربيّة وعلومها- . مجلّة التّعليميّة. المجلّد 5. العدد 3. ص 121- 132.

30. سعدوني. سعدوني رشيدة (2018م). التّرجمة الآليّة في زمن تكنولوجيات الاتصال: نعمة أم نقمة؟. مجلّة المترجم. المجلّد 17. العدد 1. ص 189- 208.

31. فنور. فنور نصيرة (2018م). اللسانيات الحاسوبيّة في ضوء التّأسيس الاصطلاحي لنهاد الموسى. مجلّة لغة كلام. المجلّد 3. العدد 1. ص 205- 216.

32. قدور. قدور نبيلة (2018م). اللّغة العربيّة: من المنطق الرّياضي إلى الحوسبة. مجلّة الأدب والعلوم الاجتماعيّة. المجلّد 15. العدد 27. ص 208- 224.

33. كبير. كبير زهيرة (2018م). التّرجمة الآليّة - الواقع والآفاق. مجلّة التّرجمة واللغة. المجلّد 17, . العدد 1. ص 182- 195.

34. لعقد. لعقد سارة (2018م). دور اللسانيات الحاسوبيّة في ترقيّة استعمال اللغة العربيّة- : مشروع الذّخيرة العربيّة لعبد الرّحمان الحاج صالح أنموذجا- . مجلّة البدر. المجلّد 11. العدد 9. ص 1073- 1083.

35. لوحيشي. لوحيشي آسيّة (2018م). تقييم التّجربة الجزائريّة والعربيّة في رقمنة المحتوى العلمي (الواقع والآفاق). مجلّة اللّغة العربيّة. المجلّد 20. العدد 4. ص 171- 185.

36. موساوي. سهام موساوي (2018م). منهجيّة البحث والتّحرير في مجال اللسانيات الحاسوبيّة. مجلّة اللغة الوظيفيّة. المجلّد 5. العدد 1. ص 191- 203.

37. ولد النّبيّة. ولد النّبيّة يوسف (2018م). الأخطاء اللّغويّة في الكتابة الحاسوبيّة: قراءة تحليليّة لحالة العربيّة. مجلّة اللغة والاتصال. المجلّد 13. العدد 1. ص 66- 73.

38. إبراهيمي. إبراهيمي بوداود (2019م). حوسبة اللغة العربيّة في ضوء المتجدد المعلوماتي. مجلّة جسور المعرفة. المجلّد 5. العدد 1. ص 17- 27.

39. ابن عربيّة. راضيّة بن عربيّة (2019م). المعالجة الآليّة للدلالة في اللغة العربيّة بين جهود اللسانيين وآفاق الحاسوبيين. مجلّة التّعليميّة. المجلّد 5. العدد 2. ص 236- 256.

40. باهي. فتحي باهي وآخرون (2019م). اللسانيات الحاسوبيّة العربيّة واقع وتحديات. مجلّة دراسات وأبحاث. المجلّد 11. العدد 1. ص 380- 393.

41. رباحي. محمّد رباحي (2019م). آفاق حوسبة المعاجم العربيّة. مجلّة اللّغة العربيّة. المجلّد 21. العدد 1. ص 127- 142.

42. زروقي. ليلى مغيث زروقي (2019م). اللّسانيات الحاسوبيّة بين رقمنه اللغة العربيّة ورهان مجتمع المعرفة. مجلّة العمدة. المجلّد 3, العدد 2, , 2019 ص 249- 258.

43. شواقري. مريم شواقري (2019م). دور التّرجمة والمعالجة الآليّة للغة في صناعة المعاجم وضبط المصطلح. مجلّة المقري. المجلّد 1. العدد 3. ص44- 66.

44. عابد. عابد رشيدة وعبد الرّحمن فاطمة (2019م). الجملة في ضوء اللسانيات الحاسوبيّة. مجلّة جسور المعرفة. المجلّد 5. العدد 2. ص 460- 475.

45. كبير. كبير زهيرة (2019م). التّرجمة الآليّة بين الضّوابط اللغويّة والقيود التّقنيّة. مجلّة التّدوين. المجلّد 5. العدد 12.ص 306- 317.

فهذه حصيلة فهرس البيانات الأوليّة لمدونة اللسانيات الحاسوبيّة في الجزائر التي نجملها في:

الكتب المفردة	الرّسائل الجامعيّة		المقالات	
02	المناقشة	غير المناقشة	الحاج صالح	باقي الباحثين
	08	13	20	45

خاتمة: اللسانيات الحاسوبيّة فرع من اللسانيات التّطبيقيّة ينسب إلى الحاسوب ويعني بالدّراسة العلميّة للغة البشريّة من منظور حاسوبي بصياغة النّظريات اللغويّة وتصميم برامج لها، ومعالجة اللغات حاسوبيا، وتنفيذ تطبيقاتها البرمجيّة في تحليل النّصوص والخطابات اللغويّة.

وقد استقر البحث فيها على القسمة الثّلاثيّة:

- أساسيات اللسانيات الحاسوبيّة، وذلك بصياغة نظريات علميّة لدراسة علوم اللسان آليا.

- العلاج الآلي للغة: وهو التّحليل الآلي للنصوص اللغويّة باستخدام برامج حاسوبيّة تعتمد على نتائج تطبيق الخوارزميات، وتسعى إلى تطوير المعالج الآلي للغة الطّبيعيّة.

- تطبيقات اللسانيات الحاسوبيّة: وهي البرامج الحاسوبيّة التي تنفذ آليا في معالجة المعلومات واسترجاعها كالتّرجمة الآليّة، والإجابة الآليّة عن السّؤال والفهرسة الآليّة.

وقد بدأت العنايّة الرّسميّة في الجزائر باللسانيات الحاسوبيّة منذ إنشاء معهد العلوم اللسانيّة والصّوتيّة التّابع لجامعة الجزائر سنة 1966م، وكانت اللسانيات الرّياضيّة إحدى أقسامه، وهي تسعى إلى التّحليل الإحصائي، والصّياغة المنطقيّة الرّياضيّة للغات البشريّة بتحويل نظام اللغات إلى صيغ رياضيّة وإيجاد أنسب المثل الرّياضيّة لتوجيه وتفسير مجاري اللغة، ومخارج الكلام، ثم أصبح هذ القسم يسمى قسم اللسانيات الحاسوبيّة، ويعنى بالدّراسات والأعمال المتعلّقة بالعلاج الآلي للغة، والإسهام في تثمين موروث اللغة العربيّة.

وأوّل الأعمال العربيّة في هذا المجال هو الرّصيد اللغوي للطفل العربي الذي قام به الأستاذ عبد الحاج صالح بالاشتراك مع كل من أحمد الأخضر غزال وأحمد العايد، على فترتين الأولى من 1967م إلى 1969م، والثّانيّة من 1969م

إلى 1974م.

وهذا يصحح الوهم العلمي المشهور بأنّ قصّة الاتصال العلمي بين الحاسوب واللغة العربيّة بدأت سنة 1971م مع الأساتذة إبراهيم أنيس ومحمّد كامل حسين وعلي حلمي موسى.

ومن عنايّة الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح باللسانيات الحاسوبيّة أن افتتح سنة 1980م دبلوم الماجستير في علوم اللسان والتّبليغ اللغوي، وجعل من فروعه العلاج الصّوري للغة والمعلوماتيّة اللسانيّة، وشارك في ثمانيّة مؤتمرات تتعلّق باللسانيات الحاسوبيّة منذ 1984م إلى 2006م، وجعل مشروع عمره مشروع الذّخيرة اللغويّة العربيّة الانترنت العربي.

والبحوث الجزائريّة في هذا المجال متفرقة لا يجمعها رابط، وعشوائيّة لا تقوم على تخطيط، ولا على أساس البناء المعرفي المتراكم، وكأنّ كثيرا منها محاولات شخصيّة؛ ولذلك تجد فيها التّكرار برغم الانطلاقة الرّائدة لهذا العلم في الجزائر من طرف الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح، بل لعلها رائدة في العالم بَلْهَ العالم العربي.

قائمة مراجع:

أ/الكتب

- ابن سيده. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده(1973م). المحكم والمحيط الأعظم في اللغة. تحقيق مجموعة من الباحثين. معهد المخطوطات بجامعة الدّول العربيّة. القاهرة.
- ابن منظور. جمال الدّين أبو الفضل محمّد بن مكرم ابن منظور(1993م). لسان العرب. دار صادر. بيروت.
- إتشسون. جين إتشسون(2016م). اللسانيات مقدمة إلى المقدمات. ترجمة عبد الكريم محمّد جبل. المركز القومي للترجمة. القاهرة.
- أحمد مختار. أحمد مختار عمر ومن معه
(2008م). معجم اللغة العربيّة المعاصرة. عالم الكتب. القاهرة.
(2008م). معجم الصّواب اللغوي. عالم الكتب. القاهرة.
- بلعيد. صالح بلعيد(2000م). دروس في اللسانيات التّطبيقيّة. دار هومة. الجزائر.
- بوتون. شارل بوتون(1998م). اللسانيات التّطبيقيّة. ترجمة قاسم المقداد ومحمّد رياض المصري. دار الوسيم. دمشق.
- تنسيق التّعريب. مكتب تنسيق التّعريب(2002م). المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات. مطبعة النّجاح الجديدة. المغرب.
- جمعة. عمرو جمعة(2016م). تقنيات اللغة العربيّة الحاسوبيّة- معايير التّقييم ورؤى التّطوير. مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربيّة. الرّياض.
- الحاج صالح. عبد الرّحمن الحاج صالح ومن معه
(1975م). الرّصيد اللغوي الوظيفي للمرحلة الأولى من التّعليم الابتدائي. المعهد التّربوي الوطني. الجزائر.
الحاج صالح. عبد الرّحمن الحاج صالح
(2007م). النّظريّة الخليلة الحديثة مفاهيمها الأساسيّة. سلسلة كراسات المركز العدد الرّابع. مركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللغة العربيّة الجزائر.
(2012م). بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة. ج1. المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة موفم. الجزائر.

(2012م). بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة. ج2. المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة موفم. الجزائر.

(2012م). منطق العرب في علوم اللسان. سلسلة علوم اللسان عند العرب2. المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة موفم. الجزائر.

(2016م). البنى النّحويّة العربيّة. سلسلة علوم اللسان عند العرب4. منشورات المجمع الجزائري للغة العربيّة. الجزائر.

- حساني. أحمد حساني(2000م). دراسات في اللسانيات التّطبيقيّة: حقل تعليميّة اللغات. ديوان المطبوعات الجامعيّة. الجزائر.

- الحناش. محمّد الحناش(1993م). أعمال ندوة استخدام اللغة العربيّة في تقنيّة المعلومات. ملحق مجلّة التّواصل اللساني. المغرب.

- الخولي. محمّد علي الخولي(1986م). معجم علم اللغة التّطبيقي. مكتبة لبنان ناشرون. بيروت.

- دعبول. موفق دعبول(2017م). قائمة المصطلحات المعلوماتيّة. لجنة مصطلحات المعلوماتيّة. مجمع اللغة العربية. دمشق.

- الدّكروري. أيمن الدّكروري(2018م). المدونات اللغويّة ودورها في معالجة النّصوص العربيّة. مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدّولي لخدمة اللغة العربيّة، الرّياض.

- الرّاجحي. عبده الرّاجحي(2004م). علم اللغة التّطبيقي وتعليم اللغة العربيّة. دار النّهضة العربيّة. بيروت.

- زكريا. ميشال زكريا(1993م). قضايا السّنيّة تطبيقيّة. دار العلم للملايين. بيروت.

- الشّويرخ. صالح بن ناصر الشّويرخ(2017م). قضايا معاصرة في اللسانيات التّطبيقيّة. مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربيّة. السّعوديّة.

- العصيمي. صالح بن فهد العصيمي ومن معه(2015م). المدونات اللغويّة العربيّة: بناؤها وطرائق الإفادة منها. مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدّولي لخدمة اللغة العربيّة. الرّياض.

- العصيمي. صالح بن فهد العصيمي(2018م). لسانيات المتون: قضايا أساسيّة في التّأصيل والتّطبيق والمنهج. مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدّولي لخدمة اللغة العربيّة

الرّياض.

- علي. نبيل علي(1988م). اللغة العربيّة والحاسوب: دراسة بحثيّة. دار تعريب. القاهرة.

- ف. عبد الرّحيم(2011م). معجم الدّخيل في اللغة العربيّة الحديثة ولهجاتها. دار القلم. دمشق.

- الفيفي. عبد الله بن يحيى الفيفي ومن معه(2016م). مدخل إلى اللسانيات الحاسوبيّة. مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربيّة. السّعوديّة.

- ماينارد. ديانا ماينارد وآخرون(2019م). معالجة اللغات الطّبيعيّة للويب الدّلالي. ترجمة خالدّ بن عبد الرّحمن الميمان. مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربيّة. الرّياض.

- مجمع القاهرة. مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة(2003م). معجم الحاسبات. مركز الحاسب الآلي. القاهرة.

- المجيول. سلطان بن ناصر المجيول ومن معه(2016م). لغويات المدونة الحاسوبيّة تطبيقات تحليليّة على العربيّة الطّبيعيّة. مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربيّة. الرّياض.

- مكاناري. تووني مكاناري وأندو هاردي(2016م). لغويات المدونة الحاسوبيّة: المنهج والنّظريّة والتّطبيق. ترجمة سلطان بن ناصر المجيول. مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربيّة. الرّياض.

- مهديوي. عمر مهديوي ومن معه(2018م). اللسانيات الحاسوبيّة واللغة العربيّة: إشكالات وحلول. دار كنوز المعرفة. الأردن.

- مونان. جورج مونان(2012م). معجم اللسانيات. ترجمة جمال الحضري. مجد المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتّوزيع. بيروت.

Mitkov .Ruslan Mitkov (2003). The Oxford Handbook of Computational Linguistics. Oxford . New York : Oxford University Press.

ب/المقالات

- الحاج صالح. عبد الرّحمن الحاج صالح

(1971م). معهد العلوم اللسانيّة والصّوتيّة التّابع لجامعة الجزائر. مجلّة اللسانيات.

المجلّد1. العدد1. 1971م. ص50- 53.

(1974م). دور معهد اللسانيات في التّعريب. مجلّة الأصالة. المجلّد 17- 18. 1973- 1974. ص355- 360.

(1977م). علم اللسان الحديث. مجلّة الفيصل. العدد2. 1977م. ص 33- 34.

(1986م). الذّخيرة اللغويّة العربيّة. مجلّة اللغة العربيّة الأردنية. العدد30. جمادى الأولى وشوال 1406- ينلير1986. ص49- 62.

(1986م). الذّخيرة اللغويّة العربيّة. مجلّة المجمع العلمي العراقي. المجلّد37. الجزء. 2 رمضان 1406- يونيو1986. ص151- 166.

(1987م). الذّخيرة اللغويّة العربيّة. مجلّة اللسان العربي. مكتب تنسيق التّعريب. المغرب. العدد 27. 1987. ص 45 - 54.

(1997م). مشروع الذّخيرة اللغويّة العربيّة وأبعاده العلميّة والتّطبيقيّة مجلّة مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة. المجلّد 81. جمادى الآخرة 1418- 1997. ص 48- 61.

(2003م). طريقة إنجاز مشروع الذّخيرة اللغويّة العربيّة. مجلّة اللسان العربي. العدد55 و56. ديسمبر 2003. ص396- 406.

(2004م). حوسبة التّراث العربي والإنتاج الفكري العربي في ذخيرة محوسبة واحدة كمشروع قومي. مجلّة مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة. المجلّد 103. 2004، ص 29- 46.

(2007م). أنماط الصّياغة اللغويّة الحاسوبيّة والنّظريّة الخليليّة الحديثة. مجلّة المجمع الجزائري للغة العربيّة6. العدد. 2007، ص9- 32. والعدد24. 2016م/1438هـ. ص 9- 28.

- يحياتن. محمّد يحياتن (2005م). دور معهد العلوم اللسانيّة (جامعة الجزائر) في ترقيّة اللغة العربيّة (1964- 1986). مجلّة اللغة العربيّة. المجلّد7. العدد1. 2005. ص161- 168.

- الحكومة الجزائريّة. الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة (2007م). الجريدة الرّسميّة. العدد02. ص25- 27.

- العارف. عبدالرّحمن بن حسن العارف (2007م). توظيف اللسانيات الحاسوبيّة في

خدمة الدّراسات اللغويّة العربيّة "جهودٌ ونتائج". مجلّة اللسانيات. المجلّد 12. العدد13. 2007م. ص11- 44.

ج/المؤتمرات

- الحاج صالح. عبد الرّحمن الحاج صالح:

(1989م). المدرسة الخليليّة الحديثة ومشاكل علاج العربيّة بالحاسوب. مؤتمر اللغويات الحسابيّة العربيّة. الكويت.

(1992م). منطق النّحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات. ندوة استخدام اللغة العربيّة في تقنيّة المعلومات. 1992م. مكتبة الملك عبد العزيز العامة. الرّياض.

(2006م). أنماط الصّياغة اللغويّة الحاسوبيّة والنّظريّة الخليليّة الحديثة. المؤتمر السّنوي الخامس: اللغة العربيّة في عصر المعلوماتيّة.2006م. مجمع اللغة العربيّة. دمشق.

(2008م). التّجديد اللغوي الشّامل. المؤتمر السّنوي السّابع: التّجديد اللغوي. 2008. مجمع اللغة العربيّة. دمشق.

(2010م). الأخطاء في تأديّة المفهوم في التّعريب والتّرجمة العلميّة. المؤتمر السّنوي التّاسع: الكتابة العلميّة باللغة العربيّة. 2010م. مجمع اللغة العربيّة. دمشق.

هوامش [5]:

[1] جامعة محمد البشير الإبراهمي، برج بوعريريج، الجزائر، البريد الإلكتروني: mohamed.benmebkhout@univ-bba.dz

[2] أقر مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة قياسيّة صيغة فاعول اسما للآلة، أحمد مختار عمر (2008م). معجم الصّواب اللغوي (308/1).

[3] مجلّة اللغة العربيّة الأردني. العدد30. جمادى الأولى وشوال 1406- يناير1986. ص49- 62. ومجلّة المجمع العلمي العراقي. المجلّد37. الجزء 2. رمضان 1406- يونيو1986. ص151- 166. ومجلّة اللسان العربي. مكتب تنسيق التّعريب. المغرب. العدد 27. 1987. ص 45 - 54. ومجلّة مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة. المجلّد 81. جمادى الآخرة 1418- 1997. ص 48- 61.

[4] الصّواب(1966- 1986)، فقد تأسس معهد العلوم اللسانيّة والصّوتيّة سنة 1966م. وفي هذا المقال أشار الباحث إلى سبعة عناوين من رسائل الماجستير التي أنجزها طلبة المعهد، منها عنوان في اللسانيات الحاسوبيّة، وهو معالجة حاسوبيّة للجزء الأول من القرآن الكريم: دراسة معجميّة آليّة.

[5] أقر مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة قياسيّة صيغة فاعول اسما للآلة، أحمد مختار عمر (2008م). معجم الصّواب اللغوي (308/1).

[6] مجلّة اللغة العربيّة الأردنية. العدد30. جمادى الأولى وشوال 1406- يناير1986. ص49- 62. ومجلّة المجمع العلمي العراقي. المجلّد37. الجزء 2. رمضان 1406- يونيو1986. ص151- 166. ومجلّة اللسان العربي. مكتب تنسيق التّعريب. المغرب. العدد 27. 1987. ص 45 - 54. ومجلّة مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة. المجلّد 81. جمادى الآخرة 1418- 1997. ص 48- 61.

[7] الصّواب(1966- 1986)، فقد تأسس معهد العلوم اللسانيّة والصّوتيّة سنة 1966م. وفي هذا المقال أشار الباحث إلى سبعة عناوين من رسائل الماجستير التي أنجزها طلبة المعهد، منها عنوان في اللسانيات الحاسوبيّة، وهو معالجة حاسوبيّة للجزء الأول من القرآن الكريم: دراسة معجميّة آليّة.

مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 22 العدد: 50 السّنة: الثّلاثيّ الثّاني 2020 ص: 291 - 304

المحنة وتجلّياتها في الرّوايّة الجزائريّة الاستعجاليّة
فضاء المدينة وتماته – نماذج مختارة –

د. بن داود شفيقة[1]

تاريخ الإرسال: 27 01 2019 تاريخ القبول: 29 09 2019

الملخّص: إنّ أدب الأزمة أو ما يعرف بالأدب الاستعجالي، من أهم الإنتاجات الإبداعيّة الجزائريّة التي كان لها حضور في الرّوايّة كجنس أدبي دون غيره من الأجناس الأدبيّة الأخرى كالشّعر، القصّة، والمسرحيّة... وهذا ما جعلها تتفاعل مع أحداث العشريّة السّوداء، وتصوّرها لنا بتقريريّة خالصّة، مستهدفة المدينة كمكان فاعل تدور حوله الأحداث فتنبثق منه وتعود إليه لتترجم لنا تيمات القتل، الموت الضّياع الخيانة...

Résume : La littérature de la crise ou ce qu'on appelle la littérature d'urgence est considérée la production algérienne la plus créative qui a pris sa place comme genre littéraire parmi les autres genres comme : le poème, l'histoire et le théâtre …

Elle a réagi avec les évènements de l'époque de la décennie noire à travers une écriture décisive et fidèle, ciblant la ville comme une pierre angulaire où elle va décrire les événements pour nous traduire les scènes du crime, de la mort, de la déperdition, et la trahison…. etc.

شهد الخطاب الرّوائي الجزائري في فترة الأزمة تحوّلات كثيرة، غيّرت تلك النّظرة الأحاديّة المحصورة في خانة الأنا المفردة، ليلتفت نحو الاشتغال بالتّعبير

[1] جامعة الجزائر 2، الجزائر، البريد الإلكتروني: bendaoud.chafika@hotmail.fr

عن أزمة البلاد والشّعب، فكانت الرّوايّة الجنس الأكثر احتواء للأزمة من خلال تصويرها للمدن التي شهدت المأساة الوطنيّة "وكأنّها النّسيج الجغرافي الوحيد لما تقدّمه من واقعيّة حيّة، إلى جانب الجماليّة التي توفرها والتيمات التي احتشدت في تلك الفترة"[1]. فقد أصبحت هذه المدن مجرّد ظلال سوداء تحمل هموم وانشغالات الفرد الجزائري لتظلّل على تلك الصّورة التي تداولتها الرّوايّة الاستعجاليّة لتغوص في حيثياتها وتفضح ذاك الوجه القبيح للمدينة وما يتخلّله من دلالات معرفيّة بالأزمة فليس غريبا أن تحكي روايّة المحنة واقع الفرد الجزائري في ظل العشريّة السّوداء، فقد أصبحت هذه الأخيرة مرصدا لهمساته الوجدانيّة وأهدافه الفكريّة والجماليّة وكذا مبعثا لآلامه وأحلامه...وهذا لما تملكه من تقنيات فنيّة وقيم جماليّة أهلتها دون غيرها من الأجناس الأدبيّة الأخرى كالشّعر القصّة،...لتكفل لها استنطاق مكامن الإنسانيّة سواء للذات المفردة أم الذّوات الجمعيّة. فراحت الرّوايّة الجزائريّة تترجم فضاء (المدينة) الذي أصبح في تلك الفترة مجرّد مرادف للموت، العنف والانهيار الدّيني والأخلاقي.

وعليه بادر الرّوائي الجزائري بتصوير هذا المسخ الذي ألحق بالمدن الجزائريّة العاصمة قسنطينة، وهران...تلك المدن التي كانت فيما مضى حلما جميلا داعب أقلام الكتاب فراحوا يدونون حبهم له واعجابهم به، بينما أصبح اليوم كابوسا يرعب أقلامهم ويفطر قلوبهم ويقضّ مضاجعهم خوفا ورعبا لما يحمله من مظاهر العنف والموت والدّمار ...

من هذا المنظور حاولنا تسليط الضّوء على فضاء (المدينة)، في ظل الأزمة الجزائريّة وما تضمّنه هذا الفضاء من سلبيات وإيجابيات حواها الخطاب الرّوائي الجزائري الاستعجالي. وقد حصرنا إشكاليتنا الرّئيسة في عدّة إشكاليات جزئيّة جلها يصبّ في مصب الإشكاليّة الكبرى، ويثير فينا فضول الأسئلة التّاليّة:

- هل فعلا استطاع الخطاب الرّوائي الجزائري الاستعجالي مواكبة الأزمة وتصويرها ضمن فضاء المدينة؟
- هل يمكن اعتبار فضاء المدينة صورة صارخة وصادقة للمحنة الجزائريّة؟.
- إلى أيّ مدى نجحت الرّوايّة الجزائريّة في احتواء الأزمة ؟.

وبما أنّ الرّوايّة لسان التّعبير الفنّي عن الأزمات والقضايا الاجتماعيّة والسّياسيّة والفكريّة التي برزت على السّاحة الوطنيّة بامتياز، ارتأينا الحديث عما كتبه المبدعون من الرّوائيين والكتاب الذين التّفتوا بجد إلى مشاكل مجتمعاتهم و"جندوا أقلامهم لفحص وإظهار كثير من الأخطار والأوضاع التي كانت تعمل عملها في جسد المجتمع المريض"[2]؛ بدءا بالقيم الأخلاقيّة المتزمّتة التي توجّهها معضلات تأخذ قوّتها من أخطاء الثّورة في الماضي حينا، ومن التّعفّن السّياسي السّائد في الحاضر حينا أحر، فجاءت معظم النّصوص الرّوائيّة مصدرا للقلق والاغتراب وتفكّك القيم الإنسانيّة المتعارف عليها، ممّا جعل موقف هؤلاء الكتاب يتّسم بالرّفض والنّفور من المدينة وما تحويه من أثار الموت والذّبح والتّعذيب والاغتصاب والتّمثيل بالجثث...ومن جهة أخرى الرّذيلة والفحش والتّسكّع والانتهازيّة والخيانة.

1/- المدينة **الفضاء وتماته:**

أ. **المدينة فضاء للموت:** إنّ روايّة المحنة بكل حيثياتها وطقوسها ماهي إلاّ ذلك الزّخم الذي فاضت به قرائح الرّوائيين الجزائريين، مواكبين به كل المآسي والآلام التي شهدوها أو شغلتهم فأرقت تفكيرهم والأهم من ذلك ما تكبّده المثقّف الجزائري في العشريّة السّوداء من تحدي وصراع عنيف مع الكتابة والأزمة فاتسمت أعمالهم بقدرتها على ولوج عوالم وفضاءات رحبة أضاءت ولا تزال تضيء الكثير من وجهات النّظر، محاولة منها للإفصاح عن المسكوت عنه من الطّابوهات ذات الصّلة

بالفرد وعلاقته بمدينته المهزومة وما تحمله من حمولات الذّات، المجتمع السّياسة الثّقافة...

وما حديثنا عن المدينة في هذا المقام كفضاء، إلاّ تلبيّة لمقتضيات المرحلة الفكريّة والأدبيّة والنّقديّة والجماليّة الرّاهنة والتي لا تزال تفرض علينا امتلاك بنى فنيّة جديدة تمكّننا من قياس درجة ما بلغة وعي الرّوائي الجزائري من شأو في توصيف هموم المجتمع الجزائري بأكثر جرأة وتمرد من حيث اللغة والأسلوب ومدى تميّزه في تصوير المدينة في زمن الأزمة فكل ما سجله من تجارب وحقائق أهلت الكاتب الجزائري لإبداع ما يسمّى بشعريّة فضاء المدينة وتجلّيات تماتها ضمن أدب العشريّة السّوداء.

وأمام هذا الوضع الذي تشرب مرارته أبناء الوطن الواحد راح نخبة من الأدباء يتناولون هذه الظّاهرة بالوصف والتّحليل والنّقد في أدبهم حيث نجد العديد من الرّوائيين المتمرسين قد هبوا لكتابة الرّوايّة لتفسير واقعهم، وتصوير مشهد الأزمة على محك الرّوايّة الذي غلب عليه طابع الحزن والنّقد والثّورة تارة أخرى. نذكر منهم الطّاهر وطار (الشّمعة والدّهاليز)، واسيني الأعرج (سيّدة المقام)، فضيلة الفاروق (تاء الخجل)، بشير مفتي (دميّة النّار)، ياسمينة صالح (وطن من زجاج)،...

وطبعا كما هو معلوم أنّ المدينة في بنيتها النّصيّة لا تستقر على نمط واحد ولا على صورة ثابتة مندمجة خصوصا "إذا كانت مشكلة من أحرف تستقي منها هذه الأخيرة خطوط رسمها ومادّة تلوينها وحركة هندستها وروائحها، ممّا يجعلها خاضعة لتقسيمات "[3] ودلالات متنوّعة كالمدينة القاتلة المدينة السّلبيّة المدينة العاهرة، المدينة الفاتنة...كلّها دلالات على اختلافها وتباينها نجدها منتشرة على طول صفحات الأعمال الرّوائيّة المنجزة في إطار أدب المحنة.

وقطعا حينما نمعن النّظر في تعدّد صور المدينة في الرّوايّة الجزائريّة الاستعجاليّة، نجد هذه الصّور محصورة في قاموس يكاد يكون موحدا في تداوله

والذي يمكن حصره في :(الموت، القتل العنف، الذّبح، الفتنة، التّطرف الخراب الخيانة، الاغتصاب...). وهو قاموس تمّ تداوله في معظم الرّوايات الاستعجاليّة التي أمعنت الوصف لتلك المدن التي ألحقت بنار الأزمة وضمنتها هذه التيمات أو بعضها؛ حيث نجد الرّوائي بشير مفتي في روايته "المراسم والجنائز"[4]، يسلط الضّوء على مدينة الجزائر باعتبارها ظاهرة مكانيّة بامتياز، وهذا لمدى هيمنتها على مساحة شاسعة من المتن الرّوائي من خلال صور ودلالات تترجم أمكنة حاز عليها الدّمار والموت والتّقتيل وكل ماله علاقة بتشكل الحياة اليوميّة في ظل الأزمة سكونها اضطرابها، انفجارها خوفها، سوداويتها...

"فرغم تحذيرات المذياع...والتّلفزيون...خذوا حذركم في الشّوارع... خذوا حذركم في الممرّات والدّهاليز، ومع ذلك كان الجميع يخرج.. كانوا يذهبون إلى المعامل رغم حركة الإضراب الواسعة والتّهديدات اللفظيّة العنيفة، حشود قوات الأمن في مواجهة قوات المعارضة"[5].

لقد صوّر لنا بشير مفتي الجزائر العاصمة، وكأنّها فوهة بركان تستعد للانفجار في أيّ لحظة إذْ نجد كل ما فيها كان يستنفر (تحذيرات المذياع) (التّلفزيون) (الشّارع)، (الممرات)،...

كلّ شبر من هذه المدينة كان ينادي باتّخاذ الحيطة والحذر لأيّ غدر ما... متقصد أو مفاجئ، إلاّ أنّ الوطن بأفراده كان يتصدّى لهذا التّحذير ويسعى لمزاولة عمله وحياته اليوميّة بصورة طبيعيّة ربما هو نوع من التّحدي أو التّصدي لهذا الكابوس البغيض، (ومع ذلك كان الجميع يخرج)، (كانوا يذهبون إلى المعامل)... فالمدينة في هذا التّصوير التّقريري تتجاذبها قوّتان متفاوتتان في الشّدة والبأس. فأمّا القوّة الأولى فهي حركة الإضراب الواسعة والتّهديدات اللفظيّة العنيفة التي تتصدّرها قوّات المعارضة والثّانيّة حشود قوّات الأمن التي تتصدّى لها، فأينما يولي

القارئ وجهه فثمة عنف مدبر وموت محتم ومؤكّد ينتظره، ويعمل على تلوين المدينة وفضائها بتيمة السّواد القاتم.

"لقد انفجرت القنبلة بالقرب من بيتنا الآيل إلى السّقوط، العجوز رحمة (...) لعلّها ماتت لم يتركني رجال الشّرطة أقترب من الجثة المفحمة (...) الكثير مات يومها، الكثير مات وأمام الجثث الكثيرة، رأيت جثّتها هي، جثّتها المفحمة، كانت تظهر كما لو أنّها تنبض بالحياة".[6]

إنّ الرّوائي يطرح هنا أبجديات الاغتيال والتّقتيل والممارسات الجنونيّة للخوف والتّرهيب في أبعد صورها ضمن فضاء مدينة الجزائر الذي اتسع ولا يزال لمثل هذه الممارسات، وأصبح مع الوقت موغلا في ظلمات هؤلاء المتطرّفين الذين كان همهم الأوحد زرع كابوس مرعب لا بدايّة له ولا نهايّة اسمه "الإرهاب" في وطن "لم يقرأ تاريخه ولم يفصل في قدسيته، الوطن الذي تحوّل بموجب التّغيرات السّياسويّة إلى مسرح دموي تتنازعه أطراف عدّة تحاول تمزيق حبل الوريد "[7].

إنّ الإرهاب لا يعدّ حدثا عابرا في حياة المجتمع الجزائري، ولا يمكن قياسه بالمدّة الزّمنيّة التي استغرقها، ولا حتى بعدد الجرائم التي اقترفها في حق ضحاياه، بل بمدى فظاعته ودرجة وحشيته لذلك كان" وقعه في القلوب والعقول يعادل وقع الثّورة التّحريريّة، إن لم يفقه"[8].لقد أصبح الموت في جزائر التّسعينيات هو السّيد المسود، ولا تهم الطّريقة التي يتمّ بها القتل، ذبحا أو رميا بالرّصاص أو تعذيبا، أو اغتصابا حتى الموت، أو...، ولا من سيكون الضّحيّة مثقفا، طبيبا، أستاذا، شرطيا عاملا بسيطا امرأة، طفلا... وهلم جرّا. فالإرهاب "بوصفه عملا يولّد حالة من الرّعب أو الخوف أو الفزع أو الهلع"[9]، تستعملها الجماعات المتطرّفة للحكم على خصومهم بالكفر أو الإلحاد، ومنه تقرّر وجوب تصفيتهم، فغدت بذلك الجزائر "**بلد يموت فيه النّاس كلّ يوم بالعشرات، إن صور المجازر على الصّفحات الأولى من الجرائد أصبحت هي الحقيقة الوحيدة التي لا لبس فيها**"[10].

فما قصّة المجاهدة "رحمة"، إلاّ قصّة من آلاف القصص التي تحكي قسوة الوطن وهشاشته اتجاه مخلصيه الذين التّ نهايتهم إمّا للتّهميش والانزواء على جنّب في حياتهم أو التّفجير والاغتيال والتّفحم والتّصفيّة في حالة موتهم، إنّها مأساة وطن بأكمله فقد مصداقيته أمام باقي الأوطان، فأصبح كالغول يقتل أبناءه المخلصين ليتغذّى على جثثهم ودمائهم. فالعاصمة هنا تنتقل منصورة المدينة /الوطن، الضّحيّة إلى المدينة الوحش فتشكل بذلك مفارقة الصّورة السّابقة بصورة أخرى موازيّة للوطن /المدينة. فمن الضّحيّة، الكئيبة والمجروحة لموت أبنائها إلى صورة المدينة القاسيّة القاتلة، العاهرة وذلك بنشر كربها ضعفها، انكسارها، وانقباضها من أجل خنق ساكنيها وزرع الخوف فيهم خشيّة مواجهة المصير ذاته، الموت أو التّصفيّة ...وهو ما نقله لنا رشيد بوجدرة في روايته "تيميمون "، حيث يكاد صوت القتل يغطي على كلّ شئ له صلة بالحياة .

"وبعدها جاءني صاحب الفندق بالجرائد اليوميّة التي وصلت بالطّائرة من العاصمة، منذ ساعة تسبب انفجار قنبلة وضعها الأصوليون في مطار الجزائر العاصمة في مجزرة خلفت تسعة قتلى وأكثر من مائة جريح جلهم في حالة خطيرة."[11]

"أفتح المذياع لأنسى عطشي وأستمع إلى الأخبار، اغتيل الأستاذ ابن سعيد هذا الصّباح على السّاعة الثّامنة بمنزله من طرف عصابة إرهابيّة من الإسلاميين وقد حدث ذلك بمرأى من ابنته البالغة عشرين عاما ".[12]

وعليه تخلّل هذا السّرد الرّوائي إحساس مأساوي حاد بوضع الذّات الوطنيّة "ممّا يشير إلى مأزق المنظور المثالي الذي يتكسّر على صخور تحوّلات الواقع الدّاهبة في الإرهاب والقتل واليأس والقتامة"[13]، فالأمر أصبح مبعثا للدّهشة والذّهول، الصّحف والمجلات والأخبار وقنوات الاتصال والرّاديو... كلّها تغني لحنا واحدا، الإرهاب

والقتل الجنوني، لم يعدّ هناك لحن يبعث على الآمال والاستمرار في الحياة، كل الأخبار تدعو لليأس والألم والمرارة من هذه الحرب القذرة.

وتزداد الصّورة جلاء وقتامة حينما يقدّم لنا بشير مفتي مدينة الجزائر العاصمة من خلال شوارعها وأزقتها وممرّاتها باعتبارها الأمكنة الأكثر تمثيلا وحضورا في المشهد الرّوائي الدّامي كمادّة مشهديّة تمتزج فيها الصّور بالأحزان والمآسي والحركة بالتّمرد والثّورة والألوان بالطّمأنينة من عدمها.

" كان حي بيلكور مملوءا بالحركة والتّمرد، حتى النّساء كن يتخفين تحت الحايك الأبيض والحجابات الكرنفاليّة.. لا شيء يدلّ على الطّمأنينة..."[14]

لقد امتزجت الألوان في هذه الحرب النّكراء بين السّواد الدّال على التّفحم والحرق والتّقتيل، والبياض النّاصع الدّال على الجزائر البيضاء ببياض تاريخها المجيد الذي دون رفضها للعبوديّة وتشبثها بالحريّة والاستقلال من يدّ المغتصب المستدمر الفرنسي، والمزج بين الألوان (الحجابات الكرنفاليّة) الدّالة على التّطرف والتّعصب الدّيني والأخلاقي الدّخيل على حياة هذه المدينة المسالمة الهادئة.

ب. المدينة المومس/فضاء للخيانة والتّدمير الذّاتي: لم يكن الوضع الجزائري المتأزّم خفيا عن العام والخاص داخل أو خارج حدود الجزائر /الوطن فبالرّغم من كلّ محاولات التّعتيم إلاّ أنّ الصورة الوحشيّة الإجراميّة وصلت إلى أبعد الحدود الإنسانيّة فمدن الحرب والفتن تتّسم بالحزن والعبوس وهي حال كلّ المدن الغارقة في المحنة من العاصمة إلى وهران فقسنطينة...

لقد حقّقت المدينة كفضاء شعريتها المأساويّة من خلال صدق الصّورة الفنيّة المنتزعة من بعض الخواطر الإنسانيّة التي تؤجّجها معاني التيه والغضب والقتل الجنوني، والتي نجدها دائما تنطبع في مشهد فني مأساوي دامي يلون وجه المدينة ويطبعها بسمة المومس الخائنة والماكرة لمبادئها وتاريخها، فتظهر الأمكنة كالشّوارع والبيوت والدّهاليز ظلالا تترجم ذلك.

"ها هي مدينة البرق والمطر والشّتاء القارس تعوم في بحيرات صغيرة من الماء المتهاطل من السّماء مجار تجرف الأوراق والكراريس الكثيرة نحو أحواض القاذورات لتسقط كلّها في زرقة البحر الأبيض ملوّثة كلّ شيء..."[15]

إنّها الجزائر الكبرى كما يصوّرها الرّوائي، حيث تنتقل فيها حركيّة التّوتّر النّفسي للسّارد تدريجيا عبر ضجيج الأصوات الثّائرة، ك (البرق، المطر الشّتاء الماء المتهاطل...) والتي تعكس رؤيّة الرّوائي للواقع الرّاهن، وما يحمله من خصوصيّة ووكزات الدّهر وصروف ومحن الفرد الجزائري.

وعليه أضحت المدينة الكبرى (العاصمة) مجرّد فضاء للقاذورات تجرفها مياه الأمطار لترمي بها في زرقة البحر الأبيض كي تلوّث زرقته وصفاءه وسلامته وتجعل منه صورة رماديّة أو سوداء ملوّثة تنبأ بالكارثة التي كانت في الأصل لعبة سياسيّة قذرة جرفت البلاد إلى الهاويّة.

"الأطفال الهاربون من المدرسة، الرّجال المسروق منهم العمر وزمن الطّفولة النّساء المختفيات خلف قضبان المباني التّركيّة والكولونياليّة تداخل لأزمة القهر والعبوديّة بالتّفسخ والحريّة...، ها هي المدينة الكبرى مدينة القراصنة والمعمّرين والقوادين والأحرار المقاومين...، ها هي مدينة التّناقضات تنهض صباحا كالعادة."[16]

ينفتح فضاء المدينة على مشهد الأزقّة والشّوارع من خلال ساكنيها؛ حيث المكان يشي بكثير من الصّور المؤلمة ويعبق بدلالات عدّة تعلن في صمت عن وجه مدينة الجزائر، هذه المدينة الواهبة نفسها للضّياع والتّناقضات الرّاهنة، لترتد تلك المشاهد إلى وعي السّارد /البطل بحقيقة الوضع المزرى الذي ترزح في نيرانه المدينة /الوطن في ظلّ الأزمة التي أعادت الوطن ككلّ إلى الوراء في زمن محنته السّوداء التي لم يبصر خلالها نهارا ساطعا يزيح ظلمته الصّامتة بعد نور الاستقلال ومباهجه "أمّا اليوم فيتداخل فيها عنف التّاريخ بعنف الرّاهن، فيرحل بنا السّارد إلى

تـاريخ الأمـس البعيـد"[17]، ثـمّ يعيـدنا إلى المعسـكر الـرّاهن، ومـا يتضـمّنه مـن قراصـنة وقوادين وأحرار...

إنّ مدينـة توصـف بهـذه المواصـفات، لا مـداعاة فيهـا للرّاحـة والسّـلام، ولا يمكـن للمـرء فيهـا أن يظـلّ هاربـا يبحـث عـن مـلاذ آخـر يجنبـه الشّـقاء والألم، ومنـه نجـد السّارد لا يقدم للمتلقـي /القـارئ صورة واحـدة للمأسـاة "بـل صورا متعـدّدة تتنـاوب في ظهورها على رقعة المتن الرّوائـي، لتشـكّل في مجموعهـا لوحـة " [18] يختلط سوادها بـدم مأسـاة واحـدة لـوطن جـريح واحـد، وإنّ تعـدّدت مدنـه فـالألم واحـد والمحنـة واحـدة، ولا نبتعـد كـثيرا عـن مدينـة بشـير مفـتي لـنحط الرّحـال في قسـنطينة الـتي تجـرّهـي الأخرى أذيال الخيبة والانكسار.

"أطفال هنا وهناك تحت أشجار هذه الحديقـة الصّغيرة، يبيعون السّجائر ومـن تحـت الطّـاولات يبيعـون المخـدّرات، قسـنطينة الجميلـة، وحـده الفقـر تطـاول علـى عفتك، أنت المدينة التّقيّة الـتي كانت لا يدخلها الخمور، مـات تاريخـك الجليـل وصارت حدائقك تعجّ بالشّواذ والسّكارى والمخدّرات"[19].

تعـدّ قسـنطينة مدينـة جميلـة بجبالهـا وجسـورها وأصـالتّها وعراقتهـا، بأوليائهـا الصّـالحين، سـيدي كـبروك، سـيدي راشـد، سـيدي مسـيد، سـيدي محمـد الغـراب ... وغيرهـم، إنّهـا مدينـة التّـراث والتّـاريخ الضّـارب في القـدم بيـد أنّ فضـيلة الفـاروق قـد نفت في روايتها "تـاء الخجـل"، كـلّ تلـك المعـاني اللصيقة بالمدينـة سـحرها جمالها تاريخهـا الـذي يميّزهـا عـن غيرهـا مـن المـدن، لتحـلّ محلّهـا معـاني الضّـياع العبـوس الكرب... فالمحنـة الـتي ضربت أوصـال قسـنطينة دفعت الكاتبـة لتصف لنـا قسـنطينة مرتـع الجسـور المعلّقـة والشّـامخة شمـوخ أهلـها وتاريخهـا ومبعـث الجمـال والتّعـالي وهـي تنحـدر إلى حضـيض الموبقـات، (المخـدّرات) (الحشـيش)، (السّـجائر) (الخمـور) (الشّـواذ)،... فقـد عرفـت قسـنطينة قبـل الأزمـة بعفتهـا وصـمودها في وجـه الغـزاة المغتصبين، إنّهـا مدينـة أحمـد بـاي ومنـارة عبـد الحميـد بـن بـاديس، غـير أنّهـا اليـوم

فقدت عفتها وطهارتها لتصبح مجرّد ذاكرة مفرغة من تاريخها المجيد فما "حضور المدينة بهذه الكثافة إلاّ ليتخطى طبيعتها المكانيّة إلى مستوى دلالي يجعل منها فضاء للأزمة بكلّ أبعادها"[20].

لقد اكتسبت قسنطينة في نظر الرّوائيّة شكلا جديدا لم نعهده فيها وضيعت في المقابل زيها القديم إلى درجة يشعر معها السّارد/ الرّوائي بأنّه غريب عن منشئه ومرتع طفولته، وهذا ما صرحت به خالدّة /البطلة في الرّوايّة عن مدينة غريبة الأطوار؛ أصبحت تجمع في جعبتها الطّهارة والنّجاسة معا.

"يتكاثر المرض في الحدائق ... لمحت رجلا يستمني واقفا قرب درابزين الحديقة، خفضت نظري واحترق قلبي من الخجل... مال عاشق وسخ على حبيبته وقال لها: فكي الخمار... تغنجت بانت أسنانها التي تراكم عليها الوسخ مرّ رجل عجوز قرّبهما وبصق."[21]

إنّه الإحساس بالاشمئزاز من المكان، المدينة، الوطن الذي شهد فوضى عارمة في قيمه، وأخلاقه وتغير جذري في أصالتّه وذاكرته، تلك الذّاكرة التي تأبى هذا التّغير وتصرّ على رفضه، لأنّه يتنافى مع صورة المدينة القديمة المحفورة في الذّاكرة.

إنّ حضور المدينة بهذه الكثافة الدّلاليّة في الرّوايّة الجزائريّة الاستعجاليّة يجعلها تتخطّى طبيعتها المكانيّة إلى مستوى دلالي يحيلها إلى فضاء الأزمة بكلّ أبعاده الإنسانيّة، الأخلاقيّة الدّينيّة،... حيث اكتسبت المدينة كفضاء شكلا جديدا يفرضه الوقت الرّاهن الموسوم بالعشريّة السّوداء، كونها أضاعت المدينة ثوبها القديم المألوف والموسوم بالتّسامح والمحبة، لتلبس ثوبا أخر جديدا موسوما بالعنف، الخيانة، القتل... ممّا جعل من أبنائها يشعرون بالاغتراب والوحدة والضّياع.

"آه يا ولد النّاس! ما أبأسك في هذه اللحظة! ماأوحش صوفيتك في أزقّة موبوءة لا يهمّها كثيرا ما تكتب وما تقول، أيّ مدينة تأتي الآن في الظّلام ؟ أيّ شوق

يـدخل القلـب مـع جـرح الغريـب ؟ أيّ غريـب يبحـث عـن مـأوى داخـل أهـوال البحر؟(...)،أيّ دمعة تتجمّد الآن عند حدود عينيك؟"[22].

إنّ الإحساس بالاغتراب في المدينة /الوطن هو شاهد على أزمة المثقّف فالضّياع والاغـتراب همـا مـأزق ومحنـة يقيّـدان طموحـه في محـيط سـاده الـتّعفن وصـور الانحطاط الأخلاقي والإنساني ومرارة القتل والتّعصب والتّطرف والكره.

"سنتان ونصف وقلب المدينة مسكون بالرّعب كلّ المؤشّرات تؤكّد أنّ مارد الموت تمكن من العربدة والجري في كلّ الأزقّة والأحياء، يقفز بجنون ويعبث بكلّ شيء بأشجارها وأحجارها ينشب مخالبه في رقاب الخلق ويلاحقهم في كلّ مكان.. وزمان.. كلّ الفتحات والثّقوب استحالتّ إلى عيون قاتلة متربصة"[23].

وتبقى مشاهد تدمير المدينة في الذّاكرة يحملها الرّوائي معه؛ والحزن يعتصّر قلبه والشّعور بالاختناق لا يفارق روحه. فالكاتبة والرّوائيّة زهرة الدّيك في نصّها الرّوائي "**بين فكي وطن**"[24] تسترجع مشاهد المرارة التي آلت إليها مدينتها الجزائر العاصمة بدءا بموت أشجارها فأحجارها فأحيائها وساكنيها كلّهم كانوا ضحايا لهذا التّحول المدمر، إنّه تدمير للذّات وللهويّة والتّاريخ.

لقـد منحـت الرّوايّـة الجزائريّـة الاسـتعجاليّة للمدينـة حضـورا متميّـزا، اتسـم بالخصوصيّة والثّراء من حيث ارتباطه بوجدان الكاتب /السّارد حاملا معاني الحلم حينا والكابوس حينا أخر ضمن الواقع الرّاهن المعيش في ظلّ المحنة ممّا ولد تلقائيّة إبداعيّة وتقريريّة في الكتابة الرّوائيّة، فجاءت شعريّة المدينة في هذه الرّوايات بصورة مختلفة ومتباينة من حيث مواصفاتها وأشكالها وتيماتها كما جسّدت هذه التيمات في سياقات متعدّدة بغيّة إبراز طابعها الحسي والوجداني في ظلّ معاناة مشتركة حاول الكتاب الجزائريون التّنفيس عن ضيق صدورهم من خلال الحبر والورق، كنوع من الصّمود في وجه عرس الدّم المتواصل في بلد المليون ونصف مليون شهيد !.

الهوامش:

1 الشّريف حبيلة، الرّوايّة والعنف، دراسة سوسيونصيّة في الرّوايّة الجزائريّة المعاصرة، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2010م، ص59.

2 مصطفى بلمشري، الرّوايّة الجزائريّة ومعايشتها الأزمة الوطنيّة، عمان مجلّة ثقافيّة شهريّة عمان الأردن، ع114 ،2014م، ص12.

3 أحمد عراب، شعريّة المدينة في القصة الجزائريّة المعاصرة، عبد القادر عميش نموذجا ماجستير جامعة الجزائر، 2008م، ص48.

4 بشير مفتي، المراسم والجنائز، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1998،1م.

5 بشير مفتي، المراسم والجنائز، ص10.

6 المصدر نفسه، ص21.

7 حفناوي بعلي، عرس الدّم واحتفاليّة الموت في روايات تيميمون /الدّهاليز/الجنائز، عمان، مجلة ثقافيّة شهريّة، أربد، عمان، الأردن، ع125 2005م، ص11.

8 مخلوف عامر، أثر الإرهاب في الكتابة الرّوائيّة، عالم الفكر، مج 28 ع1 1999م ص304.

9 أمل يازجي ومحمد عزيز شكري، الإرهاب الدّولي والنّظام العالمي الرّاهن حوارات القرن الجديد دار الفكر، دمشق، سوريّة، ط2، 2002م، ص ص83،82.

10 بشير مفتي، المراسم والجنائز، ص16.

11 رشيد بوجدرة، تيميمون، منشورات المؤسسة الوطنيّة للاتصال والنّشر والإشهار (ANEP) الجزائر ط2، 1994م، ص64.

12 رشيد بوجدرة، تيميمون، ص20.

13 حفناوي بعلي ، تمثلات الممنوع والمقموع في الرّوايّة العربيّة المعاصرة دار اليازوري العلميّة للنشر والتّوزيع ، عمان ، د ط ، 2015 م، ص452.

14 بشير مفتي، المواسم و الجنائز، ص 10.

15 المصدر نفسه، ص12.

16 المصدر نفسه، ص12.

17 حفناوي بعلي، هاجس الحداثة وإشكاليّة العنف في روايّة جيل الأزمة الملتقى الدّولي الثّامن من الرّوايّة، عبد الحميد بن هدوقة، دراسات وإبداعات وزارة الثّقافة، مديريّة برج بوعريريج دار الأمل، تيزي وزوو الجزائر، ص130.

18 عامر مخلوف، الرّوايّة والتّحولات في الجزائر، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا 2002م، ص85.

19 فضيلة الفاروق، تاء الخجل، رياض الرّيس، بيروت، لبنان، ط2 2006م ص 63.

20 الشّريف حبيله، الرّوايّة والعنف، ص61.

21 فضيلة الفاروق، تاء الخجل ، ص 64.

22 واسيني الأعرج ، سيدة المقام ، مرثيات اليوم الحزين ، منشورات الفضاء الحر ، ط1 ، 2001م ص280.

23 زهرة الدّيك، بين فكي... وطن، منشورات التّبيين، الجاحظيّة، الجزائر 2000م، ص17.

مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 22 العدد: 50 السّنة: الثّلاثيّ الثّاني 2020 ص: 305 - 324

المصطلح السّيميائي في الجزائر – بين إشكاليّة التنظير ومحدوديّة التطبيق-

The term Symiology in Algeria – between paradox of the theorizing and finiteness of the application –

[1] أ. منزولة قرماط

تاريخ الإرسال: 21 07 2019 تاريخ القبول: 20 10 12 2019

ملخّص: يعتبر علم السّيميائيات علما قائما بذاته ولعل اتسامه بالمرونة والقابليّة للتطبيق على كل الأجناس الفنيّة والأدبيّة جعله محل دراسة واهتمام من طرف النّقاد والباحثين الغرب والعرب على حد سواء.

في هذا الإطار يسعى بحثنا إلى إماطة اللثام عن حقيقة الاهتمام بالمصطلح السّيميائي في الجزائر، وذلك من خلال طرقه وتوظيفه في الجانبين: النّظري والتّطبيقي.

انطلاقا من هنا سيحاول بحثنا تسليط الضّوء على ماهيّة المصطلح السّيميائي من منظور النّقاد والدّارسين الجزائريين، و سنعرج بدايّة على ضبط المفاهيم المتعلقة به ثم ننتقل إلى تتبع حقيقة توظيف المصطلح السّيميائي نظريا وتطبيقيا من طرف النّقاد والدّارسين الجزائريين. ونختم بحثنا بحوصلة تتضمن أهم النّتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث المقتضب.

[1] جامعة أبي بكر بلقايد/ كليّة الآداب و اللغات، تلمسان، الجزائر، البريد الإلكتروني: Nebache-2011@hotmail.com

الكلمات المفتاحيّة: السّيميائيات- التّنظير- التّطبيق- النّقاد الجزائريون.

Abstract : Symiology is a stand-alone science, and its flexibility and applicability to all artistic and literary genres may have been studied by critics and scholars alike, both Western and Arab.

In this context, our research seeks to reveal the truth of interest in the term Alchemist in Algeria, through its methods and employment on both sides: theoretical and applied.

Based on this, our research will attempt to shed light on the meaning of the term "semiotic" from the perspective of Algerian critics and scholars. We will first turn to the understanding of the concepts related to it and then proceed to follow the fact that the term is used theoretically and applied by Algerian critics and scholars. We conclude our research with a link containing the most important findings we have reached through this brief research.

Keys words: Symiology – the theorizing – Application – Critics Algerians.

1. **مقدّمة:** النّقد السّيميائي مجال واسع النّطاق ومتعدّد الآفاق، وقد لعب دورا مهمّا وفعّالا في دراسة الأعمال الفنيّة والأدبيّة وذلك بفتح نوافذ أخرى للقارئ تتيح له قراءة النّص بأبعاد تأويليّة متباينة كما تتيح له التّعرف على مختلف الأبعاد السّياقيّة والدّلاليّة للعمل الفني من منطلق دراسة علاماته اللغويّة والدّلاليّة التي تحيل إلى ماهيته وجوهره وفحواه.

ويعتبر المنهج السّيميائي من أهمّ المناهج النّقديّة الحديثة التي جمعت بين العمل الفني والأدبي من جهة والدّراسة النّقديّة القائمة على التّأويل والتّمحيص للعمل الإبداعي. ولّما كانت السّيميائيّة من أكثر المناهج النّقديّة

استعمالا وخوضا من طرف النّقاد والدّارسين على حدّ سواء، آثرنا الوقوف على بعض إنجازات النّقاد الجزائريين من جهة لإبراز حاجتنا إلى هذا المنهج النّقدي في دراساتنا الجزائريّة الحديثة من جهة ولتبيان مدى توفيق النّقاد الجزائريين في تبني المنهج السّيميائي نظريا وتطبيقيا.

ولهذا سنحاول الإجابة من خلال هذا البحث المقتضب عن مجموعة من الأسئلة التي تطرح نفسها بصورة ملحة وهي كالآتي: ما المقصود بالسّيميائيات؟

ما حقيقة السّيميائيّة كمنهج نقدي في الدّراسات العربيّة؟ ثم ما هو واقع السّيميائيّة في ظل التّجارب النّقديّة الجزائريّة؟

2. ضبط المفاهيم:

1.2 التّعريف اللغوي: جاء في معجم"لسان العرب" ابن منظور": "العلامة مشتقة من الفعل سام الذي هو مقلوب وسم وهي في الصّورة (فُعلى)، يدل ذلك على قولهم وسمى ويقولون:(سيمى) بالقصر و(سيما) بزيادة الياء والمد، ويقولون (سوم)إذا جعل سمة وقولهم: سوم فرسه أي جعل عليها السّمة و قيل: الخيل المسومة هي التي عليها السّيمة والسّومة العلامة.[1] و جاء في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾[2].

فهنا نجد أن مصطلح السّيميائيات في المعاجم القديمة و" النّصوص التّراثيّة قد حمل مفاهيم متنوعة، فاقترن تارة بالعلامة وحروف الهجاء، وتارة أخرى بالكيمياء وارتبط في غالب الأحيان بالممارسة الطّبيّة والسّحريّة، ومن الواضح أن هذا التّنوع يدل دلالة قاطعة على أن السّيميائيّة بوصفها ممارسة معرفيّة كانت في طور التّشكيل عند العرب ".[3] أما إذا بحثنا في المعاجم الحديثة فإننا نجدها تحيلنا إلى معان ودلالات أخرى مغايرة للمفهوم اللغوي الذي يشير إلى العلامة ومن هذه الدّلالات " البهجة والحسن، والقيمة وغيرها".[4]

كما تذهب معظم الدّراسات المعجميّة و اللغويّة الغربيّة إلى أن "كلمة (سيمياء) Sémiotique مشتقة من الكلمة الإغريقيّة Sémeion التي تعني " (علامة) و Logos الذي يعني (خطاب) وبامتداد أكبر كلمة Logos تعني العلم " .[5] كما تشير هذه اللفظة إلى دلالات أخرى أهمها: " (سمة مميزة) Marque distinctive، (أثر)Trace،(قرينة)، (علامة منذرة) Signe Précurseur (دليل)Preuve، (علامة منقوشة أو مكتوبة) Signe gravé ou écrit،(بصمة) (تمثيل تشكيلي)Figuration." [6]

انطلاقا مما أوردناه يتبين لنا أن لفظة (سيمياء) لغة كلمة مشتقة من الجذر(سوم)، و هي تحمل معاني كثيرة أكثرها ارتباطا بمعنى السّيميائيات الحديثة هو معنى (العلامة)، بين أننا نجد معظم النّقاد العرب المحدثون يميلون إلى استخدام مصطلح السّيميائيّة كمصطلح نقدي ومنهج دراسة، إذ يقوم هذا الأخير بمعاينة العلامات اللغويّة بوصفها المادة الخام في النّقد السّيميائي ومن ثمة محاولة تأويلها وفق السّياقات التي وجدت فيها و المعطيات التي تحيل إلى جوهرها.

2.2 التّعريف الإصطلاحي:

السّيمائيّة عند الغرب: تعتبر السّيميائيات مجالا خصبا متعدد الاتجاهات ولهذا نجد تضاربا وفوضى في المصطلحات المستعملة للتعبير عنه، وهذا في النّقد الغربي والعربي الحديثين.

وفإذا عرجنا على أهم المتخصصين في السّيميائيّة الغربيّة سنجد مجموعة البعض استخدم السّيميائيّة بتعبير مباشر والبعض الآخر ارتأى النّزوح عن هذا المصطلح مستعملا مصطلحات بديلة.

وفي هذا السّياق ربما " أهم محاولة لتعريف هذا العلم كانت مع فرديناند دي سوسيرFerdinand de Saussure ، فهو بشّر بهذا العلم الجديد ، ورغم

دراساته اللغويّة الخالصّة، إلا أنه استطاع التّفطن إلى السّيميولوجيا التي اعتبرها محتويّة للسانيات " [7] ويضيف معرفا السّيمياء والتي أطلق عليها مصطلح (السّيميولوجياSémiologie) : " نستطيع إذن أن نتصور علما يدرس حياة الرّموز والدّلالات المتداولة في الوسط المجتمعي، وهذا العلم يدرس جزءا من علم النّفس العام، ونطلق عليه مصطلح علم الدّلالة Sémiologie". [8]

أما الأمريكي (شارل ساندرس بورس C.S Perice) فقد اصطلح على هذا العلم "بمصطلح (السّيموطيقا) Sémiotique ، ويرى أن النّشاط البشري بمجمله نشاط سيميائي، وبطبيعة الحال فإن النّشاط اللساني هو نشاط سيميائي لأنه جزء من النّشاط البشري. وتعني السّيموطيقا Sémiotique عنده، نظريّة عامة للعلامات في الفكر الإنساني، فهي نظريّة للعلامات والأنساق الدّلاليّة في كافة أشكالها". [9]

السّيميائيّة عند العرب: لما كان المنهج السّيميائي واسعا، فقد تعددت حوله المفاهيم وكثرت الآراء إزاء وظيفته والتّسميّة الأصلح والأقرب له. وهنا لم ينح النّقاد العرب منحى مختلفا عن الغرب فهم أيضا استعملوا تعاريف عديدة للدلالة على هذا العلم وتخصصه فكان بعضها متقاربا إلى مستوى كبير، كما اتسم البعض الآخر منها بالابتعاد المفهومي وتباين وجهات النّظر لدرجة كبيرة. ومن بين التّعريفات الاصطلاحيّة للمنهج السّيميائي ما أورده الباحث" عادل فاخوري" في بحثه عن مصطلح السّيمياء والذي قال فيه بأن العرب في إشارتهم لمصطلح السّيمياء ، استعملوا" ما يقرب عن ستة أصوات دالة على المصطلح وهي: السّيمياء، السّيميّة، السّيميائي، والسّيموطيقا والسّيميولوجيا والرّموزيّة". [10]

أما صلاح فضل فيعرف السّيميائيات بقوله:" هي العلم الذي يدرس الأنظمة الرّمزيّة في كل الإشارات الدّالة وكيفيّة هذه الدّلالة" [11].

انطلاقا مما سبق ذكره نجد أنّ" علماء العرب أطلقوا على هذا العلم اسم (السّيميوطيقا)، وترجموه تارة باسم علم الرّموز . وأحيانا أخرى عبروا عنه بعلم الدّلالة، في حين نجد" عبد الملك مرتاض قد استحسن مصطلح سيميائيّة، لأنه - حسبه – آت من المادة (س و م) التي تعني فيما تعني العلامة التي يعلم بها شيء ما، أو حيوان ما، و من هذه المادة جاء لفظ السّيميا". [12]

وفيما يلي سنحاول تتبع أهم المصطلحات النّقديّة العربيّة التي استخدمها بعض النّقاد العرب للتعبير عن السّيميائيّة: [13]

اسم النّاقد	التّرجمة	المرجع
عبد السّلام بن عبد العالي محمد السّرغيني	سيميولوجيا	عبد السّلام المسدي" الازدواج و المماثلة في المصطلح النّقدي"، ص 26- 42.
مازن الواعر	سيميولوجيا سيميائيات	دراسة لسانيّة تطبيقيّة، ص 109.
فريال غزول سيزا قاسم أمينة رشد	سيموطيقا علم العلامات	عبد السّلام المسدي" الازدواج و المماثلة في المصطلح النّقدي"، ص 42- 43.
محمد مفتاح	سيميائيّة	"تحليل الخطاب الشّعري"، ص 09.
	دليليّة- دليليات سيميائيّة.	"التّشابه و الاختلاف"، ص 189- 193.
مبارك حنون	سيميائيات	"دروس في السّيميائيات"، ص 17.
عبد المالك مرتاض	سيميائيّة	العنوان موسوم ب:" دراسة سيميائيّة تفكيكيّة".

رشيد بن مالك	سيميائيّة	عنـــــوان أطروحتـــــه:" السّـيميائيّة بـين النّظريّـة و التّطبيق".
سمير حجازي صلاح فضل	سيميولوجيّة سيموطيقا علم العلامات	"معجم اللسانيّة"، ص 158. "نظريّـة البنائيّـة في النّقـد الأدبي"، ص 103.

3. **رهانات السّيميائيّة العربيّة بين التّرجمة و التّعريب:** تعتبر السّيميائيات الحديثة مذهبا نقديا غربي النّشأة والمرجعيّة، لكن هذا لا ينفي أصوله العربيّة فالسّيميائيات كدرس لغوي ولساني وجدت عند العرب منذ القديم- في النّقد العربي القديم - وذلك تحت اسم "علم الدّلالة " الذي يرادف من حيث الوظيفة السّيميائيات الحديثة، وقد ابتكر النّقاد العرب آنذاك مصطلحات عديدة تختص بهذا العلم، ومن هؤلاء النّقاد نذكر على سبيل المثال لا الحصر:عبد القاهر الجرجاني وحازم القرطاجني والغزالي وابن سينا والفارابي...

أما السّيميائيات الحديثة فقد نشأت في التّربة العربيّة وتغذت من معينها محاولة النّهل من الثّقافة الغربيّة وفق ما يتلاءم مع خصوصيّة الثّقافة العربيّة وبذلك تشكلت لنا مصطلحات سيميائيّة هجينة تتشكل من المصطلحات العربيّة الأصيلة من جهة والدّخيلة التي تجمع بين المصطلحات السّيميائيّة المعربة والمترجمة من جهة أخرى. وهنا حاولنا الاستشهاد بأهم المصطلحات السّيميائيّة الغربيّة وما يقابلها من دلالات ومصطلحات سيميائيّة عربيّة وذلك من خلال تتبع بعض الدّراسات التي أجريت في هذا المضمار: [14]

المترجم المصطلح	رشيد بن مالك	مكتب تنسيق التّعريب	سعيد بن كراد	محمد النّاصر العجمي	رمزي منير البعلبكي
Adjuvant	مساعد	مساعد	مساعد	مساعد	فعل ساعد
Indice	قرينة	علامة	مؤشر	/	مؤشر
Opposant	معارض	/	معيق	معارض	/
Quète	تحري	/	بحث	/	/
Séquence	مقطوعة	متواليّة	مقطع	مقطع	تعاقب

ومن نخبة النّقاد العرب الذين حاولوا التّنظير في المنهج السّيميائي وبذلوا جهودا عظيمة في سبيل إيصال معارفهم والسّير قدما بهذا المنهج الذي أصبح ضررة حتميّة ينبغي الإحاطة بها من طرف الباحثين المهتمين بدراسة الآداب والفنون الإنسانيّة بشتى أنواعها ومجالاتها: عبدالله الغذامي- صلاح فضل- عادل الفاخوري- محمد عناني- الطّاهر رواينيّة- عزالدّين إسماعيل – نبيل راغب- محمود أمين العالم- سيزا قاسم- محمد مفتاح- عبد السّلام المسدي- سمير المرزوقي- جميل شاكر – عبد الفتاح كليطو –.....

4. الواقع التّجريبي للمصطلح السّيميائي في النّقد الجزائري: خطت السّيمياء في الجزائر خطوات واسعة بفضل ثلة من النّقاد الذين تجشموا عناء البحث والتّنظير فيها، مواصلين مشوارهم ومثمنين له عن طريق الخوض في دراسات نقديّة تطبيقيّة وفق ما تقتضيه السّيميائيات الحديثة.

كل ذلك جعل السّاحة النّقديّة الجزائريّة في معترك نقدي حقيقي، يسعى وينشد من خلاله نقادها إلى وضع النّقاط على الحروف والتّوصل إلى تعميم النّظريات النّقديّة لمصطلحات السّيميائيّة ومن ثمة تطبيقها على مختلف الأجناس الأدبيّة والفنيّة.

وهنا لا بد من الإشارة إلى كثرة الدّراسات النّظريّة في هذا المجال والتي تفاوتت في الجديّة والدّقة. أما الدّراسات التّطبيقيّة فقد اتسمت بالاحتشام والمحدوديّة إذ لا نجد إلا فئة قليلة تكاد تعد على الأصابع استطاعت السّبر في أغوار هذا العلم وتطبيقه على مختلف الفنون الأدبيّة. وهنا نذكر أهم من مثلوا السّيمياء الجزائريّة وخاضوا غمارها تنظيرا وتطبيقا:

- **رشيد بن مالك و مشروعه السّيميائي:** يعدّ رشيد بن مالك [15] من أكثر النّقاد العرب اهتماما بالمنهج السّيميائي وما كثرة دراساته وأعماله التي تتناول هذا المنهج إلا دليل على محاولته الجادة في إرساء معالم السّيميائيات في الثّقافة والنّقد العربي. بيد أن التّساؤل الذي يطرح نفسه هو: إلى أي مدى نجح رشيد بن مالك في تنفيذ مشروعه السّيميائي؟ ثم ما هي خصوصيات مشروعه مقارنة بمشاريع غيره من النّقاد العرب بصفة عامة والجزائريين بصفة خاصة في مجال النّقد السّيميائي؟

للرد على هذا التّساؤل سنجد الإجابة مشرئبة بعنقها مشيرة إلى غنى المكتبة السّيميائيّة بأعمال ومؤلفات هذا النّاقد العظيم التي تفخر به السّاحة العربيّة بصفة عامة والجزائريّة المحليّة بوجه خاص، كذلك هناك حقيقة لابد من الإشارة إليها وهي تنوع هذه المكتبة بين الأعمال المترجمة، والمؤلفات الأصيلة سواء ما كانت تطبيقيّة مثل المعاجم أو التّنظيريّة التي عمل من خلالها على توضيح المصطلحات والمفاهيم الخاصة بهذا العلم وإضفاء الدّقة عليها بغيّة تسهيل عمليّة الخوض فيها وسبر أغوارها.

وفي " هذا الإطار تنتزل أعمال ودراسات الباحث والنّاقد " رشيد بن مالك ضمن الجهود النّقديّة الجزائريّة الميممة وجهتها شطر السّيميائيّة السّرديّة (تجاه مدرسة باريس) بكثير من الاقتدار العلمي والمنهجي لا سيما تحكمه في المنهج ووضوح رؤيته النّقديّة، ولا شك أن هذه الأخيرة هي ما يميز تجربته النّقديّة ويشجّع على قراءة مشروعه السّيميائي، فهو منذ دراساته الأولى قد

أفصح بدقة عن مرجعيته وعن ولائه المنهجي الكامل للجهود السّيميائيّة الفرنسيّة والغريماسيّة تحديدا، فلم يترك لنا – بخصوص ذلك- أي مجال للتساؤل أو التّأويل أو التّرجيح، وذلك تجنبا للوقوع في فخ الانتقائيّة أو التّلفيق". [16] من هنا نسمح لأنفسنا بالقول أن هذا النّاقد الجزائري قد تمكن و بجدارة من ولوج عالم السّيميائيات من بابه الواسع بل إنه يتربع على عرش النّقد السّيميائي في الجزائر و العالم العربي بصفة عامة.

أما عن أهم المؤلفات التي تعدّ بحق إنجازا عظيما لهذه القامة البارزة في مجال السّيميائيات فنذكر:

1.4 العمل المعجمي: قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنصوص (عربي- إنجليزي- فرنسي)، دار الحكمة، الجزائر، 2000: يعد زادا نقديا ومعرفيا أضافه هذا النّاقد لميدان السّيميائيات، إذ عمل من خلاله على الرّبط بين المصطلحات السّيميائيّة الغربيّة والعربيّة وإزالة الهوة بينهما، مع توخي الدّقة العلميّة أثناء التّرجمة.

2.4 المؤلفات السّرديّة: أما عن المؤلفات السّرديّة العربيّة التي ارتآها ابن مالك أن تكون مادة خاما للتطبيق والدّراسة عليها – سيميائيا- فنجد على سبيل المثال لا الحصر:

- قراءة سيميائيّة في قصة العروس للروائي " غسان كنفاني.
- تحليل سيميائي لقصة "عائشة " لأحمد رضا حوحو. [17]
- سيميائيّة الفضاء في روايّة "ريح الجنوب " لعبد الحميد بن هدوقة.
- قراءة سيميائيّة في كليلة ودمنة. لعبد الله بن المقفع. [18]
- دراسة تحليليّة لروايّة نوار اللوز. [19]
- قراءة سيميائيّة في روايّة "عواصف جزيرة الطّيور". [20]

3.4 المؤلفات النّظريّة: وفيما يتعلق بالمؤلفات النّظريّة التي شكلت الأرضيّة الخصبة للبحوث والأعمال التّطبيقيّة فنجد منها المترجمة ومنها العربيّة الأصيلة:

أولا: المؤلفات العربيّة: مقدمة في السّيميائيّة السّرديّة، دار القصبة، الجزائر د.ط، 2000.

- البنيّة السّرديّة في النّظريّة السّيميائيّة، دار الحكمة، الجزائر، د.ط .2002
- تاريخ السّيميائيات، دار الآفاق، الجزائر، د.ط، 2004.
- السّيميائيات السّرديّة، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 1427- .2006

ثانيا: المؤلفات المترجمة: السّيميائيّة (أصولها وقواعدها)، ترجمة رشيد بن مالك، للمؤلفين: آن إينو، ميشال ارفييه، لوي بانييه، جان كلود جيرو، جان كلود كوكي، جوزيف كورتيس، دار الاختلاف الجزائر، د.ط، 2002.

- السّيميائيّة مدرسة باريس، ترجمة رشيد بن مالك، للمؤلف: جان كلود كوكي، دار المغرب، الجزائر، د.ط، 2003.

➢ **عبد المالك مرتاض:** لقد قدم عبد المالك مرتاض أعمالا كثيرة تعد مرجعا خصبا في السّاحة الأدبيّة بصفة عامة والنّقديّة على وجه أخص،" أما عن جهوده التّنظيريّة، فمنذ مطلع الثّمانينات تحددت معالم الاتجاه السّيميائي في دراسات عبد الملك مرتاض النّقديّة من خلال العدد المعتبر من دراساته النّقديّة في هذا المجال، ومما كتب نذكر على سبيل المثال:

- ألف ليلة وليلة – تحليل سيميائي تفكيكي لحكايّة جمال بغداد" 1983.
- دراسة سيميائيّة تفكيكيّة لقصيدة "أين ليلاي" لمحمد العيد آل خليفة .1992

- شعريّة القصيدة – قصيدة القراءة، تحليل مركب لقصيدة "أشجار يماميّة" 1994.
- تحليل الخطاب السّردي – معالجة تفكيكيّة سيميائيّة مركبة لروايّة "زقاق المدق"- 1995.
- مقامات السّيوطي- دراسة- 1996".[21]

و في هذا السّياق يجدر بنا الإشارة إلى" أن الدّكتور عبد المالك مرتاض قد استخدم مصطلحات أخرى في موجة تعدد المصطلحات لمصطلح واحد فاستخدم (سيميولوجيّة)،(سيميائيات) ، (السّيميوتيك)، (السّيميوتيكيّة)،(الإشاريّة) لكنه ما لبث أن غادرها إيمانا منه بقصورها ، لاسيما مصطلح(سيميولوجيا)، لما فيه من تساهل و إنشاء مفض إلى الخطأ قوامه كذلك (الجمع بين ساكنين) في لغة يفترض أنها اغتدت خاضعة لتقاليد الاستعمال العربي."[22]

ونظرا لتشابك هذه المصطلحات وتداخلها ارتأى عبد الملك مرتاض أن " يكون مصطلح (السّيميائيّة) منتهى المحطة التي انتقاها عن قناعة بعد غوصه في أبعاد دلالتّها ومراعاة العربيّة وجذورها فكان الاستقرار والثّبات عليها."[23]

- **أحمد يوسف:** وهو أستاذ جزائري مقيم بفرنسا، له الكثير من الأبحاث والدّراسات الجادة المنشورة في الشّبكة العنكبوتيّة، والتي حاول من خلالها إعطاء مفاهيم دقيقة لهذا العلم و كل ما يتعلق به ساعيا إلى تخليصه مما يكتنفه من ضبابيّة وغموض، وفي هذا الصّدد نستأنس بمؤلفه الموسوم ب"تحليل الخطاب من اللسانيات إلى السّيميائيات " كذلك يشهد له بدقة التّمييز والتّحليل بين مصطلحي " العلامة " و " المعنى" و ذلك من خلال كتابه الموسوم ب " الدّلالات المفتوحة مقاربة سيميائيّة في فلسفة العلامة."[24]
- **أحمد طالب:** يعد من المهتمين بالمنهج السّيميائي، وقد عمل من خلال مؤلفه " الفاعل في المنظور السّيميائي (دراسة في القصة القصيرة الجزائريّة) -

على إثراء الدّراسات السّيميائيّة القصصيّة وتوجيهها وفق المنحى السّيميائي [25] السّردي الذي تقتضيه الرّؤيّة السّرديّة الغريماسيّة الحد.

- **عبد الحميد بورايو:** يعتبر عبد الحميد بورايو من الرّواد الذين عملوا على إرساء وترسيخ مبادئ السّيميائيات المعاصرة في الجزائر إذ " تندرج أعماله في سياق الدّراسات الحداثيّة التي يمّمت شطر السّرديات في مقاربتها للنصوص السّرديّة التّراثيّة الشّعبيّة." [26] كل ذلك بغيّة حفظ التّراث الشّعبي اللامادي ومحاولة استنطاقه و الوقوف على مفاهيمه ومقاصده ، لذلك" يعد عبد الحميد بورايو أحد الرّواد المؤسسين للحركة السّيميائيّة في الجزائر، وقد ظهرت دعوته إلى هذا التيار في وقت مبكر من خلال الدّروس التي كان يلقيها على طلبته في الجامعة في بدايّة الثّمانينات، حيث كانت تشكل هذه الدّروس حدثا محمّلا بقطيعة إيبستيمولوجيّة تؤسس لقيم علميّة جديدة يكون تثبيتها مرهونا بإعادة النّظر في المنظومة التّربويّة المتّسمة بالجمود والتّقليد وغياب روح النّظر والإبداع والمبادرة". [27]

- **عبد العالي بشير:** يعد الدّكتور عبد العالي بشير من أكثر الباحثين الأكاديميين الجزائريين اهتماما ودراسة للمنهج السّيميائي، ولعل الدّراسات التّطبيقيّة التي طبقها على مجموعة من الأعمال الأدبيّة تعد أفضل دليل على طموحه لإرساء وتفعيل الجانب التّطبيقي على دراساتنا الأدبيّة، وهنا نذكر على سبيل المثال لا الحصر أروع الدّراسات التي أثرى بها المكتبة النّقديّة الجزائريّة في ميدان السّيميائيات:"سيميائيّة الصّورة في روايّة عابر سرير – لأحلام مستغانمي- "، " قصة معاذة العنبريّة للجاحظ"، النّظام العاملي في روايّة زمن النّمرود".

- **شرشار عبد القادر:** أعمال هذا الدّكتور أيضا تسعى لتنميّة علم السّيمياء وإثرائه تنظيرا وتطبيقا وما سعيه للربط بين الجانبين إلا إشارة منه إلى ضرورة ولوج هذا العلم من كل جوانبه إن أردنا الإلمام به بصورة دقيقة وحتى

لا نبقى مجرد مستقبلين له لا فاعلين فيه. وفي هذا الصّدد يمكننا النّهل من مؤلفه:" مستويات التّحليل السّيميائي في مقارنة النّص السّردي".

- **فيصل الأحمر**: يعتبر من أهم المنظرين لعلم السّيمياء في الجزائر وقد "حاول من خلال كتابه النّقدي "معجم السّيمياء" الإلمام بمختلف التّسميات الشّهيرة للمصطلح، وذلك بعد أن تتبع جذره اللغوي، وبعدها عرج للحديث عن الفوضى المصطلحيّة التي حدثت في البلاد العربيّة إثر محاولة نقل هذا العلم وأخيرا يتناول المفاهيم العامة للسيميائيات لدى جملة من النّقاد و الباحثين". [28]

5. خاتمة: يتناول هذا البحث واقع الدّراسات السّيميائيّة في الجزائر ومدى استثمار المصطلحات السّيميائيّة في الدّراسات النّقديّة التّطبيقيّة. أما عن جملة النّتائج المتوصل إليها فيمكن إجمالها على النّحو التّالي:

- ✓ تعددت المصطلحات المستعملة لعلم السّيمياء أهمّها: السّيموطيقيا والسّيميولوجيا.....
- ✓ العلامة هي محور الدّراسات السّيميائيّة.
- ✓ لقد أسهمت السّيمياء في توسيع أفق الإبداع وفتح أبواب جديدة لتناول ودراسة مختلف النّتاجات الإنسانيّة من زوايا نظر مختلفة وبأبعاد متباينة الرّؤى والمرجعيّة وبذلك فسحت المجال للتأويل والتّفكير العميق.
- ✓ اكتسحت السّاحة الجزائريّة بالبحوث والدّراسات النّقديّة السّيميائيّة والتي تفاوتت في الأهميّة والدّقة العلميّة.
- ✓ كثرة المؤلفات النّقديّة الجزائريّة في مجال السّيميائيات لا تعني بالضّرورة الإحاطة بهذا الميدان من كل جوانبه، إذ العبرة بالجودة والإتقان لا الكثرة والعشوائيّة.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

1- ابن منظور " لسان العرب ، مادة (س و م)، م1، دار صادر د.ط بيروت، 1997.

2- إبـــراهيم أنـــيس وآخـــرون "المعجـــم الوســـيط 1/ 465مادة(ســـوم)، مجمـــع اللغةالعربيّة،مصر ط4، 2004.

3- أحمـد طالـب "الفاعـل في المنظـور السّـيميائي "(دراسـة في القصـة القصـيرة الجزائريّة)"، دار الغرب للنشر والتّوزيع، وهران، الجزائر، ط 2002 .

4 - أحمد يوسف" الدّلالات المفتوحة" ، الدّار العربيّة للعلوم ، ط1 بيروت 2005.

5 - أسماء بن مالك" واقع المصطلح السّيميائي في الدّراسات العربيّة" مجلة بحوث سيميائيّة،، تلمسان، الجزائر، المجلد 8، العدد 13، جوان 2018.

6 - طارق ثابت " عبد المالك مرتاض و جهوده في التّنظير لتحليل الخطاب الأدبي – المنهج السّيميائي نموذجا"، مجلة الأثر(عدد خاص: أشغال الملتقى الدّولي الثّالثّ في تحليل الخطاب" ، جامعة تيزي وزو، الجزائر، د.ت.

7 - رشيد بن مالك " تحليل سيميائي لقصة عائشة للكاتب أحمد رضا حوحو" مقالة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، عدد 16 ديسمبر (2001).

8 - رشيد بن مالك " السّيميائيات السّرديّة "، دار مجدلاوي، عمان ط1 1427- 2006.

9 - رشيد بن مالك" السّيميائيّة ، مدرسة باريس"، مقدمة ترجمته : جون كلود كوكي، دار الغرب، وهران، د.ط، 2003..

10 - سليمة لوكام " تلقي السّرديات في النّقد المغاربي"، دار سحر للنشر تونس،د.ط، 2009.

11 - عبد العالي بشير" محاضرات في السّيميائيّة ومفاهيمها، محور السّيميائيّة وتحليل الخطاب"، ألقاها على طلبة السّنة الرّابعة ،قسم اللغة العربيّة وآدابها، السّنة الجامعيّة 2004- 2005.

12 - عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي و آخرون" معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النّقديّة الحديثة"،المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء المغرب، ، دط، د.ت .

13 - علي سحنين " السّرديات السّيميائيّة في النّقد الجزائري: رشيد بن مالك أنموذجا" مجلة المخبر- أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري- " العدد الحادي عشر، جامعة بسكرة، الجزائر، 2015.

14 - فرديناند دي سوسير " محاضرات في علم اللسان العام"، ترجمة: عبد القادر القنيني، أفريقيا الشّرق، المغرب، د.ط، 2008.

15 - فيصل الأحمر" معجم السّيميائيات"، ، منشورات الاختلاف، الدّار العربيّة للعلوم، الجزائر، لبنان، ط1431،1ه- 2010م.

16 - كمال جدي: "المصطلحات السّيميائيّة السّرديّة في الخطاب النّقدي عند رشيد بن مالك "، مذكرة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح- ورقلة- ، الجزائر، 2011-2012م.

17 - نانيّة لطروش " المصطلح النّقدي عند عبد المالك مرتاض من خلال دراسته (أين ليلاي)"، مجلة جسور المعرفة، المجلد 4 العدد4(16)،الشّلف، الجزائر، ربيع الأول/ ربيع الثّاني1440ه ديسمبر 2018.

18 - يوسف وغليسي " إشكاليّة المصطلح في الخطاب النّقدي العربي الجديد " منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1، 2008.

19 - يوسف وغليسي " مناهج النّقد الأدبي "، دار جسور للنشر والتّوزيع ، الجزائر ط1، 2007.

الهوامش:

[1] - ابن منظور " لسان العرب، مادة (س و م)، م1، دار صادر، بيروت، 1997.

[2] - سورة النّحل، الآيّة 10

[3] - عبد العالي بشير" محاضرات في السّيميائيّة ومفاهيمها، محور السّيميائيّة وتحليل الخطاب" ألقاها على طلبة السّنة الرّابعة، قسم اللغة العربيّة وآدابها، السّنة الجامعيّة 2004- 2005.

[4] - إبراهيم أنيس و آخرون "المعجم الوسيط 1/ 465مادة(سوم).و بطرس البستاني " محيط المحيط"، ص 443.

[5] - فيصل الأحمر" معجم السّيميائيات"، ، منشورات الاختلاف، الدّار العربيّة للعلوم الجزائر، لبنان ط1431،1ه- 2010م، ص 11، 12.

[6] - ينظر يوسف وغليسي " مناهج النّقد الأدبي "، دار جسور للنشر والتّوزيع الجزائر ط1، 2007، ص 93.

[7] - ينظر: فيصل الأحمر "معجم السّيميائيات" ص 16- 17.

[8] - فرديناند دي سوسير " محاضرات في علم اللسان العام"، ترجمة: عبد القادر القنيني، أفريقيا الشّرق، المغرب، د.ط، 2008، ص 31.32.

[9] - عبد الله إبراهيم ، سعيد الغانمي و آخرون" معرفة الآخر ،مدخل إلى المناهج النّقديّة الحديثة"،المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ، دط، د.ت ص 77.

[10] - فيصل الأحمر "معجم السّيميائيات"، ص14.

[11] - المرجع نفسه، ص18.

[12] - المرجع نفسه، ص 14.

[13] - ينظر: كمال جدي: "المصطلحات السّيميائيّة السّرديّة في الخطاب النّقدي عند رشيد بن مالك "، مذكرة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح- ورقلة- ، الجزائر، 2011- 2012م، ص 14- 15.

[14] - ينظر: أسماء بن مالك" واقع المصطلح السّيميائي في الدّراسات العربيّة"، مجلة بحوث سيميائيّة، تلمسان، الجزائر، المجلد 8، العدد 13، جوان 2018، ص ص71- 74.

[15] - رشيد بن مالك باحث و ناقد جزائري معروف من مواليد 1956بتلمسان ، يشغل حاليا وظيفة مدير مركز البحث العلمي و التّقني لتطوير اللغة العربيّة ، يحمل درجة أستاذ التّعليم العالي كمدير للبحث العلمي بجامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان، بعد حصوله على شهادة البكالوريا سنة 1977 تدرج

الباحث بجامعة تلمسان أين تخرج منها سنة 1981بشهادة ليسانس في الأدب العربي ، ثم سافر إلى فرنسا لإكمال دراسته العليا بمدرجات جامعة باريس ، حيث تحصل في جوان 1982 على شهادة الدّراسات المعمقة في المنهجيّة بدرجة جيد جدا، ثم دكتوراه الدّرجة الثّالثّة تخصص الأدب الجزائري في فيفري 1984 بملاحظة جيد جدا كذلك ، ليعود إلى الجزائر أين ناقش دكتوراه دولة في السّيميائيات شهر جانفي 1995 بدرجة مشرف جدا بجامعة تلمسان. ينظر: لطرش خديجة " الاتجاه السّيميائي في نقد الرّوايّة العربيّة بالجزائر "كتاب السّيميائيات السّرديّة لرشيد بن مالك – أنموذجا- "، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي- ، الجزائر 2014- 2015، ص 33. نقلا عن: كمال جدي " المصطلحات السّيميائيّة السّرديّة"، ص 40- 41.

[16] - علي سحنين" السّرديات السّيميائيّة في النّقد الجزائري: رشيد بن مالك أنموذجا" مجلة المخبر- أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري- " ، العدد الحادي عشر، جامعة بسكرة الجزائر 2015،ص 109- 110.

[17] - ينظر: رشيد بن مالك " تحليل سيميائي لقصة عائشة للكاتب أحمد رضا حوحو"، مقالة جامعة منتوري ، قسنطينة، الجزائر ، عدد 16 ديسمبر (2001)، ص 109- 127.

[18] - ينظر: رشيد بن مالك " السّيميائيات السّرديّة "، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 1427- 2006. ص45- 69.

[19] - ينظر: المرجع نفسه ، ص 71- 129.

[20] - ينظر: المرجع نفسه، ص 155- 179.

[21] - طارق ثابت " عبد المالك مرتاض و جهوده في التّنظير لتحليل الخطاب الأدبي – المنهج السّيميائي نموذجا"، مجلة الأثر(عدد خاص: أشغال الملتقى الدّولي الثّالثّ في تحليل الخطاب" جامعة تيزي وزو، الجزائر، د.ت، ص209.

[22] - ينظر: نانيّة لطروش " المصطلح النّقدي عند عبد المالك مرتاض من خلال دراسته (أين ليلاي)"، مجلة جسور المعرفة، المجلد 4، العدد4(16)، الشّلف، الجزائر، ربيع الأول/ ربيع الثّاني1440ه ديسمبر 2018، ص 255. نقلا عن، يوسف وغليسي " إشكاليّة المصطلح في الخطاب النّقدي العربي الجديد "، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 2008 ص ص 229- 232، ص 127.

[23] - ينظر: نانيّة لطروش " المصطلح النّقدي عند عبد المالك مرتاض من خلال دراسته (أين ليلاي) ص 255.

[24] - أحمد يوسف" الدّلالات المفتوحة"، الدّار العربيّة للعلوم، ط1، بيروت 2005 ص 12- 13.

[25] - ينظر: أحمد طالب "الفاعل في المنظور السّيميائي "(دراسة في القصة القصيرة الجزائريّة)"، دار الغرب للنشر والتّوزيع، وهران، الجزائر، ط 2002.

[26] - سليمة لوكام " تلقي السّرديات في النّقد المغاربي"، دار سحر للنشر، تونس 2009، ص 326.

[27] - رشيد بن مالك" السّيميائيّة، مدرسة باريس"، مقدمة ترجمته: جون كلود كوكي دار الغرب وهران، د.ط، 2003، ص10.

[28] - فيصل الأحمر "معجم السّيميائيات"، ص 11.

مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 22 العدد: 50 السّنة: الثّلاثيّ الثّاني 2020 ص: 325 - 350

تجلّيات معايير الخطاب والتخاطب البلاغي عند الجاحظ في كتابه البيان والتبيين ـ رؤيّة لسانيّة تداوليّة ـ

أ. أمال أورابح[1]

تاريخ الإرسال: 09 06 2019 تاريخ القبول: 19 11 2019

ملخّص: نحاول من خلال هذه الدّراسة تسليط الضّوء على التّراث البلاغي العربي بنظرة لسانيّة وتداوليّة حديثة، من خلال محاولة الإحاطة بالخطاب والتّخاطب البلاغي عند الجاحظ في كتابه "**البيان والتّبيين**" ضمن أهم الشّروط والمعايير التي تحقّق للخطاب البلاغي بيانه وفصاحته.

الكلمات المفاتيح: تجلّيات- الخطاب - التّخاطب البلاغي- معايير- البيان والتّبيين

Résumé :

Dans cette article , nous essayons de faire la lumière sur un regard linguistique et délibératif moderne , deviner a travers de, adressant le discours et la communication au rhétorique chez el Jahid dans son livre Al- Bayan et Tabyin dans ses conditions et règles les plus importantes qui réalisent le discours des platitudes et son ouverture .

mots de passe : manifestation -discours- discussion- rhétorique- les normes-

Abstract : We try through this study, we attempts to shed highlighting the rhetorical heritage of the Arabs with a modern linguistic and trading perspective by truing to catch up with rhetorical rhetoric when Al-Jjahiz in

[1] جامعة الجزائر2 ، الجزائر، البريد الإلكتروني: amelourabah@gmail.com

his book the statement and clarification among the most important conditions and criteria that undermine the eloquence of the speech.

key Words : manifestations- speech- speech representation.

مقدّمة: يحمل الخطاب في الجاهليّة بعدا فنيا وبيانيا، يميّزه الحسّ الفنّي والذّوق والإحساس المرهف والتّعبير عن المشاعر النّبيلة بلمسة بيانيّة ولغة راقيّة تسحر العقول وتؤثّر في الوجدان.

وقد أضحى الخطاب والتّخاطب محل اهتمام الدّراسات اللسانيّة والتّداوليّة الحديثة، حيث أولوه العنايّة والاهتمام وأحاطوه بالدّراسة من كلّ جوانبه. كون هذا الأخير متواجدا في حقول معرفيّة مختلفة المشارب من لغويّة وأدبيّة واجتماعيّة وسياسيّة...الخ. فكلّ حقل خطابي يحتاج فيه المتكلّم - بالنّظر إلى طبيعة العلم وخصائصه- التّركيز على المتلقي. هذا الأخير الذي يشكل محورا هامّا من محاور الدّورة التّخاطبيّة، حيث بفضله يتمّ إنتاج الخطاب وتوجيهه أيضا. ومن ثمّة جاء الاهتمام بالخطاب عامّة والتّخاطب خاصّة ضمن الشّروط والقواعد التي تحفظ ضمان الدّورة التّخاطبيّة بكل آمان وسلام ووضوح تام لا يشوبه أي غموض، خصوصا وأنّ الخطاب يتأسس وينبني على الألفاظ والمعاني التي تحقّق غايات المتكلّمين ومقاصدهم التي يصبون إلى تحقيقها.

غير أنّ تحقّق تلك المقاصد وبلوغها عن طريق التّأثير في الجماهير ليس بالأمر الهين، بل لابدّ لها من شروط ومعايير ضابطة لتحقيق ذلك تتعلّق تارة بالمخاطِب كمنتج للخطاب، وتارة أخرى بالمخاطَب من حيث كونه متلقيه وأخرى بالخطاب كونه بنيّة تركيبيّة هادفة. وهذا كلّه ليس وليد الدّراسات اللسانيّة الحديثة ولا التّداوليّة التي باتت تهتم بالخطاب ضمن حدود وأطر الاستعمال متجاوزة به الإطار البنوي للغة الذي حدّده دي سوسور رغم انتشار البحث فيه وفي خصائصه والعمل على تفعليه.

بل، نجد له جذورا في تراثنا اللغوي العربي، حيث تنبه مجموعة من اللغويين والأدباء والنّقاد وحتى المفسرين إلى قيمة الخطاب والتّخاطب محاولين وضع الأسس والمعايير التي تضمن سلامته وبلوغ غايته

ووفقا لذلك، فإنّنا سنتناول في هذه الورقة البحثيّة معايير الخطاب البلاغي من منظور الجاحظ في كتابه الموسوم بـ(البيان والتّبيين)، منطلقين من الإشكاليّة الآتيّة: هل البلاغة العربيّة تقوم على معايير معيّنة للخطاب والتّخاطب تضمن للخطاب بلاغته وفصاحته ويصبح بيِّنا لدى متلقيه؟ وإن كان كذلك، فيم تتجلّى هذه المعايير عند الجاحظ من خلال كتابه الموسوم بـ(البيان والتّبيين)؟ وما حقيقة البيان عنده؟

- **مميّزات عصر الجاحظ:** تميّزت البلاغة العربيّة في جاهليتها بخاصيّة التّفنن في أساليب القول المختلفة فأبدع الشّعراء والأدباء في مختلف الأغراض الشّعريّة من خلال نقل الصّورة الواضحة لبيئة الجاهليّة في مختلف نواحيها عن طريق الذّوق المرهف والأداء الحسن والتّأثير القوي والانفعال الشّديد والعاطفة الصّادقة.

لكن البلاغة العربيّة قد عرفت نقلة نوعيّة، وهي انتقالها من إطار الفن إلى حدود المعايير العلميّة الضّابطة، فأصبحت علما قائما له أصوله وقواعده. ولعلّه من الصّعوبة بمكان ونحن نتحدث عن هذه النّقلة النّوعيّة وما آلتّ إليه البلاغة العربيّة فهم الجاحظ وفهم أرائه المختلفة وتفكيره البلاغي عامّة، إلاّ بالعودة إلى مميّزات عصره بغيّة استنباط أفكاره وتحليلها ضمن سياقات ورودها في ذلك العصر.

حيث إنّ ما ميّز عصر الجاحظ في القرن الثّالثّ هجري، هو أنّه فترة التّأسيس والتّقعيد لعلم البلاغة، من خلال مجموعة من الخصائص والأحكام والملاحظات البلاغيّة المتعلقة بالخطاب عامة والتّخاطب خاصّة في مختلف فنون الكلام منطلقها هو النّص القرآني الذي سحر العرب وأعجزهم عن الإتيان ولو بأيّة من

مثله، فانكب العلماء على دراسته والبحث عن سر إعجازه، فكان نتيجة هذا البحث ما يلي:

- وجود اهتمام باللفظ
- وجود اهتمام بالمعنى

والعرب القدامى كانوا سباقين إلى هذا الاهتمام من خلال حرصهم الشّديد على الوقوف على اختيار أجود اللفظ وأجود المعنى وانتقاء الألفاظ والمعاني والصّور، بغيّة التّأثير في المتلقين وإقناعهم [1].

وما يميّز هذا العصر كذلك هو ظهور المتكلّمين والفرق الكلاميّة التي أسهمت إلى حد كبير في تأسيس الدّرس البلاغي والعمل على تنميته وتطويره منهم المعتزلة الذين يعنون بمسائل البيان والبلاغة، فكثُرت الحوارات والمناظرات والحجج التي تُعنى ببيان نجاح المناظر والخطيب، والجاحظ أحد هؤلاء الذين تناولوا هذه المواضيع وطرحوها قصد بيانها وتبيينها للعامّة. [2]

إضافة إلى هذا، نجد انفتاحا على العلوم والثّقافات الأخرى كالفرس والرّوم واليونان كمطلب قصد المقارنة بين أساليب البلاغة العربيّة وغيرها من بلاغات الأمم الأخرى، ما أكسب البلاغة العربيّة طابع المنطق والحجاج والاستدلال والمناظرة تأثرا بالمنطق الأرسطي والفكر الفلسفي اليوناني، حيث اهتم أرسطو بالشّعر وفنونه مبرزا أهميته في التّعبير وما يحمله من قوّة تأثيريّة في الجماهير مميّزا من خلاله بين الشّاعر الجيِّد والنّاظم الجيِّد باتّخاذه اللّغة الشّعريّة تقييما عاما للأدب. [3] كما اهتم بالخطابة أيضا معتبرا إيّاها فنّا بلاغيا وبيانيا بامتياز، لما تمتاز به من أساليب متنوّعة في الحجاج السّاعي إلى فعلي الإقناع والتّأثير. [4]

وعلى إثر هذا الانفتاح، وبفعل التّأثير والتّأثر ارتبطت البلاغة العربيّة بالحجاج لأجل البيان وتوضيح آليات الكتابة الفنيّة الصّائبة والجماليّة ضمن إطار فنّ التّعامل مع النّاس السّاعي إلى الإقناع والتّأثير في الغير بصورة فنيّة جماليّة،" لأنّ الجمال كثيرا ما يتذوقه الحسّ الظّاهر والشّعور الباطن، دون أن

يستطيع الفكر تحديد كلّ العناصر التي امتلكت استحسانه وإعجابه.... إذ إنّ أفاق الجمال أوسع من أن تُحدّد أو تُحصر بأطُر ومقاييس، ولكن يمكن اكتشاف بعض عناصر الجمال وكلياته العامّة وطائفة من ملامحه" [5]

والجمال الأدبي والفنّي مرتبطان بالبيان والبلاغة والفصاحة كملامح دالة على الأداء الجيِّد للكلام، وجهود الجاحظ بهذا الخصوص واضحة المعالم في كتابه (**البيان والتّبيين**) الذي سعى من خلاله إلى تحديد خصائص البيّان العربي وصفات المحاجج سواء الخطيب أم الشّاعر أم الوصي أم غيره في الإقناع، إذ القصد من الكلام إنّما يكمن عامّة في **الإقناع والتّأثير**. [6]

ومن هنا تظهر قيمة الكتاب الذي ألّفه الجاحظ من خلال ما يحمله من قيّم علميّة وتعليميّة هادفة نحو التّفنن في الأساليب على سمت كلام العرب القدامى، وتعريفهم بطرائق التّبليغ والبيان والإقناع، لأنّ مدار البلاغة إنّما هي التّفنن والتّأثير في الغير ثمّ الإقناع.

- **قيمة الكتاب:** كتاب(**البيان والتّبيين**)، يعدّ في نظر الدّارسين مدرسة بيانيّة بامتياز لأنّه كتاب أراد به صاحبه بيان بعض الحقائق والمسائل المرتبطة بزمانه والعمل على تبيينها وإيضاح معالمها، فأفاد به من خلال ما أفاض الحديث عنه في ذاك الزّمان، واستفاد منه غيره من البلاغيين ممّن جاؤوا بعده، حيث وجدوا أرضيّة خصبة ومنطلقا للعديد من المسائل البلاغيّة التي ارتكزوا عليها في طرحها، فكان كتابا يتمّ تداوله والاستعانة به في كلّ عصر عرف تطوّرا وتقدّما في مجال البلاغة العربيّة ومباحثها.

وهو يعدّ إلى جانب هذا كلّه، أكثر الكتب تداولا حتى في عصرنا الحالي لأنّه عدّة كل باحث أراد به نفعا وعلما سواء أكان ذلك في مجال اللغة أم الأدب أم البلاغة أم النّقد. فهو من الكتب العظيمة النّفع في مختلف المجالات: أدبا ونقدا ولغة وبلاغة وحتى شواهد على صحّة البيان. وقد أشاد به القدماء فزادوه عظمة وقدرا، ودليل ذلك ما جاء على السّنة البلاغيين والعلماء عامّة من بعده،

نذكر مثلا" أبا هلال العسكري" في حديثه عن كتب البلاغة وقيمتها الأدبيّة في تأصيل علم الأدب وتوضيح معالمه وفنونه حين قال: " وكان أكبرها وأشهرها كتاب "**البيان والتّبيين**"، لأبي عثمان بن بحر الجاحظ، وهو لعمري كثير الفوائد، جم المنافع، لما اشتمل عليه من الفصول الشّريفة، والفقر اللطيفة والخطب الرّائعة، والأخبار البارعة، وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء، وما نبّه عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة وغير ذلك من فنونه المختارة ونعوته المستحسنة، إلاّ أنّ الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه، ومنتثرة في أثنائه، فهي ضالة بين الأمثلة، لا توجد إلاّ بالتّأمل الطّويل، والتّصفح الكثير" [7]

كما جعل ابن خلدون كذلك كتاب **البيان "والتّبيين"** مصدر علم الأدب وأصله حين أوضح أصول علم اللّسان العربي قائلا:" سمعنا من شيوخنا في مجالسّ التّعليم أنّ أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي: **أدب الكاتب** لابن قتيبة وكتاب **الكامل** للمبرد، وكتاب "**البيان والتّبيين**" للجاحظ، وكتاب **النّوادر** لأبي على القالي. وما سوى هذه الأربعة فتبعٌ لها، وفروع عنها" [8].

وعليه، فإنّ المُطّلع على كتاب البيان والتّبيين ليجده ثروة هائلة وخزانا معرفيا. بل وكنزا من العلوم والمعارف والمصادر والحقائق العلميّة ذات الصّلة بالبلاغة والبيان- القواعد البلاغيّة - القول في المذهب الوسط- الخطابة - الشّعر - الأسجاع - نماذج من الوصايا والرّسائل - طائفة من كلام النّساك والقصاص وأخبارهم - عرض لبعض كلام النّوكى والحمقى ونوادرهم - وضروب أخرى من الاختيارات البلاغيّة. [9]

- **حقيقة البلاغة والبيان عند الجاحظ:** ساعدت نظرة الجاحظ واطّلاعه العام على العلوم والثّقافات الأخرى من تحديد أصول البلاغة العربيّة وماهيتها حيث تمثّلها في أمور عديدة مرتبطة ببنيّة الخطاب الدّاخليّة والخارجيّة وأطرافه وآلياته اللغويّة، فجعل مفهومها يتميّز بنوع من الشّموليّة في التّعريف، كون

البلاغة يمكن التّماسها في نقاط عدّة ترتبط بالخطاب داخليا وخارجيا، كما ترتبط به من خلال طرفيه الأساسيين وهما: المخاطِب كمنتج له والمخاطَب كمتلّقٍ ومحلّل له. يقول موضّحا شموليّة البلاغة من حيث ماهيّتها وتجليّاتها أيضا:" البلاغة اسم جامع لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة، منها ما يكون في السّكوت ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا وخطبا، ومنها ما يكون رسائل. وعامّة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى" [10].

فتعريفه هذا يتّسم بالشّمول المعرفي لماهيّة هذا العلم العظيم، وهو لم يكتف بإيراد نظرته وخلاصته المتفحصّة لماهيّة البلاغة فقط، بل قدّم أقوال ورأي الأمم الأخرى في تعريفهم لها من روم وفرس ليوضح من خلال هذه الأقوال ماهيّة بلاغة الكلام عامّة، ويضع حدود البلاغة ومكامنها بدقّة في الكلام عامّة رغم اختلاف اللغات فيها. فقد أورد في تعريفاته عنها ما يلي: [11]

- قيل للفارسي: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل والوصل؛
- وقيل لليوناني: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام واختيار الكلام؛
- وقيل للرّومي ما البلاغة؟ قال: حسن الاقتضاب عند البداهة، والغزارة يوم الإطالة؛
- وقيل للهندي: ما البلاغة: قال: وضوح الدّلالة، وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة.

إنّ هذه التّعاريف توضح مكامن البلاغة في الكلام وآليات تحقيقها التي ترتبط بالخطاب كبنيّة تركيبيّة تهدف إلى البيان عن المعاني بعدّة طرائق يستعملها المتكلمون قصد بيان معانيهم المختلجة في الأذهان أو الصّدور.

وعليه، فقد جعل البيان مرتبطا بطرائق إيصال المعاني، حيث أوضح من خلال كتابه أنّ المعاني التي تختلج في صدور النّاس خفيّة ومستورة، لا يتمّ الكشف

عنها إلاّ بالألفاظ التي تعمل على بيانها وتوضيحها، غير أنّ البيان عنده جامع لكلّ شيء دون استثناء لأنّ مفهوم البيان يعتمد على المطلق في إبانة المعاني، يقول موضّحا:" البيان اسم جامع كشف لك قناع المعنى وهتك لك الحجاب دون الضّمير، حتى يُفضي السّامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذاك البيان، ومن أيّ جنس كان الدّليل، لأنّ مدار الأمر والغايّة التي يجري إليها القائل والسّامع، إنّما هي الفهم و الإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"" [12]

وقوله هذا يوحي بأنّ البيان ذو مفهوم مطلق، لأنّه متعلق بطرائق إيصاله عن طريق ما يدلّ عليه، موضّحا في السّياق ذاته أنّ البيان إنما يكون بالدّلالة عليه والدّلالة تكون باللفظ وبغير اللفظ، وجميع أصناف الدّلالات - عنده - تنحصر في خمسة أشياء هي: اللفظ والإشارة والعقد والخط والحال التي هي النّصبة. [13]

مضيفا قوله بأنّ اللفظ والإشارة شريكان، حيث ربط الدّلالة بالإشارة وهذه الأخيرة تكون باللفظ وبغير اللفظ، والبيان عنده واقع في اللفظ والمعنى سواء الصّريح أم غير الصّريح، إذ " على قدر وضوح الدّلالة وصواب الإشارة ..... يكون إظهار المعنى. وكلّما كانت الدّلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور كان أنفع وأنجع" [14]

وعليه، فإنّ علاقة البلاغة بالبيان تتجلى من خلال تلك العلاقة التّلازميّة بينهما، إذ لا وجود للبلاغة إلاّ بوجود البيان فيها، والبيان هو الأخر لا يكون إلاّ لأجل التّبليغ عن المقاصد. لذا، فإنّ هذه الأخيرة مقترنة بالفصاحة، كون الفصاحة عنده" آلة البيان" [15]، بها يتمّ تحقيق بلاغة وبيان الخطاب عامّة والمخاطِب خاصّة.

إذ البلاغة "هي بلوغ المتكلم في تأديّة المعاني حدا له اختصاص بتوفيّة خواص التّراكيب حقّها" [16] وتأليف التّراكيب يكون بالألفاظ وبالمعاني، لذلك جُعلت

الفصاحة متعلّقة باللفظ وبالمعنى.[17] حيث إن الفصاحة عند البلاغيين شرط من شروط بلاغة الكلام، من منطلق أنّ: **كل بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغ**. والفصاحة في مفهومها إنّما هي الوضوح والبيان[18] وهو الأمر الذي جعل الجاحظ يقف في كتابه على طبيعة البلاغة والفصاحة عن طريق البيان من خلال جملة من المعايير التي تضمن للخطاب بلاغته وفصاحته في التّعبير عن المقاصد. إذ البيان في عموم معناه" إظهار المتكلّم المراد للسّامع"[19].

والمعاني المراد إظهارها تكون متضمّنة في جميع فنون الأدب من خطابة وشعر ورسائل وقصص...، ما جعل الجاحظ يحرص على تبيان المعايير التي تؤدّي بهذه المعاني إلى وصولها إلى المتلقي.

- **معايير الخطاب البلاغي في نظر الجاحظ:** يوحي كتاب "**البيان والتّبيين**" بوجود عمق الاهتمام ببلاغة الخطاب الأدبي بمختلف أشكاله وفنونه وآليات الإقناع والتّأثير لأنّ البلاغة تنحصر في عمومها في إقناع الجماهير من جهة والتّأثير فيهم من جهة ثانيّة.

وفي غضون هذا الاهتمام حدّد الجاحظ معايير للخطاب الأدبي البلاغي من خلال اهتمامه بفنون الأدب من الخطابة والشّعر والرّسائل والوصايا وغيرها، إذ ساعدته في ذلك المقارنة بين البلاغة العربيّة وبلاغة الأمم الأخرى. غير أنّ ملامح هذه المعايير نجدها مبثوثة في ثنايا كتابه، لأنّ منهجه في الطّرح كان منهجا عن طريق الاسترسال في بث القضايا والمسائل المدروسة، وتلك سمة القدماء في طرح مختلف القضايا وشرحها وتحليلها.

وباستقراء كتابه يمكن الخلوص إلى عدّة معايير مرتبطة بفنون الأدب المختلفة، وهي تشمل مستويات اللغة المختلفة من صوتيّة - لفظيّة - نحويّة تركيبيّة- دلاليّة سياقيّة وتداوليّة، ذلك أنّ الخطاب يعتمد بقوّة على اللّغة كآليّة للتّعبير عن مختلف الأغراض والمقاصد. فقد أوضحت الدّراسات الحديثة مدى علاقة اللغة بالخطاب وكذا الخطاب باللّغة، من حيث هما وجهان لعملة

واحدة كونهما متلازمان [20].إذ اللغة وعاء للخطاب، والخطاب هو الأخر لا يمكن تحقّقه إلاّ بفعل اللغة. واللغة هي محور اهتمام الدّراسات اللسانيّة التي أوضحت بأنّها ذات خاصّيّة تواصليّة، والتّواصل هو الآخر مبدأ مهمّ من مبادئ الخطاب الذي يقوم على أسس وقواعد وشروط تواصليّة وتداوليّة كـ: **القصديّة - الوضوح - الكميّة - الشّموليّة - المصداقيّة** [21]، وهذه الشّروط تجعل الطّرف الثّاني من الخطاب على اتصال وتواصل مستمر بمنتجه، إذ الغايّة من الخطاب هي تحقيق فعل التّواصل فيه.

وقد سعى اللسانيون إلى توضيح علاقة الخطاب بالتّواصل اللغوي، ومن هؤلاء الذين بيّنوا علاقة اللغة بالخطاب والتّخاطب بشكل واضح وجلي هو "رومان جاكبسون roman Jacobson " من خلال تحديده لعناصر الدّورة التّخاطبيّة التي تقوم على ستّة عناصر أساسيّة هي: المرسل والمرسل إليه والرّسالة والسّنن والسّياق والقناة، معتبرا هذه العناصر السّتة فواعل للخطاب بها يتمّ تحقيق التّواصل والتّبليغ، موضّحا في السّياق ذاته وظائف اللغة الخطابيّة التي استقاها من هذه العناصر والمتمثّلة في: الوظيفة التّعبيريّة- الوظيفة الافهاميّة- الوظيفة الشّعريّة - الوظيفة الانتباهيّة- الوظيفة المرجعيّة - وظيفة ما وراء اللغة. [22]

فهذه الوظائف، هي ما يحقّق للخطاب فعله التّواصلي عن طريق التّخاطب السّليم. غير أنّ التّخاطب عامّة نوعان: تخاطب يفضي إلى تواصل وتخاطب لا يفضي إلى تواصل. [23] والتّخاطب السّليم هو الذي يفضي إلى تواصل، حين يعتمد فيه صاحب الخطاب على البيان والوضوح باعتماد شروط وقواعد التّخاطب، لذلك تمّ تحديد مفهوم البلاغة على أنّها إيصال المعنى إلى قلب المستمع.

وعليه، يمكن حصر معايير الخطاب البلاغي الواردة في كتاب (البيان والتّبيين) للجاحظ في معايير خاصّة بالخطاب كبنيّة تركيبيّة مؤلّفة ومعايير

خاصّة بالخطاب من حيث لفظه ومعناه ومن حيث دلالتّه التّركيبيّة ومن حيث أسسه التّداوليّة أيضا.

وفيما يلي سنشير إلى كل معيار على حدّة، لنوضح أهميّة كلّ معيار في تحقيق البيان وما ينتج عن عدم تحقيقه، مع الإشارة إلى أنّ وحدة الخطاب ولُحمته إنّما هي في اجتماع هذه المعايير كاملة، وهو ما قام الجاحظ بإيراده. غير أنّنا سنفصل بعضها عن بعض بغيّة بيان حقيقة البيان ومكمنه عند الجاحظ.

أ معايير خاصّة بالخطاب كبنيّة تركيبيّة: وهي الأخرى تنحصر فيما يلي:

- **معايير صوتيّة:** فطبقا لتعريف ابن جني للغة وحدّه لها بأنّها "أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم" [24]، فقد أدرك الجاحظ قبله قيمة الأصوات وأهمّيتها في بيان المعاني، فوقف عندها وقفة دقيقة متفحّصة عاقدا لها بابا بأكمله ليوضح أهميّة الصّوت في الإبانة عن المعاني ، حيث جعل الصّوت آلة اللفظ والنّاطق به والموضح لمعناه، يقول في ذلك :" الصّوت آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التّقطيع، وبه يوجد التّأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلاّ بظهور الصّوت، ولا تكون الحروف كلاما إلاّ بالتّقطيع والتّأليف" [25].

وقوله هذا، يُظهر مدى عبقريّة الجاحظ في التّنبيه إلى مسائل الصّوت كمستوى أوّل من مستويات اللّسان، حيث به يتمّ تأليف الكلام وبه يتمّ الحسن والجودة في الكلام، إذ بدون أصوات لا معنى للكلام، فكان بفكره هذا سباقا للفكر اللساني الغربي، إذ أظهرت جهود أندري مارتيني في مجال اللغة واللسانيات أنّ اللغة تقع ضمن مستويين من حيث تأليف الكلام هما: المورفيم والمونيم. [26]

ولأهميّة الأصوات في بيان المعاني وتوضيحها ظهر ما يسمّى بـ" **علم الأصوات**" الذي يُعنى بدراستها فيزيولوجيا وفيزيائيا ووظيفيا، ضمن علوم الأصوات الآتيّة: علم الأصوات العام ويضم علم الأصوات الفيزيائي وعلم الأصوات الفيزيولوجي وعلم الأصوات الوظيفي. [27]

وإن كان العرب القدامى سباقين إلى هذا الطّرح من خلال جهود الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه العين، الذي قام بترتيب مفرداته حسب مخارج الأصوات موضّحا أهميّة المخارج في إحداث الصّوت وتوضيحه والتّأثير في المتلقي، ثمّ تلاه مجموعة من اللغويين العرب في الاهتمام بالدّراسات الصّوتيّة كسيبويه وابن جني وابن فارس من خلال ما أضافوه من جهود علميّة وإضافات خاصّة بالصّوت اللغوي وما ينجر عنه من معانٍ. [28]

ويظهر أنّ الجاحظ قد استفاد أيّما استفادة من الدّراسات الحاصلة قبله بخصوص الأصوات وقيمتها في البيان عن المعاني لأنّ الصّوت فرع للمعنى ما جعله يعتبر الصّوت اللغوي المعيار الأوّل في البيان عن المقاصد. وهو الأمر الذي أدّى به إلى التّعرض إلى أهميّة اللغة من حيث مخارجها وحروفها، وأهم المشاكل التي تعتريها، فجاء الحديث في كتابه عن العنايّة بأمراض الكلام التي تعتري الخطيب أو الشّاعر أو القاص ومدى تأثير ذلك على بيان المعاني للمتلقي، معتبرا هذه الأخيرة عيوبا كلاميّة نطقيّة. وعيوب النّطق عنده تعدّ عوائق وحواجز لفهم مقاصد الخطاب وتلقيه، فهي تنعكس سلبا على الخطاب جهة تلقيه وفهمه بوضوح.

حيث لمّا أدرك الجاحظ قيمة الصّوت في بيان المعنى المراد، فقد استفتح كتابه بالحديث عن عيوب البيان في النّطق بدل الحديث عن مفهوم البيان عامّة ليوضح أنّ البيان إنّما ينطلق من الصّوت أوّلا ، معلّلا سبب تأخيره الحديث عن البيان بقوله:" وكان في الحقّ أن يكون هذا الباب في أوّل هذا الكتاب، ولكنّا أخرناه لبعض التّدبير" [29] وقصده من التّدبير هو الوقوف عند

أبسط أمر يكون به البيان وهو الصّوت لأنّه في نظره وحدة دلاليّة والوحدة الدّلاليّة تبدأ من الوحدة الصّغرى للمعنى وإلى ذلك ذهب علماء الدّلالة، حيث قسّم " نيدا" الوحدة الدّلاليّة للكلام إلى أربعة أقسام هي: [30]

- الكلمة المفردة؛
- أكبر من كلمة(تركيب)؛
- أصغر من كلمة (مورفيم متّصل)؛
- أصغر من مورفيم (صوت مفرد).

لذا، فإنّ حسن تأديّة الأصوات حقّها في النّطق السّليم يؤدي إلى حسن البيان والفهم والإفصاح، والعكس من ذلك تماما يؤدّي سوء النّطق بالأصوات إلى الإخلال بالمعنى وعدم وضوحه، ولما أدرك الجاحظ هذا الأمر في زمن متقدّم اهتم بالعيوب النّطقيّة لما لها من تأثير على بيان الدّلالات كونها عائقا كبيرا في الفهم والإفهام، الذي تقوم عليهما البلاغة العربيّة، وهذه العيوب النّطقيّة هي: اللثغة واللكنة.

فاللثغة مرض من أمراض الكلام عند المهتمين بأمراض الكلام وعيوبه وهي تعني العدول بحرف إلى حرف أخر، حيث إنّ الشّخص الالثّغ هو الذي لا يتمّ رفع لسانه في كلامه، فينتج عن ذلك إمّا التّشنج الذي يُقصد به الإتيان بألفاظ غير تامّة، وإمّا الاسترخاء، الذي يعني الإتيان بألفاظ زائدة خارجة عن الجاري المجرى الطّبيعي على غير انتظام. [31]

والأصوات في العموم على صلة بالفصاحة في عرف البلاغيين، فألّف في (**ذكر الحروف التي تدخلها اللثغة وما يحضرني منها**)، الحروف التي تدخلها اللثغة وهي أربعة: القاف - اللاّم- السّين- الرّاء. [32] وهي عنده لثغ تتأدّى باللّسان ويصوّرها الخط لتترجم ما فيه بيان وما ليس فيه لذلك جاءت الإشارة إلى أهميّة الأصوات في تبليغ المقاصد في العديد من صفحات الكتاب، حين كان يعرض في كلّ مرّة تجلّيات البلاغة.

- **معايير لفظيّة ومعايير معنويّة:** شكّلت ثنائيّة اللفظ والمعنى محورا هامّا من محاور الدّرس البلاغي، فقد كانا ثمرة ونتاج البحث عن سر إعجاز القرآن الكريم من حيث بلاغته التي فاقت بلاغة البشر، بين قائل إنّه في لفظه وقائل إنّه في معناه، وأخر في نظمه، والجاحظ كونه معتزليا ينتمي إلى مدرسة اللفظ فهو من أنصاره. لذلك نجده مهتمّا باللفظ كثيرا لنقل المعنى وبيانه على أكمل وجه، إذ المعاني عنده لا تتّضح إلاّ بالألفاظ، لأنّ الألفاظ دوال على المعاني كونها علامات لسانيّة، تقتضي توفرها على ثلاثة شروط هي: [33]

- دلالتّها على المعنى؛
- استعمالها في مجتمع لساني يفهمها؛
- انتماؤها إلى نظام من العلامات؛

لذلك يصرّح الجاحظ بأهميّة اللفظ وقيمته في إبلاغ المقاصد وتبيينها على أكمل وجه، ويظهر ذلك حين اعتبر البلاغة" تخير اللفظ في حسن الإفهام" [34]. غير أنّ اهتمامه باللفظ لم يكن بمعزل عن المعنى، بل لابدّ أن يكون اللفظ المختار متناسبا مع المعنى المراد له أن يكون، ففي سؤاله للعتابي عن ماهيّة البلاغة ما يدلّ على تلك العلاقة بينهما، حيث أجابه قائلا: "كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة فهو بليغ" [35]

فعلاقة اللفظ بالمعنى هي علاقة لزوم واستلزام لأنّهما وجهان لعملة واحدة حيث لابدّ لكلّ لفظ من معنى، كما لابدّ لكلّ معنى من لفظ يحققه. وقد أدرك شعراء الجاهليّة ذلك فكانوا حريصين كل الحرص على التّمييز بين أقدار الألفاظ والمعاني لتحقيق جودة الإفهام وبلاغة التّعبير من خلال اعتماد الذّوق في اختيار الألفاظ والمعاني والصّور. [36]

لكن الجاحظ من خلال هذه الثّنائيّة العلائقيّة يدرك تمام الإدراك أنّ ثمة فروقا بين المعاني والألفاظ، حيث يعتبر المعاني مختلجة في صدور النّاس وأذهانهم ويبقى أمر التّعبير عن المعنى هو اللفظ، يقول موضحا:" اعلم -

حفظك الله- أنّ حكم المعاني خلافُ حكم الألفاظ، لأنّ المعاني مبسوطة إلى غير غايّة وممتدّة إلى غير نهايّة، وأسماء المعاني مقصورة معدودة، ومحصّلة محدودة" [37].

ويقول في كتابه **الحيوان** في علاقة اللفظ بالمعنى:" المعاني مطروحة في الطّريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي، [والمدني]، وإنّما الشّأن في اختيار الوزن وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، [وكثرة الماء]، وفي صحّة الطّبع وجودة السّبك، فإنّما الشّعر صناعة، وضرب من النّسيج، وجنس من التّصوير" [38]

وتخير اللفظ يقتضي هو الأخر شروطا ومعايير حتى يُبلغ المعنى ويحقّق الفهم والإفهام، وهذه الشّروط هي: [39]

- عدم تنافر الأصوات؛
- عدم مخالفة الميزان الصّرفي؛
- عدم الغرابة.

وهذه الشّروط مجتمعة إذا ما توفّرت في اللفظ الواحد يمكن تحقّق فصاحته ومن ثمّة تحقّق فصاحة التّركيب وإيصال المعاني ،إذ **البلاغة** "هي كلّ من أفهمك حاجته" [40]، وفهم الحاجة يقتضي وجود معنًى مقصود عمدا لذلك اشترط في اللفظ شروطا معيّنة لاستحسانه حين قال :" كما لا ينبغي أن لا يكون اللفظ عاميّا، وساقطا سوقيّا، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيّا" [41].

فالغايّة من اللفظ عنده هي إيصال المعاني حتى يتمّ فهمها وتلقيها بكل أمان لذلك طرح فكرة التّوافق بين اللفظ والمعنى والمعنى واللفظ قائلا:"فلا يكون لفظه إلى السّمع أسبق من المعنى إلى القلب" [42]، فقد جعل الجاحظ الإشارة إلى المعنى هو البلاغة ذاتها كون الفهم = البلاغة والبلاغة = البيان، يظهر ذلك واضحا في قوله:" لا معنى لكلام لا يدلّ على قصد المتكلّم، ولا يشير إلى مغزاه، أو

إلى العمود الذي يقصد إليه، أو إلى الغرض الذي ينزع إليه، لأنّ في ذلك إخلالا بالبلاغة [43].

ونراه في كلّ مرّة يؤكّد على أهميّة انتقاء الألفاظ وضرورة توفّرها على شروط القبول والاستحسان لتحقيق البيان البلاغي، إذ هاهو يقول في موضع أخر على لسان بشر بن المعتمر موضّحا علاقة اللفظ بالمعنى:" ... واجلب لكلّ عين وغرّة من لفظ شريف ومعنى بديع. واعلم أنّ ذلك أجدى عليك ممّا يعطيك يومك الأطول، بالكدّ والمطاولة، والمجاهدة وبالتّكلّف والمعاودة. ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصدا، وخفيفا على اللسان سهلا،..... ومن أراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا شريفا، فإنّ حقّ المعنى الشّريف اللفظ الشّريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يُفسدهما ويهجنهما وعما تعود من أجله أسوء حالا منك قبل أن تلتمس إظهارهما....." [44]

فهذه الأقوال تبيّن بوضوح مدى اتخّاذ كل من اللفظ والمعنى معيارا للفصاحة والبلاغة ومن ثمّة بيان وتبيين المقاصد، ممّا أوجب اختيار أحسن اللفظ للوصول بالمعنى إلى المتلقي كاملا حتى يفهمه. ومن ثمّة يوضح الجاحظ صفات المعنى المبيّن بالقول:" ومن حقِّ المعنى، أن يكون الاسم له طبقا، وتلك الحالُ له وفقا ويكون الاسم له فاضلا [ولا مفضولا]، ولا مقصِّرا ولا مشتركا، ولا مضمنا، ويكون مع ذلك ذاكرا لما عقد عليه أوّل كلامه، ويكون تصفّحه لمصادره، في وزن تصفّحه لموارده، ويكون لفظه مونقا، ولهول تلك المقامات معاودا" [45].

- **معايير تركيبيّة دلاليّة:** مرتبطة بتركيب الكلام من حيث ترتيب عناصرها أو تقديمها وتأخيرها أو حذفها وذكرها واعتماد الإعراب فيها والسّير على قوانين النّحو الموضوعة أصلا، إذ البلاغة تكمن في حسن التّأليف الخاضع لقوانين النّحويين وأحكام النّحو عامّة، لذلك نجد البلاغيين يحرصون على جودة السّبك وحسن التّأليف في الكلام لتتبين المقاصد للمتلقين، " لأنّ الأصل في الكلام القصد" [46]، والقصد ينطلق من الصّياغة التّركيبيّة السّليمة، وهو ما

عمل الجاحظ على توضيحه من خلال قوله:" يقولون أصاب الهدف إذا أصاب الحقّ في الجملة" [47]. فإصابة الحقّ في الجملة يكون من خلال تتبّع قوانين النّحو، وقوانين النّحو هي البلاغة ذاتها عند الجاحظ، يقول موضّحا:" جماع البلاغة التّماس حسن الموقع، والمعرفة بساعات القول، وقلّة الخرق بما التّبس من المعاني أو غمُض وبما شرد عليك من اللفظ أو تعذر" [48]، مضيفا أنّ حسن البيان في التّراكيب اللغويّة إنّما يعود إلى تواجد الألفاظ في مواقعها الصّحيحة من السّياق وإعطائها حقّها من الأماكن المقسومة لها. [49]وهي دعوة صريحة منه إلى ضرورة احترام قوانين النّحو وقواعده لأجل ضمان تحقيق بيان المعاني والمقاصد. فالدّراسات اللسانيّة والتّداوليّة الحديثة تؤكد أن ترتيب الكلام والسّير على قوانين النّحو الموضوعة قاعدة تخاطبيّة يضمن وصول المعنى إلى متلقيه، ويحترز من الالتّباس في المعنى. [50]

ب- **معايير اجتماعيّة تداوليّة:** هذه الأخيرة تتضمن العلاقات القائمة بين المتخاطبين أنفسهم من خلال المسافات الفاصلة بينهم كالمستوى الاجتماعي والثّقافي والسّن، فقد أوضح المهتمون بمجال تداوليّة اللغة بأنّ تحقيق التّواصل اللغوي وتحقيق الإقناع والتّأثير والفهم والإفهام والقصد مرهون بشروط تداول الخطاب، كون اللغة ابنة المجتمع منشئاً وتداولا أيضا. لذلك يربط الجاحظ البيان البلاغي بعناصر المجتمع ومستوياتهم الفكريّة وطبقاتهم الاجتماعيّة، لأنّ لكل واحدة خصوصيّة في البيان وآلياته المعتمدة وفق حالاتهم. يقولا مستوضحا أهميّة الأمر:" ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاما، ولكلٍّ حالةٍ من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات" [51]. فقوله هذا دليل صريح على ضرورة الأخذ بعين الاعتبار المقام أثناء التّخاطب لما له من تأثير على فهم المقاصد واستيعابها، والعمل على أخذ الحيطة والحذر في كلّ قول

بالنّظر إلى مقامات المخاطَبين. [52] فبيان المقاصد ووصول المعاني مرهون بعنصر التّكافؤ الاجتماعي، لذلك يحرص الجاحظ ويلحّ على مقامات التّواصل لما لها من دور كبير في نجاح الخطاب وتحقيق التّخاطب مضيفا قوله ليؤكّد به فكرته:" فإن كان الخطيب متكلّما تجنب ألفاظ المتكلّمين كما أنّه إن عبّر عن شيء من صناعة الكلام واصفا أو مجيبا أو سائلا، كان أولى الألفاظ به ألفاظ المتكلّمين، إذ كانوا لتلك العبارات أفهم، وإلى تلك الألفاظ أميل، وإليها أحن وبها أشغف، ... " [53]. ويؤكّد مرة أخرى أن مدار البلاغة هو قيامها على الفهم والإفهام اللذين يأخذان بعين الاعتبار الفروق الاجتماعيّة كعامل قوي على تخير الألفاظ لضمان إيصال المعاني وتحقيقها إذ " مدار الأمر على إفهام كلّ قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم أقدار منازلهم، وأن تواتيه آلاته، وتتصرّف معه أداته، ويكون في النّهمة لنفسه معتدلا، وفي حسن الظّن بها مقتصدا" [54].

فالاهتمام بالمقامات شرط من شروط التّداوليّة، وقد تنبه الجاحظ إلى أهميّة المقام قائلا" أوّل البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح قليل اللّحظ، متخيّر اللفظ، لا يكلم سيد الأمّة بكلام الأمّة ولا الملوك بكلام السّوقة، ويكون في فحواه فضل التّصرف في كلّ طبقة ولا يدقّق المعاني كلّ التّدقيق، ولا ينقح الألفاظ كلّ التّنقيح، ولا يصفيها كلّ التّصفيّة، ولا يهذبها غايّة التّهذيب، ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما أو فيلسوفا عليما" [55]

ج - **معايير متعلقة بالآليات الموظفة في الخطاب وأغراضه:** إنّ وجود اللفظ والمعنى ووجود البيان عن طريق مبدأي الفهم والإفهام غير كافٍ بالنّسبة للجاحظ، بل لابد من تكميل البيان عن طريق اعتماد آليات البيان كوسائل لتحقيق الأغراض المرجو تحقيقها من قبل المخاطِبين وذلك باعتماد ما يلي:

✓ **الحجج:** ترتبط البلاغة عند الجاحظ بالحجاج واعتماد الحجج التي تُسهم في بيان المقاصد وتعمل على التّأثير والإقناع في المتلقي، إذ البلاغة العربيّة

ذو طبيعة حجاجيّة في طرح القضايا أو الأفكار أو حتى القواعد كون البلاغة تعمل على إيصال المعاني وتبقي على جسر التّواصل بين الأطراف المتخاطبة. وعليه، تؤكّد الدّراسات اللسانية الحديثة" أن لا تواصل بلا حجاج كما أنّه لا حجاج بلا تواصل" [56]، وقد تنبه الجاحظ إلى أهميّة التّواصل الخطابي الذي يعتمد على البيان الحجاجي في استمالة الغير وإقناعهم والتّأثير فيهم حين أكّد أنّ من وجوه البلاغة الاحتجاج [57]، قائلا: "جماع البلاغة: البصر بالحجة والمعرفة بمواضع السّاعة" [58]. ومواضع السّاعة عنده مقترنة بالمعاني المراد تبليغها. لذا، انحصرت البلاغة عنده في" إصابة المعنى والقصد بالحجة". [59] فالبصر بالحجّة لا يكون إلاّ لأجل غايّة بيانيّة تواصليّة، لأنّ القصد بالحجة يزيد الخطاب قوّة وتأثيرا أكبر، وهو في نظره ما يحتاج إليه الخطيب والشّاعر والقاص ...

وعليه، فإنّ الحجاج تقنيّة خطابيّة تستهدف بيان المقاصد، الأمر الذي جعل الدّارسين يعدونه بمفهومه العام بأنّه "دراسة تقنيّة الخطاب، المؤدّية إلى تسليم العقول بما يطرح عليها من مسائل" [60]

فالحجج شرط أساسي من شروط تحقّق الخطاب ونجاحه، لأنّ متانة الحجة تعمل على إقناع الآخرين واستمالتّهم من جهة وتحقيق الغرض والمنفعة من جهة أخرى وهي الفهم والإفهام. ولكي يوضح الجاحظ قيمة الحجاج البلاغي وما له من تأثير واضح على تبليغ المعاني ووصول المقاصد وقف في العديد من صفحات كتابه على نماذج عينيّة كحجج وبراهين على صحة البيان وجودة السّبك نذكر على سبيل المثال(**باب في حسن البيان**) [61]، كدليل وبرهان قاطع على صحة البيان.

ويؤكّد الدّكتور "جميل حمداوي" أنّ للخطاب صفة حجاجيّة تعد من بنيّة اللغة ذاتها وجزء مهم من هذه البنيّة، كونها تسمح بفهم منطق اللغة وقواعدها أيضا [62]، ومن ثمّة تصبح" الفعاليّة الحجاجيّة صفة لكل خطاب طبيعي" [63]

وقد أدرك الجاحظ هذا منذ زمن بعيد ما جعله يوضح مكامن البيان وتجلياته ومميّزاته في الشّعر والخطابة والقصّة .. وغيرها. حتى يوضّح أنّ مكمن البلاغة وسرّها في بيانها، وبيانها في قوّة ما يعتمده الخطيب أو الشّاعر من حجج كوسائل على البيان ووضوح الأفكار أو المشاعر. وتحقيقا لهذه الغايّة قد يقع الحجاج في مستويات عدّة من التّركيب هي: الكلمة والتّركيب والصّورة. [64] ما جعل الجاحظ يقف عند صفات المحاجج في الإقناع والتّأثير، نذكر على سبيل المثال ما ذكره في صفات الخطيب، قوله: " أوّل البلاغة اجتماع آلة البلاغة. وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخير اللفظ .... وقد نظر في صناعة المنطق من جهة الصّناعة والمبالغة لا على جهة الاعتراض والتّصفح، ولا على وجه الاستطراف والتّطرف" [65].

✓ **الإيجاز**: يُعرف الإيجاز على أنّه "أداء المقصود بأقل من العبارة المتعارفة " [66]، فالإيجاز يحقق القول البليغ ويبين عن المقاصد، وقد تنبه العرب القدامى إلى أهمّيته في إيصال المعاني فجعلوه خاصيّة من خصائص خطاباتهم في التّبليغ عنها، لذلك تكمن البلاغة عند الجاحظ من خلال وجوهها المختلفة في الإيجاز. يقول موضّحا من خلال قول معاويّة بن أبي سفيان لصُحار بن عياش العبدي:" ما تعدون البلاغة فيكم؟ قال: الإيجاز، قال له معاويّة: وما الإيجاز؟ قال صُحار: أن تجيب فلا تبطئ وتقول فلا تخطئ" [67]، إذ من قواعد التّخاطب الحرص على الكلام بإيجاز حتى تكون الفائدة للمخاطَب على قدر الحاجة. [68] فوقف الجاحظ على نماذج مختلفة من المعاني الظّاهرة باللفظ الموجز من ملتقطات كلام النّاس ذاكرا ما قالوا من الحديث الحسن الموجز. [69]

✓ **التّصوير الفنّي**: يتحقّق للمعاني بيانها عن طريق التّصوير الفني من استعارة وكنايّة وتشبيه، حيث يؤكّد الجاحظ أنّ الصّور البيانيّة لها من البيان ما لا يكون في الحقيقة، ويظهر ذلك من خلال قوله:" ومن مواضع البصر بالحجّة والمعرفة بمواضع الفرصة، أن تدع الإفصاح بها إلى الكنايّة عنها، إذا

كان الإفصاح أوعر طريقة، وربما كان الإضراب عنها صفحا أبلغ في الدّرك وأحقّ بالظّفر" [70].

وقد ربط الجاحظ التّصوير أكثر بالشّعر في حديثه عن طرائق نقل المعنى بالألفاظ قائلا:"..... فإنّما الشّعر صناعة، وضرب من النّسيج وجنس من التّصوير" [71]، ونجد له بعض النّماذج من الصّور البيانيّة التي تؤكّد مكامن البيان ووجوه الدّلالة في نقل المعاني وتصويرها، منه قوله:" سل الأرض فقل: من شقّ أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك، فإن لم تجبك حوارا، أجابتك اعتبارا" [72] موضّحا من خلال هذه الصّورة البيانيّة أنّ حسن البيان من حسن إصابة الدّلالة، والدّلالة تكون في الظّاهر النّاطق وفي غير النّاطق لأنّها نصبة لذلك يؤكّد أنّه" متى دلّ الشّيء على معنى فقد أخبر به وإن كان صامتا" [73].

ويلخص الجاحظ هذه المعايير مجتمعة ناصحا من خلال قوله:" فكن في ثلاثة منازل: فإنّ أولى هذه الثّلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا، وفخما سهلا، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا، إمّا عند الخاصّة إن كنت للخاصّة قصدت، وإمّا عند العامّة إن كنت للعامّة أردت، وكذلك ليس يتّضع بأن يكون من معاني العامّة، وإنّما مدار الشّرف والصّواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال وما يجب لكلّ مقام من المقال" [74]

خلاصة القول: إنّ معايير الخطاب والتّخاطب البلاغي عند الجاحظ قوامها البيان في المقاصد لفظا ومعنى، وحصول البيان عنده يبدأ من المستوى الأوّل للغة وهو الصّوت، ثمّ اللفظ والمعنى والتّركيب الواقع في مختلف فنون الأدب من خطابة ورسائل وشعر ووصايا، إذ بلاغة هذه الفنون الأدبيّة وبيانها وفصاحتها يكمن في طرائق بيانها.

لذلك، فإنّ معايير الخطاب والتّخاطب البلاغي عند الجاحظ تتجلّى، من حيث إنّ مواضيع البلاغة تكمن في الخطابة والشّعر والرّسائل والنّوادر... وغيرها.

في معيار أساسي وهو "**البيان**"، حيث يرتبط بالخطاب من حيث كميّة الأخبار وطريقة نقل الأخبار وبعلاقته بالمقامات ومقتضيات الأحوال.

وعليه، فإنّ البيان عنده هو الآخر يتصوّره بحاجة إلى " تمييز وسياسة والى ترتيب ورياضة، والى تمام الآلة وإحكام الصّنعة، والى سهولة المخرج وجهارة المنطق، وتكميل الحروف وإقامة الوزن، وإنّ حاجة المنطق إلى الحلاوة كحاجته إلى الجزالة والفخامة" [75]، لذلك يحتكم البيان عند الجاحظ لشروط ومعايير تداوليّة بالدّرجة الأولى، حيث يرتبط البيان بالخطاب داخليا وخارجيا ليحقق مبدأ الفهم والإفهام ووصول المعنى إلى المتلقي. فنجاح الخطاب البلاغي مرهون بمدى البيان فيه، وتحقّق البيان كذلك مرهون بمدى إتّباع شروط التّخاطب الذي يهدف إلى تحقيق المنفعة والفهم والإفهام. لذا فإنّ فكر الجاحظ في كتابه "**البيان والتّبيين**" فكر لساني تداولي خاضع لأسس ومعايير تداوليّة تحقّق بيان المقاصد للمتكلّمين على أكمل وجه وأبلغ صورة.

الهوامش والإحالات:

[1] - شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط6، ص:9 وما بعدها [1]

[2] - المرجع نفسه، ص:32- 33

[3] - ينظر أرسطو طاليس، فن الشّعر، ترجمة وتقديم: إبراهيم حمادة، مكتبة الانجلو مصريّة د.ت، د.ط، ص: 24 وما بعدها

[4] - ينظر أرسطو طاليس، فن الخطابة، تحقيق: عبد الرّحمن بدوي، دار القلم، بيروت لبنان 1979، ص:16 وما بعدها

[5] - عبد الرّحمن حسن حنبة الميداني، البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم بيروت، ط1،1416ه/1996، ج1، ص:11 بتصرف

[6] - ينظر أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، الدّار البيضاء، المغرب، ط1 1426ه/2006 ص:14

[7] - أبو هلال العسكري، الصّناعتين: الكتابة والشّعر، تحقيق: علي محمّد البجاوي، محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، ط1، 1371ه/1952، ص:4 وما بعدها

[8] - ابن خلدون عبد الرّحمن، المقدّمة (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم ذوي الشّأن الأكبر)، ضبط المتن: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر بيروت، لبنان، ج1، 1431ه/2001، ص:763

[9] - الجاحظ أبو عثمان بحر بن عمرو، البيان والتّبيين، القاهرة، ط7 1418ه/1998،ج1،ص:7

[10] - المصدر نفسه، ج1، ص: 116/115

[11] - المصدر نفسه، ص:88

[12] - المصدر نفسه، ص:75 - 76

[13] - المصدر نفسه، ص:76

[14] - المصدر نفسه، ج1، ص:75 بتصرف

[15] - أبو هلال العسكري، الصّناعتين، ص:7

[16] - السّكاكي أبو يعقوب مفتاح العلوم، تعليق: نعيم زرزو، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان ط2 ،1407ه/1987، ص:416

[17] - المصدر نفسه، ص:416

[18] - الجرجاني الشّريف، التّعريفات،تحقيق: محمّد الصّديق المنشاوي،دار الفضيلة،،ص:141

[19] - المصدر نفسه، ص:43

[20] - عمر أوكان، اللغة والخطاب، دار إفريقيا الشّرق، بيروت، لبنان، 2001، ص:36

[21] - حمو الحاج ذهبيّة، لسانيات التّلفظ وتداوليّة الخطاب، دار الأمل، تيزي وزو ط2،2012، ص:190 وحمو الحاج ذهبيّة، التّداوليّة واستراتيجيات التّواصل، رؤيّة للنشر والتّوزيع، ط1، 2015، ص:260

[22] - لتفاصيل أوفى حول الوظائف ينظر عزوز أحمد، المدارس اللسانيّة، دار ال الرّضوان وهران، الجزائر، ط2، ص: 145و بومزبر الطّاهر بن حسين، التّواصل اللساني والشّعريّة الدّار العربيّة، بيروت، لبنان، ط1،2007

[23] - ينظر احمد المتوكل، الخطاب الموسّط: مقاربة وظيفيّة موحدة لتحليل النّصوص والتّرجمة وتعليم اللغات، دار الأمان، الرّباط، ص:15

[24] - ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمّد علي النّجار، المكتبة العلميّة، د.ت د.ط،ج1،ص:33

[25] - الجاحظ، البيان والتّبيين، ج1، ص:79

[26] - ينظر أندري مارتيني، مبادئ في اللسانيات العامة، سلسلة العلوم والمعرفة، دار الأفاق ص:18

[27] - ينظر أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، الإمارات العربيّة المتحدة، ط1- 2007/ط2- 2013، ص: 190 وما بعدها

[28] - ينظر المرجع نفسه،ص: 161 وما بعدها

[29] - الجاحظ، البيان والتّبيين، ص:76

[30] - أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، مكتبة لسان العرب، عالم الكتب، ط5، 1998 ص:34

[31] - أحمد عبد المجيد هريدي، الألعاب الكلاميّة اللسانيّة، دراسة صوتيّة تركيبيّة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1،1420ه/1999، ص:65 وما بعدها

[32] - الجاحظ، البيان والتّبيين، ج1، ص:24

[33] - F. DE SAUSSURE.. COURS DE LINGUISTIQUE GENERALE .ED : PAYOT ;PARIS 1978 ;P :9_

[34] - الجاحظ، البيان والتّبيين، ص:114

[35] - المصدر نفسه، ج1، ص:113

[36] - ينظر شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص:9 وما بعدها

[37] - الجاحظ، البيان والتّبيين، ص:76

[38] - الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، ط2، 1384ه/1965، ص:131- 132

[39] - ينظر الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، وضع الحواشي: إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنانط1،1424ه/2003 ص:13 وما بعدها

[40] - الجاحظ، البيان والتّبيين، ص:113

[41]- المصدر نفسه، ص:144

[42]- المصدر نفسه، ص:115

[43]- المصدر نفسه، ص:116

[44]- المصدر نفسه، ص:135- 136 بتصرف

[45]- المصدر نفسه، ص:92

[46]- طه عبد الرّحمن، اللسان والميزان أو التّكوثر العقلي، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط2،2002، ص:103

[47]- البيان والتّبيين، ص:147

[48]- المصدر نفسه، ص:88

[49]- المصدر نفسه، ص:138

[50]- ينظر طه عبد الرّحمن، اللسان والميزان، ص:239

[51]- الجاحظ، البيان والتّبيين، ج1، ص:138- 139

[52]- ينظر جاك موشلر وآن ريبول، القاموس الموسوعي في التّداوليّة، ترجمة : مجموعة من الباحثين، اشراف: عز الدّين المجدوب، مراجعة: خالدّ ميلاد، دار سيناترا تونس،2010،ص:230

[53]- الجاحظ، البيان والتّبيي ن، ص:139

[54]- المصدر نفسه، ص:93

[55]- المصدر نفسه، ص:92

[56]- طه عبد الرّحمن، التّواصل والحجاج، مطبعة المعارف الجديدة، الرّباط، سلسلة الدّروس الافتتاحيّة، الدّرس 10، ص:5

[57]- الجاحظ، البيان والتّبيين، ص:116

[58]- المصدر نفسه، ج1، ص:116/115

[59]- المصدر نفسه، ص:88

[60]- عبد الله صولة، في نظريّة الحجاج: دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر تونس ط1،2011، ص:13

[61]- البيان والتّبيين، ص:212

[62]- ينظر جميل الحمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، دار إفريقيا الشّرق المغرب،2014، ص:10

[63]- طه عبد الرّحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثّقافي العربي، الرّباط المغرب، ط2،2002، ص:65

[64]- صابر الحباشة، التّداوليّة والحجاج: مداخل ونصوص سوريا، دمشق، ط1،2008 ص:52

[65]- البيان والتّبيين، ص:92 بتصرف

[66]- الجرجاني الشّريف، التّعريفات، ص:38

[67]- البيان والتّبيين، ص:96

[68]- ينظر طه عبد الرّحمن، اللسان والميزان، ص: 238وما بعدها

[69]- ينظر الجاحظ، البيان والتّبيين، ص:210 و287

[70]- البيان والتّبيين، ص:88

[71]- الجاحظ، الحيوان، ص:131- 132

[72]- البيان والتّبيين، ص:81

[73]- المصدر نفسه، الصّفحة نفسها

[74]- المصدر نفسه، ج1، ص:136

[75]- المصدر نفسه،ص:14

مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 22 العدد: 50 السّنة: الثّلاثيّ الثّاني 2020 ص: 351 - 366

تحقّق العتبة العلميّة النحويّة لدى الطّالب الجامعي قراءة فيما قبل المرحلة الجامعيّة

Achieve the scientific Grammatical threshold of the university student Pre-university reading

قلبــازة يوسف[1]

تاريخ الإرسال: 08 03 2019 تاريخ القبول: 12 03 2019

ملخّص: لقد ظلت تعليميّة النّحو وحل إشكالاته مطلبا عزيزا لدى الباحثين، إذ عكف هؤلاء على جهود النّحاة قراءة وتدريسا، حتىّ اتسعت النّظرة إلى ذلك بالبسط والتّعليق ولأجل ذلك ظهرت محاولات وجهود نحويّة قدّمت اقتراحات كثيرة لمعالجة المشكلات النّحويّة التّعليميّة الجامعيّة، وفي هذا الإطار تعرض الباحث لنقطة هامة سابقة للدراسة الجامعيّة وهي ما قبل الجامعة تحديدا المرحلة الثّانويّة لعدة اعتبارات تعرض لها الباحث متعرضا إلى محتوى المادة المدروسة في المرحلة الثّانويّة ليقارن بينها وبين ما يدرس في المرحلة الجامعيّة في السّنة الأولى منها، محاولا إدراك مدى قدرة الطّالب على تحقيق عتبة نحويّة علميّة يواصل ويحسن بها المستوى التّعليمي الجامعي باعتباره محور العمليّة التّعليميّة، فكانت هذه الدّراسة مجيبة عن إشكاليّة مهمة ووهي ما مدى تحقيق الطّالب للعتبة النّحويّة المطلوبة؟

الكلمات المفتاحيّة: العتبة النّحويّة، النّحو، الصّرف، تعليميّة النّحو.

[1] جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، البريد الإلكتروني: Taharti82@gmail.com

Abstract: The study of grammar and solving its problems has been a cherished demand for researchers. They have been working on the efforts of female teachers to read and study. This has become apparent in terms of simplification and comment. For this reason, attempts and grammatical efforts have been made. Pre-university study, namely pre-university, especially the secondary stage of several considerations presented to the researcher, subject to the content of the material studied in the secondary stage to compare them with what is taught in the undergraduate year in the first year, trying to recognize the extent of the student's ability to achieve A scientific grammatical threshold that continues and improves the level of university education as the focus of the educational process. This study was an answer to an important problem. What is the extent to which the student achieves the required grammatical threshold?

Keywords: grammatical threshold, grammar, syntax, Educational grammar.

1- **مقدّمة:** يعد النّحو العربي علما مرموقا بل أرقى علوم العربيّة، وذلك لدوره الواضح في حفظ المعنى من فوضى المقاصد، وتحريفات التّأويل حيث أن قوانينه ضبطت بأساليب علميّة رصينة وسليمة ولا مطعن فيها، وحدّدت موارده اعتمادا على صحة الرّوايّة سماعاً، وسلامة التّمثيل قياساً، ومسايرة لما درج عليه العرب استصحاباً لأصل ذلك. لذا فقد كان " للنحو دورٌ وظيفيٌ هامٌ في تاريخ نشأة الدّراسات العربيّة اللغويّة منها والشّرعيّة على السّواء، إذ شارك الفقهاء والعلماء والشّعراء أعمالهم" [1]، ولما كان النّحو بهذه الأهميّة، ونظرا لما يلحظه المبصر من تدني مستواه في أوساط طلاب اللغة العربيّة في المرحلة الجامعيّة المعتمدة أساسا على المعارف والكفاءات المحصلة في المرحلة الثّانويّة، وعلى اعتبار

أقطاب الفعل التّعلمي التّعليمي، كان البرنامج أحد هذه الأقطاب، ارتأينا قراءة في هذا البرنامج لنرى مدى تحقيقه للعتبة النّحويّة الدّنيا التي يفترض في طالب اللغة تحصيلها، وفق منهج معياري في دراسة اللغة، لينتقل في دراسته الجامعيّة إلى المنهج الوصفي للغة، الذي تكثر فيه شواذ القواعد التي بنى عليها الطّالب معارفه، وعلى ذلك انتهجنا منهجا تحليليا في الدّراسة كضرورة طبيعيّة، ومؤديّة إلى المقصود

1 - **واقع تعليميّة النّحو:** وإذا ما عرجنا على واقع تدريس هذا العلم في جامعتنا ومدى تحققه في العمليّة التّواصليّة ككل، نجد كثيرا من الطّلبة يشتكون من صعوبته أو كما يبدو للدارس من خلال أحاديثهم سواء في قاعات الدّرس أم خارجها،

فلا يكاد يشرع أحدهم في مناقشة قضيّة لغويّة ما، حتى تسرع إلى لسانه الرّطانة واللحن فضلا عن استخدام الدّارج على الالسّنة، فلا يقيم للقواعد النّحويّة رأسا رغم معرفته لها ولا شك أن لذلك أسبابا كثيرة أسهمت في إيجاد خلق هذه الأزمة في الجانب التّعليمي وفي إيجاد هوة بين الجانب المعرفي والجانب التّطبيقي الوظيفي،

2- **وظيفيّة النّحو ودوره في التّواصل:** إن الجانب الوظيفي هو الذي تركز عليه "تعليميّة اللغات وتسعى من خلاله المقاربات الحديثة لردم هذه الهوة وتحقيق كفاءة تواصليّة لدى المتعلم لأي لغة " [2] وللغة العربيّة بشكل خاص ممثلة في " النّحو العلمي الذي يوفر معلومات واضحة ودقيقة إذ بها يستطيع المتعلم أن يدرك النّظام الدّاخلي للغة التي هي موضوع التّعليم والتّعلم إضافة إلى اعتماد اللغة الاصطلاحيّة التي وضعها أهل التّنظير" [3] لتضمنها ضوابط معياريّة، هذه الكفاءة هي «قدرة لغويّة تترجم معرفة الفرد بقواعد استعمال اللغة في سياق اجتماعي قصد أداء نوايا تواصليّة معينة حسب مقام وأدوار

محددة. وهي كذلك كفاءة فهم وإنتاج اللغة في وضعيات تواصليّة، ومن أجل التّواصل باللغة وتقوم على ثلاثة مكونات أساسيّة هي:

- مكون لساني: يتجلى في اكتساب المتعلم للنماذج الصّوتيّة والمعجميّة والتّركيبيّة والنّصيّة الخاصة بنظام اللغة.

- مكون مقالي: يتجلى في اكتساب المتعلم للقدرة على توظيف مستويات مختلفة من الخطاب وفق وضعيات التّواصل.

- مكون مرجعي يكمن في إدراك المتعلم الضّوابط والمعايير التي تحكم التّفاعل الاجتماعي بين الأفراد حسب ثقافتهم» [4].

لذا يتضح من خلال هذا التّعريف أن الكفاءة التّواصليّة تمكن الفرد من التّواصل في وضعيات مختلفة ويتم ذلك عن طريق ثلاث قدرات: " قدرة نحويّة: ترتبط بمعرفة المتعلم ببنيات اللغة ثم قدرة سوسيولسانيّة: تتجلى في معرفة المتعلم بما هو مقبول عند الاستعمال للغة من طرف جماعة لغويّة ثم أخيرا قدرة استراتيجيّة: تتعلق باستعمال اللغة من أجل بلوغ أهداف معينة" [5]، بمعنى نفعيّة اللغة أو"براغماتيّة اللغة ".

1. وعليه فإن أي كفاءة تواصليّة تعتمد ابتداءً على تحقيق القدرة النّحويّة التي تتحقق بتحقيق بنيات اللغة والتي يصير النّحو فيها رابطها وأساسها، وبما أننا نتطرق إلى إشكاليّة تعليميّة النّحو في المرحلة الجامعيّة والمستهدف بها الطّالب الذي تجاوز المرحلة الثّانويّة، يجدر بنا تحديد أهم العقبات أمام تعليميّة النّحو.

2 - 1 عقبات تعليميّة النّحو: إستنادا على بعض الدّراسات الميدانيّة السّابقة والمعتمدة على استبيانات،" نجد أنها حصرت المشكل في ثلاث نُقاط كبرى :1- في الطّالب 2- في الأستاذ 3- في المنهج" [6] - وهي نُقاط يقتضيها المنطق حين سبره للمشكلة- فأما الطّالب وهو الأهم في هذه العمليّة، إذ كفاءته هي مؤشر

تحقيق الهدف، فعمليّة تعليمه النّحو إنما هي امتداد لعمليّة تعليميّة مستمرة من مراحله الابتدائيّة فالمتوسطة فالثّانويّة، وكل مرحلة من هذه المراحل لها ملمح تخرج معنون في كفاءة ختاميّة.

فالعمليّة التّعليميّة إنما هي عمليّة تراكميّة قد تكون المرحلة الجامعيّة نهايّة المطاف التّعليمي، لذا كان من المناسب التّطرق لما قبل هذه المرحلة والتي هي المرحلة الثّانويّة لأسباب كثيرة منها :- أن المرحلة الثّانويّة هي همزة وصل بين المراحل الأولى من التّعليم والمرحلة الجامعيّة المقصودة بالدّراسة، وكذلك باعتبار مرحلة العمر التي يكون فيها المتعلم فهي مرحلة من النّضج والإدراك يستطيع عقله مقارنة الظّواهر وتحليلها واستنتاج قواعدها العامة الضّابطة لها ومنها أن المقاربة النّصيّة المعتمدة في المنهاج الدّراسي تبدو واضحة المعالم، حيث أن تدريس القواعد النّحويّة عدّت في مناهج التّعليم الثّانوي على :" أنها نشاط عملي يتمشى مع مبادئ المقاربة بالكفاءات وتجسيدا لوظيفة هذا النّشاط، فإنه يدرس من دراسة النّص الأدبي بشكل لا يشعر فيه المتعلم بأنه يتلقّى أحكام النّشاط مفصولة عن دراسة النّصّ، وبهذا الأسلوب تتحقّق جملة من الأهداف:

- تدفع التّلاميذ إلى التّفكير وإدراك الفروق الدّقيقة بين التّراكيب والعبارات والجمل والأفكار؛

- تنظم معلومات التّلاميذ اللغويّة تنظيما يسهل عليهم الانتفاع بها ويمكنهم من نقد الأساليب والعبارات نقدا يبيّن لهم وجه الغموض وأسباب القوّة والرّكاكة في هذه الأساليب؛

- تساعدهم على دقة الملاحظة والموازنة والحكم، وتكوّن في نفوسهم الذّوق الأدبي لأن من وظيفتها تحليل الألفاظ والعبارات والأساليب، والتّمييز بين صوابها وخطئها، ومراعاة العلاقات بين التّراكيب ومعانيها والبحث فيما طرأ عليها من تغيير؛

- تمدّهم بتدريبات شفويّة تكون على أسس منظمة من المحاكاة والتّكرار حتىّ ترسخ الحقائق النّحويّة وتتكوّن العادة اللغويّة الصّحيحة وتحل محل النّطق المغلوط؛

- تزيل ما علق في أذهان المتعلمين من أنّ قواعد النّحو صعبة، لأنها عبارة عن الأحكام العمليّة ذات الصّلة بلغتهم المنطوقة والمكتوبة" [7].

وبالنّظر إلى الأهداف المرجوة والكفاءات المستهدفة من تعليميّة النّحو في المرحلة الثّانويّة والتي إن تحققت في الطّالب تكون قد أمدته بعتبة علميّة نحويّة تمكنه من مسايرة ومتابعة المرحلة الجامعيّة، وعليه فهل ما قُرِّر تدريسه من قواعد النّحو يفي بهذه الأهداف؟ وهل يمكن الطّالب من ربط المعلومات ربطا اقتضائيا مسايرا للمرحلة القادمة من تعليمه الجامعي؟.

3- معاينة لدروس النّحو العربي في المرحلة الثّانويّة:

1- السّنة الأولى الثّانوي:

دروس النّحو: جذع مشترك علوم وتكنولوجيا		دروس النّحو: جذع مشترك آداب	
4- في المرفوعات:	في المنصوبات:	في المرفوعات:	في المنصوبات:-
5- المبتدأ والخبر وأنواعهما	- المفاعيل:	- المبتدأ والخبر وأنواعهما	المفاعيل:-
6- كان وأخواتها	17- المفعول المطلق	- كان وأخواتها	المفعول به -24
7- "لا" النّافيّة للجنس	18- المفعول لأجله	- الأحرف المشبهة بالفعل	المفعول المطلق
8- في الفعل:	19- التّمييز	21- كان وأخواتها	25- المفعول لأجله
9- رفع الفعل المضارع ونصبه	20- الحال	22- "لا" النّافيّة للجنس	26- التّمييز
10- جزم الفعل المضارع	- المنادى	23- التّوابع:	27- الحال
	- الإعراب والبناء:		- المنادى

11- بناء فعل الأمر	- بناء الفعل الماضي	- النّعت بنوعيه	
12- في الأسماء:	- بناء الفعل المضارع	- البدل	
13- اسم الإشارة.	- بناء فعل الأمر	- التّوكيد	
14- اسم الموصول.			
15- اسم الاستفهام.			
16- أسماء الشّرط			

ب- قواعد الصّرف : السّنة الأولى الثّانويّة:

قواعد الصّرف: جذع مشترك علوم	قواعد الصّرف : جذع مشترك آداب	
أسماء الإشارة: تصريف	28- الفعل ودلالتّه الزّمنيّة	- الصّفة المشبهة
أسماء الموصول: تصريف	29- الفعل المحرد والمزيد ومعاني حروف الزّيادة	- اسما المكان والزّمان واسم الآلة
	30- اسم الفاعل وصيغ المبالغة	- الممنوع من الصّرف
	31- اسم المفعول	- العدد الأصلي والعدد التّرتيبي

2- السّنة الثّانيّة الثّانويّة: أ- قواعد النّحو:

قواعد النّحو: ش. آداب وفلسفة	قواعد النّحو: ش. آداب ولغات	قواعد النّحو: الشّعب العلميّة
32- البناء والإعراب في الأسماء والأفعال	49- البناء والإعراب في الأسماء والأفعال	61- أفعال التّعجب
33- أفعال المدح والذّم	50- أفعال المدح والذّم	62- التّحذير والإغراء
34- الاختصاص	51- الاختصاص	63- "لا" النّافيّة للجنس
35- التّعجب	52- التّعجب	64- الاختصاص

36- النّسبة	53- النّسبة	65- جواز/ وجوب / امتناع تأنيث العامل للفاعل
37- الإغراء والتّحذير	54- الإغراء والتّحذير	66- أفعال المدح والذّم
38- أحرف التّنبيه والاستفتاح	55- أحرف التّنبيه والاستفتاح	
39- الأحرف المشبهة بليس	56- اسم الفعل وأنواعه	
40- الاستغاثة والنّدبة	57- التّوابع : النّعت / البدل/ التّوكيد	
41- التّرخيم	58- الأحرف المشبهة بليس	
42- الاشتغال	59- جواز / وجوب / امتناع تأنيث العامل للفاعل	
43- التّنازع	60- عوامل المفعول الظّاهرة	
44- تخفيف إنّ، إنّ، كأنّ		
45- مواضع فتح وكسر همزة إنّ		
46- مواضع وجوب اقتران الخبر بالفاء		
47- خصائص كان وليس		
48- أحرف العرض والتّحضيض		

ب- قواعد الصّرف: السّنة الثّانيّة الثّانويّة:

شعبة آداب وفلسفة	شعبة آداب ولغات أجنبيّة	شعب علميّة
67- المصدر وأنواعه	72- المصدر وأنواعه	77- أوزان المبالغة
68- أوزان المصدر الأصلي (الفعل الثّلاثي)	73- أوزان المصدر الأصلي (الفعل الثّلاثي)	78- التّصغير
69- مصادر الفعل غير الثّلاثي	74- مصادر الفعل غير الثّلاثي	
70- المصدر الدّال على المرة والهيئة	75- المصدر الدّال على المرة والهيئة	
71- الإعلال والإبدال	76- الإعلال والإبدال	

3- السّنة الثّالثّة الثّانويّة: أ- قواعد النّحو:

شعبة آداب وفلسفة	شعبة آداب ولغات أجنبيّة	شعب علميّة
79- الإعراب اللفظي والتّقديري	97- الإعراب اللفظي والتّقديري	111- الخبر وانواعه
80- إعراب معتل الآخر	98- إعراب معتل الآخر	112- إعراب إذ، إذا، إذن
81- معاني حروف الجر	99- معاني حروف الجر	113- الجمل التي لها محل من الإعراب
82- معاني حروف العطف	100- معاني حروف العطف	114- الجمل التي لا محل لها من الإعراب
83- المضاف إلى ياء المتكلم	101- المضاف إلى ياء المتكلم	115- الحال والتّمييز
84- نون الوقايّة	102- نون الوقايّة	116- البدل وعطف البيان
85- إعراب: إذ، حينئذ، إذا، إذن، إذاً	103- إعراب: إذ، حينئذ، إذا، إذن، إذاً	117- إعراب لو، لولا، لوما
86- الجمل التي لها	104- الجمل التي لها	118- إعراب المتعدي إلى أكثر من مفعول.

محل من الإعراب. 87- الجمل التي لا محل لها من الإعراب. 88- إعراب المسند والمسند إليه 89- التّمييز والحال 90- الفضلة وإعرابها 91- البدل وعطف البيان 92- إعراب لو، لولا، لوما، 93- إعراب أماّ، إماّ 94- معاني الأحرف المشبهة بالفعل 95- إعراب أي، إي، أيّ 96- إعراب كم ،كأين، كذا	محل من الإعراب. 105- الجمل التي لا محل لها من الإعراب. 106- التّمييز والحال 107- البدل وعطف البيان 108- إعراب لو، لولا، لوما، 109- معاني الأحرف المشبهة بالفعل 110- إعراب المتعدي إلى أكثر من مفعول.	

ب- قواعد الصّرف:

شعبة آداب وفلسفة	شعبة آداب ولغات أجنبيّة	شعب علميّة
119- صيغ منتهى الجموع 120- جموع القلة 121- اسم الجنس الإفرادي والجمعي واسم الجمع 122- نونا التّوكيد مع الأفعال	123- الهمزة المزيدة في أول الفعل الأمر	

بعد هذا العرض التّفصيلي لبرنامج النّحو والصّرف للسنوات الثّانويّة وفق المقرر الجديد المعتمد في منظومتنا التّربويّة، نحاول تحليل هذا البرنامج وننظر في بعض مفردات البرنامج في السّنة الأولى الجامعيّة لنرى هل هناك استمرار لتراكميّة العلوم أم لا؟.

عند عرض لبعض مفردات المنهاج الجامعي في النّحو والصّرف، كما هو مبرمج في سنوات السّنة الأولى في محاضرات أو حصص التّطبيق نجد : أ- **مادة النّحو**

1- مدخل إلى النّحو العربي النّشأة والتّقعيد: ويبحث فيه تاريخ تدوين هذا العلم وطرق تقعيده؛

الإسناد في الجملة الإسميّة: ويبحث فيها أحوال المبتدأ والخبر

2- والعامل في المبتدأ وأنواع المبتدأ ومسوغات الابتداء بالنّكرة والرّوابط في الجملة الإسميّة نواسخ الجملة الاسميّة؛

3- الجمل الفعليّة ومكوناتها وأنواع الفاعل والعوامل في الجمل الفعليّة

4- المنصوبات من مفاعيل، أحوال، تمييز؛

5- التّوابع وأنواعها [8] وهكذا في سلسلة من الدّروس التّطبيقيّة المتحفة ببحوث يجريها الطّلبة في الغالب.

ب- مادة الصّرف:

1- الصّرف، الميزان الصّرفي وقواعده وكيفيّة الوزن والاعتبارات التي تدخل عليه؛

2- القلب و الحذف وأثرهما في الميزان الصّرفي؛

3- الفعل من حيث الصّحة والإعتلال؛

4- المجرد والمزيد، مفاهيم، المجرد الثّلاثي المجرد الرّباعي، مزيد الثّلاثي مزيد الرّباعي؛

5- معاني أحرف الزّيادة؛

6- المشتقات/ اسم الفاعل، عمله، صيغ المبالغة صوغها، عملها؛

7- إسناد الأفعال(المضعف، المعتل، المثال) إلى الضّمائر؛

8- إسناد الأفعال(الأجوف، النّاقص، اللفيف) إلى الضّمائر؛

9- توكيد الفعل بالنّون وإسناده إلى الضّمائر. وهذه وفق البرنامج المقترح من طرف وزارة التّعليم العالي في دروس (ل م د) تتحقق في دروس نظريّة وحصص تطبيقيّة مثبتة لهذه القواعد.

وعودا على البرنامج الثّانوي نجد أن المواضيع المتعرض لها تشمل: الإعراب والبناء / النّكرة والمعرفة /أسماء الإشارة / الاسم الموصول/ الابتداء/كان وأخواتها/ المشبهات بليس/أفعال المقاربة /إنّ وأخواتها/لا النّافيّة للجنس/ ظن وأخواتها/ الفاعل ونائبه/ اشتغال العامل، هذا فضلا عن أبواب الصّرف من الميزان الصّرفي إلى المجرد والمزيد فأسماء الزّمان والمكان ... [9]وهكذا وفق ترتيب ألفيّة ابن مالك، بمعنى أغلب أبواب ألفيّة ابن مالك متعرض لها في المراحل الثّانويّة بله ترتيب الألفيّة نفسها في عرض البرنامج، وفق مقاربة نصيّة يفترض فيها أن لا تفصل القواعد عن النّصوص مما يسهّل تناولها وتطبيقها ويزيد في ترسيخها، علما أن النّحو الذي يدرسه الأساتذة في المرحلة الثّانويّة إنما هو نحو وظيفي معياري بالدّرجة الأولى ولا يتعرض لوصفيّة اللغة هذا في الجانب المعرفي النّظري لكن في الجانب العملي النّطقي يَعجِز كثير من الطّلبة عن تجاوز الأخطاء النّحويّة الكثيرة في تعبيرهم كما هو ملاحظٌ ومعاينٌ بسبب اختلاف اللغة المنطوقة في حياة النّاس العاديّة عن اللغة المكتوبة، واعتيادهم على اللغة المنطوقة، فيَنشأ "اللحن" في اللغة حين يريدون التّحدث أو الكتابة بالعربيّة الفصيحة لكن هذا لا يبرر الضّعف و عدم الفاعليّة في تحصيل "ملَكة" إتقان العربيّة، خاصة للمتخصص ، وعليه فإن الطّالب الدّارس للغة العربيّة، يكون قد

تعرض في مرحلته الثّانويّة إلى أغلب أبواب النّحو المدرجة في ألفيّة ابن مالك والتي تمثل القالب المعياري الأخير للنحو العربي وما يدرسه في المرحلة الجامعيّة إنما هو تكرار وتوسّع وعودة إلى وصفيّة اللغة بالتّعرض لتشعب التّفاصيل في القاعدة الواحدة.

لذا نرى أن أيّ خلل في تعليميّة النّحو راجعٌ بالأساس إلى الطّالب نفسه قبل أن يكون في الأستاذ أو في المنهج، لأن الطّالب هو محور العمليّة التّعلميّة في المرحلة الجامعيّة، والمفترض فيه أن يكون على إلمام بما درسه في المرحلة الثّانويّة على الأقل كقواعد عامة دون استثناءات أو خوارم لتلك القواعد، وحيث أن الأمر آل إلى ما صار إليه فإن الحل النّاجع لمثل هذه المشكلة يتمثل في ما ذكره ابن خلدون حيث يقرّر : "أن حصول مَلكة اللسان العربي، إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب حتى يَرتسم في خياله المنوال الذي نسَجوا عليه تراكيبهم فيَنسج هو عليه، ويَتنزَّل بذلك منزلة من نشَأ معهم وخالطَ عباراتهم في كلامهم، حتى حصَلت له الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم، والله مقدِّر الأمور" [10]، ويقول في موضع آخر:" ووجه التّعليم لمن يبتغي هذه الملكة ويَروم تحصيلها، أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث، وكلام السّلف، ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم، وكلمات المُولَّدين أيضًا في سائر فنونهم، حتى يتنزَّل - لكثرة حِفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور- منزلةَ من نشَأ بينهم ولَقِن العبارة عن المقاصد منهم، ثم يتصرَّف بعد ذلك في التّعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم، وتأليف كلماتهم، وما وعاه وحَفِظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم، فتحصُل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال، ويَزداد بكثرتها رسوخًا وقوة، ويحتاج مع ذلك إلى سلامة الطّبع والتّفهُّم الحسَن لمنازع العرب وأساليبهم في التّراكيب، ومراعاة التّطبيق بينها وبين مُقتضيات الأحوال، والذّوق يَشهد بذلك، وهو ينشأ ما بين هذه المَلكة والطّبع السّليم فيهما كما نذكر بعدُ. وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال، تكون جودة المقول (المؤلف) نظمًا ونثرًا ومن

حصَل على هذه المَلكات، فقد حصل على لغة مُضَر، وهو النّاقد البصير بالبلاغة فيها، وهكذا ينبغي أن يكون تعلُّمها، والله يهدي من يشاء" [11].

وبذلك يتضح أن من سبل معالجة هذا المشكل المتمثل في المتلقي أو الطّالب الزّام الطّالب بحفظ جيد منتخبات منثور العرب وأشعارهم وتمثلها في الحياة اليوميّة والتّدرج عليها واستحضارها وتوظيفها في تعلم النّحو مع استحضار اللفتات النّحويّة في باقي الدّروس العربيّة حتى يُمارس الطّالب تطبيق تلك القواعد التي تعلَّمها أثناء معايشة النّصوص العربيّة، مصاحبا في ذلك التّركيز على "الاستقراء"، والبُعد قدر الإمكان عن النّهج الفلسفي والمنطقي في تدريس القواعد النّحويّة؛ لأنها تَفتقر إلى تمرُّس الطّالب بالملاحظة العامة (كما في الاستقراء) فيفقده ذلك إحدى أهمِّ الوسائل المساعدة على فَهْم القاعدة، ومِن ثَمَّ تطبيقها.

4- خاتمـــة: بعد الاطلاع على برنامج النّحو في المرحلة الثّانويّة نجد أنه يغطي تقريبا كل أبواب النّحو والصّرف بطريقة تعليميّة تعتمد على مقاربة نصيّة من المفروض أن تكون طريقة عمليّة مرسخة للقواعد النّحويّة أو الصّرفيّة إذ المرحلة مرحلة نحو معياري، تحقق العتبة العلميّة النّحويّة لطالب اللغة العربيّة وآدابها في المرحلة الجامعيّة ولكن رغم ذلك نجد إشكالات معرفيّة وتعليميّة لطلاب هذه المرحلة ، راجعة بالأساس إلى أهليّة واستعداد الطّالب لتقبل مثل هذه المعارف، لنصل إلى نتيجة هامة، وهي أن على الأستاذ في هذه المرحلة أن يسعى إلى الإبداع في تعليميّة النّحو من خلال الزّام طلابه بحفظ منثور العرب ومنظومهم صقلا للسانهم، وتعويدا لهم على عدم اللحن في الكلام إضافة إلى اعتماد المنهج الوصفي للغة العربيّة مع الإشارة إلى المنهج المعياري الذي ما فتأ الطّالب مستخدما له في دراسة نحو العربيّة في مراحله التّعليميّة السّابقة.

- **المصادر والمراجع**

1. بن جلول مختار، محاضرات مطبوعة السّنة الثّانيّة لمادة النّحو، مقرر دراسي جامعة ابن خلدون، تيارت ، سنة 2016م

2. الحسني قاسمي، مقال " تعليميّة النّحو " منشورات المجلس الأعلى للغة العربيّة أعمال ندوة تيسير النّحو المنعقدة في 23- 24 أفريل2001 الجزائر

3. إسماعيل، ونوغي " تعليميّة النّحو العربي بين النّظريّة والتّطبيق " منشور بمجلة الممارسات اللغويّة العدد 38 السّنة 2016 .

4. السّليطي محمد ، " التّقنيّة والتّواصليّة في التّعليم " منشور بموقع:

http://www.atta3lim.com/sciences-educations/activiteseducatives/item/1145-2015-10-23-10-57-39

5. صالح بلعيد ، "الصّرف والنّحو"، دراسة وصفيّة تطبيقيّة في مفردات برنامج السّنة الأولى الجامعيّة، الجزائر

6. صافيّة كساس مقال " تعليميّة النّحو العربي في الجامعات الجزائريّة العقبات والحلول" مجلة الممارسات اللغويّة العدد 03 سنة2011 .

7. فاتح زوان مقال " واقع تدريس مادة النّحو العربي في الجامعة الجزائريّة " مجلة دراسات وأبحاث العدد 21 السّنة 2015 الجزائر

8. وزارة التّربيّة الوطنيّة مناهج السّنة الأولى من التّعليم الثّانوي العام والتّكنولوجي ج مشترك علوم وتكنولوجيا ، ج مشترك آداب الجزائر الدّيوان الوطني للمطبوعات المدرسيّة - مارس 2011

9. محمد بن عبد الله ابن مالك، جمال الدّين، الألفيّة في النّحو، ط3، دار الفكر سنة 1997م بيروت لبنان

10. عبد الرّحمن بن خلدون ؛ مقدمة ابن خلدون، ط1، دار الفجر، ر سنة 2004.

11. مصطفى الغلاييني، جامع الدّروس العربيّة تحقيق: عبد المنعم خليل ابراهيم، دار الكتب العلميّة، ط3 ،بيروت، لبنان سنة 2002م

12. عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، شرح شذور الذّهب، تحقيق: بركات يوسف هبود دار ابن كثير،ط2 دمشق، سنة2008 م

13. عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري جمال الدّين ، مغني اللبيب من كتب الأعاريب تحقيق : بركات يوسف عبود، دار الأرقم بن أبي الأرقم ط1، بيروت سنة1999م

هوامش

[1]- صالح بلعيد "الصّرف والنّحو" دراسة وصفيّة تطبيقيّة في مفردات برنامج السّنة الأولى الجامعيّة ، نقلا عن دراسة أ صافيّة كساس بعنوان " تعليميّة النّحو العربي في الجامعات الجزائريّة العقبات والحلول" مقال منشور في مجلة الممارسات اللغويّة العدد 03 سنة 2011ص 259- 286.

[2]- الحسني قاسمي، مقال " تعليميّة النّحو " منشورات المجلس الأعلى للغة العربيّة، أعمال ندوة تيسير النّحو المنعقدة في 23- 24 أفريل 2001 الجزائر، ص 434.

[3]- إسماعيل ونوغي " تعليميّة النّحو العربي بين النّظريّة والتّطبيق " منشور بمجلة الممارسات اللغويّة العدد 38 السّنة 2016 ص 125- 144

[4]- السّليطي محمد ، " التّقنيّة والتّواصليّة في التّعليم " مقال منشور بموقع:
http://www.atta3lim.com/sciences-educations/activites-educatives/item/1145-2015

[5]- السّليطي محمد ، مرجع سابق.ص4.

[6]- كدراسة الأستاذة صافيّة كساس من جامعة تيزي وزو " تعليميّة النّحو العقبات والحلول" ودراسة الأستاذ فاتح زوان من جامعة تبسة بعنوان " واقع تدريس مادة النّحو العربي في الجامعة الجزائريّة " ودراسة الأستاذ إسماعيل ونوغي من جامعة المسيلة بعنوان " تعليميّة النّحو العربي بين النّظريّة والتّطبيق" وغيرها من الدّراسات الميدانيّة.

[7]- وزارة التّربيّة الوطنيّة (مارس 2011) مناهج السّنة الأولى من التّعليم الثّانوي العام والتّكنولوجي جذع مشترك علوم وتكنولوجيا ، ج مشترك آداب الجزائر الدّيوان الوطني للمطبوعات المدرسيّة ص 26- 27

[8]- بن جلول مختار، محاضرات السّنة الثّانيّة لمادة النّحو ، مقرر دراسي، جامعة ابن خلدون تيارت.

[9]- ابن مالك جمال الدّين محمد بن عبد الله، الألفيّة في النّحو، دار الفكر، ط1، سنة 1997م بيروت لبنان.

[10]- ابن خلدون، عبد الرّحمن؛ مقدمة ابن خلدون، القاهرة: دار الفجر، 2004. ص 98.

[11]- المصدر نفسه ، ص 101.

مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 22 العدد: 50 السّنة: الثّلاثيّ الثّاني 2020 ص: 367 - 404

تداوليّات المصطلحات اللسانيّة والنقديّة في أقسام اللغة العربيّة وآدابها دراسة في التصوّر والإسقاط.

Pragmatics of Linguistics and Criticism Terminology at The departements of Arabic language and literature A study and perception and implementation

أ.د مختار عبد القادر لـــزعر ♣

د. عبد الله بن حمود الفوزان ♠

تاريخ الإرسال: 17 07 2019 تاريخ القبول: 19 11 2019

الملخّص: دور فلك هذا المقال العلمي حول الإطار العام للمصطلح اللساني والنّقدي من منظور التّصوّر اللساني التّداولي مقيّدا في واقع أقسام اللغة العربيّة وآدابها من حيث ما يقدّم لطلبة القسم من مادّة معرفيّة ومنهجيّة وإجرائيّة تخص المصطلحين: اللساني والنّقدي؛ الشّيء الذي جعل الباحثان يتوقفان عند أهم الطّرق والإجراءات في تقديم هذين المصطلحين بما لهما وما عليهما من جهة ما تقتضيه طبيعة التّصوّر التّعليمي البيداغوجي. على أنّ الباحثين حاولا أن يتتبعا أهم العراقيل والصّعوبات التي جعلت غالبيّة طلبة أقسام اللغة العربيّة ينفرون من مادّة اللسانيات والنّقد بحكم أنّهما يحتويان على تصوّر معرفي يغلب عليه طابع التّجريد لا التّقييد، وهو زعم لا يتماشى مع منطق الصّواب المعرفي والمنهجي.

♣ جامعة القصيم .المملكة العربية السعودية، lazar_aekmokhtar@yahoo.com

♠جامعة القصيم .المملكة العربية السعودية

الملخّص باللغة الإنجليزيّة:

Abstract: This scientific article revolves around linguistic and critical terminology from a pragmatic perspective. It aims at revealing how the two concepts are presented to students of Arabic language and literature departments in terms of knowledge and methodology. This research work, also attempts at demonstrating the major obstacles and difficulties most students of Arabic language and literature departments face and analyses the reasons why they avoid studying linguistics or criticism mainly because they contain predominantly abstract rather than concrete terminology.

شكاليّة المصطلح وأزمة الإشكال: المصطلحات مفاتيح العلوم. قد تكون هذه المقولة قديمة قدم ذلكم التّلازم بين الوجود الإنساني والوجود المعرفي، لكنّها تظل وستبقى الإطار المرجعي الذي يمثّل الوصف القائم بين التّصوّر والمعرفة؛ هذان الإطاران يمثّلان ديمومة مستمرة على مدى استمرار تلكم المفاتيح الملازمة لعالم المصطلحات.

لقد ظلّت إشكاليّة المصطلح مرتبطة ومتلازمة مع ما يجري داخل الواقع الاجتماعي؛ بحكم أنّ حركيّة المصطلح من حيث التّصوّر والاتفاق ومن ثم الاستعمال مرتبطة في الأصل بما هو قائم في المجتمع من حقائق معرفيّة واجتماعيّة ونفسيّة وهلم جرا [1]؛ الشّيء الذي جعل المصطلح لا ينزاح عن الظّرفيّة التي ظلّت تلازمه في سيرورته المعرفيّة والمنهجيّة، وعليه فإنّ المصطلح"...يثبت أو ينتفي (أو تتحوّل وظيفته) باعتبار الظّرف، وأنّ المرحليّة ملمح يميّز حياة المصطلح في كثير من الأحيان"[2].

واللافت للانتباه أنّ القول بأزمة المصطلح في الدّراسات النّقديّة، إنّما يرجع إلى الفعل التّرجمي ذاته؛ على أساس أنّ التّعامل مع المصطلح في بيئته الأصل لا

يتمّ إلاّ عبر ما تمليه التّرجمة؛ الأمر الذي جعل المهتمّين في مجال التّرجمة أن يوصوا القائمين في مجال المصطلحيّة أن يتوخوا بدرجة عاليّة ضبط وسائل التّوليد اللغوي (Néologie)، وكذا التّطويع(Modulation)القائمتين على نقل المصطلح من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف. وبين هاتين العمليتين يحاول المترجم بكل قوّاه تجسيد عمليّة وسطيّة تتعلّق ببعد معاني الألفاظ وما تنماز به من خلفيّة معرفيّة؛ فيلتجئ مباشرة إلى التّرجمة الحرفيّة(Littérale Traduction) والتّرجمة الحرّة (Traduction Oblique) ؛وهو ما يؤهّله سلفا أن يحقق ما يسمّى بمبدأ التّكافؤ أو المعادل التّرجمي (Equivalence)[3].

مثل هذا التّصوّر –للأسف الشّديد- لم يراع من لدن المشتغلين في مجال المصطلحيّة؛ إذ أصبحت كلّ جهة من جهات المؤسّسات والهيئات العربيّة تتعامل مع واقع المصطلح وفق ما تراه هي، وما تخرّجه من أحكام مفاهيميّة ومصطلحيّة يخدم واقعها الذي تعيشه فقط؛ فكثرت الاختلافات والتّخريجات والتّأويلات والأحكام للمصطلح الواحد ؛ فغابت وابتعدت تلكم الشّموليّة الملازمة للجهات الثّلاث الأساسيّة والضّروريّة في المصطلح وهي: السّعة والكليّة والشّموليّة؛ الأمر الذي جعل إدريس هاني يصرّح قائلا "لتفادي الالتّباس في المصطلح نفضّل في البناء الصّناعي للمفاهيم الإبقاء عليها مع ضبطها من حيث الوزن العربي قصد إدماجها في النّظام الصّوتي العربي. لكن ولكي تظلّ حمولتها المفهوميّة تؤدّي وظيفتها العلميّة يجب الإبقاء عليها كما هي. والقيمة العلميّة لهذا الاختيار هو أنّ الإبقاء على المصطلح كما هو يمنحنا نحن فرصة الاقتراب الدّائم من أبعاده المفهوميّة كما يمنحه الرّقابة الكاملة على أن لا ننزل به إلى حدّ المتداول في عرفنا اللغوي الطّبيعي ممّا يؤدّي إلى تحريف المعنى وهدم الصّناعة المفهوميّة. وعليه فالمفاهيم تفقد سلطتها وشرعيتها إذا ما أفرغت من شحنتها التّداوليّة التي تفسّر قيمتها المعرفيّة"[4].

إنّ الإشكال النّاجم عن ترجمة النّصوص والمصطلحات على اختلاف مجالاتها النّقديّة واللسانيّة وغيرها من جهة، وطرائق صياغة التّصوّر المصطلحاتي بشروطه وقواعده من جهة أخرى، إنّما مردّه إلى سوء الفهم للمرجعيّة المعرفيّة والمنهجيّة التي يرتكز عليها كل من المصطلح وحقل التّرجمة، وهو ما حدا به أن يصف هذا النّوع من التّصوّر بأنّه بهرج خادع ومهزلة كاملة[5].

ولكي نكون موضوعيين علميين فيما نقدّمه تجاه إشكاليّة المصطلح في تلازمها مع شموليّة المفهوم، نرى أنّه من الضّروري أن ننزل هذا التّصوّر المجرّد المتعلّق بالكتابات اللسانيّة، سواء أكانت مترجمة (عن طريق فعل النّقل) أم عربيّة(عن طريق التّصوّر الانفرادي أو الاجتهادي)، إلى أرض الواقع لننظر إلى أهم التّصوّرات الفكريّة والفلسفيّة التي حاول غالبيّة المفكرين العرب أن يتعاملوا عن طريقها مع هذا الزّخم المعرفي والفكري والفلسفي القائم في حقل اللسانيات مفهوما ومنهجا وإجراء؛ الأمر الذي جعلنا نكتشف أنّ هناك أحكاما مسبقة من قبل بعض المشتغلين في مجال الدّراسات اللسانيّة- إلا من رحم ربّك- ؛حيث راح البعض يوجّه أصابع الاتهام إلى التّصوّر العربي؛ بحكم أنّ غالبيّة الكتابات العربيّة المنسوبة لحقل اللسانيات هي في أصلها نقل وتبنٍ وتقليد واعتقاد للفكر اللساني الغربي، وليست هناك أيّة مرجعيّة فكريّة معرفيّة فلسفيّة اجتماعيّة نفسيّة امتاز بها القدامى حتى تدرج فيما يمكن الإطلاق عليه بالكتابات اللسانيّة العربيّة.

هذا ما تعلّق بالإطار التّنظيري فيما يخص ما خلفته التّرجمات العربيّة تجاه واقع التّصوّر اللساني الغربي. أمّا ما تعلّق بالمنهج فإنّنا سنعتمد في هذه الدّراسة على وصف أهم الظّواهر التي يقدّم فيها التّصوّر اللساني والنّقدي من جهة المفاهيم والمصطلحات والإجراءات من قبل أساتذة اللغة العربيّة وآدابها، ثم بعدها نعقب على هذا الإطار الوصفي بما يتمشى مع السّياق الوظيفي الذي يتمشى مع طبيعة عتبة عنوان المقال فالمنهج في هذه الدّراسة يأخذ شيئا من الوصف

وشيئا من الوظيفة التي ينبغي أن توظّف في سياقها البيداغوجي التّعليمي في غالبيّة أقسام اللغة العربيّة وآدابها.

ولعلّ تأكيدنا على هذا النّوع من المنهج إنّما يفسّره واقع المادة المعرفيّة التي تقدّم إلى طلبة أقسام اللغة العربيّة وآدابها؛ بحكم أنّها تأخذ جانبا من التّصوّر اللساني النّسقي وجانبا أيضا من التّصوّر النّقدي؛ هذان الجانبان يستدعيان حتما منهجا وصفيا ووظيفيا لعلّه يكون قادرا على حلّ إشكال كيفيّة تقديم المصطلحين: اللساني والنّقدي إلى الطّلبة، سواء على مستوى التّصوّر أم المنهج أم الطّريقة، مراعين في ذلك تمشي هذا المنهج مع ما تقتضيه طبيعة عتبة عنوان المقال.

الكتابات اللسانيّة ما لها وما عليها: إنّ أهم ما وجّه إلى الكتابات اللسانيّة من أحكام معرفيّة يمكن تقسيمه إلى اتجاهين اثنين: اتجاه يرى أنّه لا علاقة بين ما هو قائم في الدّراسات اللسانيّة الغربيّة وما توقف عنده القدامى في مصنفاتهم بعبارة أدق حقل اللسانيات من منظور هذا الاتجاه هو ذلكم "... المجهول الذي يثير فينا ريْبا وشكا، وتوجّسا وخوفا، أكثر ممّا يثير فينا نزعة- ولو فضوليّة- لمعرفة موقفنا من واقع الثّقافة، والعلم، والمعرفة في العالم"[6]. واتجاه آخر يذهب إلى أنّ هناك تقاربا وتمايزا بين التّصوّر اللساني الغربي والعربي؛ ذلك أنّه رغم "ما وصل إلينا من دراسات في اللسان العربي، وقوامة هذه الدّراسات، وإيفائها بما يحتاجه البحث المعاصر من معرفة، وفهم، وإدراك لما كانت عليه، وما التّ إليه الدّراسة اللغويّة الحديثة- لاسيّما الأوروبيّة- ينبغي لها أن تكون بمنأى عن أن يقحمها الباحثون العرب في تلك المآزق والمجاهل التي لا تخرج منها إلاّ بتناحرات وتناقضات مذهبيّة، ليست العربيّة بحاجة إليها، ولا هي بماتّة بصلة إليها، فكيان العربيّة وشخصيتها، وأصولها، وضوابطها، ونصوصها الأصليّة وآثارها الواصلة إلينا، قد اكتسبت درجة الاكتفاء الذّاتي، وحملت معها عناصر بقائها وديمومتها واستمرار قوّتها، وسرّ حيويتها وحركتها وإنعاشها، ببقاء

كتاب الله العزيز وبهذا التّراث العظيم الواصل إلى أبنائها مدونا ومحفوظا ومدروسا، مكوّنا زادا ثرّا ومَعينا لا ينضب، يستمد منه أبناؤها ما هم بحاجة إليه من التّغذيّة والتّوعيّة والتّثقيف"[7].

غير أنّ اللافت للنظر أنّ كثيرا من اللسانيين العرب –إلاّ ماندر- يزعمون في كثير من كتاباتهم أنّهم بحق أدركوا الإطار المفاهيمي والمصطلحاتي الذي نشأت في رحابه تلكم المصطلحات اللسانيّة الغربيّة، التي هي عبارة عن حقائق تحكمها مجموعة من المسلمات؛ اجتماعيّة نفسيّة عقائديّة فكريّة فلسفيّة ولغويّة وهلم جرا؛ الشّيء الذي أدى فيما بعد إلى ارتباك واسع في كثير من الحقائق المعرفيّة والمنهجيّة الملازمة لكثير من الإطلاقات الغربيّة لم تجد انسجاما ولا ترابطا مع التّصوّرات القائمة في الموروث اللساني العربي؛ وهو ما جعل أحد الباحثين اللسانيين يقرّ بصريح العبارة قائلا"... لا يمكننا- نحن العرب- معرفة هذا العلم الجديد إلاّ من خلال نافذة اللغات الأجنبيّة الإنكليزيّة أو الفرنسيّة؛ ذلك أنّه للحق والتّاريخ، وإنصافا للعلم والعلماء، لا يمكننا إلاّ أن نعترف بأنّ اللسانيات الحديثة هي محض العقليّة الغربيّة التي أنتجتها"[8]. بل أبعد من ذلك أنّ بين التّصوّر اللساني الغربي والعربي بعد المشرقين؛ على أساس أنّ الزّاد المعرفي الغربي اللساني عبارة عن"... بحث أوجدته ظروف اللغات الأوربيّة التي تختلف في انتماءاتها وتكوينها وبيئاتها وشعوبها المتكلّمة بها وتاريخها عن العربيّة وظروفها، اختلافا كبيرا، يجعلنا في موقف رافض لكلّ ما يراد من الباحثين المعاصرين العرب أن يسلكوه، أو يتعاملوا به مع العربيّة "[9]

إنّه الزّعم من لدن هذا الكاتب وغيره كثر الذين يقرون بصريح العبارة بمبدأ التّفاوت والتّباعد (Principe de différentiation et de distanciation) بين التّصوّر اللساني الغربي والعربي، وأنّ المحاولات العربيّة التي أرادت تبيان أهم الأطر المفاهيميّة والمنهجيّة التي يمتاز بها التّصوّر اللساني العربي عن طريق الفعل التّرجمي، هي عبارة عن غلو محموم لم يتجاوز حدود التّأثر بالفكر

اللساني الغربي؛ تصوّرا ومنهجا وطريقة يشير الباحث العبيدي إلى هذه الحقيقة قائلا"... ولعلني لا أبالغ إذا قلت: إنّ ثمة غلوا محموما ينهد به من المغرمين بالبحث الالسّني الأوروبي في هذا القرن، يهدف إلى الانصراف عن البحث العربي الأصيل إلى الالسّنيّة الحديثة، ولاسيّما المعنيين بالعربيّة، ممن تعلموا شيئا عند الغربيين، أو اطّلعوا على ما جاءت به التّرجمات من كتب البحث اللساني في فرنسا وغيرها من أقطار أوروبا بعد دي سوسير، وهو بحث مقحم على العربيّة، بعيد عن أنفاسها وخصائصها، وإدخال أهلها في ميدان غير مناسب لها، ولا متلائم مع طبيعتها، في الوقت الذي كانت الدّراسات العربيّة الأصيلة قد آتت أكلها، وخدمت الحرف العربي خدمة لا مثيل لها وأبرزت خصائص هذه اللغة إبرازا متكاملا، لا يحتاج معه أبناؤها إلى مزيد من المداخلات والتّعقيدات التي يتّسم بها البحث الأوروبي الحديث"[10].

ولقد نتج عن هذا النّوع من الحقيقة المتفاوتة بين التّصوّرين: الغربي والعربي ما سمّي لدى أهل الاختصاص بأزمة المصطلح؛ على أساس أنّ المصطلحات- على حد تعبير المسدّي - من حيث هي إطلاقات مفاهيميّة سواء على جهة الإفراد أم التّركيب قد استقر مستواها الدّلالي عن طريق مبدأ الاستخدام ممّا أهّلها المقام أن تكتسب وجودها الشّرعي المعرفي في بيئتها الأصل، ممّا يقتضي التّعامل معها مراعاة أهم الأسيقة الاجتماعيّة والنّفسيّة والدّينيّة والفلسفيّة والفكريّة التي نشأت في رحابها؛ فيتحقّق بها وضوحها ومن ثم اطّرادها السّاري مع شرعيّة الاستعمال[11]؛ وهو ما جعل التّصوّر العربي نتيجة هذا التّمايز الذي اكتسبه المصطلح في بيئته الغربيّة، أن يتناوله بالدّراسة والاطلاع وإدراك تلكم الحدود التي يدل عليها عن طريق فعل التّرجمة؛ فالتّزم التّصوّر العربي في الغالب بالإطار التّعليمي القائم على شرط التّقريب بين المادّة المعرفيّة[12] لا التّصوّرات العقليّة والخلفيات المرجعيّة والأحكام المعرفيّة.

على هذا القصد القائم في هذا النّوع من النّقل عن طريق فعل التّرجمة فيما امتاز به التّصوّر اللسانياتي الغربي من المصطلحات والمفاهيم، تنوّعت تلكم المقابلات التي اتخذها التّصوّر العربي ذريعة للكشف عن أهمّيّة الأسيقة التي يلتقي فيها الفكر الغربي مع العربي؛ فتولد عن طريق سياق محابس النّظريات اللسانيّة الغربيّة عدة تقاطعات لا تسمن ولا تغني من جوع، وفق ما يستوجبه ضابط التّقاطع المعرفي والفلسفي والفكري الصّحيح؛ فمرة تجد الفكر العربي يقرّ ببنيويّة التّصوّر(dune Conception Structural) والاتجاه فيما له علاقة ببعض القضايا الموجودة في التّصوّر اللساني العربي، ومرة أخرى بتوليديّة وتحويليّة تشومسكي للتّصور العربي في بعض سياقاته، وأخرى بتداوليات السّياق الوظائفي (pragmatique dune contexte fonctionnal) لبعض القضايا متناثرة هنا وهناك في ما أشار إليه القدامى(13).

غير أنّه من باب أولى أن ننبه إلى أنّ أهم الأسباب التي جعلت غالبيّة المصطلحات اللسانيّة وكذا النّقديّة في الكتابات اللسانيّة العربيّة لم تستقر على حال ولم تسر على شاكلة واحدة، إنّما مردّه إلى عدم الوعي العميق بالإطار التّاريخي والاجتماعي والنّفسي والفلسفي والفكري وغيرها الذي نشأت في رحابه المصطلحات اللسانيّة والنّقديّة الغربيّة، ممّا جعل فعل النّقل(le transfer) يحتوي على بعض المبهمات والاعتراضات والتّعارضات في التّصوّر والمنهج والوظيفة.

ولئن كان هذا حال وضع تلقي إشكاليّة المصطلحات اللسانيّة والنّقديّة الغربيّة في واقع الكتابات اللسانيّة العربيّة يسير على خطى تحتاج إلى وعي عميق وفلسفة واسعة للمرجعيّة التي قام عن طريقها الفكر اللساني الغربي؛ فإنّ الحديث عن بعض الكتابات اللسانيّة العربيّة التي لها منزلة خاصّة ومتميّزة عند كثير ممّن راحوا يقتفون آثارها بغير هدى وبصيرة ممّا يستدعيه الواقع المعرفي والوجودي والكوني للتّراث على ضربيه العربي والغربي، ليعد بحق الطّامة

الكبرى التي جعلت كثيرا من الأقلام العربيّة- إلاّ ممّن استثناهم لطف الله- تأخذ وتربط وتستنبط وتستنتج وتبني وتصدر أحكاما باتخاذها هذه الكتابات اللسانيّة لنفسها؛ قدوة ومنهجا.

لا جرم أنّ الحديث عن الكتابات اللسانيّة المترجمة ترجمة عربيّة في السّاحة العلميّة والمعرفيّة في غالبيّة المؤسّسات الجامعيّة العربيّة كثيرة ومتنوّعة. لكن تمشيا مع ما تقتضيه طبيعة عتبة عنوان المقال، نرى أنّه من اللازم أن نشير إلى أهم الكتابات اللسانيّة العربيّة التي حاولت أن تتعامل مع الزّخم المعرفي الغربي عن طريق الفعل التّرجمي، الذي استطاع بحق أن يخلّف لنا رصيدا لسانيا عربيا لا يستهان به ألبتة، محاولين أن نختار السّياقات المعرفيّة والمنهجيّة التي عن طريقها يمكن استثمار أهم هذه النّظريات في تدريسها لطلبة أقسام اللغة العربيّة؛ تصوّرا ومنهجا وإسقاطا، وذلك في إطار ما يخدم الطّالب من تقريب وتسهيل هذا التّصوّر اللساني والنّقدي المجرّد إلى أرض الواقع.

من هذا المنطلق وجدتنا تبعا لهذا النّوع من الإسقاط مضطرين أن نقسّم هذا المنجز الفكري والفلسفي والمعرفي للتّصوّر اللساني الغربي المترجم إلى العربيّة إلى قسمين اثنين: قسم يتعلّق بالتّصوّر اللساني، وقسم ينصب أساسا حول المصطلحات النّقديّة، ثم بعدها ننظر إلى واقع هذه المصطلحات من جهة التّلقي والإدراك بالنّسبة لطلبة أقسام اللغة العربيّة التي اتخذنا بعض المؤسّسات الجامعيّة في المملكة العربيّة السّعوديّة نموذجا لذلك بحكم أنّنا ندرس فيها منذ سنوات(14).

أوّلا: في مجال اللسانيات العامّة: إنّ أدنى تأمل فيما أنجزه الفكر العربي في مجال اللسانيات العامّة يجعل المتخصّص يدرك أنّه قد حوى على عدد كثير من التّأليفات في هذا النّوع من الحقل المعرفي الذي يعدّ الحجر الأساس للحقول المعرفيّة التي انبثقت عنه فيما بعد. وعليه لا مانع من ذكر أهم المنجزات التي أنجزت في هذا الإطار على اختلاف البلدان العربيّة التي تمّ فيها هذا الإنجاز

وهي على النّحو الآتي: مباحث في اللسانيات؛ لأحمد حساني، ومبادئ في اللسانيات خولة الإبراهيمي، واللسانيات وأسسها المعرفيّة لعبد السّلام المسدي ومبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة لكاترين فوك وبياري قوفيك، المترجم: د المنصف عاشور، والمصطلحات المفاتيح في اللسانيات لماري نوال غاري بريور المترجم: د عبد القادر فهيم الشّيباني، واللسانيات العامّة واللسانيات العربيّة. لعبد العزيز حليلي، ولسانيات النّص؛ مدخل إلى انسجام الخطاب لمحمّد خطابي، واللسانيات والدّلالة (الكلمة). لمنذر عياشي، وبحوث لسانيّة؛ بين نحو اللسان ونحو الفكر، لنعيم علويّة، وقضايا السّنيّة تطبيقيّة، لميشال زكريا واللسانيات التّطبيقيّة د صالح بلعيد، والتّواصل اللساني والشّعريّة؛ مقاربة تحليليّة لنظريّة رومان جاكبسون للطّاهر بومزبر، ومدخل لفهم اللسانيات لرومان مارتين ترجمة: د عبد القادر المهيري، المراجعة: د الطّيب البكّوش والالسّنيّة التّوليديّة والتّحويليّة، لميشال زكريا، وفي اللسانيات العامة؛ تاريخها طبيعتها، موضوعها مفهومها. لمصطفى غلفان وهلم جرا.

تعقيب وتوجيه: إنّ أهم ما تناولته هذه الدّراسات السّالفة الذّكر في مجال الدّراسات اللسانيّة يكمن في النّقاط الآتيّة:

- الإشارة إلى أهم الإرهاصات الأوليّة التي نشأ عن طريقها الدّرس اللساني وهي: المرحلة الهنديّة، المرحلة اليونانيّة، والمرحلة الاكتشافيّة، ومرحلة النّشوء والارتقاء.
- الإشارة إلى ما سمّي بمرحلة تطوّر الدّرس اللساني وهي: مرحلة النّحو ومرحلة الفيلولوجيا، ومرحلة الفيلولوجيا المقارنة.
- الإشارة إلى ما سمّي بالمنهج الوصفي وتفرعاته الاستعماليّة تبعا للظّواهر اللغويّة المختلفة.
- الإشارة إلى تلكم النّظريّة التي قام عليها التّصوّر اللساني الغربي وهي النّسقيّة (Syntagmatisme).

- الإشارة إلى ما سمّي بالثّنائيات اللسانيّة(Binaires/على حسب سوسيرDichotomie على حسب بنفونست (Benveniste) والتي جعلت كل الكتب اللسانيّة المترجمة تنصاع إلى مفهوم الثّنائيّة على نيّة التّقابل(correspondance)؛ فالدّال يقابله المدلول، والسّاكروني أو التّزامني (Synchronique –Diachronique) يقابله الدّياكروني أو التّعاقبي التّاريخي وهلم جرّا. وتوقف التّصوّر العربي من جهة الكتابات اللسانيّة العربيّة عند هذا الحد وراح يسقط تصوّر هذه الثّنائيات اللسانيّة الغربيّة على التّصوّر اللساني العربي.
- الإشارة إلى ما سمّي بالمدارس اللسانيّة التي اختلفت باختلاف مبدأ التّعامل والهدف.
- الإشارة إلى ما سمّي بالاتجاهات اللسانيّة المعاصرة (les courants linguistiques modernes) كالتّوزيعيّة والتّوليديّة وهلم جرا.

هذه هي أهم المفاهيم والمصلحات التي تناولتها غالبيّة الكتابات اللسانيّة مترجمة وعربيّة المشار إليها آنفا، وهي على الرّغم من اختلاف في الإطلاقات والتّسميات إلاّ أنّها حاولت بالقدر المستطاع أنّ أقرّب للقارئ العربي المبتدئ أهم المرجعيات المعرفيّة والمنهجيّة والإجرائيّة التي انبنى عليها التّصوّر اللساني الغربي.

ثانيا: المصطلح اللساني النّقدي؛ ما له وما عليه: إنّ اللغة التي أُلهمها الوجود الإنساني منذ الأزل هي مبدأ حركة الفكر الإنساني، الذي بمقتضاه جُعل الإنسان بطبعه وفطرته متعلّما ومعلّما. هو شأن اللغة بمفهومها الشّامل الواسع منظورا إليها في رحاب ذلكم الاصطفاء الرّباني للوجود الإنساني وجعله خليفة في الأرض له فيها سلطان وتصرّف في أحوالها [15]؛ تماما ما أدى باللغة في تلازمها مع الإنسان أن تسير وفق هذه الشّموليّة الاستغراقيّة.

إنّ طبيعة المفهوم ذو جهة موسوعيّة زئبقيّة لا يستقر على حال ولا يسير وفق شاكلة واحدة، بل هو سار مع ما هو مبثوث في العالم، وهي نظرة جعلت المفهوم يحقّق نوعا من التّنسيق مع تلكم النّظرة الشّموليّة التي يأخذها العالم، سواء على جهة التّصوّر أم الإطار المعرفي؛ هاتان الحقيقتان كفيلتان لجعل المفهوم يوصف بصفة العالميّة، وهي الصّفة التي لا نجدها مجسّدة بطابع شرعي معرفي ومنهجي في غالبيّة السّياقات المعرفيّة التي تنتمي إليها المؤسّسات اللغويّة العربيّة وهذا الأمر –في اعتقادنا- راجع إلى عدة أسباب لعل من أهمّها أثرا ما يأتي:

- لم يتخلّص الفكر العربي من فكرة وقفيّة اللغة وقدسيتها؛
- قوالب الفكر العربي لا تزال متأثّرة ببنيّة اللغة العربيّة التي تنتقل من المحسوس إلى المجرّد، فراحت تؤول كلّ مجرّد بما هو محسوس لديها، والدّليل أنّ جل المصطلحات الغربيّة المترجمة لم تستطع الهجرة من حقولها المعرفيّة، إلاّ ما انتقل منها من المجرّد إلى المحسوس؛
- التّرجمة من لغات مختلفة أدّت إلى الاصطدام بهذه الثّنائيّة، بحيث صار كلّ عربي يرفض ترجمة أخيه ما لم تتوافق واستيعابه "الحسي" للمفهوم؛
- التّعدديّة المعرفيّة، أو تقاطع المعارف (pluridisciplinarité) الذي يشهده العالم اليوم، لم يتحقّق في الفكر العربي إلاّ داخل النّسق، ولم يستطع التّكامل مع الأنساق الخارجيّة الأخرى.

إذا كان الأمر كذلك- والحال هذه- ؛ فإنّ أهم تساؤل سياقي ينبغي التّوقف عنده؛ هو كيف تُوضع المفاهيم والمصطلحات لغالبيّة المؤسّسات الجامعيّة اللغويّة بطريقة يصبح فيها متاحا لذوي أهل الاختصاص الذين ينتمون إلى هذه المؤسّسات تقديم مساهمة حقيقية في مجال العلوم الإنسانيّة عامّة والمصطلحيّة على وجه أخص؟.

يبدو من الواضح أكثر فأكثر؛ أنّه لم تهتم غالبيّة المؤسّسات الجامعيّة اللغويّة في الوطن العربي- إلاّ من رحم ربّك- بشكل كاف بالبعد الاجتماعي

والثّقافي والنّفسي والتّاريخي والفلسفي للنّشاط اللغوي الإنساني؛ ذلك أنّ قولنا بهذا النّشاط ينبغي أن نتعامل معه وفق تعدديّة لسانيّة، والتي تعدّ بحق جوهريّة على حد تعبير النّاقد الغربي باختين (Bakhtine)[16].غير أنّ هذه التّعدديّة التي نريدها في هذا المقام بالذّات هي تلكم التّعدديّة التي لها القدرة الكافيّة في تحقيق ترابط منهجي بين المصطلح النّقدي كحقيقة معرفيّة لها مدونتها الخاصّة التي تماز بها، والإطار التّعليمي التّوجيهي لهذا المصطلح في أقسام اللغة العربيّة وآدابها التي هي من لوازم المؤسّسات الجامعيّة العربيّة.

وغني عن البيان أن ننبّه في هذا السّياق بالذّات المتعلّق بالرّؤيّة الاستشرافيّة بين المصطلح وتعليميته في الواقع الجامعي، أن يكون القائم على هذه المؤسّسات على سبيل التّوجيه والبيان، عارفا بحاجات الزّمان، وغايات العلوم—على حد تعبير الطّاهر ابن عاشور- ؛ وهو ما يؤهّل التّصوّر العربي على سبيل ما يقتضيه مفهوم المخالفة- على حد المعتقد الأصولي- أن يعيش استقراره الثّقافي والاجتماعي والنّفسي ليتحقّق في نهايّة المطاف نمو العلم وازدهاره في كافة المؤسّسات التّعليميّة.

لعلّ من أهم ما يعيق إدراك وفهم ما يمتاز به المصطلح النّقدي في المجال اللساني بعامّة والأدبي على وجه أخص هو ذلكم التّداخل لغالبيّة المفاهيم الأدبيّة للمصطلح الواحد (السّرد، الرّوايّة، القصة وهلم جرا) التي راحت تأخذ بعدها الغربي من حيث النّشأة؛ ممّا تسبّب لدى التّصوّر العربي عدّة تناقضات وإبهامات على مستوى الفهم ومن ثم التّطبيق وذلك بما يلائم "الإبداع الأدبي بل إنّ كثيرا من المفاهيم النّقديّة التي أدخلت إلى السّاحة العربيّة جاءت جاهزة قبل أن تنشأ الأعمال الأدبيّة التي تنطبق عليها، هذا ما جعل قضيّة المصطلح تبدو قضيّة ترجمة وتغريب في المحل الأوّل للمقابل الأجنبي إزاء ما يقترح من ألفاظ عربيّة"[17].

إنّ مثل هذا النّوع من عدم الاستقرار في مبدأ التّحكم في ماهيّة المصطلح النّقدي على تنوع سياقاته من سرديّة وروائيّة وغيرها أدى إلى نوع من التّحول الدّلالي غير المنغلق على ذاته أو غيره "وهو ينتقل من الزّمن أو يهاجر في المكان وهذا حال المصطلحات السّرديّة وهي تنتقل إلى الحقل الاصطلاحي العربي كما أنّ دلالة المصطلح تتحدّد إلى جانب الطّابع التّاريخي أي الموقع الذي يحتله في الحقل الدّلالي الذي ينتمي إليها، ومعنى هذا أنّ لأيّ مصطلح موقعه الخاص في التّراتبيّة النّظريّة؛ فكلما تطوّرت المصطلحات اتخذت دلالات جديدة بناء على المقتضيات التي عرفتها في نطاق عمليّة التّحول"(18)؛ الأمر الذي جعل أهل الاختصاص يستوجبون في نقل المصطلح والتّعامل معه من حيث ما يمتاز به من زاد معرفي، أن يتحقّق شرط "الحرص على نقل المصطلح بطريقة ذكيّة وواعيّة لأنّ استقبال المصطلح ونقله إلى اللغة العربيّة، والاستعمال النّقدي لا يعني نقل الكلمات ليس إلاّ. ولكن نقل مفاهيم مثقلة بحمولات تاريخيّة ومعرفيّة ووظيفيّة"(19).

لعلّ هذا النّوع من الشّموليّة في قضيّة المصطلح النّقدي جعل أحد النّقاد السّعوديين وهو سعد القحطاني يؤكّد على ضرورة تحقيق استغراقيّة شاملة وكاملة للمصطلح في تقاطعه مع العلوم والحقول المعرفيّة؛ على أساس أنّ هذا الاحتكاك والتّقارب والتّجاور بين المصطلح النّقدي والمعارف الأخرى يكسب للمصطلح ما يمكن الإطلاق عليه بالعالميّة، وعليه فهو يرى- سعد القحطاني- أنّ النّاقد "لا يجب أن يكون مقيّدا في تيار أو مذهب نقدي محدّد أو حتى مذهب أدبي واحد؛ فالنّاقد يتحرك في نقده مع كل التيارات التي تتمشى مع الإبداع نفسه؛ فالنّقد تابع للإبداع، وتقيد النّاقد بمذهب واحد قد يجعله في واد والعمل المنقود في واد آخر؛ وهذا دليل على هضم النّاقد لقراءة العمل من عدمها"(20).

ولقد عقّب أحسن تعقيب الباحث النّقدي عبد المنعم المصري فيما أشار إليه النّاقد السّعودي القحطاني كون أنّ المصطلح النّقدي الذي يدور في فلك واقع الفكر العربي له من المؤهلات العلميّة والفلسفيّة والثّقافيّة أن يحقّق نهوضا متميزا على مستوى المعرفة؛ مؤيّدا خلفيّة القحطاني فيما ذهب إليه، مستشهدا بما قاله بالحرف الواحد في كون أنّ العرب "قادرون على أن يكونوا شركاء أصلا في عمليّة تغيير العالم وبناء عالم جديد؛ فهم قوم نهضوا قديما ووسيطا بحضارة كانت الوحيدة في زمانها وهم قوم لم ينقطعوا حديثا عن العالم بل هو طرف أصيل في جلّ شواغله وقضاياه منذ بدايّة نهوضهم الحديث. ونأتي إلى شأننا العربيّة ومشكلات الإبداع والتّرجمة والتّعريب والمصطلح، فنكرر ما بدأنا به وهو قوة اللغة من قوّة أهلها؛ فإن صحّت حركة العرب إلى المستقبل تفجّرت إبداعيّة العربيّة فاستوعبت الجديد وأضافت إليه إضافات مرموقة"[21].

مثل هذا النّوع من الإشكال أدى بالمهتمين في مجال المصطلحيّة أن يحصوا أهم الإشكالات التي تعيق المصطلح النّقدي العربي من إدراك شموليّة التّعدّد الفكري والحضاري والثّقافي واللغوي الذي يدور في فلك العلوم على اختلاف مجالاتها، من أهمّها أثرا ما يأتي[22]:

- غياب التّنسيق والتّعاون بين المترجمين العرب: لعلّ أهم ما ينبني عليه وضع المصطلح هو الوعي العميق بالمرجعيّة المعرفيّة والفكريّة والثّقافيّة واللغويّة التي يقوم عليها المصطلح؛ الأمر الذي يؤدّي بالضّرورة لمن يريد اقتحامه أن يكون متخصّصا؛ ممّا يؤدّي في نهايّة المطاف إلى تحقيق نوع من التّنسيق والتّعاون في التّعامل مع شموليّة المصطلح. لكن الواقع المعرفي الذي نعيشه أبى إلاّ أن تظل الجهود متبعثرة ومتنافرة ومتباعدة، كل يشكو ليلاه وفق شاكلته التي يراها هو، دون السّماح لأي طرف الدّخول في حواليته المعرفيّة والمنهجيّة التي يشتغل فيها؛

➢ طغيان النّزعة الفرديّة في ترجمة المصطلح تبعا لجهات معينة: هذه هي الطّامة الكبرى التي نجد فيها النّزعة الفرديّة الذّاتويّة فعلت فعلتها ولا تزال من جهة التّفرد في وضع المصطلح دون المبالاة بالطّرف الآخر مهما كانت جنسيته وانتماءاته؛ الشّيء الذي أدى بمسار المصطلح على اختلاف تخصصاته أن تكثر فيه التّعدديّة من حيث التّصوّر والحكم والطّرائق، وهي لعمري جعلت غالبيّة الطّلبة على جهة التّلقي يحدوهم نوع من الإبهام والغموض في فهم وإدراك هذا النّوع من التّعدّد غير المبرّر في واقع المصطلح؛ إذ المفروض أن تكون النّزعة الفرديّة تحتكم إلى الرّأي الجماعي المنضبط بضوابط أحكام المصطلح حتى تبتعد هذه الذّاتيّة من مسار التّصوّر المصطلحاتي وتحتل مكانها الموضوعيّة العلميّة الصّارمة؛ فينشأ مبدأ التّكامل المعرفي والمنهجي والإجرائي الذي هو من أهم خصوصيات المصطلح. على هذا النّحو والشّاكلة يمكن للطالب الجامعي أن يدرك أبعاد المصطلح وخصوصياته المعرفيّة بكل سهولة ويسر؛

➢ دعوى العصبيّة والانتماء غير الشّرعيتين: الجاري في مجال المصطلحيّة اليوم لاسيما في المؤسسات الجامعيّة العربيّة أنّنا نجد كثيرا ممن يمارسون تعليم المصطلح سواء عن طريق التّدريس أم فعل الكتابة يجسّدون معالم العصبيّة والانتماء فيما يخص توظيف المصطلح على حسب البلاد أو القطر الذي ينتمي إليه بمعيّة تلكم المرجعيّة الفكريّة أو الدّينيّة أو الفلسفيّة أو اللغويّة أو النّفسيّة أو الاجتماعيّة التي تعد بمثابة الحكم الذي لا يمكن الخروج عنه بحال؛ الأمر الذي أدى فيما بعد أن ظلّت الحوارات والنّقاشات التي تدور في المؤسّسات الجامعيّة والمؤتمرات العالميّة المنعقدة في البلاد العربيّة عن طريق ممثّليها العرب لا يستقرون على حال من جهة الاتفاق أو التّواضع الذي يدعو إليه المصطلح؛ فكل يغني ليلاه ولكن ليلاه بريئة منه براءة قميص يوسف عليه السّلام. إنّها العصبيّة غير المحمودة التي جعلت العلم والعقل تابعا لما هو مستقر ومستودع في عالم النّفس التي لا ترى في الوجود المعرفي أحسن منها تصوّرا

وتخريجا وحكما ومنهجا ومقصدا فيما تقتضيه طبيعة المصطلح على تفرعاته العلميّة والمعرفيّة، وهو ما جعلنا ننظر إلى كثير من السّادة الأساتذة في غير موطن من محراب العلم يوظفون مصطلحات هي في الأصل بعيدة كلّ البعد عما تقتضيه طبيعة القالب اللغوي في نصّه الأصلي بما يحتويه من معنى نفسي واجتماعي وديني وغيرها، من مثل توظيف بعض إخواننا العرب مكافئات ترجميّة لبعض المصطلحات اللسانيّة والنّقديّة على نحو ترجمتهم لكتاب(Du texte à L'action) لصاحبه (Paul Ricœur) بول ريكور؛ بـ(من النّص إلى الفعل). والنّاظر المتخصّص الحريّ يستوقفه لفظ (الفعل) الوارد في عتبة العنوان ليطرح تساؤلا وجيها حول العلة في توظيف ريكور كلمة (L'action)؟ كذلك توظيف بعض إخواننا من بعض بلاد المغرب العربي(تونس وبعض المغاربة) الذين نكنّ لهم التّقدير والاحترام مصطلح (Speech Acts Theory) لصاحبه البريطاني أوستن (Austin) ؛حيث تمّ ترجمة مفهوم (Acts)بلفظ العمل. والرّاجع إلى السّياق المعرفي والمنهجي والفكري والفلسفي والنّفسي والاجتماعي في مفهوم(Acts) يجده أقرب إلى الفعل منه إلى العمل، وعليه التّرجمة السّليمة الحاويّة لما هو قائم في النّص الأصلي هي: نظريّة الأفعال الكلاميّة وليس نظريّة الأعمال اللغويّة. مثل هذه الفروقات غير المؤسّسة على شرط التّفاهم والتّقارب والاقتراب بما هو قائم في عالم العقل والفكر والذّوق من شأنها أن تحدث هذه العصبيّة والانتماء الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، ويكون سببا في جعل المتلقي من الطّلبة يعيشون في دوامة من الاستعمال غير المستقرّة على شرط الاتفاق. ولقد صدق أحد الباحثين العرب حين عبّر عن هذه العصبيّة والانتماء غير الشّرعيتين من حيث التّصوّر والمنهج، قائلا "لقد أصبح اختلاف المصطلحات العلميّة داء من أدواء لغتنا الضّاديّة، وهذا الدّاء ينمو ويستشري كلما اتسعت الثّقافة في البلاد العربيّة، وكثر فيها نقلة العلوم الحديثة، وعدد المؤلّفين في

تلك العلوم. ولعلّ أهم سبب من أسباب اختلاف المصطلحات إنّما هو نقد الاتصال بين النّقلة والمؤلفين في مختلف أقطارنا العربيّة؛ ففي كل قطر توضع مصطلحات جديدة لا يدري علماء الأقطار الأخرى عنها شيئا، وتكاد الصّلات تكون مقطوعة بين أساتذة الجامعات وكلّياتها في مصر والعراق والشّام، وبعض الأقطار العربيّة الأخرى، وإذا تهادوا مؤلّفاتهم تعصّب كلّ أستاذ للمصطلحات التي وضعها أو ألِف استعمالها"[23].

- تعدّد الطّرق والمناهج في وضع المصطلح: مثل هذا الشّأن في وضع المصطلح بعدم التّزام وتوحيد الطّرق والمناهج في ذلك أدى بالمصطلح النّقدي واللساني أن يحدوه نوع من الضّبابيّة وعدم الاستقرار من جهة التّحديد والوظيفة، سواء لدى المشتغلين في مجاله أم ممّن يقدّم لهم المصطلح في قالب تعليمي بيداغوجي. ولقد أحسن أحد الباحثين تجسيد معالم هذا الإشكال في الواقع العربي حين قال بالحرف الواحد "سار معربو هذا الزّمن ومترجموه في نقل اللغات الفرنجيّة على طرق مختلفة؛ فابتدع هذا أسلوبا جرى عليه خالف فيه غيره، واستن آخر سنة لم يشايعه فيها أحد وصار كلّ معرب يضع لنفسه منهاجا لتصوّر الألفاظ والمعاني أو لتعريبها... ووضعت أوضاع، وصيغت ألفاظ بطرق مختلفة لا تؤدّي المقصود منها... وأكثر هؤلاء المعرّبين ممن درسوا بلغات فرنجيّة وابتعدوا عن العربيّة، فتجدهم يستعملون الألفاظ المبتذلة والسّخيفة والكلمات العامّة الرّكيكة، ويتصرّفون بالمعاني ويتناولونها بالزّيادة أو النّقص أو التّشويه، ويستعملون المجازات التي لا تتم بها المعاني المقصودة لعدم وقوفهم على الألفاظ العربيّة المقابلة، أو لعدم وجود طريقة تتبع"[24]

- تعدّد المترادفات وأثره على نقل المصطلح: الحقيقة التّرادف من أهم السّمات التي يرتكز عليها النّظام الذي يتعامل معه أهل التّرجمة في ظل المصطلحيّة، ولكن أن يكون هذا التّرادف سببا في ضيق أفق عمليّة النّقل بين الأنظمة اللغويّة؛ فهذا ممّا لا يستسيغه شرط النّقل المعرفي الذي يعكسه

المصطلح بمجالاته المختلفة، ولذلك وجدنا كثيرا من الطّلبة يقعون في نوع من التّضارب بين المصطلحات النّقديّة التي يغلب عليها الطّابع النّقدي فلا يستطيعون أن يميّزوا بين مصطلح ومصطلح آخر يقترب منه على جهة التّرادف؛ فالمطلوب على حد أهل الاختصاص أن يكون ناقلو المصطلحات من نظام لغوي معين إلى آخر على علم ووعي عميق بالإطار المعرفي والمنهجي والإجرائي للتّرادفات التي يتحرك من خلالها المصطلح؛ فتكون الشّموليّة ملازمة لفعل النّقل حتى يظل النّقل المعرفي يسير وفق هذه الشّموليّة التي تجعل الطّالب يتنفس تنفسا واسع النّطاق من حيث الفهم والإدراك والقصد.

على هذا الأساس لاحظ المشتغلون في مجال المصطلحيّة في تلازمها مع الواقع التّرجمي أن تكون واضحة المعالم، بيّنة الدّلالة، موجزة في الاستعمال، حاويّة على دقّة متناهيّة من حيث التّصوّر والطّريقة والهدف. ولعلّ هذا النّوع من الاستعمال نجده في اللغة العربيّة ومتكلّميها لاسيّما في المؤسّسات الجامعيّة التي يدرس فيها الحرف العربي. وكم يعجب المرء المتخصّص حين يعود إلى واقعه التّراثي العربي ليجد أنّ الاستعمال اللغوي مرتبط في الأصل مع خصوصيّة من يوجّه له الكلام اللغوي العربي، ومتى أحس هذا الجيل بنوع من الغرابة من واقع الاستعمال اللغوي العربي الأصيل أدرك أنّ هناك خللا على مستوى التّصوّر والوظيفة والمقصد الذي يتحرّك فيه النّظام اللغوي العربي. ولعلّ أقوى مشهد نستدل به على وضوح المصطلح من جهة الاستعمال هو السّياق الحالي الذي أشار إليه أبو حيان التّوحيدي فيما وقع في مجلس الأخفش عند دخول العربي الذي ينطق اللغة العربيّة على السّجيّة والفطرة ومنطق الذّوق الرّفيع؛ فهو يروي رحمة الله عليه قائلا "وقف أعرابي على مجلس الأخفش فسمع كلام أهله في النّحو وما يدخل فيه؛ فحار وعجب وأطرق ووسوس فقال له الأخفش: ما تسمع يا أخا العرب؟ قال: أراكم تتكلمون بكلامنا في كلامنا بما ليس من كلامنا"(25). وقد استطاع أن يعلّق النّاقد السّعودي الغدامي على هذا الحدث

المشهدي قائلا "تلك كانت حال فصيح أعرابي صدمته لغة الاصطلاح وأوحشته أن يرى اللغة تتكلّم عن اللغة، بعد أن كان يعرف أن اللغة تتكلّم عن النّاس والأشياء"[26].

غير أنّنا ونحن نريد أن نقدّم علّة الفهم الملازمة للإفهام من جهة ما يقدّم لطلبة أقسام اللغة العربيّة وآدابها في شأن المصطلح، لا بأس أن نشير إلى ما أشار إليه المختصّون في المصطلحيّة فيما له علاقة بأهم الآليات التي ينبغي أن يعرفها من يريد فهم وإدراك المصطلح وخصوصيته العلميّة والمنهجيّة.

حكم أنّ ميزة اللغة العربيّة من حيث النّظام والتّصوّر والمقصد الذي ينفرد به على كثير من الأنظمة اللغويّة، راح أهل الاختصاص في مجال المصطلحيّة يضعون مجموعة من الآليات التي توضع في بناء واقع المصطلح على اختلاف المجالات المعرفيّة التي يتوزع فيها؛ تصوّرا ومنهجا وطريقة وهدفا، لعلّ من أهمّها أثرا ما يلي:

- معرفة الاشتقاق وصوره الاستعماليّة: لعلّ أهم خاصيّة معرفيّة ومنهجيّة يتّخذها الاشتقاق من حيث الاستعمال والوظيفة أنّه يسهم بقسط وافر في شموليّة الاستعمالات اللغويّة المتعدّدة الجهات ممّا يؤدّي في نهايّة المطاف إلى غزارة في الإطار التّوليدي الذي يتّخذه الاشتقاق دليلا على إدراك تلكم الشّموليّة التي يحتويها الاستعمال داخل النّظام اللغوي العربي، وعليه تكمن آليّة الاشتقاق عن طريق جهة التّوليد في "كونها تحافظ على نقاء العربيّة، وتحميها من الهجين والدّخيل اللغويين"[27]؛
- المجاز وصوره السّياقيّة: لا شكّ أنّ من أهم ما يميّز اللغة العربيّة هو المجاز الذي اتخذه العرب قديما سبيلا للتّعبير عما يخرج عن عالم الحقيقة إلى مستلزماتها عن طريق مبدأ القرائن بضربيها: اللفظي والمعنوي؛ الأمر الذي أدّى بالمشتغلين في مجال المصطلحيّة يولون اهتمامهم البالغ إلى العنايّة بصور المجاز السّياقيّة والمقاميّة. ولعلّ هذا الاهتمام جعل من ألفاظ النّظام اللغوي العربي

يأخذ عددا لا حصر له من الدّلالات غير المتناهيّة[28]، وهو الأمر الذي نحبّذ أن يُراعى في الإطار التّعليمي التّوجيهي من لدن المدرسين في أقسام اللغة العربيّة؛ لأنّ هذا النّوع من الاستعمال إذا استطاع الطّالب الجامعي في قسم اللغة العربيّة أن يعيه بحق ويستوعبه بشموليته الاستغراقيّة فإنّه لا محالة سيكسبه ذلك ذوقا وجماليّة وتصورا واسع النّطاق وخيالا مطلقا من جهة الاستعمال وحسن استخدام الألفاظ توليديا على حسب ما تقتضيه طبيعة الأسيقة المصطلحيّة في تلازمها مع تعدّد المقامات وأحوال المتكلّمين؛

- النّحت والتّصوّر الشّمولي للغة: لعلّ النّحت في مجال الاستعمال اللغوي قديما وحديثا دور هام في تحقيق عمليّة توليديّة لكلمات يجمعهما استعمال مختصر يفي بالغرض المقصود. وإنّها والله لعمري ميزة معرفيّة وتصوّر شامل وعطاء فكري متجدّد ومتغيّر لعالم الأحرف العربيّة حين تنصاع إلى قالب النّحت العربي فتصبح لها جماليّة متميّزة سواء من جهة التّركيب أم الدّلالة أم الإيقاع الذي يسمع أثناء التّلفظ[29]. مثل هذا الصّنيع في شأن النّحت من شأنه أن يمكّن الطّلبة من تحقيق عدد هائل من البنى التّراكيبيّة في صورتها النّحتيّة على حسب ما تقتضيه طبيعة السّياق؛

- التّعريب وصوره الاستعماليّة من جهة المصطلح: إذا كان التّعريب عند أهل الاختصاص "ضرورة قوميّة، وتأكيد للهُويّة الثّقافيّة والحضاريّة وفيه بلورة للذاتيّة، مع أنّه لا ينتفي معه وجود لغات أخرى يستعان بها ويستفاد منها تتكامل مع اللغة القوميّة"[30]؛ فإنّ الذي يزيد من قيمة الهويّة ليس تلكم التّبعيّة التي يأخذها التّصوّر العربي تجاه ما هو قائم في لغة الأصل، بل ينبغي أن يكون هناك صقل مستقل ومتميّز ينطلق من واقع اللسان العربي الأصيل فيتحقّق النّطق العربي السّليم والخفيف والحامل تلك الميزة التي هي من النّظام اللغوي العربي. على هذا الأساس يمكننا أن نزوّد الطّالب الجامعي في قسم اللغة العربيّة وآدابها بشموليّة التّعريب من حيث الاستعمال والوظيفة

والطّريقة، وذلك بسرد أمثلة كثيرة ومتنوّعة على حسب ما يخدم واقع الطّالب من جهة ما يقتضيه السّياق الواقعي الذي يعيشه؛

- التّرجمة وإشكاليّة وضع المصطلح: هذه هي الطّامة الكبرى التي لا تزال تتربع على عرش تلكم الأحكام غير المعللة والمنطقيّة والمنهجيّة فيما يخص أسبقيّة المصطلح الأجنبي من حيث الصّدارة والتّحديد والوظيفة والمنهج، وذلك ما نجده يجري في كثير من المؤسّسات الجامعيّة العربيّة في توظيفهم لكثير من المصطلحات النّقديّة الغربيّة على نيّة السّبق وعدم التّماثل أو التّقارب بما هو وارد في التّراث اللساني العربي. وهذا في الأصل حقّ أريد به باطل، ودليلنا على ذلك بكل اختصار شديد هو توظيف الفعل التّرجمي لدى المشتغلين العرب في مجال المصطلحيّة؛ إذ كيف يقر هؤلاء المشتغلون بشرعيّة الفعل التّرجمي الملازم لدلالة المصطلح النّقدي في سياقه الثّقافي والفكري الأصل، ويظلون تابعين من حيث الحكم والتّحديد لما هو قائم في دلالة النّص الأصلي دون إعطاء أدنى اهتمام ولا رعايّة إلى ما هو موجود وورد على السّنة العرب أو ما ورد في محكم تنزيله أو ما سار على لسان حال النّبي عليه الصّلاة والسّلام. نعتقد أنّ الإشكال لا زال قائما في فهم فلسفة "المكافئ التّرجمي" في التّصوّر العربي بشكل عام وفيمن يدرس مثل هذه المصطلحات في غالبيّة أقسام اللغة العربيّة وآدابها[31].

لنلو الآن عنان القلم وما راح يبينه من جهة التّصوّر المصطلحاتي من جهة الإدراك والاستيعاب القائم على مبدأ التّجريد، ولنقترب من الواقع المعيش الذي نعيشه في زمننا هذا فيما يخص إشكاليّة استيعاب غالبيّة طلبة أقسام اللغة العربيّة وآدابها للمصطلحات النّقديّة لاسيّما في مجال السّرد والرّوايّة والقصة والحكايّة وهلم جرا بحكم أنّها تحتوي على تصورات الغالب فيها أنّها مزيج من ثقافات وأفكار فلسفيّة ونقديّة وأدبيّة مستقاة من مرجعيات متعدّدة.

لقد ظلّ المصطلح النّقدي السّردي يمثّل بحق إشكاليّة نقديّة "عصيّة ومعضلة من معضلات الخطاب النّقدي العربي المعاصر، وموقعا معتاصا من أشكال المواقع

التي يتبارى فيها النّقاد، وبؤرة من أشد البؤر التي تثير من التّوتر والجعجعة ما تثير بين الباحثين والدّارسين"[32]. ولعلّ السّبب في مثل هذا النّوع من التّرويج غير المبرّر، أنّ التّصوّر العربي من جهة الأدب والنّقد لا زال تابعا لما يتصدّر من التّصوّر النّقدي الغربي في كثير من السّياقات؛ فراح يتلقّف غالبيّة المصطلحات النّقديّة والسّرديّة والسّيميائيّة بما يراها تخدم "الإبداع الأدبي، بل إنّ كثيرا من المفاهيم التي أدخلت إلى السّاحة العربيّة جاءت جاهزة قبل أن تنشأ الأعمال الأدبيّة التي تنطبق عليها، هذا ما جعل قضيّة المصطلح تبدو قضيّة ترجمة وتغريب في المحل الأول للمقابل التّرجمي إزاء ما يقترح من ألفاظ عربيّة"[33].

وخير دليل على هذا النّوع من التّبعيّة العربيّة تجاه المصطلح النّقدي السّردي وتنوعاته المصطلحيّة أنّنا نجد إطلاقات عدة توظّف على السّنة كثير من أساتذة النّقد والسّرد والرّوايّة- وهناك استثناء لاشكّ- في العمليّة التّعليميّة مع واقع طلبة أقسام اللغة العربيّة وآدابها، من مثل: الصّوت، عالم الحكي الدّاخلي والخارجي والتّبئير، الظّهو، التّواري، الإحاطة والمحدوديّة البشريّة، الموقف، العاكس، الحدث الشّخوص، الزّمان، المكان، الحوار وغيرها من المصطلحات السّرديّة والسّيميائيّة التي ترجع إلى المنظّرين الغربيين أمثال: جرار جينيت، وجاتمان، وستانزل، وتودوروف وبارث وهلم جرا؛ الشّيء الذي أدى بغالبيّة الطّلبة لا يستطيعون استيعاب وإدراك مثل هذه المصطلحات التي لا تستقر على حال من حيث التّصوّر والمنهج والطّريقة. ولعلّ أكبر دليل على ذلك ما نشاهده في الإطار التّطبيقي لهذه المصطلحات على النّصوص النّثريّة والأدبيّة والشّعريّة التي لا تحتكم إلى نظام إجرائي موحّد ثابت من حيث المصطلح والمنهج ممّا يسهّل على الطّالب تطبيقه على نصوص أخرى، بل كل أستاذ وتصوّره تجاه هذه المصطلحات والمفاهيم [34].

ولكي نكون على بيّنة من هذا المشهد التّعليمي البيداغوجي فيما يُقدّم من مادّة معرفيّة فيما يخص المصطلح اللساني والنّقدي إلى واقع طلبة أقسام اللغة

العربيّة وآدابها- جامعة القصيم / المملكة العربيّة السّعوديّة- لا مانع من ذكر أهم الصّعوبات والعراقيل في تقديم هذه المصطلحات لطلبة أقسام اللغة العربيّة، سواء من جهة الفهم أم التّطبيق على واقع النّصوص والخطابات، ثم نعقّب بعدها وفق ما يتمشى مع عتبة عنوان هذا المقال، محاولين بعدها اقتراح الطّريقة التي ينبغي أن تقدّم فيها المصطلحات اللسانيّة النّقديّة إلى واقع الطّلبة ممّا يحقّق بعدا تواصليا إبلاغيا بين المادّة المعرفيّة وتفاوت مستويات الطّلبة.

مصطلح(Sémiologie) وإشكاليّة المكافئ العربي: إنّ أدنى تأمل في مصطلح السّيميائيّة الذي يتقاسمه من جهة التّرجمة في اللغة الإنجليزيّة تعبيران هما:(**Simiology**) و(**Semiotics**)، يدرك العاقل أنّه ظل عرضة لتلكم الاختلافات المتعلقة بالمقابلات العربيّة التي غدت تختلف من مقام لآخر؛ فهناك السّيمبيولوجيا والسّيميوطيقا والسّيميوتيك وكذا علم الإشارات والإشاراتيّة وعلم العلامات والعلاماتيّة وعلم الأدلة والسّيميائيّة والسّيميائيات وهكذا دواليك، مما تزخر به ترجمة المصطلح بإجراءاتها النّظريّة والتّطبيقيّة، والسّبب في هذا كلّه أنّه- على حد اعتقاد مجموعة من الباحثين- "يحمل جذرا عربيا، كما يحمل أيضا معطى صوتيا معربا للصّوت الأجنبي، ويقبل الإضافة والجمع والنّسبة والاشتقاق" (35).

وتجدر الملاحظة- والحال هذه- إلى أنّ مصطلح (السّيميا) إن هو في الحقيقة إلاّ مصطلح دخيل لا يخرج عن معنى السّحر والشّعوذة، على أن يكون مصطلح (السّيمياء) في اللغة لا يخرج عن العلامة بمعناها الواسع، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (36)؛ الأمر الذي جعل عبد الواحد لؤلؤة يذهب ليصرح قائلا: "لماذا لا نتجنب المزالق ونقول السّيمائيّة وهي ترجمة أفضل في نظري من العلاماتيّة أو علم الإشارة؛ إذ يمكن أن يتصرّف المصدر

الصّناعي السّيمائيّة إلى صفة ظرف، في حين يصعب الصّناعي أو يستغرب الأمر في غير ذلك"([37]).

مصطلح(Réception) وإشكاليّة المعادل: دأبت غالبيّة المكافئات التّرجميّة العربيّة عند ترجمتها للمصطلح (**Reception**) باللغة الإنجليزيّة أو(**Réception**) باللغة الفرنسيّة أو(**Rezeption**) باللغة الألمانيّة تجعله على معنى التّلقي أو الاستقبال أو التّقبل. ولئن كانت تلكم هي حال المصطلح الأوّل فما بالك بالمصطلحات الأخرى([38]).

غير أنّ ما يلفت التّنبه في قضيّة هذا المفهوم بالذّات(التّلقي) والذي غدا غالبيّة المتخصّصين في حقل التّرجمة بعامّة والنّقد النّقد **Métacritique** على وجه أعم، أنّه راح يأخذ بعدا وجوديا معرفيا بحجة أنّه قد ورد في واقع النّص القرآني مصحوبا بسياقات حاليّة لازمت النّبي عليه الصّلاة والسّلام من جهة النّزول، إنّ على مستوى اللفظ أو المعنى، ومن ثم استوجب المقام طرح بعض التّساؤلات لعلّ من أهمّها ما يلي:

- ما السّرّ الوجودي/المعرفي في الفعل(نُلقي)الوارد في قوله تعالى {إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا} [39]؟
- ما علاقة فعل(الإلقاء) بالحدث القولي؟ أهي عمليّة تستطيع كلّ الذّوات أن تتحمّلها ومن ثم إدراك أبعادها وأغوارها العميقة؟ أم إنّها عمليّة إلقائيّة (التّلقي) جعلها الخالق مقترنة فقط بالنّبي عليه الصّلاة والسّلام؟
- لماذا تجدنا في الغالب الأعم عندما نريد التّحدث عن مصطلح (التّلقي) دائما نعود إلى تلكم المدونة الألمانيّة الغربيّة التي أضحى روّادها يتحدثون بإسهاب كثير فيما يخص هذا المصطلح الأخير، وكأنّ بنا لا مندوحة لنا من إدراك مثل هذا المصطلح وغيره كثر إلاّ في هذه المدوّنة الغربيّة، وما علينا إلاّ التّبعيّة العمياء التي لا تعرف البتّة النّظر والتّدبر والتّأمل في تراثها العربي الأصيل الذي يزخر بالكثير من المفاهيم والمصطلحات؟.

مصطلح (Narratologie) وإشكاليّة المكافئ: إنّه مصطلح السّرد أو السّرديّة أو علم السّرد أو نظريّة القصّة أو القصصيّة أو المسرديّة أو القصّيات أو السّردولوجيّة أو النّاراتولوجيا التي راحت في الغالب الأعم تقابل- عن قصد أو غير قصد- المصطلح الأصلي عند غالبيّة أهل الاختصاص وهو(Narratologie) وهي ترجمات يغلب عليها التّعريب الجزئي والكلي معا[40].

مصطلح(Herméneutique) وإشكاليّة التّحديد: إنّ فكرة التّأويليّة[41]،المكافئ التّرجمي للمصطلح النّقدي الفلسفي **Herméneutique**[42] غالبا ما تداخلت دونما قيد أو شرط مع فكرة التّأويل. غير أنّها تنفرد من حلقة التّأويل البسيطة والعاديّة في كونها تسعى إلى تأسيس النّظريّة. ومن ثمة كانت فكرة التّأويليّة بوصفها نظريّة للتأويل لتلكم الآونة بناء على أحد تعريفاتها الكلاسيكيّة فعلا تميل أصلا إلى الانشغال بالتّوجيه السّليم للجانب التّأويلي، وهو يلتزم في كلّ الحالات بشروطها وحدودها ومداها.

من هذا المنطلق وجدنا مصطلح (Herméneutique) يستقبله الكثير من المصطلحات والمفاهيم المتضاربة بين الحين والآخر على نحو: علم التّأويل والتّخريج، والتّفسير، والفهم، وفن الفهم وغيرها كثر فضلا عن تعريب اللفظ الدّخيل الذي ظلّت كثير من الأقلام تتناوله في أبحاثها: الهريمنيوطيقا وهيرمينيوتيك. غير أنّنا نؤمن بمصطلح التّأويليّة الذي يستطيع أن يفي بالغرض المقصود، ولأنّه في الوقت نفسه يمثّل فعلا الخلفيّة المعرفيّة التي يزخر بها التّراث العربي الأصيل في علاقته بواقع النّص القرآني والمضارع لمصطلح الهيرمنيوطيقا[43].

تعقيب وتوجيه: نعتقد في حدود تصورنا وعلمنا بهذا المجال التّعليمي البيداغوجي أنّ هذه الطّريقة تكشف عن عدة جهات منهجيّة يمكن لها أن تجعل طلبة أقسام اللغة العربيّة تسهّل عليهم عمليّة الفهم بالنّسبة للمصطلح اللساني والنّقدي معا، لعلّ من أهمّها ما يلي:

- لعلّ إرجاع الطّالب المتلقي إلى موروثه اللساني العربي يمثّل إطارا معرفيا ومنهجيا يستطيع أن يستشف من خلاله ما يمتاز به المصطلح من مرجعيّة معرفيّة وفكريّة وفلسفيّة ونفسيّة واجتماعيّة ولغويّة نشأ في رحابها وتأسس من خلالها؛ فتحقق فيه شرط التّحديد ومن ثم الوظيفة التي يتحلّى بها داخل الأسيقة التي يرد فيها؛
- إنّ شعور الطّلبة بمسؤوليّة هذا الموروث اللساني العربي لن تتأتى لهم ولن يستطيعوا تحملها والعمل من أجلها إلاّ إذا أخذ أساتذة أقسام اللغة العربيّة وآدابها بأيديهم فعرّفوهم ذلك حقّ المعرفة؛
- الاهتمام البالغ بدراسة المصطلحات اللسانيّة والنّقديّة في سياقها الأصلي دون الاعتماد على اللغة الواسطة، وهذا ما يدفع الجهات المعنيّة بالأمر التّفكير في تعلّم اللغات الأجنبيّة لكي تسهّل على الطّالب فهم واستيعاب المرجعيّة بشكل واضح ومميّز؛
- مراعاة في عمليّة التّعلم والتّعليم الإطارين المعرفيين: التّصوّر اللساني الغربي للمصطلح اللساني والنّقدي، والتّصوّر اللساني العربي للمصطلحين أيضا؛ الأمر الذي يؤهّل الطّالب أن يدرك مدى تحقّق الجوانب التي يلتقي فيها كلّ من الإطارين وفق ما يسمح به قانون التّقاطع أو الإسقاط؛
- مراعاة ما يسمّى في مجال اللسانيات باللغة الواصفة أو الشّارحة المعتمدة في عمليّة التّدريس؛ ذلك أنّ اللغة الواصفة التي يقدّم بها مادتي: المصطلح اللساني والنّقدي إلى واقع الطّلبة إذا روعيت مستويات الطّلبة من جهة الوصف والإجراء الوظيفي، سواء في السّياق الغربي للمصطلحين أم السّياق العربي على جهة المكافئ التّرجمي؛ فإنّ الطّلبة بدون شك يدركون بشكل جيّد أهم ما يحتويه المصطلح اللساني والنّقدي من أبعاد معرفيّة ومنهجيّة تختلف باختلاف طبيعة الحقول المعرفيّة.

مثل هذه الطّرق- وغيرها كثير- في التّعامل مع المصطلح اللساني النّقدي من شأنها أن تنير الطّريق للطالب الجامعي؛ فيعرف الإطار العام الذي نشأ في رحابه المصطلح الغربي، وفي الوقت نفسه يدرك أهم ما يعكسه هذا المصطلح من معان وفق ما أشارت إليه المدونة اللسانيّة العربيّة؛ ممّا يؤهل الطّالب في نهايّة المطاف أن يتعامل مع هذا الزّخم المعرفي والفكري والفلسفي الذي اقتحم المؤسّسات الجامعيّة العربيّة قاطبة والسّعوديّة على وجه أخص، فيُحسن التّعامل، ويُدرك عالم الأشياء وتتعيّن لديه معالم المقاصد؛ فيتحقّق حينها شرط المعرفة الذي نريده لطلبة أقسام اللغة العربيّة وآدابها.

أهم النّتائج فيما ذكر سابقا: مهما كان الأمر؛ فلعلّ أهم النّتائج التي يمكن أن تسجّل من خلال مضامين هذا المقال العلمي تتمثّل في النّقاط الآتيّة:

- يظلّ إشكال المصطلح اللساني والنّقدي مطروحا في عالم المؤسّسات التّعليميّة والتّربويّة في الجامعات العربيّة بعامّة والمملكة العربيّة السّعوديّة على وجه أخص؛
- إنّ غالبيّة الأنظمة الرّمزيّة التي تُوجِدها وتقترحها أيّ جماعة لسانيّة عربيّة هي التي تستوجب من القائمين بتدريس اللسانيات والمجال النّقدي أن يكونوا على وعي عميق بتجسيد معالمها في واقع المؤسّسات التّعليميّة الجامعيّة؛ وهذا لا يتحقّق إلاّ بتوفّر حصيلة لسانيّة نقديّة متعدّدة القيم؛
- إنّ سبب نفور غالبيّة طلبة أقسام اللغة العربيّة وآدابها من علم اللسانيات ومجال النّقد أنّ كلّ واحد منهما يحدوه نوع من التّجريد فيما يخص المدوّنة المفاهيميّة والإجرائيّة التي يحتويها؛ وهو أمر يستدعي من القائمين أن يُبسّطوا هذا التّجريد اللساني المصطلحاتي والنّقدي من جهة التّصوّر والمنهج والطّريقة والإجراء ممّا يسهّل على الطّالب فهم واستيعاب هذين الحقلين بكلّ بساطة؛
- لعلّ عدم الاهتمام بمعرفة لغة الأصل التي نشأ في رحابها المصطلح اللساني والنّقدي سبّب الكثير لدى طلبة أقسام اللغة العربيّة عدم معرفة

المرجعيّة المعرفيّة والمنهجيّة والإجرائيّة للمصطلح اللساني والنّقدي؛ الشّيء الذي جعل هذا الرّافد المعرفي القائم في عالم المصطلحات اللسانيّة والنّقديّة يستقبل لدى الطّلبة بدون معرفة أيّ سياق تاريخي ونفسي واجتماعي وفلسفي ولغوي الذي تأسّس في رحابه هذا التّصوّر الفكري الغربي؛

- إنّ عدم وعي غالبيّة الطّلبة بأهم الأسس المعرفيّة والفكريّة والفلسفيّة والدّينيّة والنّفسيّة والاجتماعيّة التي تأسّس في رحابها الموروث اللساني العربي أدى لا محالة إلى نوع من عدم الاستقرار تارة، وعدم الوعي الشّامل بما يجرى في عالم التّصوّر اللساني الغربي بمجالاته المتعدّدة والمتنوعة تارة أخرى.

الخاتمة: ما يمكن قوله في الختام هو أنّ التّلازم المعرفي والفكري والمنهجي القائم بين التّراث اللساني العربي والغربي لا يمكن أن يبتعد عن مبدأين اثنين هما: مبدأ الإطلاقيّة، ومبدأ الالزّاميّة. لكن لسائل أن يسأل هل هذان المبدآن يستوجبان التّحقّق واللزوم ومن ثم الوقوع بين التّراثين العربي والغربي؟ أم أنّ المبدأين لهما سياقان من حيث التّصوّر والوقوع لا يمكن أن يقعا جملة وتفصيلا؟

نقول إنّ تحقّق المبدأين: الإطلاق والالزّاميّة في تراث معرفي واحد ليس بالأمر السّهل؛ لأنّ هذه الحقيقة تستوجب استغناء وتعاليا ومركزيّة لا يمكن أن تحتاج إلى الغير، بل الغير محتاج إليها. إنّ الذي نؤكّد عليه تبعا لما أشرنا إليه بشيء مختصر غير مفصّل في هذا المقال، أنّ التّراث اللساني العربي ممثّلا بمفاهيمه ومصطلحاته المتعدّدة الجوانب والجهات يحقّق إطلاقا من جهة، وهو في أمسّ الحاجة إلى الزّاميّة ليجسّد بعض معالم التّكامل من جهة أخرى؛ كيف ذلك؟

إنّ قولنا بالإطلاق في حقّ تراثنا اللساني العربي هو قول يعكسه الإطار المعرفي والمنهجي الذي نشأ فيه هذا التّراث. غير أنّ هذا الإقرار في الأصل لا ينفرد به التّصوّر اللساني العربي لوحده، بل حتى التّراث اللساني الغربي له هذه الصّفة الإطلاقيّة التي جعلت غالبيّة النّظريات تعكس في باطنها هذه الحقيقة. لكن القاسم المشترك الذي لا يمكن للتراث اللساني العربي أن ينسلخ عنه ألبتة هو تلكم الالزّاميّة التي تجعل هذا التّراث يأخذ ويوظف ويقارب ما توصّلت إليه النّظريات اللسانيّة العالميّة؛ تصوّرا ومنهجا وإجراء؛ الأمر الذي يجعل هذا الالزّام يعطي للتراث اللساني العربي الشّرعيّة في تحقيق تلكم التّقاطعات التي يلتقي فيه وما توقف عنده القدامى من العرب(النّحاة والمفسرون والبلاغيون وعلماء الأصول والفلاسفة وهلم جرا) وما أشارت إليه اللسانيات والمناهج النّقديّة الغربيّة، وذلك في حدود ما يسمح به قانون التّقاطع والإسقاط.

نعتقد في حدود علمنا أنّ مثل هذا التّصوّر القائم على شرعيّة صفة الإطلاق التي يتمتّع بها كلّ من التّصوّر العربي والغربي، وصفة الالزّام التي يحتاجها

كلّ منهما، يستطيع أن يبني جيلنا العربي ممثّلا في غالبيّة طلبة أقسام اللغة العربيّة وآدابها؛ فيكونون على وعي عميق بمرجعيتهم المعرفيّة والفكريّة والفلسفيّة واللغويّة التي نشأ وتأسّس في رحابها هذا التّراث اللساني العربي الأصيل، ويدركون في الوقت آنه مسؤوليّة الزّام معرفة التّراث اللساني الغربي ابتداء من لغته الأصليّة وانتهاء بأهم الأطر المعرفيّة والمنهجيّة والإجرائيّة التي يلتقي فيها التّصوّران: العربي والغربي، ممّا يمكّنهم في نهايّة المطاف احترام هذا الزّخم المعرفي الهائل الذي تركه الأوائل من العرب. ثم إنّ المسؤوليّة هذه لا يمكن أن يستوعبها ويعيها الطّلبة إلا برعايّة مستمرّة ومتواصلة من لدن أساتذة اللغة العربيّة وآدابها في كافة المؤسّسات الجامعيّة العربيّة بعامّة والمملكة العربيّة السّعوديّة على وجه أخص؛ فيتحقق حينها الفهم والاستيعاب والإدراك ومن ثم الشّعور بمسؤوليّة واقع هذا التّراث العربي الذي لا يستطيع من نطق بحرفه العربي أن ينسلخ عنه بحال.

البيبليوغرافيا البحث:

القرآن الكريم.

المراجعة باللغة العربيّة:

أحمد مختار عمر: المصطلح اللساني وضبط المنهجيّة. مجلّة عالم الفكر الكويت العدد 3، مجلد 20، 1989.

إدريس الطّراح: تحديد مفهوم المصطلح؛ ضمن قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانيّة، إعداد عز الدّين البوشيخي، ومحمّد الوادي، سلسلة النّدوات جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المغرب، 12، 2000.

إيكو إمبرتو: السّيميائيّة وفلسفة اللغة. ترجمة: أحمد الصّمعي. المنظمة العربيّة للترجمة. بيروت، لبنان، ط، 2005

رشيد عبد الرّحمن العبيدي: الالسّنيّة المعاصرة والعربيّة. مجلة الذّخائر. العدد الأوّل السّنة الأولى، شتاء، 2000م.

سلطان سعد القحطاني: النّقد الأدبي في المملكة العربيّة السّعوديّة؛ نشأته واتجاهاته.ط1 الطّائف، النّادي الأدبي 2 الموافق 2003.

الطّاهر بن عاشور: تفسير التّحرير والتّنوير، دار سحنون للنشر والتّوزيع تونس،1997م

عبد الرّحيم محمّد عبد الرّحيم: أزمة المصطلح في النّقد القصصي. مجلة فصول في النّقد الأدبي؛ قضايا المصطلح الأدبي، المجلد السّابع، العدد 2/3، 1987.

عبد السّلام المسدي: المصطلح النّقدي وآليات صياغته. مجلّة علامات. 1993م. وقاموس اللسانيات. الدّار العربيّة للكتاب، تونس. 1984.

عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة. من البنيويّة إلى التّفكيك. عالم المعرفة، الكويت 1998، ودراسة في سلطة النّص. عالم المعرفة. الكويت. 2003.

عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربيّة. دار توبقال للنشر. الدّار البيضاء.ط2، 1986.

عبد الملك مرتاض: بين التّناص والتّكاتب. مجلّة قوافل. النّادي الأدبي، الرّياض السّعوديّة العدد السّابع، 1996

عبد الواحد لؤلؤة: أزمة المصطلح النّقدي، مجلّة علامات.1994م.

عبده عبود: التّلقي أم الاستقبال أم التّقبل؟ مقدّمات منهجيّة لدراسة استيعاب نظريّة التّلقي الأدبي ومنظومتها المصطلحيّة في الوطن العربي، جامعة اليرموك،1994م. والأدب المقارن؛ مشكلات وآفاق. مطبعة اتحاد الكتاب العرب. دمشق 1998

عزة محمّد جاد: نظريّة المصطلح النّقدي. الهيئة العامة للكتاب. الجزائر. 2002.

فاضل ثامر: إشكاليّة المصطلح النّقدي في الخطاب النّقدي الحديث. بيروت. الدّار البيضاء. ط1، 1994واللغة الثّانيّة في إشكاليّة المنهج والنّظريّة والمصطلح في الخطاب النّقدي الحديث. بيروت، الدّار البيضاء، ط1، 1994م.

فريد محمّد: مدخل إلى دراسة المصطلح النّقدي العربي. مجلة اللسان العربي. العدد 69 المغرب، 2012.

مازن الوعر: أزمة اللسانيات واللسانيين في الوطن العربي، مجلة المعرفة، دمشق العدد 251، 1983م

محمّد إسماعيل بصل:نحو رؤيا لسانيّة لوضع المصطلح. مجلّة دراسات نقديّة.ع6.1995. سوريا.

محمّد الدّيداوي: علم التّرجمة بين النّظريّة والتّطبيق. ط، دار المعارف للطباعة. سوسة تونس، 1999 .والتّرجمة والتّواصل. المركز الثّقافي العربي، دار البيضاء. المغرب، 2009. ومنهاج المترجم بين الكتابة والاصطلاح والهوايّة والاحتراف. المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.

محمّد رشاد الحمزاوي: مشاكل وضع المصطلحات اللغويّة، أشغال ندوة اللسانيات تونس 1981.

محمّد عزّام: منهج التّحليل البنيوي؛ دراسة في النّقد النّقد- تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النّقديّة الحديثة. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق. 2003.

محمّد علي الزّركان: الجهود اللغويّة في المصطلح العلمي الحديث. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق، 1998.

مصطفى الشّهابي: المصطلحات العلميّة في اللغة العربيّة بين القديم والحديث. ط2 1995.

منذر عياشي: قضايا لسانيّة وحضاريّة. ط1، دار طلاس للدراسات والتّرجمة والنّشر 1991م.

ميلود عبيد منقور: إشكاليّة المصطلح النّقدي؛ مصطلحات السّيميائيّة السّرديّة نموذجا. مجلة التّراث العربي. المجلد 26، العدد 104، اتحاد الكتاب العرب. 2006.

وغليسي يوسف: إشكاليّة المصطلح في الخطاب النّقدي العربي الجديد. منشورات الاختلاف. الدّار العربيّة للعلوم. الجزائر. 2008.

يان مانفريد: عالم السّرد؛ مدخل إلى نظريّة السّرد. ترجمة: أماني أبو رحمة. دار نينوى للدراسات والنّشر والتّوزيع، 2011،

باللغة الأجنبيّة:

- Bakhtine : Esthétique et théorie du roman, traduire,1965 Fr, Paris, Gallimard,1978,
- Didier Julia ; Dictionnaire de la philosophie la Rousse. Paris.

الموقع الإلكتروني:

- إدريس هاني:المشكلة المصطلحيّة كتصدير ردّا على تداوليّة طه عبد الرّحمن *www.kitabat.info/subject.php*

الهوامش:

[1]- ينظر في هذا المقام محمّد إسماعيل بصل: نحو رؤيا لسانيّة لوضع المصطلح مجلة دراسات نقديّة.ع6، .سوريا.1995، ص: 141

[2]- عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربيّة. دار توبقال للنشر. الدّار البيضاء.ط2 1986 ص: 394.

[3]- ينظر عبود عبده: الأدب المقارن؛ مشكلات وآفاق. مطبعة اتحاد الكتاب العرب. دمشق 1998 ...ص: 191.

[4]- ينظر الموقع الإلكتروني:

إدريس هاني: المشكلة المصطلحيّة كتصدير ردّا على تداوليّة طه عبد الرّحمن.*www.kitabat.info/subject.php*

[5]- ينظر عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة من البنيويّة إلى التّفكيك عالم المعرفة، الكويت 1998 وكذلك كتابه دراسة في سلطة النّص. عالم المعرفة. الكويت. 2003.

[6]- منذر عياشي: قضايا لسانيّة وحضاريّة. ط1، دار طلاس للدراسات والتّرجمة والنّشر 1991م. ص:11.

[7]- رشيد عبد الرّحمن العبيدي: الالسّنيّة المعاصرة والعربيّة مجلة الذّخائر، العدد الأول السّنة الأولى شتاء، 2000م.ص:25.

[8]- مازن الوعر: قضايا أساسيّة في علم اللسانيات الحديث. ص:21.

[9]- رشيد عبد الرّحمن العبيدي: الالسّنيّة المعاصرة والعربيّة. مجلة الذّخائر، العدد الأول السّنة الأولى، 2000. ص:31.

[10]- العبيدي. المرجع نفسه. ص:41.

[11]- ينظر عبد السّلام المسدي: قاموس اللسانيات. الدّار العربيّة للكتاب، تونس. 1984. ص:11 وما بعدها.

[12]- ينظر بالتّفصيل إدريس الطّراح: تحديد مفهوم المصطلح؛ ضمن قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانيّة، إعداد عز الدّين البوشيخي، ومحمّد الوادي، سلسلة النّدوات، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المغرب، 12، 2000، 91/1.

[13]- ينظر بالتّفصيل إلى مجموعة من الباحثين اللسانين الذين استطاعوا إلى حد كبير أن يجسّدوا هذه الحقيقة بشكل مفصّل محاولين في الوقت نفسه أن يقترحوا بعض الحلول لهذا النّوع من الإشكال من مثل: أحمد مختار عمر: المصطلح اللساني وضبط المنهجيّة. مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد 3 مجلد 20، 1989م، ص ص:5- 20.، مازن الوعر: أزمة اللسانيات واللسانيين في الوطن العربي، مجلة

المعرفة، دمشق، العدد 251، 1983م، ص ص:52- 90.، محمّد رشاد الحمزاوي: مشاكل وضع المصطلحات اللغويّة، أشغال ندوة اللسانيات، تونس، 1981. ص:259 وما بعدها.

[14] - قد يظن القارئ المتخصص في مجال الدّراسات اللسانيّة أنّنا أغفلنا كثيرا من الجهات المتعلقة بالمنجز اللساني الغربي في التّقسيم الذي أشرنا إليه، والحق ليس كذلك، فقط لأنّنا حاولنا أن نهتم بهذه التّقسيمات الثّلاث لأنّها تتماشى مع طبيعة التّصوّر القائم في عتبة عنوان البحث من جهة، ومن جهة أخرى أنّ تحديد عدد صفحات البحث لا يسمح أن نتوقف عند جميع التّفرعات اللسانيّة في علاقتها بالحقول المعرفيّة الأخرى، والتي أفرزت فيما بعد عدة حقول؛ وهي في الأصل أنّها كانت ضمن اللسانيات العامة من مثل: علم النّفس الاجتماعي وعلم الاجتماع اللغوي واللسانيات التّطبيقيّة واللسانيات الجغرافيا وهلم جرّا مما يعرفه أهل الاختصاص في هذا المجال المعرفي.

[15] - ينظر الطّاهر ابن عاشور: تفسير التّحرير والتّنوير، دار سحنون للنشر والتّوزيع،تونس،1997م،ص ص :236 - 239.

[16] - ينظر في هذا الصّدد:

Bakhtine :Esthétique et théorie du roman,traduire,,Paris,Gallimard,1978,pp : 39-40 .

[17] - ميلود عبيد منقور: إشكاليّة المصطلح النّقدي؛ مصطلحات السّيميائيّة السّرديّة نموذجا. مجلة التّراث العربي. المجلد 26، العدد 104، اتحاد الكتاب العرب. 2006. ص:49.

[18] - المرجع نفسه. ص: 50.

[19] - المرجع نفسه. ص: 50.

[20] - سلطان سعد القحطاني: النّقد الأدبي في المملكة العربيّة السّعوديّة؛ نشأته واتجاهاته.ط1 الطّائف، النّادي الأدبي. 2ه الموافق 2003. ص ص:206- 207.

[21] - سلطان سعد القحطاني. المرجع نسفه. ص:169.

[22] - ينظر بالتّفصيل مصطفى الشّهابي: المصطلحات العلميّة في اللغة العربيّة بين القديم والحديث. ط 2، 1995. ص:128.

[23] - مصطفى الشّهابي: المصطلحات العلميّة. المرجع السّابق. ص:128.

[24] - محمّد علي الزّركان: الجهود اللغويّة في المصطلح العلمي الحديث. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق، 1998. ص:384.

[25] - إشكاليّة المصطلح في الخطاب النّقدي العربي الجديد. ص ص:43.

[26] - المرجع نفسه. ص:43.

[27] - ينظر فريد محمّد: مدخل إلى دراسة المصطلح النّقدي العربي. مجلة اللسان العربي. العدد 69 المغرب، 2012. ص ص:98- 99.

[28]- ينظر عبد السّلام المسدي: قاموس اللسانيات. الدّار العربيّة للكتاب. تونس، 1984. ص:55 وما بعدها.

[29]- ينظر بالتّفصيل عزة محمّد جاد: نظريّة المصطلح النّقدي. الهيئة العامة للكتاب. الجزائر. 2002. ص:61.

[30]- محمّد الدّيداوي:علم التّرجمة بين النّظريّة والتّطبيق. ط، دار المعارف للطباعة. سوسة، تونس 1999. ص:5.

[31]- يمكن العودة في هذا السّياق إلى: مصطفى الشّهابي: المصطلحات العلميّة في اللغة العربيّة بين القديم والحديث. دمشق. المجمع العلمي العربي. 1965.ومحمّد الدّيداوي:التّرجمة والتّواصل.المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء. المغرب، 2009. وأيضا كتابه وهو مهم: منهاج المترجم بين الكتابة والاصطلاح والهوايّة والاحتراف. المركز الثّقافي العربي،الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 2005. وغيرها من الكتب التي تناولت هذا الأمر من جهات متعددة.

[32]- وغليسي يوسف: إشكاليّة المصطلح في الخطاب النّقدي العربي الجديد. منشورات الاختلاف. الدّار العربيّة للعلوم. الجزائر. ط، 2008. ص:11

[33]- عبد الرّحيم محمّد عبد الرّحيم: أزمة المصطلح في النّقد القصصي. مجلة فصول في النّقد الأدبي؛ قضايا المصطلح الأدبي، المجلد السّابع، العدد 3/2، 1987. ص103.

[34]- ينظر في هذا الإطار بالتّفصيل إلى يان مانفريد: عالم السّرد؛ مدخل إلى نظريّة السّرد. ترجمة: أماني أبو رحمة. دار نينوى للدراسات والنّشر والتّوزيع، 2011، وأيضا محمّد عزّام: منهج التّحليل البنيوي؛ دراسة في النّقد النّقد- تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النّقديّة الحديثة. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق. 2003. عبد الملك مرتاض: بين التّناص والتّكاتب. مجلة قوافل. النّادي الأدبي، الرّياض، السّعوديّة، العدد السّابع، 1996، وإيكو إمبرتو: السّيميائيّة وفلسفة اللغة. ترجمة: أحمد الصّمعي. المنظمة العربيّة للترجمة. بيروت، لبنان، ط، 2005، وغيرها مما هو معروف في النّقد والسّرد ...

[35]- فاضل ثامر: إشكاليّة المصطلح النّقدي في الخطاب النّقدي الحديث. بيروت.الدّار البيضاء. ط1 1994. ص:12.

[36]- من سورة الفتح الآيّة 29.

[37]- عبد الواحد لؤلؤة:أزمة المصطلح النّقدي،مجلة علامات.1994م. ص:122.

[38]- عبده عبود:التّلقي أم الاستقبال أم التّقبل؟مقدمات منهجيّة لدراسة استيعاب نظريّة التّلقي الأدبي ومنظومتها المصطلحيّة في الوطن العربي،جامعة اليرموك،1994م.ص: 20.

[39]- من سورة المزمل الآيّة5.

[40]- ينظر فاضل ثامر: اللغة الثّانيّة في إشكاليّة المنهج والنّظريّة والمصطلح في الخطاب النّقدي الحديث. بيروت، الدّار البيضاء،ط1، 1994م. ص: 11.

[41]- لقد فضلنا استخدام كلمة تأويليّة مقابل مصطلح(Herméneutique) وهي ترجمة نحسبها دقيقة في شأن المصطلح ونحن بذلك نذهب إلى ما ذهب إليه أستاذنا الفاضل أ/الدّكتور عبد الملك مرتاض حين رأى بأنّ كثيرا من الباحثين العرب من انصاع إلى ترجمة المصطلح في صورته الأصليّة الغربيّة على أساس أنّها ترجمة هجينة ثقيلة. يقول في هذا المقام ما نصّه:«...وعلى أنّ من النّقاد العرب من ترجم هذا المصطلح إلى العربيّة في صورته الغربيّة بكلّ فجاجة فأطلق عليه (الهرمنيوطيقا) وهو من أقبح ما يمكن أن ينطقه النّاطق في اللغة العربيّة ونحن لا نقبل بهذه التّرجمة الثّقيلة ما دام العرب عرفوا هذا المفهوم وتعاملوا معه تحت مصطلح التّأويل فلم يبق لنا إذن إلاّ أن نستعمل(التّأويليّة) مقابلا للمصطلح الغربي القديم. وإنا لا نرى بتعدديّة هذا المفهوم بالقياس إلى الاستعمالين الاثنين: المصطلح الفلسفي L'herméneutique، والمصطلح النّقديL'interprétation». د/عبد الملك مرتاض: التّأويليّة بين المقدّس والمدنّس. مجلّة عالم الفكر. المجلّد 29. العدد الأوّل الكويت. 2000م. ص:263.

[42]-Herméneutique: c'est une théorie de l'interprétation des signes, une réflexion philosophique sur les symboles religieux, les mythes et, en général toute forme d'expression humain sur le sens de l'émotion, celui d'une ouvre d'art etc.… L'Herméneutique des phénomènes humaines, qui requièrent une interprétation et une compréhension, s'oppose à l'analyse objective des phénomènes de la nature: c'est une notion cardinal de la philosophe moderne, notamment de la phénoménologie existentielle (Heidegger dans L'ETRE ET LE TEMPS, Jaspers, Sartre, P. Ricoueur)L'existence humaine et un signe dont le philosophe doit cherche le sens……voir dans ce contexte Dictionnaire de la philosophie la Rousse. Didier Julia. Paris. Pp: 123-124.

[43]- ينظر عبد السّلام المسدي: المصطلح النّقدي وآليات صياغته.مجلة علامات. 1993م. ص:98.

مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 22 العدد: 50 السّنة: الثّلاثيّ الثّاني 2020 ص: 405 - 420

تداوليّة الأفعال الكلاميّة في سورة الرّحمن

Speech Acts un the Surat al-Rahman

الباحثة: زابور إيمان[1]

إشراف د : محمد بولخراص

تاريخ الإرسال: 09 04 2019 تاريخ القبول: 29 09 2019

الملخّص: تهدف هذه الدّراسة إلى فحص الأفعال الكلاميّة في سورة الرّحمن وإبراز القوّة الإنجازيّة لهذه الأفعال من خلال التّداوليّة بصفة عامّة. ونظريّة أفعال الكلام لأوستين وسيرل بصفة خاصّة.

وسنرى أن أصناف الفعل الكلامي في سورة الرّحمن قد تمظهرت في أساليب إنشائيّة وخبريّة، وأنّ الأغراض الإنجازيّة اختلفت وتعدّدت حسب المقام.

الكلمات المفتاحيّة: التّداوليّة؛ أفعال الكلام؛ القوّة الإنجازيّة؛ سيرل؛ أوستين سورة الرّحمن.

Abstract: This study aims at examining speech acts un the surat al-Rahman world the illocutionaty force of these acts of speech has shown by beneficting from pragmatics un general and the theory of words of astin ans searle un particular.

The most important conclusions are that the actes of words un surat al-Rahman appared un performative, styles and iformative style and that these illocutionary forces are varied and according to the destinations.

[1] جامعة عبد الرّحمان ابن خلدون تيارت، البريد الإلكتروني: hcima17@hotmail.com

Key words :Pragmatics ; speech acts ; illocutionary force ;searl ; Austin.

مقدّمة: تعتبر سورة الرّحمن التي تميزت بافتتاحها باسم من أسماء الله "الرّحمن" من أهم السّور التي تناولت العقيدة الإسلاميّة، كما أنّها تعدّ من أهم السّور التي شرحت بالتّفصيل كثيرا من النّعم التي أنعمها الله على عباده، وكذا أهوال يوم القيامة، وهذا من خلال أساليب إنشائيّة متنوّعة؛ منها النّهي والاستفهام والإخبار، والوعد والوعيد...، وهذه الأساليب التي تحمل طبيعة إنجازية، هدفها تغيير الواقع، تسمّى أفعال الكلام.

تهدف هذه الدّراسة إلى استكشاف القوّة الإنجازيّة في سورة الرّحمن وهذا من خلال الاستفادة من الدّرس التّداولي بصفة عامّة ونظريّة أفعال الكلام بصفة خاصّة وهذه الدّراسة هي جوانب عن عدّة أسئلة من بينها: كيف تجسدت أفعال الكلام في سورة الرّحمن؟ وكيف تحقّقت القوّة الإنجازيّة من خلال ذلك؟

لم يعد التياران البنيوي والتّوليدي التياران الوحيدان اللذان يهيمنان على ساحة الدّراسات اللسانيّة، فقد أفرزت المعرفة المعاصرة نظريات ومفاهيم لغويّة متباينة في الأسس المعرفيّة، انبثقت عنها تيارات لسانيّة جديدة منها التيار التّداولي وهو مذهب لساني يدرس علاقة النّشاط اللغوي بمستعمليه وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغويّة بنجاح، والسّياقات والطّبقات المقاميّة المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل "الخطاب" رسالة "تواصليّة" واضحة و"ناجحة" والبحث في أسباب الفشل في التّواصل باللغات الطّبيعيّة...الخ [1](مسعود صحراوي،2008)

أوّلا: مفهوم التّداوليّة:

التّعريف اللغوي: ورد في معجم لسان العرب في مادّ ة "د،و،ل". تَدَاولنا الأمر أي أخذناهُ بالدّولِ وقالوا: دَوَاليكَ، أي مداولة على الأمر. ودَالتّ الأيام دَارَتْ والله

يُدَاولُهَا بينَ النّاسِ. وَتَداولتهُ الأيدي: أخذَتْهُ هذه مرّة وهذه مرّة ([2]ابن منظور دت). إذن فالمعنى العام للفظ (داول) هو أخذ مرّة بمرّة أي بالتّوالي.

ثانيا: الإصطلاحي: يعدّ تعريف موريس للتداوليّة أقدم تعريف في الدّرس الغربي الحديث، حيث قال: "إن التّداوليّة جزء من السّيميائيّة التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات " [3](أحمد فهد صالح شاهين،2015).

أمّا عند العرب فنجد طه عبد الرّحمن الذي يعود له فضل ترجمة وتعريب الكلمة الفرنسيّة(pragmatiquela) إلى العربيّة (التّداوليّة)، حيث يعرفها بأنّها "دراسة اللغة في الاستعمال أو في النّصوص **in interaction**، لأنّه يشير إلى أنّ المعنى ليس شيئا متأصّلا في الكلمات وحدها ولا يرتبط بالمتكلّم وحده ولا السّامع وحده، فصناعة المعنى تتمثّل في تداول اللغة بين المتكلّم والمخاطب في سياق محدّد، مادي، اجتماعي، لغوي وصولا إلى المعنى الكامن من كلام ما [4](أحمد فهد صالح شاهين،2015).

ثالثًا: أفعال الكلام: إنّ اللغة حسب أوستين ليست مجرّد وسيلة للوصف ونقل الخبر، بل أداة لبناء العالم والتّأثير فيه، وعليه فموضوع البحث في الدّرس التّداولي يتمحور بالأساس حول ما نفعله بالتّعابير التي ينطق بها، بهذا إذن يكون أوستين قد تقدّم بنظريّة بسط القول فيها عبر جملة محاضرات ومقالات ضمّنتها نظريّة بخصوص (الأفعال اللغويّة) التي خرجت تحت عنوان واحد- بعد وفاة صاحبها- وهو (كيف تنجز الأشياء بالكلمات)(**how to dothingswithword**) ([5]العياشي أدراوي،2011).

مفهوم فعل الكلام: أصبح مفهوم الفعل الكلامي (**speech act**) نواة مركزيّة في الكثير من الأعمال التّداوليّة، وفحواه أنّه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي – إنجازي تأثري، وفضلا عن ذلك يعدّ نشاطا ماديا نحويا يتوسّل بأفعال قوليّة **locutoires actes** إلى تحقيق أغراض إنجازيّة(**acts**

illicutoires) كالطّلب، الأمر والوعد والوعيد...الخ، وغايات تأثيريّة تخص ردود فعل المتلقي كالرّفض والقبول، ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب ومن ثم إنجاز شيء ما [6](مسعود صحراوي،2008).

وبالرّجوع إلى ما كتبه الفيلسوفان **جون أوستين** وتلميذه **جون سورل** حول هذا المفهوم اللساني التّداولي الجديد، يتبيّن أنّ الفعل الكلامي يعيّن الإنجاز الذي يؤدّي المتكلّم بمجرّد نطقه لمنطوقات معيّنة، ومن خلال منظومة من الأفعال كالنّطقيّة، والإنجازيّة، والتّأثيريّة [7](محمود عكاشة،2013)؛ فالفعل الكلامي هو العنصر الأساسي في التّداوليّة إذ يسعى إلى التّأثير في المخاطب وإنجاز شيء ما.

مرحلة النّشأة:

جهود جون أوستين حول نظريّة أفعال الكلام: تعدّ نظريّة الأفعال الكلاميّة مجالا من مجالات البحث اللساني التّداولي، إذ لم تكن أهمّها على الإطلاق، فقد كان بدء الحديث عن الأفعال الكلاميّة عند **جون أوستين** هو بدايّة الحديث عن التّداوليّة، "فاتضح الارتباط بين الموضوعين وارتبطت الجهود المقدّمة حولها في البدايّة بجهود هذا الفيلسوف الإنجليزي أوستين" [8](علي محمود حجي الصّراف،2010).

تصوّر جون أوستين: جاءت نظريّة أوستين مناقضة للفكرة السّائدة عند الفلاسفة الذين درسوا المعنى في إطار ما عرف بالمعنى القضوي(**prepositional meaning**) للجملة التّقريريّة الخبريّة، وهذه الجملة يمكن الحكم عليها بالصّدق والكذب [9](محمود عكاشة،2013).

يرى أوستين أنّه ليست كل الجمل جملاً خبريّة، وأن اللغة يمكن أن تستخدم لتنجز وعدا أو تصريحا أو زواجا أو تعميدا...إلى غير ذلك من الأفعال التي يقترن القول فيها بإنجاز الفعل [10](محمود عكاشة،2013).

كما يرى في نظريته أن كثيرا من الجمل والعبارات التي يشملها الحديث ليست خبريّة، ولا تخضع لمفهوم الصّدق والكذب، فاللغة تشتمل على أسئلة وعبارات تعجب وأوامر وتعابير خاصّة بالأمنيات والتّطلعات وعبارات التّرهيب والتّرغيب والتّشجيع.

وقد توصّل أوستين في بدايّة نظريته إلى نوعين من الأفعال:

الأوّل: أفعال تقريريّة (constative locutions) أفعال تصنف وقائع العالم وتكون صادقة أو كاذبة.

الثّاني: الأقوال الأدائيّة (locutions performative) التي تنجز لها في سياقات خاصّة للدلالة على معاني الأفعال التي لا تصنّف بالصّدق والكذب مثل التّسميّة والوصيّة والاعتذار والرّهان والنّصح والوعد [11](محمود عكاشة،2013).

رأى أوستين أنّ تمييزه بين الأفعال الإنجازيّة والأدائيّة غير موفق فاستدرك هذا بالإجابة على سؤال طرحه: كيف تنجز فعلا حين ننطق قولا؟ [12](محمود عكاشة،2013).

وقد قسم أوستين الفعل الكلامي الكامل إلى ثلاثة أفعال فرعيّة وهي كالتّالي:

أ- فعل القول أو (الفعل اللغوي) (locutoire Acte): ويراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة، ففعل القول يشتمل بالضّرورة على أفعال لغويّة فرعيّة وهي المستويات اللسانيّة، لكن أوستين يسميها أفعالا (الفعل الصّوتي، الفعل التّركيبي، الفعل الدّلالي). [13](مسعود صحراوي،2008).

الفعل المتضمن في القول(illocutoire Acte): وهو الفعل ألإنجازي الحقيق إذ "إنّه عمل يُنْجزُ بقول ما" والأفعال الإنجازيّة هي العنصر الأساسي في النّظريّة برمتها [14].(مسعود صحراوي،2008)

الفعل النّاتج عن القول(Acte perlocutoire): وهو المتكلّم الذي يتسبّب في نشوء آثار في المشاعر والفكر ومن أمثلة ذلك: الإقناع، التّضليل الإرشاد، وهناك من يسميه الفعل التّأثيري [15].(مسعود صحراوي،2008).

قدّم أوستين تصنيفه للأفعال الكلاميّة على أساس ما سماه قوتها الإنجازيّة(illocutionary force) وهذا من خلال محاضرته الأخيرة فجعلها خمسة أصناف، لكنّه لم يتردّد في القول بأنّه غير راض عن هذا التّصنيف [16].(محمود أحمد نحلة،2002)

1- أفعال الأحكام (verdictives) وهي التي تعتبر كما يدل المصطلح عن حكم يصدره محلف، أو محكّم، أو حَكَم مثل: يبرئ، يقدر، يعين...

2- أفعال القرارات(exrcitives): التي تعبر عن اتخاذ قرار في صالح شيء أو شخص أو ضده مثل: يأذن، يطرد، يحرم، يجند، يختار يوصي...الخ [17].(محمود احمد نحلة ،2002)

3- أفعال التّعهد: (commussives): وهي التي تعبر عن تعهد المتكلّم بفعل شيء أو الزّام نفسه به مثل: أعد، أتعهّد [18].(محمود احمد نحلة،2002).

أفعال السّلوك أو السّلوكيات:(Behabitives): وهي ترتبط بافصاحات عن حالات نفسيّة تجاه ما يحدث للآخرين أو بالسّلوك الاجتماعي ومن أمثلتها: أعتذر، شَكَرَ، هَنَأَ [19].(طالب السّيد هاشم الطّبطبائي،1994).

أفعال التّبيينيات(expositives): وهي توضّح علاقة أقوالنا بالمحادثة أو للحاجة الرّاهنة ومن أمثلتها: أتيت، أنكر، أجاب، اعترض [20].(طالب السّيد هاشم الطّبطبائي،1944).

إسهام سيرلفي المرحلة الأساسيّة للنظريّة: قد ينظر إلى إسهام سيرل في هذه النّظريّة على أنّها محاولة وضع حدود واضحة لأطراف النّظريّة، وسيفهم هنا بالإشارة إلى الإسهامات التّاليّة: [21].(طالب السّيد هاشم الطّبطبائي،1994).

1- قدّم سيرل شروط إنجاز كل فعل، إلى جانب بيان شروط تحوّل فعل من حال إلى أخرى [22].(خليفة بوجادي،2009).

2- قام بتعديل التّقسيم الذي قدمه أوستين للأفعال الكلاميّة فجعله أربعة أقسام أبقى منها على قسمين الإنجازي والتّأثيري، لكنّه جعل الفعل اللفظي قسمين:

ونص على أنّ الفعل العضوي لا يقع وحده بل يستخدم مع فعل انجازي في إطار كلامي مركب، يركز على المقصديّة من القول [23].(محمود احمد نحلة 2009)؛

3- رأى سيرل أن الفعل الكلامي أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلّم، بل هو مرتبط بالعرف الاجتماعي واللغوي؛

4- استطاع سيرل أن يطوّر تصوّر أوستين لشرط الملائمة أو استخدام (Felicity conditions) التي إذا تحقّقت في الفعل الكلامي كان موفقا فجعلها أربعة شروط وهي كالتّالي:

1- شرط المحتوى العضوي (propositional content)؛

2- الشّرط التّمهيدي(preparatury)؛

3- شرط الاخلاص(sencerity)؛

4- الشّرط الأساسي(essential) [24].(محمود احمد نحلة،2002.

لم يكتف سيرل بهذه الشّروط بل تعدّى الأمر إلى وجود على الأقل اثني عشر بعدا، وقد أعاد النّظر في تقسيم أوستين لأفعال الانجاز فبين ما فيه من أوجه الضّعف واعتمد في تقسيمه على أساس منهجي واضح هو الغرض الإنجازي وجعلها خمسة أصناف وهي [25]محمود احمدنحلة،2002).

1- الاخباريّة(assertives): الغرض منها هو نقل واقعة ما [26].(محمود احمد نحلة 2002)؛

2- التّوجيهات(directives): وغرضها الإنجاز بمحاولة المتكلّم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما؛

3- الالتّزاميات(commissives): وغرضها الإنجازي وهو التّزام المتكلّم بفعل شيء في المستقبل [27].(علي محمود حجي الصّراف،2010)؛

4- التّعبيريات(experssives): غرضها الإنجازي هو التّعبير عن الموقف النّفسي تعبيرا يتوفر فيه شرط الإخلاص؛

5- الإعلانيات(declarations): والسّمة المميّزة لهذا الصّنف من الأفعال أنّ أداءها النّاجح [28].(علي محمود حجي الصّراف،2010).

التّمييز بين الأفعال الإنجازيّة المباشرة وغير المباشرة: انطلق سيرل من تمييز أوستين بين الأفعال الإنجازيّة الصّريحة، والأفعال الإنجازيّة الأوّليّة فخطا في هذا الاتجاه خطوة واسعة فميز بين الأفعال الإنجازيّة المباشرة والأفعال غير المباشرة [29].(علي محمود حجي الصّراف،2010).

1- مفهوم الفعل المباشر: الأفعال الإنجازيّة المباشرة عند سيرل هي التي يتطابق فيها مراد المتكلّم فيكون معنى ما ينطقه مطلقا مطابقة تامّة وحرفيّة لما يريد أن يقول [30].(ابتسام بن خراف،2013)؛

2- مفهوم الأفعال غير المباشرة: الأفعال الإنجازيّة غير مباشرة هي التي تخالف مراد المتكلّم، فالفعل الإنجازي يؤدّى على نحو غير مباشر من خلال فعل إنجازي آخر [31].(محمود احمد نحلة،2002).

الفعل الكلامي في الدّرس العربي: أمّا الفعل الكلامي في الدّرس العربي الإسلامي نجده محصورا ضمن الظّاهرة الأسلوبيّة المتمثّلة في "الخبر والإنشاء وما يتعلّق بها من قضايا وفروع مكافئة لمفهوم أفعال الكلام عند المعاصرين" [32].(الطّبري،1994)

وباعتبار أنّ القرآن الكريم نص مقدس، فإنّنا لا نستطيع فهم بعض مفرداتها إلا بالرّجوع للسياق والظّروف المحيطة بها وبالتّراكيب المتضمّنة لها معها وهذا ما تتضمّنه نظريّة أفعال الكلام بكل تصنيفاتها التي نجدها في سورة الرّحمن صدا واسعا ومن هذا المنطلق سنقوم بإحصاء ومن ثم تحليل الأفعال الكلاميّة الواردة في سورة الرّحمن.

1- الإخباريات: تعتبر الأفعال الإخباريّة عنصرا أساسيا في نظريّة أفعال الكلام، وهي تصف واقعة معيّنة في العالم الخارجي وتكون ذات طابع صادق أو كاذب، الغرض منها هو نقل الأخبار [33]، كما أنّ للفعل الإخباري معان مباشرة تتمثّل في الوصف والإخبار، وهناك معان غير مباشرة تفهم من خلال سياق الكلام كالوعد والوعيد والمدح والدّعاء وغيرها... أمّا من ناحيّة النّص القرآني فيعتبر الشّاهد الأساسي في نقل أخبار الأنبياء والقصص، وهذا ما نجده في سورة الرّحمن فهذه السّورة تخبرنا عن الأحداث والقضايا الدّنيويّة والفلكيّة وكذا

النّعم التي أنعمها الله على عباده وسنحاول استخراج بعض النّماذج في هذه السّورة المباركة.

الفعل الكلامي	الغرض الإنجازي
﴿ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾"2"	الإخبار
﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴾ "3"	إظهار القوّة
﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾"5"	إظهار قوّة وعظمة الله في تسيير الكون
﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾"6"	بيان عظمة الله عزّ وجلّ و وحدانيته
﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴾"7"	بيان قدرة الله وتصريفه لشؤون الكون
﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾"10"	بيان قدرة الله وتصريفه لشؤون الكون
﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾"50"	الوعد
﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾"46"	الوعد
﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾22	الإغراء

1- 1- الإخبار: في قوله تعالى(**عَلَّمَ الْقُرْآنَ**) غرض إنجازي يتمثّل في الإخبار؛ الإخبار بأنّ الله تعالى هو معلّم الرّسول عليه الصّلاة والسّلام بقول الله تعالى ذكر الرّحمن أيّها النّاس برحمته إياكم علّمكم القرآن، فأنعم عليكم، إذ بصركم به، ما فيه رضا ربكم، وعرفكم ما فيه سخطه لتطيعوه باتباعكم ما يريه عنكم [3 4].(الطّاهر بن عاشور ،1984).

1- 2- إظهار القوّة: في قوله تعالى﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾غرض إنجازي يتمثّل في إظهار قوّة الله عزّ وجلّ، فالآيّة تحمل صيغة خبريّة "وهي الإخبار عن

سجود النّجم والشّجرة الله تعالى وهو الانتقال والامتنان بما في السّماء من منافع إلى الامتنان بما في الأرض" [35].(الطّاهر بن عاشور،1984).

1- 3- **الوعد:** فيقوله تعالى ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ غرض إنجازي متمثّل في الوعد يخبرنا الله عزّ وجلّ لمن اتقى الله من عباده، فخاف مقامه بين يديه فأطاعه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه جنتان، يعني بستانين. [36](محمود احمد نحلة،2002).

1- 4- **الإغراء:** في قوله تعالى ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾غرض إنجازي يتمثّل في الإغراء، فالآيّة تحمل صيغة خبريّة فهي تخبرنا عن الكنوز الموجودة في البحار قبل لما كان المعذب كاللقاح للماء المالح في إخراج اللؤلؤ [37].(الطّاهر بن عاشور،1984).

2- **الطّلبيات:** الأفعال الكلاميّة الطّلبيّة هي نوع ثان من أنواع الفعل الكلامي "وهي دالة على طلب بغض النّظر عن صيغتها ويتمثّل غرضها الإنجازي في التّأثير على المتكلّم ليفعل شيء آخر أو يخبر عن شيئا ما" [38].(الطّاهر بن عاشور،1984).

تعدّدت هذه الأفعال في سورة الرّحمن فكانت كالتّالي:

الفعل الكلامي	الغرض الإنجازي
﴿ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴾8	الأمر
﴿ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾	الأمر
﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾13	استفهام
﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	استفهام
﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴾	التّخويف والتّرهيب
﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾	التّوبيخ

2- 1- الأمر: في قوله تعالى ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾فعل كلامي مباشر (ألاّ تطغوا) فالرّب سبحانه وتعالى يأمر عباده بعدم الطّغيان في الميزان لما له من أضرار.

وفي قوله تعالى ﴿ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾تكرير لفظ تشديد التّوصيّة به وتقويّة للأمر باستعماله والحث عليه" [39](محمود احمد نحلة،2002) ولا تخسروا: جاء فعل كلامي مباشر للأمر عن امتناع اللعب بالميزان.

2- 2- الاستفهام: في قوله تعالى ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾استفهام عن تعيين نعمة من نعم الله يتأتي لهم إنكارها والفعل الكلامي المباشر "تكذبان" خطاب للكافرين الذين أنكروا نعم الله. [40](الطّاهر بن عاشور،1984).

3- 2- التّوبيخ: في قوله تعالى ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْئَلُ عَن ذَنبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ قوّة إنجازيّة تمثّلت في التّوبيخ عن السّؤال.

3- الالتّزاميات: وهي ثالث نوع من أنواع الفعل الكلامي، وهي التّزام المتكلّم بفعل شيء في المستقبل ومن معانيها غير المباشرة: "الوعد، الوعيد، المعاهدة الضّمان، الإنذار، والتّرهيب..." [41](الطّاهر بن عاشور،1984)

تعدّد الغرض الإنجازي للفعل الكلامي والالزّامي في الآيّة، فكان كالتّالي:

الفعل الكلامي	الغرض الإنجازي
﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾ 31	التّرهيب
﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾	التّرهيب
﴿ يَمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا ﴾33	المعاهدة
﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ 56.	الوعد
﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾	الضّمان

3- 1- التّرهيب: في قوله تعالى ﴿ سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾ فعل كلامي مباشر يحمل قوّة إنجازية وهي التّرهيب، ترهيب بأنّ حياة الدّنيا زائلة جلّة، أمّا الآخرة فهي الدّائمة كذلك تذكير أهوال يوم القيامة والثّقلان المقصود بها هنا: تثنيّة، ثقل، وهذا المثنى إسم مفرد لمجموع الإنس والجن.

3- 2- المعاهدة: في قوله تعالى ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ ﴾فعلا كلامي مباشر وهو(النّفاذ)، إذ يعدّ الله تعالى معشر الإنس والجن بعدم النّفاذ سواء في السّماء أم في الأرض إلاّ بأمره عزّ وجلّ.

3- 3- الضّمان: في قوله تعالى ﴿ تَبَارَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ فعل كلامي مباشر غرضه الإنجازي هو الضّمان والمعاهدة ببقاء وديمومة الله عزّ وجلّ فهو الواحد الأحد الذي لا يموت.

خاتمة: نستنتج مما سبق ذكره النّتائج التّاليّة:

- **تعتبر نظريّة أفعال الكلام أهم عناصر التّداوليّة، لأنّها النّواة الأولى لها.**
- **كل فعل كلامي يحتوي على قوّة إنجازيّة تفهم داخل السّياق.**
- **تنوّعت أصناف الفعل الكلامي في سورة الرّحمن تمثّلت في الخبريات الالزّاميات، التّأثيريات...**
- **الأسلوب الطّاغي على الآيات هو الأسلوب الخبري والإنشائي، حيث تتجسّد نظريّة أفعال الكلام عند العرب في نظريّة الخبر والإنشاء.**

قائمة المراجع:

القرآن الكريم

المؤلّفات:

1- مسعود صحراوي، التّداوليّة عند علماء العرب "دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التّراث اللساني العربي"، ط1، دار التّنوير، الجزائر 2008.

2- ابن منظور، لسان العرب، مادّة دول"، ط1، تح: عبد الله على الكبير وآخرون، ط1، ار المعارف، القاهرة، دت.

3- أحمد فاهد صالح شاهين، النّظريّة التّداوليّة وأثرها في الدّراسة النّحويّة المعاصرة ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2015.

4- العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التّداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النّوعيّة للظاهرة إلى وضع القوانين الضّابطة لها، ط1 منشورات الاختلاف، الجزائر، 2011.

5- علي محمود حجي الصّراف، في البراجماتيّة "الأفعال الانجازيّة في العربيّة المعاصرة"، دراسة دلاليّة ومعجم سياقي، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2010.

6- محمود عكاشة، النّظريّة البرجماتيّة اللسانيّة "التّداوليّة" دراسة المفاهيم، النّشأة والمبادئ، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2013، ص98، 99.

7- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دط، دار المعارف الجامعيّة، الاسكندريّة، 2002

8- طالب سيد هاشم الطّبطبائي، نظريّة الأفعال الكلاميّة بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، دط، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت 1994.

9- خليفة بوحادي، في اللسانيات التّداوليّة مع محاولة تأصيليّة في الدّرس العربي القديم، ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2009.

10- علي محمود حجي الصّراف، في البراجماتيّة الأفعال الانجازيّة في العربيّة المعاصرة دراسة دلاليّة ومعجم سياقي، ط1، مكتبة الآداب القاهرة، 2010.

11- الطّبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: بشار عواد معروف وآخرون، ط1 مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1994، مج7.

12- الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، دط، الدّار التّونسيّة، تونس 1984، ج7.

13- الزّمخشري، الكشاف، ط3، دار المعرفة، بيروت، 2009، ج7.

المقالات:

1- ابتسام بن خراف، أفعال الكلام في قصة كليم الله موسى عليه السّلام، مجلّة كليّة الآداب واللغات، بسكرة، ع12، 2013.

هوامش البحث:

[1]- مسعود صحراوي، التّداوليّة عند علماء العرب "دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التّراث اللساني العربي"، ط1، دار التّنوير، الجزائر، 2008، ص3.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، مادةّ دول"، ط1، دار المعارف، القاهرة، دت، ص1456.

[3]- ينظر أحمد فاهد صالح شاهين، النّظريّة التّداوليّة و أثرها في الدّراسات النّحويّة المعاصرة ط1،عالم الكتب الحديث الاردن ،2015 ص 10.

[4]- ينظر أحمد فاهد صالح شاهين، النّظريّة التّداوليّة وأثرها في الدّراسة النّحويّة المعاصرة ص10.

[5]- ينظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التّداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النّوعيّة للظاهرة إلى وضع القوانين الضّابطة لها، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر 2011 ص77.

[6]- ينظر: مسعود صحراوي، التّداوليّة عند علماء العرب، ص54، 55.

[7]- ينظر: محمود عكاشة، النّظريّة البر جماتيّة اللسانيّة "التّداوليّة" دراسة المفاهيم، النّشأة والمبادئ، ط1 مكتبة الآداب، القاهرة، 213، ص98، 99.

[8]- ينظر: علي محمود حجي الصّراف، في البرا جماتيّة الأفعال الانجازيّة في العربيّة المعاصرة، دراسة دلاليّة ومعجم سياقي، ط1، مكتبة الآداب القاهرة، 2010، ص22.

[9]- ينظر: محمود عكاشة، النّظريّة البر جماتيّة اللسانيّة التّداوليّة، دراسة المفاهيم النّشأة والمبادئ، ص97.

[10]- المرجع نفسه، ص97.

[11]- المرجع نفسه، ص97.

[12]- المرجع نفسه، ص99.

[13]- مسعود صحراوي، التّداوليّة عند علماء العرب، ص41.

[14]- ينظر: المرجع نفسه، ص42.

[15]- المرجع نفسه، ص42.

[16]- محمود أحمد محلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دط، دار المعارف الجامعيّة، الاسكندريّة 2002، ص69.

[17]- المرجع السّابق، ص69.

[18]- المرجع نفسه، ص70.

[19]- طالب سيد هاشم الطّبطبائي، نظريّة الأفعال الكلاميّة بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، دط، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، 1994، ص10.

[20]- المرجع نفسه، ص11.

[21]- المرجع نفسه، ص13.

[22]- خليفة بوحادي، في اللسانيات التّداوليّة مع محاولة تأصيليّة في الدّرس العربي القديم ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2009، ص96.

[23]- محمود أحمد محلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص71.

[24]- المرجع نفسه، ص73.

[25]- المرجع نفسه، ص74.

[26]- ينظر: محمود احمد نحلة، افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ،ص77

[27]- علي محمود حجي الصّراف، في البر جماتيّة الأفعال الانجازيّة في العربيّة المعاصرة دراسة دلاليّة ومعجم سياقي، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2010 ص55

[28]- المرجع نفسه ،ص55

[29]- المرجع نفسه، ص56.

[30]- ينظر: ابتسام بن خراف، أفعال الكلام في قصة كليم الله موسى عليه السّلام، مجلة كليّة الآداب واللغات، بسكرة، ع12، 2013، ص241.

[31]- ينظر: محمود احمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص49.

[32]- ينظر: الطّبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: بشار عواد معروف وآخرون ط1، مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1994، مج7، ص176.

[33]- الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، دط، الدّار التّونسيّة، تونس ، 1984، ج7 ص235.

[34]- ينظر: الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، ص190.

[35]- ينظر: المصدر نفسه، ص250.

[36]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص50.

[37]- الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، ص243.

[38]- ينظر: الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، ص243.

[39]- ينظر: محمود احمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص81.

[40]- ينظر: الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، ص26.

[41]- ينظر: ال طاهر بن عاشور، ص27.

مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 22 العدد: 50 السّنة: الثّلاثيّ الثّاني 2020 ص: 421 - 440

توظيف حروف الجر بين ضوابط النحويين القدماء واجتهادات المعاصرين من خلال معاجم الأخطاء الشّائعة

أ. الرّيتوني عبد الغني[1]
جامعة أمحمد بوقرة ببومرداس

تاريخ الإرسال: 23 05 2019 تاريخ القبول: 28 11 2019

ملخّص: اهتمّ علماء اللغة العربيّة بالتّصويب اللغوي منذ القديم حرصا منهم على تنقيّة ما علّق في لغتهم من شوائب، فكانت مؤلّفاتهم مصادر يُهتدى بها في مختلف العصور، ومرتعا للباحثين اللغويين وعامّة المثقفين من صحافيين ومدرسين وخطباء وأدباء، يصونون بها السّنتهم وأقلامهم من أدران الخطإ واللحن ومنذ ذلك التّاريخ والاهتمام متواصل في هذا المجال والأبحاث جاريّة في هذا السّبيل.

وليس يخفى على أحد من المنشغلين بقضايا اللغة أن الأخطاء – في عصرنا هذا – قد تفاقمت وتنوّعت لعدّة أسباب وعوامل، ما نجم عن هذا ظهور معاجم ترصد تلك الأخطاء، نجد أصحابها يُهرعون فيها إلى تعقّب بعض ما يدور على الالسّنة والأقلام من الألفاظ والتّراكيب فيتنازعونه بين مصوّب ومخطّئ فالأخطاء التي يرصدها باحث يقر بتصويبها آخر، وهذا ما يجعلنا نتساءل عن موقف متكلّمي اللغة العربيّة من هذا التّنازع.

ولعلّ استخدام حروف الجر من أبرز المسائل التي عناها اللغويون بالبحث والتّمحيص كونها أهم الرّوابط التي تربط بين أجزاء الكلام وعناصره، ونظرا لكثرة توظيفها وتعدّد معانيها فقد وُضعت في غير موضعها أحيانا وأُقحمت حيث

[1] جامعة أمحمد بوقرة ببومرداس، الجزائر ، البريد الإلكتروني: zitoughani77@gmail.com

لا يُحتاج إليها أحيانا أخرى، وهكذا وقع الاضطراب وحصل اللبس، ولهذا ارتأينا – في هذا المقال – أن نرفع الحجاب عن الأسباب الدّاعيّة إلى اختلاف الدّارسين حول التّخطئة والتّصويب في توظيف حروف الجر، وموقف مستعملي اللغة العربيّة من هذا الاختلاف والتّناقض، وإظهار سبل الاستفادة من معاجم الأخطاء الشّائعة جمعا بين ضوابط النّحويين القدماء واجتهادات المحدثين والمعاصرين وفق الاستخدامات المعاصرة للغة العربيّة على أساس أنّ اللغة استعمال.

Abstract: The use of prepositions between the controls of ancient grammarians and the jurisprudence of contemporary scholars through the dictionaries of common errors.

Being particularly keen to get rid of the defects caused to their language, the Arabic linguists have paid high attention to linguistic corrections since ancient times. Throughout many eras, their works were a guiding source for language scholars and intellectuals in general such as journalists, teachers, orators and authors. There is, ever since, continuing interest in this field that witnesses ongoing research .

It is no secret to those who are concerned with language issues that errors – in our time – have been exacerbated and varied for several reasons, resulting in the emergence of dictionaries of those errors whose authors rush to track some of the words and structures uttered or written, disputing on their correctness or wrongness. Wrongs that are monitored by a researcher are deemed correct by another. This makes us wonder about the position of the Arabic speakers regarding this divergence.

The use of prepositions is, probably, one of the most important questions that linguists have addressed with research and analyses as

they are the most important links that connect the parts of speech. Given their large use and the multiplicity of their meanings, prepositions have been misplaced sometimes and forced to where they are not needed other times, leading to a real confusion. Therefore, we seek – in this article – to lift the veil of the reasons for differences in the scholars' views on the error and correction in the use of prepositions, and to reveal the stance of the Arabic language users toward this difference and contradiction. We also aim to show ways of taking advantage of the dictionaries of common errors combining between the controls of ancient grammarians and the jurisprudence of contemporary scholars according to the contemporary uses of the Arabic language.

اهتمّ علماء اللغة العربيّة منذ القديم بصناعة المعاجم، ولعلّ معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي خير شاهد على ذلك، وهو لا يقل شأنا عن التّأليف في العلوم اللغويّة الأخرى من نحو وصرف وبلاغة...الخ، وكل هذا حرص منهم على جمع مفردات اللغة من دوائر الفصاحة، كما اهتموا أيضا بالتّصحيح اللغوي، فكانت مؤلّفاتهم مراجع يهتدى بها في مختلف العصور ويعد الكسائي (ت 179ه) من الأوائل الذين اهتموا بتصحيح الأخطاء اللغويّة بحيث ألف كتابا بعنوان " ما تلحن فيه العامّة ".

ومنذ ذلك التّاريخ والاهتمام متواصل في هذا المجال، فقد انبرى علماء أجلاء في مختلف العصور يدافعون عن العربيّة، وينفون عنها التّحريف، كابن السّكيت (ت 244ه) من خلال كتابه " إصلاح المنطق "، وأبي هلال العسكري (ت 395ه) في (لحن الخاصّة) ، والحريري (ت516ه) في" درة الغواص في أوهام الخواص"، وابن الجوزي (ت597ه) في " تقويم اللسان "... وغير ذلك .

وقد دأب اللغويون العرب على التّأليف في هذا المجال إلى عصرنا هذا الذي كثرت فيه الأخطاء الشّائعة، فظهرت معاجم حديثة ومعاصرة تبين صواب الكلام من خطئه، وصحيح الأساليب من سقيمها، ومن أشهر هذه المعاجم :

1. " معجم الخطأ والصّواب في اللغة " لإميل بديع يعقوب ؛
2. " محاضرات في الأخطاء اللغويّة الشّائعة " لمحمد علي النّجّار؛
3. " معجم الأخطاء الشّائعة " لمحمّد العدناني؛
4. " فتاوى لغويّة " للخويسكي؛
5. " كبوات اليراع " لأبي تراب الظّاهري؛
6. " قل ولا تقل " لمصطفى جواد .

فظلّت هذه المراجع ملجأ للباحثين اللغويين، ولِعامّة المثقفين من صحافيين ومدرّسين وأدباء وخطباء، يصونون بها أقلامهم والسّنتهم من الزّلل.

ولعلّ استخدام حروف الجر وتوظيفها من أهم المسائل التي أولاها اللغويون اهتماماتهم في هذا المجال، كون هذا الباب يعد من أدق والطّف الأبواب النّحويّة فحروف الجر مستخدمة بكثرة في اللغة العربيّة، ويرجع هذا لعدة أسباب منها:

- كثرة حروف الجر، فقد أوصلها النّحويون إلى عشرين حرفا؛
- كثرة معانيها، فنجد معاني الحرف الواحد قد تصل إلى ما يزيد عن عشرين معنى؛
- التّوسع في استعمالها، فقد ينوب بعضها عن بعض؛
- تعدد استعمالاتها، فهي تستعمل أصليّة وزائدة وشبيهة بالزّائد؛
- ارتباطها بالتّضمين الذي يتيح أن يتضح حرفا لتضمن الفعل معنى يقتضي هذا الحرف؛
- تتحدد كثير من علاقات التّركيب اللغوي بوساطة حروف الجر، فيكون له أثر في تكوين العلاقة بين الفعل والاسم؛

– تعد من أهم الرّوابط بين عناصر الكلام، وأجزاء التّعبير.

وإنّ استخداماتها المتعدّدة، وكثرة ورودها في كلام العرب، جعلت كثيرا من النّاطقين بالعربيّة يضعونها – أحيانا – في غير موضعها، ويقحمونها حيث لا يحتاج إليها، وهكذا وقع الاضطراب، لاسيما في عصرنا هذا، فكثيرا ما يعبث بضوابط توظيفها على غير العرف اللغوي، فالفعل قد يتعدّى بعدد من حروف الجر على مقدار المعنى المراد من وقوع الفعل، وقد يخرج عن الأصل، فيتعدى حرف جر آخر خلافا للأصل، وهذا الأمر ذو صلة بالتّضمين، يقول محمود إسماعيل عمّار: " ... فاستعملت في غير مواضعها، فأقحمت أو نقصت، وزيدت أو حذفت، وأبدل بعضها من بعض على غير ما تقتضيه العربيّة " [1]

وإنّ تخطئة بعض الأساليب اللغويّة ليس بالأمر الهين، فمن خلال اطلاعنا على بعض الكتب المهتمة بالتّصويب وجدنا أصحابها قد بالغوا في إخراج بعض التّراكيب عن الفصاحة، في الوقت الذي يمكن حمل تلك التّراكيب على التّضمين أو المجاز، فنجدهم يخطئون – مثلا – من يقول: " أرسل له رسالة " ودليلهم في ذلك أن الفعل (أرسل) يتعدى بحرف الجر(إلى) مستدلين بقوله تعالى: **"إذ أرسلنا إليهم اثنين"** [(2)]، وأنه ورد في القرآن الكريم متعديا بـ (إلى) دون (اللام) ، وهو ما أدى إلى التّجرؤ على الأساليب الفصيحة للغة العربيّة، وحدث اضطراب وخلط في المستوى الدّلالي أثقل كاهل الدّرس اللغوي في هذا المجال .

ولذلك آثرنا الوقوف على بعض التّراكيب التي شاعت في معاجم المعاصرين بأنّها خاطئة، إلاّ أنّ حملها على التّضمين يجعلها صحيحة، وأنّ العديد من هذه التّراكيب أقرها مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة.

وقد يكون الخطأ موجودا إلاّ أنّ المصحّح يكتفي بالتّخطئة، ولم يشر إلى أنّ التّعديّة بحرف جر آخر يجوز في سياق آخر مع بيان المعنى المستفاد، هذا الأمر الذي لم يكن خافيا على علماء اللغة الأوائل، يقول الحريري: " ويقولون

للمعرس: قد بنى بأهله، ووجه الكلام: بنى على أهله، والأصل فيه أن الرّجل كان إذا أراد أن يدخل على عرسه بنى عليه قبة، فقيل لكل معرّس: بانٍ ... ويجانس هذا الوهم قولهم للجالسّ بفناء بابه: جلس على بابه، والصّواب فيه أن يقال: جلس ببابه، لئلا يتوهّم السّامع أن المراد به استعلى على الباب، وجلس فوقه. وكذلك يقولون: رميت بالقوس والصّواب أن يقال: رميت عن القوس، أو على القوس، ... ولو قيل: هاهنا: رمى بالقوس، لدل ظاهر الكلام على أنه نبذها من يده، وهو ضد المراد بلفظه، فلهذا لم يجز التّأول للباء فيه ".[3]

فالحريري لم يكتف بتخطئة هذا التّركيب، بل حاول عرض سياقات أخرى، مع إبراز المعنى المناسب، أمّا أنّه لو اكتفى بسياق واحد، وذكر أن هذا الفعل يتعدى بحرف جر معيّن قد يجعلنا نعتقد – والحال هذه – أنّه لا تعدى بحرف جر آخر في سياق آخر.

وإنّ الاعتماد على تخطئة الآخرين أضحى يؤرق مستخدمي اللغة العربيّة فنجد كثيرا من الدّارسين الذين اعتنوا بجمع الأخطاء الشّائعة ومحاولة تصويبها يكتفون ببعض أقوال أصحاب المعاجم دون غيرها، مع عدم البحث والتّمحيص في المعاجم الأخرى، والتّقصير في الرّجوع إلى مختلف كتب الأدب شعره ونثره، فربما خطئت في بعض المعاجم، ولكنّها صوبت في أخرى، أو أقر أحد المجامع اللغويّة المعاصرة جوازها، فقول القائل:" اعتذر عن التّقصير" ، نجد العديد من اللغويين قد خطّأوا هذا التّركيب، ومنهم مصطفى جواد عضو المجمع العلمي العراقي ، وجعل الصّواب: "اعتذر من التّقصير"، وأتى بشواهد ونصوص من المعاجم، وكلام الأئمة التي تثبت تعديّة الفعل(اعتذر) بحرف الجر(من) حيث يقول: " إنما تستعمل (عن) مع اعتذر ومصدره لإفادة معنى النّيابة، يقال: اعتذر زيد عن عمرو، ومن الذّنب الذي جناه أو من تقصيره ".[4]

أمّا المعجم الوسيط معجم اللغة القاهري، فقد أجاز التّركيبين: " يقال : اعتذر من ذنبه، واعتذر عن فعله، اذا أظهر عذره واحتج لنفسه ". [5] كما أجاز التّعديّة بـ (عن)، و(من) معجم الصّواب اللغوي وجعل قول القائل: اعتذر عن رسوبه فصيحة واعتذر من رسوبه فصيحة أيضا. [6]

ولعلّ ظانا يظنّ أن هذا الكلام يفهم على أنه يخص (الذّنب) بـ (من) والفعل (عن) يرد على هذه الشّبهة الأستاذ صلاح الدّين الزّعبلاوي بقوله: " أقول إذا أراد ذلك فلا وجه له البتة، وإذا لم يعن ذلك فما الذي حمله على أن يحكي بالحرف عبارة الجوهري (الاعتذار من الذّنب)، ويضم إليها عبارة المصباح (واعتذر عنه فعله) فيجمع بينهما ويوهم أن (من) في استعمال الفعل غير(عن)، وقد كان الأمثل أن يطبع على غراره الإفصاح، فيقول: واعتذر عن فعله ومنه ". [7]

فإذا أنت أدليت بعذرك إلى صاحبك، وطلبت قبول العذر، قلت: " أعذرت إلى فلان "، ولا تستطيع أن تقول: " اعتذرت عن فلان " حتى يكون اعتذارك نيابة عنه وأمّا إذا أردت الكشف عن سبب اعتذارك، وما حملك عليه، فأنت تقول: اعتذرت إليه تقصيري، هذا هو الأصل، وعليه نصّت المعاجم، ولكن هل تقول: اعتذرت إليه عن تقصيري؟ أقول: مادمت تقصد بقولك (عن تقصيري) ذكر سبب الاعتذار وعلته وحملك عليه، فالكلام سائغ مستقيم، وقد قالتّ به المعاجم، وجرت عليه السّنة الأئمة قال الفيومي: " واعتذر إليّ: طلب قبول معذرته، واعتذر عن فعله أظهر عذره " [8] وأما استعمال الأئمة له فيقول ابن جني: " ويؤكده لك أننا نعتذر لهم من مجيئهم بلفظ المنصوب في التّثنيّة على لفظ المجرور، أي: نعتذر عن فعلهم هذا ...". [9]

وينقل محمد العدناني أنهم: " يخطئون من يقول: حذر من الشّيء، ويقولون إنّ الصّواب هو" حذر الشّيء اعتمادا على ما جاء في الصّحاح، ثم مفردات الرّاغب الأصفهاني، وقوله تعالى:﴿ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ ﴾ [10]

وجاء الفعل (حذر) مضارعا وأمرا تسعَ مرات أخرى في القرآن الكريم يليه مفعول دون أن يكون مسبوقا بحرف الجر(من)، ثم اعتمدوا على ما جاء في الأساس ثم اللسان ثم المصباح ثم التّاج ، ولكن محيط المحيط ، ومتن اللغة ، والمعجم الوسيط أجازوا (حذر الشّيء وحذر منه) ". [11]

ويخطئون من يقول: خشي من الفقر، يقولون: " إن الصّواب هو خشي الفقر، واعتمدوا في تخطئتهم تلك على اكتفاء الصّحاح، ومفردات الرّاغب، واللسان والمختار والقاموس والتّاج ومتن اللغة بذكر الفعل (خشيه) وعلى قوله تعالى: **"وتخشى النّاس والله أحق أن تخشاه"** [12]، وورد الفعل (خشي) متعديا تعديا مباشرا 34 مرة أخرى في القرآن الكريم، ولكن الأساس قال: خشي الله، **وخشي** منه، وتلاه القاموس فالمعجم الوسيط فأجازا خشيته وخشي منه " . [13]

كما يخطئ مصطفى جواد قول القائل: " خرج فلان على القانون " وأن الصّواب هو" خرج فلان عن القانون" أو حاد عنه، أو عدل عنه، ونكب عنه نكوبا " وأن قولهم : خرج فلان على القانون، يفيد عكس المراد، لأن المعنى هو سيره على حسب ما يوجبه القانون " [14]، في حين نجد العدناني يجوّز القولين فهو يقول: " يبيح لنا المجاز أن نقول (خرج على القانون) ، لأن القانون تضعه الدّولة، وهو مسبب عنها، فهو مجاز مرسل علاقته المسببيّة، كقوله تعالى: **"وينزل لكم من السّماء رزقا"** [15]، فالرّزق لا ينزل من السّماء، ولكن الذي ينزل مطر ينشأ عنه النّبات الذي منه طعامنا ورزقنا، فالرّزق مسبب عن المطر، وهو مجاز مرسل علاقته المسببيّة مثل علاقة القانون الذي تضعه الدّولة، ويكون سببا عنها لذا يصحّ أن تقول : خرج عن القانون وخرج على القانون ". [16]

ويخطئ بعضهم تعدي الفعل(تعرض) بحرف الجر(إلى)، و" إنّما يتعدى باللام تقول: تعرض له إذا تصدى له وطلبه ". [17] ولكن الأستاذ صلاح الدّين الزّعبلاوي لم يرتض هذا الرّأي، وإنّما جوز التّعدي بـ (إلى) وبـ (اللام) " فإذا قلت: تعرض إلى

فلان فقد قصدت أن تعرضك إنما تتناول فلانا بطلبه وابتغائه ن وإذا قلت: تعرض لفلان فقد أردت أن تعرضك بالطّلب والابتغاء، وإنما انتهى وصار إليه ". [18] لأنّ حرف الجر(اللام) معناه الأصلي هو الانتهاء.

ويحرّم بعض الدّارسين تعديّة الفعل (زاد) بـ (عن)، لأنّ المعاجم لم تذكر تعديته بها، وأنّه يكون لازما كقولهم: زاد المال، وزاد ماء النّهر، وقد يكون متعديا بنفسه، كقولهم: زاده الله مالا، ومنه قوله تعالى:**"وزاده الله بسطة في العلم والجسم"** [19]، ويكون متعديا بـ (في) كقولك: زدت لفلان في نصيبه، كقوله تعالى: **"من كانيريدحرث الاخرة نزد له في حرثه"**[20]، ويكون متعديا بـ(على) كقوله تعالى: " أو زد عليه "، إلاّ أنّه ورد في الشّعر الجاهلي متعديا بـ(عن) كقول الشّاعر قبيصة بن الجرمي: [21]

يَزِيدُ نَبَالُهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَنَافِلَةً وبَعْضُ اَلْقَوْمِ دُونُ

وبهذا احتج صاحب" معجم الصّواب اللغوي" قائلا: " يصح استعمال(زاد) متعديا بـ (عن)" [22]، ومع أن ورود تعديته بـ(عن) قليل إلاّ أنّه لا يمكن حرمان مستعملي اللغة العربيّة من هذا التّركيب، في حين تشدد بعض اللغويين إمّا لعدم وروده في المعاجم، أو في القرآن الكريم، أو ربما قصور الاطلاع .

وخطّأ بعضهم قول القائل: " يؤدي إلى كذا " بحيث أنكروا أن يقال: " هذا العمل يؤدي إلى النّجاح، وهذا الطّريق يؤدي إلى المدينة، لأن معاجم اللغة لم تذكر (أدى) إلاّ متعديا بنفسه، كما في قوله تعالى:**"ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك"** [23][24]، إلا أن التّعبير الأول سليم، وأن الفعل متعد إلى المفعول دائما لا بـ (إلى) غير أن المفعول حذف جوازا للعلم به، والأصل: هذا العمل يؤدي صاحبه إلى النّجاح، وهذا الطّريق يؤدي السّائر فيه إلى المدينة، وهناك أفعال كثيرة تذكر مفعولاتها أحيانا، وتحذف تارة أخرى لغرض من الأغراض منها (آثر)، فهو متعد بنفسه مذكور معه فعله في قوله تعالى﴿لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ ﴾ 25

وقوله أيضا:"**بل تؤثرون الحياة الدّنيا**"[26] وهو أيضا متعدّ بنفسه محذوف فعله جوازا "**ويؤثرون على أنفسهم**".[27] أي: يؤثرون غيرهم على أنفسهم ".[28]

وذهب معظم المصحّحين اللغويين إلى تخطئة قول القائل: " ممّا يؤسف له..."، قال عباس أبو السّعود: " وهذا خطأ بيّن لأن الأسف هو المبالغة في الحزن وهو أيضا التّلهّف والتّحسّر، فكما يقال: تحسر على هذا، يقال أسف على هذا، وفي القرآن "**يا أسفي على يوسف**"[29][30]، وقال: " فشا بين المتأدبين قولهم: ممّا يؤسف له، أسف فلان لفراق أحبته، أسفت لعدم مقابلتك، تأسف الطّالب لرسوبه... وهذا الفعل وما يشتق منه يتعدّى بـ (على) ".[31]

كما استدل بقول الشّاعر:

غَيْرُ مَأسوفٍ عَلَى زَمَنٍ يَنْقضِي بالهمِّ والحَزَنِ[32]

واعتمدوا في هذا أيضا على أن المعاجم القديمة لم تذكر إلا تعديّة الفعل (أسف) إلاّ بحرف الجر(على).[33]

أمّا معجما الصّواب اللغوي واللغة العربيّة المعاصرة، فقد أجازا تعديّة باللام فقد ورد في معجم الصّواب اللغوي: " أن التّعدي بـ(على) هو الفصيح، ولكن يصح أن يتعدى باللام في قولنا: آسف لفراقنا، وأسف لما بدر منه، بمعنى تألم وندم".[34]

وقد بنى هذا التّصحيح على تضمين الفعل(أسف) معنى فعل آخر يتعدى باللام، أو على تناوب (اللام) و(على).

وكذلك الفعل (أذن) الذي يتعدى بـ(اللام) كقوله تعالى:"**وأذنت لربها وحقت**"[35] ويتعدى بالباء، إذ تضمن معنى (سمح)، أو كقوله تعالى: "**ماوصى به نوحا**"[36] الذي تضمّن معنى (أباح)[37] أو تضمن معنى(أمر)، فقد ورد في (الأساس) قول الزّمخشري: أنشدني بعض الحجازيين:

وَبَيْتُنَـــا بِقَرْوَاحِيّـــة لاَ ذرا لَهَـــا مِـــنَ الـــرّيحِ إلاّ أَنْ يَلُـــوذَ بِكُـــورِ

فَلَـــا الصّـــبْحُ يَأتِينَـــا وَلَـــا اللَّيْـــلُ يَنْقَضِـــي وَلاَ الـــرّيحُ مَـــأْذُونٌ لَهَـــا بِسُـــكُورِ[38]

ويمكن حمل (أذن) على (أمر)، والمعنى يقتضي ذلك، فالرّيح تؤمر بالسّكون والفتور، وكذا الآيّة، لأن الحديث عن الدّين والشّرع والتّعبد وهي ممّا يؤمر به فحسن تعديّة (يأذن) بالباء للدلالة على هذا المعنى، وما زاد ذلك حسنا أن تقع هذه الباء في مقابل الباء الذي في أوّل الحديث، كما جاء في الآيّة: "**شرع لكم من الدّين ما وصى به نوحا...**"[39] [40]

وخطّأ بعضهم قول القائل: " أجاب على السّؤال "، يقول محمود إسماعيل عمار: " ويظهر من استعمالات القرآن الكريم أنّه استعمل(أجاب) (يجيب) متعديا بنفسه في كل المواضيع، وعددها ثماني مرات نحو "**أجيب دعوة الدّاعي إذا دعان**" [41] ونحو: "**قد أجيبت دعوتكما**" [42] وقول الشّاعر كعب بن سعد الغنوي [43] (ت نحو10ق ه) يرثي أخاه أبا المِغْوَار :

ودَاعٍ دعَـا يَـا مَـنْ يُجيـبُ إِلى النّـدَا فَلَـمْ يَسْـتَجِبْ عِنْـدَ النّـدَاءِ مُجيـبُ

فَقُلْـتُ ادْعُ أُخْـرَى وارْفَـعِ الصّـوتَ ثانيـا لعَـلَّ أبَـا المِغْـوَارِ منـكَ قَريـبُ

يُجِبْـكَ كَمَـا قَـدْ كَـانَ يَفْعَـلُ إنَّـه بأمثالِهَـا رَحْـبُ الـذّرَاعِ أَرِيـبُ

فالشّاهد في هذه الأبيات قول الشّاعر(يجبك) بحيث عدى الفعل (أجاب) بالمفعول به مباشرة من غير حرف جر.

وأجاز مجمع اللغة المصري التّعديّة بـ (على) و(عن) واستدلوا بقول ابن جني: " جوابا على سؤالي" . [44]

فكثير من الأفعال في اللغة العربيّة نجدها متعددة الاستعمال، بحيث نجدها تتعدى بنفسها وبعدد من حروف الجر، ينبغي حينئذ معرفة دلالة التّعديّة مع

كل حرف، فالفعل (أخذ) مثلا يتعدى بنفسه، نحو قوله تعالى:**"لا تأخذه سنة ولا نوم"** [45] وقوله تعالى أيضا: **"وأخذت الذين ظلموا الصّيحة"**[46] وبالباء فنقول: أخذت الشّيء، وأخذ بهذا الرّأي إذا تضمن معنى (تمسك)، وبحرف الجر(في) بمعنى بدأ وشرع، كما في قولهم: أخذ في الحديث، أو في المسير، وبحرف الجر(على) نحو: أخذت على يد فلان بمعنى: منعته عما يريد أن يفعله، وبحرف الجر(عن) نقول: آخذ عنك، ويتعدى إلى مفعولين في الافتعال إذا تضمن معنى الفعل (جعل) كقوله تعالى: **"لا تتخذوا اليهود والنّصارى أولياء"** [47][48]

في حين لا يمكن إنكار بعض الأخطاء لاسيما ما تعلّق منها بالتّرجمة من اللغات الأوربيّة كالفرنسيّة والانجليزيّة، فالفعل(أثّر) يتعدى بـ (في) أو بالباء يقال: أثّر فيه أو به ولك فيه تأثير عظيم،... وأثر فينا بحسن حديثه، أمّا تعديّة أثر بـ(على) فترجع إلى التّرجمة من اللغات الأوروبيّة، فالفعل في الفرنسيّة مثلا يتعدى بـ (على) فهم يقولون" influer sur lui "، وهذا العلو يقترب بالكلمة ومشتقاتها عندما يقولون: وقع تحت تأثير كذا، فهو ترجمة لقولهم في الفرنسيّة "il est sous l'influence" وقولهم في الانجليزيّة " it is under influence" [49]، ومع ذلك هناك من يرى بتصحيحها، وإدخالها في معجم اللغة العربيّة، لأن اللغة كائن حي يتأثر ويؤثر، وهي في تطور مستمر ودائم، وهذا شأن كل اللغات وفي مختلف العصور.

ومن آثار التّضمين كذلك أنّه أسهم في توليد تراكيب وألفاظ جديدة لم تكن مستخدمة من لدن القدماء، أو أنّها كانت موظفة إلاّ أنّها أصبحت تؤدي وظيفة دلاليّة جديدة، أو ما يعرف بالتّغير، أو التّطور الدّلالي.

فلو تتبعنا مادة (أ ك د) في المعاجم العربيّة – لاسيما القديمة منها – لوجدنا الفعل (أكد) يتعدى بنفسه، يقول صاحب العين:" أكدت العقد واليمين وثقته ووكدت لغة والهمزة في العقد أجود". [50] ويقال: دست الحنطة ودرستها

وأكدتها،... ويقال: وكده، يكده، وكدا أي: أصابه " [51]، وقد جعل ابن فارس الهمزة ليست أصلا، لأنّها مبدلة من واو، يقال: وكدت العقد" [52]، ونقلت معظم المعاجم الفعل(أكد) متعديا وذلك اعتمادا على معجم العين، وتهذيب اللغة ومقاييس اللغة. [53]

أمّا في العصر الحديث فنجد معجم الصّواب اللغوي يذكر تعديّة الفعل (أكد) بحرف الجر(على) إذ يصح أن تقول: أكد المدير على ضرورة الالتّزام بمواعيد العمل وهذا على الرّغم من إقراره بأن الوارد في المعاجم هو تعديّة هذا الفعل بنفسه، وأنه أفصح، وقد خُرِّج التّعبير على وجهين، الأول: تقدير مفعول محذوف لـ (أكّد)، فتقول: أكد المدير الحث والتّنبيه على كذا والثّاني: أن يضمن (أكّد) معنى نبه أو حث، وهما يتعديان بحرف الجر(على) ". [54] فالفعل (وكد) كان يدل على الإحكام والشّد حينما تعدى الفعل إلى المفعول به، وأصبح في العصر الحديث غالبا ما يستخدم متعديا بحرف الجر(على) بمعنى التّشديد فنقول مثلا: " يؤكد الوزير على رفع مستوى الإنتاج " معناه تأكيد يتضمن التّشديد، بمعنى أنّ الوزير شدد رفع مستوى الإنتاج والفعل (وكد) حصل له تغيير دلالي عن طريق التّضمين.

ولو تأملنا المادة (د ف ع) لوجدنا الفعل (دفع) يتعدى إلى المفعول به مباشرة فنقول: دفعت عنه كذا وكذا دفعا ومدفعا، أي: منعت". [55] يقول ابن فارس: " الدّال والفاء والعين أصل واحد مشهور، يدل على تنحيّة الشّيء، يقال: دفعت الشّيء أدفعه دفعا، ودافع الله عن السّوء دفاعا " . [56]

فالفعل ورد متعديا إلى المفعول به ثم حرف الجر(عن) متضمنا معنى المنع ويمكن أن يتعدى الفعل بـ (إلى) إذا تضمن معنى الاضطرار، فنقول: دفعه إلى كذا دفعا، أو بمنعى الرّد، كقولنا: دفع إليه الشّيء، إلاّ أنّه أصبح يستخدم استخداما آخر في العصر الحديث"، وهو تضمينه معنى التّوجيه". [57] كقولنا: "

دفعت الجانبين إلى تنفيذ أمر معين، أي: وجهتها إلى تنفيذ أمر معين.

ومن أمثلة هذا الباب تعديّة الفعل(أسرع)، فقد رفضت بعض المعاجم تعديته بحرف الجر(الباء) معتمدة على الأشهر من المعاجم القديمة، وهو تعديته بحرف الجر(في)، ولكن أجاز بعض اللغويين تصحيح هذا، فنقول مثلا: أسرع بالدّخول وأقر مجمع اللغة المصري هذا وذاك...، ومن ثم يمكن تصحيح الاستعمال المرفوض على تضمين(أسرع) معنى (بادر)، ويقوي هذا وروده في كتابات القدماء لأنّ الفعل (بادر) يتعدى بالباء وبنفسه.

فالملاحظ في المعاجم أن معظم التّصويبات والتّصحيحات عملت على التّضمين، ولاسيما معجم الصّواب اللغوي، ومعجم مجمع اللغة المصري.

" وقصارى ما هنالك أنّه قد صح بما قدمنا أنه لا يجزيك في اختيار الحرف لتصريف الفعل العودة إلى المعجمات لتقع على الحرف الذي خص به الفعل في معنى من المعاني، أو إلى كتب اللغة لتقف على المعاني المطردة لكل حرف، بل لابد أن تحظى بنصيب وافر من الدّرايّة، وتضرب بسهم من الفقه بمطالعة كتب الأدب نثره وشعره، وطول مدارستها فلا شك أنّها ستطلعك على ما يطرفك في هذا الباب، وتسبق بك إلى الحكم على ما يفضي إليه الفعل من معنى مع كل حرف". (58)

فإذا كان التّصحيح اللغوي بابا مهما من أبواب المحافظة على اللغة وسلامتها، وإذا كانت اللغة ملك أمّة لا متاعا شخصيا، فإن المحافظة على هذا الباب من عبث العابثين، ومن هواة وضع الأسماء تحت عناوين الكتب تقتضي مراجعة شاملة لتراث التّصحيح اللغوي للخروج منها بما ينفع النّاس، وتصنيفه في مصنفات جديدة منقحة ومحكمة، ولعلّ المجامع اللغويّة هي المعنيّة بهذه المراجعة في المقام الأوّل، ثم تليها الجامعات بما يتهيأ لها من أساتذة مختصين.

كما أنّ الاطلاع على جديد ما تصدره المجامع اللغويّة في هذا المجال بات

ضرورة من الضّرورات التي ينبغي على جميع الباحثين والدّارسين في حقل تعليميّة اللغة العربيّة وتعلمها تتبعها، ومواكبة ما جد في الكتب التي تصدرها هذه الهيئات والمؤتمرات التي يعقدونها، فإنّه ضرب عظيم من ضروب التّوسع الدّلالي للتراكيب.

ومن خلال ما عرضناه في هذا المبحث يبدو أنّ كثرة المؤلّفات في مجال التّصحيح اللغوي أثرت في استخدامات حروف الجر وتوظيفها، وإنّنا لنلمس أحيانا اضطرابا كبيرا، وإنّ الباحث ليجد نفسه متخوما وسط هذا الرّكام ويبقى الطّالب في حيرة من أمره، أيأخذ بهذا الرّأي أم ذاك، فالتّراكيب التي تصح عند بعضهم تخطأ عند غيرهم، فكان منهم المتساهل الذي يرى من الأخطاء الشّائعة تطورا لغويا نشأ من طبيعة اللغة باعتبارها كائنا حيا ومحاولة إلحاق التّراكيب التي يتكلم بها العامّة باللغة الفصيحة، وفي هذا يقول الأستاذ محمّد العدناني: " أدعو مجامعنا العربيّة في القاهرة ودمشق وبغداد وعمان والمكتب الدّائم لتنسيق التّعريب التّابع لجامعة الدّول العربيّة بالرّباط إلى إجازة بعض الضّرورات الشّعريّة في النّثر، لنذلل قليلا من العقبات اللغويّة والنّحويّة التي تعترض سبيل كتّابنا، ونزيح عن كواهل عقولهم قليلا من أعباء لغتنا التي يكاد بعض شيوخهم وجل الشّباب منهم ينأون بها ". (59)

ويضيف قائلا: " ولابد لي من القول أيضا أني أردت بهذا المعجم تقليل الأخطاء التي يقترفها كثير من أدبائنا، وتحبيب الفصحى إلى النّاس بإثبات صحّة مئات الكلمات التي زعموا أنّها من أخطاء العامّة، وبذلك نردم قليلا من الهوة التي تفصل بين الفصحى والعاميّة، أو نزيل خوف بعض النّاس من الفصحى، لنجعلهم يدنون منها، ويأنسون بها، ونرفع ذلك الحجاب الأسود الكثيف الذي أسدلوه على وجهها، لتبهرَ عيونَهم أنوارُها، ويسحرَ ألبابَهم جمالُها " . (60)

وكان منهم الحريص كل الحرص على انتقاء الفصيح، وعدم ترك أي مجال لبعض الاستخدامات والتّصويبات اللغويّة، دفاعا على اللغة العربيّة ومحاولة تخليصها من الشّوائب التي قد تشوبها.

ومع أننا لا ننكر هذه الجهود التي بذلت تصحيحا وتنقيحا وتدقيقا، إلاّ أنّه ينبغي التّريّث، وألا يكتب في هذا المجال إلاّ بعد البحث والتّمحيص والتّبحر في اللغة مع النّظر بحكمة.

المصادر والمراجع:

1- محمود إسماعيل عمار، الأخطاء الشّائعة في استعمالات حروف الجر، دار عالم الكتب المملكة العربيّة السّعوديّة ط1:1998م، ص47.

2- يس، الآيّة 18.

3- القاسم بن علي أبو محمد الحريري، درة الغواص في أوهام الخواص، مؤسسة الكتب الثّقافيّة لبنان، ط1:1998، ص206.

4- مصطفى جواد، قل ولا تقل، دار المدى للنشر، دمشق، الطّبعة الأولى سنة 1988مص:109.

5- إبراهيم مصطفى وآخرون، المجمع الوسيط مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة، دار الدّعوة دط، دت ج2ص590.

6- ينظر: أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب بالقاهرة،ط1:2008م،ج1ص123.

7- صلاح الدّين الزّعبلاوي، النّحاة وحروف الجر، مكتبة مشكاة ص:06.

8- الفيومي أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير، المكتبة العلميّة بيروت، دط دت ج2ص16.

9- ابن جني، الخصائص، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ط4، دت ج2ص16.

10- المائدة، الآيّة 14.

11- محمد العدناني، معجم الأخطاء الشّائعة، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1983م ص63.

12- الأحزاب، الآيّة 37.

13- المرجع السّابق نفسه، ص78.

14- مصطفى جواد، قل ولا تقل، ج1ص55.

15- غافر، الآيّة 13.

16- محمد العدناني، معجم الأخطاء الشّائعة، ص77.

17- يُنظر أسعد خليل داعز، تذكرة الكاتب، مؤسسة هنداوي بالقاهرة، ط 2012م

ص58.

18- صلاح الدّين الزّعبلاوي، النّحاة وحروف الجر، ص 20.

19- البقرة، الآيّة 247.

20- الشّورى، الآيّة 20.

21- أبو الفرج الأصفهاني، شرح ديوان الحماسة، تح: فريد الشّيخ، دار الكتب العلميّة بيروت لبنان، ط1 :1419ه- 2003م، ص445.

22- أحمد مختار عمر، معجم الصّواب اللغوي، ج1ص417.

23- آل عمران، الآيّة 75.

24- عباس أبو السّعود، أزاهير الفصحى في دقائق اللغة، دار المعارف، القاهرة ط2 دت ص37.

25- يوسف، الآيّة91 .

26- الأعلى، الآيّة 16.

27- الحشر، الآيّة 09.

28- عباس أبو السّعود، أزاهير الفصحى، ص38.

29- يوسف، الآيّة 84.

30- المرجع السّابق نفسه ص 51 - 52.

31- محمود إسماعيل عمار، الأخطاء الشّائعة في استعمالات حروف الجر، ص55.

32- البيت لأبي نواس، ينظر: عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب، تح: محمد بن عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1 :1418ه، ج1 ص345.

33- انظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3 :1414ه ج9ص05.

34- أحمد مختار عمر وآخرون، مجمع اللغة اللغة العربيّة المعاصرة، ج1 ص94.

35- الإنشقاق، الآيّة 02.

36- الشّورى، الآيّة 21.

37- إميل بديع يعقوب، معجم الصّواب و الخطا في اللغة، دار العلم للملايين بيروت دت : ص66.

38- الزّمخشري، أساس االبلاغة، ج1 ص 23.
39- الشّورى، الآيّة 13.
40- محمود إسماعيل عمار، الأخطاء الشّائعة في استعمالات حروف الجر، ص54.
41- البقرة، الآيّة186.
42- يونس، الآيّة 89.
43- أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب، تح: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة، دط، دت، ص558.
44- ابن جني، الخصائص، ج1 ص40.
45- البقرة، الآيّة 255.
46- هود، الآيّة 67.
47- المائدة، الآيّة 51.
48- محمود إسماعيل عمار، الأخطاء الشّائعة، ص355.
49- المرجع نفسه ص: 52.
50- الخليل بن أحمد لفراهيدي، معجم العين، ج5 ص 397.
51- الأزهري، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التّراث العربي. بيروت ط1: 2001م ج10ص181.
52- أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، دار الفكر بيروت، ط1399ه، ج1 ص 125.
53- ابن منظور، لسان العرب، ج3 ص 73.
54- أحمد مختار عمر، معجم الصّواب اللغوي، ج1ص 69.
55_الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، ج2 ص 45.
56- أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ج2 ص 288.
57- فريد عوض حيدر، فصول في علم الدّلالة ص250.
58- صلاح الدّين الزّعبلاوي، النّحاة وحروف الجر، ص24.
59- مصطفى جواد، قل ولا تقل، ص06.
60- المرجع نفسه، ص12.

مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 22 العدد: 50 السّنة: الثّلاثيّ الثّاني 2020 ص: 441 - 470

جهود الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي في إحياء تدريس اللغة العربيّة بتلمسان 1932-1947م

The efforts of Sheikh Mohammed Al-Bashir Ibrahimi in the revival of teaching Arabic language in Tlemcen 1932-1947

عبد الرّحمان بن بوزيان[1]

تاريخ الإرسال: 02 03 2019 تاريخ القبول:17 10 2019

الملخّص: هي كثيرة الكتابات التّاريخيّة التي تناولت شخصيّة محمّد البشير الإبراهيمي وفي مختلف النّواحي، في الدّين والفكر والثّقافة والأدب والشّعر وحتى السّياسة، فهو مجموعة من المواهب والعبقريات، عاش من أجل الدّفاع عن الإسلام الحق والنّهوض باللّغة العربيّة في الجزائر.

وعلى أساس ذلك جاء هذا المقال ليتناول جانبا من جوانب جهاده الطّويل في ميدان خطير، يشكل وحده عالما خصبا، يمكن أن توضع فيه دراسات عديدة، ألا وهو جهاده من أجل إحياء اللغة العربيّة، ونشرها وازدهارها من خلال الدّروس التي قدمها بتلمسان طيلة خمس عشرة سنة من العطاء للتعليم.

كلمات مفتاحيّة: البشير الإبراهيمي؛ اللغة العربيّة؛ تلمسان؛ تدريس.

Abstract: So many are the historical writings that approached the personality of Muhammad El-Bachir El-Ibrahimi from different aspects: religion, thought, culture, literature, poem, and even in politics. El-Ibrahimi

[1] جامعة 20 أوت 1955/سكيكدة، الجزائر، البريد الإلكتروني: Rahmane1402@hotmail.fr

is a set of talents and geniuses. He lived in the sake of defending the true Islam, and for the revival of the Arabic language in Algeria. On this basis, this article is established to approach one of many aspects of his long struggle in a critical field that constitutes itself a fertile world on which many studies may be established' this field is his struggle for the revival of the Arabic language and its spread and prosperity through his lessons given in Tlemcen during fifteen years of teaching.

Keywords: El-Bachir El-Ibrahimi; the Arabic language; Teaching; Tlemcen.

1. مقدّمة : عرفت اللغة العربيّة محنتها في الجزائر بالغزو الفرنسي الصّليبي يوم 5 جويليّة 1830، فمنذ ذلك اليوم والحرب معلنة على اللّغة العربيّة في الجزائر، أين تم الإعلان عن موتها، وبعودة اللاتينيّة إلى سابق عهدها في الجزائر، كما كانت عليه في العصور الرّومانيّة أيام الاحتلال الرّوماني، ولكن هذا لا يعني استغناء الفرنسيين عن اللغة العربيّة، فقد فهموا أن حاجتهم الإداريّة والاجتماعيّة لا يمكن إنجازها إلا باستعمال هذه اللغة، لذلك وقع اشتغالهم فيها على محورين: المحور الأول إهمال تدريسها في المدارس القديمة من خلال قطع مصادر الوقف عنها، والمحور الثّاني: الاكتفاء بتدريس العربيّة الدّارجة عن طريق المستشرقين، وفي هذا النّطاق اهتم المستشرقون كثيرا بدراسة اللهجات المحليّة في الجزائر على حساب اللغة العربيّة لا لشيء إلا لحاجتهم فهم الشّعب الجزائري وتطبيق سياسة فرّق تسد الاستعماريّة.

1- واقع تدريس اللغة العربيّة بتلمسان على عهد الاحتلال: كتب الرّحالة الألماني "فيلهلم شيمبر" بعدما زار الجزائر سنة 1831، معبرا عن الوضع الثّقافي والتّعليمي بقوله: " لقد بحثت عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة

والكتابة، غير أنّي لم أعثر عليه في حين أنّي وجدت ذلك في بلدان جنوب أوربا.."[1].

تؤكد الكتابات التّاريخيّة حول تلمسان قبيل هذه الفترة على ازدهار الحياة العلميّة والثّقافيّة بها قبيل الاحتلال، وبالخصوص التّعليم الابتدائي، فالمساجد والكتاتيب والمدارس والزّوايا كانت منتشرة في ربوع تلمسان،[2] فأحد التّقارير الصّادرة عن الفرنسيين سنة 1939 أي قبل احتلالها الثّاني 1842، يقول أن بها عددا كبيرا من المساجد،[3] وقد أكد على ذلك أيضا أبو حامد المشرفي الذي زار تلمسان بعد احتلالها،[4] إذ يقول:.."إنّ بها نحو ثلاثين مسجدا غير الجامع الكبير."،[5] وبخصوص الوضع التّعليمي بكامل مقاطعة تلمسان Subdivision de Tlemcen يذكر لاموريسيير La Morciére[6] في تقرير له أنه في المدينة التي تحتوي على12- 14ألف نسمة، هناك 3 ثانويات و50 مدرسة، وفي المقاطعة كان هناك لحوالي 125000 نسمة، و30 زاويّة مشهورة أهمها زاويّة سيدي بومدين،[7] والتي كانت تضم 25 تلميذا فقط عام 1952 وهو عدد قليل جدا، فالتّعليم كان آنذاك متاحا للجميع ، حيث كانت توجد في كل دوار مدرسة، وفي كل مدرسة مكتبة خصّة، وحتى طلبة العلم صارت وجهتهم المغرب الأقصى، وخصّة إلى فاس أين استقر العديد منهم هناك،[8] وتفيد بعض الوثائق بغنى منطقة تلمسان ثقافيا وعلميا والتي ظلت عليه ما بين فترتي الخمسينات والسّبعينات من القرن التّاسع عشر وتحليل أحد الجداول الرّسميّة عن الحالة الثّقافيّة والعلميّة عن مقاطعة تلمسان مع منتصف سنة 1854- باستثناء مدينة تلمسان- يؤكد ذلك:

- بلغ عدد القبائل التي حافظت على مدارسها العربيّة القرآنيّة ووظفت معلمين –الطّلبة- للصبيّة والطّلبة بلغ 56 قبيلة وعرش.
- بلغ عدد التّلاميذ والطّلبة بدائرة تلمسان وحدها حوالي 367.

- عدد الطّلبة المتخرجين ليباشروا بدورهم التّدريس بلغ 91 طالبا في كل من نواحي الغزوات ومغنيةMarnia، وسبدوSebdou.

- إنّ مواد التّلقين والحفظ والدّراسة كانت باللغة العربيّة، وارتكزت على حفظ القرآن الكريم وتقديم شروح له، واللغة والنّحو، والفقه وأصوله وعلم الميراث.(9)

لتجسيد ذلك تأسست مدرسة الآداب العليا بالجزائر، وهي أيضا مدرسة الاستشراق الفرنسي بالجزائر، أشرف عليها عدة مستشرقين أمثال هوداس، رينيه باصيه، وقد كتبوا عن تلمسان عدة دراسات، تخصص فيها كل من ماشويل وديلفان ومولييراس، وألفريد بال، ويليام وجورج مارسي، جل هذه الكتابات حاولت ربط تاريخ تلمسان الرّوماني القديم مباشرة بالتّاريخ الاستعماري الفرنسي.[10]

2- بعض مظاهر السّياسيّة الفرنسيّة الرّاميّة لمحاربة اللغة العربيّة: لم يقف التّجهيل عند هذا الحد بل تعداه إلى التّدخل في مناهج التّعليم وطرقه، فحظر على الكتاتيب تدريس كتب اللغة العربيّة كالأجروميّة وألفيّة ابن مالك إلى جانب حفظ القرآن، بل إنها منعت التّفسير كذلك.[11]

لقد عمد الاستعمار الفرنسي منذ الوهلة الأولى إلى تدمير اللغة العربيّة في الجزائر،[12] وقد كتب الدّوق روفيغو duc de Rovigo عن أهداف السّياسة التّعليميّة الاستعماريّة الفرنسيّة في الجزائر قائلا": لن تصبح الجزائر مستعمرة فرنسيّة إلا عندما تصير لغتنا هي اللغة السّائدة وتتأقلم فنوننا وعلومنا...ولا يمكننا التّشكيك في ذكاء العرب فالتّاريخ شاهد على ذلك. إن المعجزة الحقيقيّة التي يجب تحقيقها، هي تحويل بخطى بطيئة اللغة الفرنسيّة محمل اللغة العربيّة، خصّة إذا ما أقبل الجيل الجديد على التّعليم جماعات"،[13] فبعد تخريبه للمدارس والكتاتيب، أجهز على ما تبقى من أثر للغة العربيّة من خلال

تجريد الجزائريين من وسائل الاستمرار، أين ألغت الأوقاف الإسلاميّة التي كانت تعتمد عليها المدارس بقرار صدر بتاريخ 28 مارس 1843.[14]

لا يمكن الوقوف على أثار السّياسة التّعليميّة الفرنسيّة بالجزائر كلها وتحليلها بشكل دقيق، غير أنني سأكتفي هنا بإعطاء بعض الملامح التّصويريّة البارزة، حيث يصور محمّد فريد الذي زار الجزائر عام 1901 حالة التّعليم بالجزائر مع مطلع القرن الماضي فيقول: "إنّ حالة التّعليم في الجزائر سيئة جدا ولو استمر الحال على هذا المنوال لحلت اللغة الفرنسيّة محل اللغة العربيّة في جميع المعاملات"، ويضيف قائلا: " هجرت ربوع العلم وخربت دور الكتب وصارت الدّيار مرتعا للجهل والجهلاء" وعن حال اللغة العربيّة فيقول: "أصبحت اللغة الفرنساويّة هي لغة التّخاطب في العواصم مثل وهران، وقسنطينة، وعنابة وغيرها"[15].

يقدّم لنا توفيق المدني وصفا دقيقا عن غايّة هذا التّعليم الفرنسي[16]، حيث يقول: "بل كان المقصد منها حسب اعترافات كبار رجال السّياسة والأساتذة تقريب الجزائريين من فرنسا بواسطة تعليمهم لغة الدّولة المحتلة، وآدابها وعلومها، حتى يسهل ابتلاعهم، ويسهل إدماجهم.."[17]، هكذا إذن كانت نيّة الفرنسيين منذ الوهلة الأولى، فاللغة العربيّة حوربت بمختلف الأساليب والمضايقات الإداريّة، وكان الهدف من هذه الحرب التي شنها الاحتلال الفرنسي "على اللغة العربيّة طوال قرن وثلث قرن، هو القضاء عليها تمهيدا للقضاء على الثّقافة العربيّة الإسلاميّة، وبالتّالي القضاء على الشّخصيّة الجزائريّة[18].

رغم التّدميرين المادي والثّقافي الذي آلت إليه الجزائر إبّان الاحتلال إلا أن ذلك لم يمنع إشراقة علماء جزائريين في ميدان اللغة، وجدوا من الخارج منفذا للبزوغ والنّهل من بحرها العميق، وهنا أقف أمام شخصيات عدة أمثال الشّيخ محمّد بن عبد الرّحمان الدّيسي، وعبد القادر المجاوي التّلمساني، وعبد الحليم بن سمايّة، والشّيخ طاهر الجزائري الذي أنشأ المكتبة الظّاهريّة بدمشق، وكانت

له بذلك مساهمته المباشرة في تأسيس مجمع اللغة العربيّة في دمشق سنة 1919.[19]

وقد عرفت تلمسان مع مطلع ثلاثينيات القرن الماضي استقرار الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي، فخر علماء الجزائر، أين لبث فيها خمس عشرة سنة، ظهرت فيها أعماله الجليلة وآثاره العظيمة، في سبيل النّهوض باللغة العربيّة وإعادة إحيائها وإرجاع مجدها الضّائع.

3- التّعريف بالشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي: ولد محمّد البشير الإبراهيمي يوم 14 جوان 1889 في قريّة سيدي عبد الله من عشيرة أولاد إبراهيم في نواحي مدينة سطيف بعمالة قسنطينة، تلقى تعليمه الأول على يد والدّه إبراهيم وعمه، وفي سنة 1911 غادر الجزائر مع أغلب الشّباب الجزائري الذين كانوا لا يريدون تأديّة الخدمة العسكريّة الإجباريّة وفي طريقه مر بالقاهرة، فتعرف على بعض أدبائها ومفكريها، وفي المدينة المنورة تابع تعليمه الدّيني والأدبي وخلال وجوده بهذا البلد التّقى بابن باديس فتطرقا لفكرة الحركة الإصلاحيّة في الجزائر.[20]

وفي سنة 1916 سافر الإبراهيمي إلى دمشق حيث اشتغل بالتّدريس في المدرسة السّلطانيّة، وألقى دروسا ومواعظ في المسجد الأموي، ثم عاد إلى الجزائر سنة 1920 وعمل في التّجارة فلم يوفق فيها، ولما انتقل إلى سطيف قام بالاتصال بالشّيخ ابن باديس سنة 1924، فعرض هذا الأخير عليه تأسيس جمعيّة "الإخاء العلمي"، حيث يقول الشّيخ البشير الإبراهيمي عن هذه الجمعيّة: " لم تري النّور لأنها فكرة طائرة وخطيرة عارضة لم ينضج الاستعداد لها".[21]

ونجد أن الشّيخ الإبراهيمي قد اتخذ مدينة سطيف مركزا لنشاطه الإصلاحي، بدعوة الأهالي إلى إقامة مسجد حر، يعطي فيه الشّيخ الدّروس العلميّة دون مضايقة من الإدارة الفرنسيّة، التي كانت تشرف على المساجد في

الجزائر، وعند تأسيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 انتخب نائبا للرئيس عبد الحميد بن باديس، ثم استقر سنة 1932 بمدينة تلمسان فاستطاع بفضل إخلاصه وتفانيه في العمل المتواصل أن يؤسس دار الحديث التي تشمل على مدرسة للتعليم، ومسجد للصلاة، وقاعة للمحاضرات. فكانت مفخرة للجمعيّة بصفة عامة، ومدينة تلمسان بصفة خصّة.(22)

كما ألقى بها الشّيخ البشير الإبراهيمي عدة دروس وخطب مختلفة منذ افتتاحها فكان من أبرز تلاميذه:" الأستاذ أحمد بري- صاحب كتاب "نظام علاقة الأحياء بالأموات في الشّريعة الإسلاميّة"، الدّكتور بومدين الشّافعي،(23) وهو أول جزائري ينال الدّكتوراه في المشرق العربي بمصر، فضلا عن الأستاذ محمّد باب أحمد الذي تولى مهمة إدارة دار الحديث، ومن تلامذته الذين صاروا معلمين بهذه المدرسة: مولاي الحسن القادري، المختار الصّبان، عبد الله بوعنان، أحمد الشّاوي وملوكة محمّد، الجيلالي حجاج، جلول البارودي ... ومن تلميذاته اللائي أصبحن معلمات بها: زليخة القراري وأختها خيرة فتيحة مراد، رشيدة بن ديمراد، رشيدة خلدون، ربيعة بن الحبيب، زهيّة عبورة، يمينة حميدو،..."(24).

وفي أوائل أفريل 1941 قامت السّلطات الفرنسيّة بنفيه إلى قريّة آفلو، التي بقي بها مدة ثلاث سنوات، حيث انتخب رئيسا لجمعيّة العلماء المسلمين بعد وفاة ابن باديس مباشرة سنة 1940، ثم أطلق سراحه سنة 1941 ولكنه ما لبث أن اعتقل في يوم 13 ماي 1945 بعد مجازر8 ماي، فاستمر سجن الشّيخ الإبراهيمي مع عدد من أعضاء جمعيّة العلماء والأحزاب الوطنيّة حتى شهر مارس 1946 حيث أفرج عنهم بموجب عفو عام.(25)

ونجد أنّ طريقة الإبراهيمي في الكتابة والتّعليم تختلف عن طريقة ابن باديس، وهذه الطّريقة برزت بشكل واضح بعد أن عادت جريدة البصائر إلى

الصّدور سنة 1947 فالشّيخ ابن باديس كان يلجأ في كثير من مقالاته إلى الاستعارة والكنايّة، وينتقي كلماته بحرص شديد خوفا على مصير الجمعيّة أما الشّيخ الإبراهيمي فقد استعمل العبارات الصّريحة الموجهة للاستعمار وعملائه من جهة، وخصومه السّياسيين الوطنيين من جهة أخرى.

كما أنه في عهد الشّيخ الإبراهيمي أنشئ معهد عبد الحميد بن باديس في قسنطينة سنة 1947 وفي سنة 1952 سافر إلى باكستان للمشاركة في المؤتمر الإسلامي المنعقد "بكراتشي"، ثم تجول في العالم العربي والإسلامي، وزار معظم العواصم العربيّة، يعرّف بحركة الإصلاح في الجزائر واضطهاد الاستعمار لنشاط الجمعيّة.(26)

ولما قامت الثّورة التّحريريّة في نوفمبر 1954 وكان الشّيخ الإبراهيمي آنذاك في مصر" فأصدر بيانا في نوفمبر 54 يعلن فيه تأييده للثورة حيق يتبيت له بأن الثّورة عميقة الجذور وهي ثابتة في نضالها"،(27) ممّا أدى به إلى الدّفاع عن الثّورة التّحريريّة، إلى أن استقلت الجزائر في05 جويليّة 1962، حيث أمضى بها ما يقارب ثلاث سنوات معتقدا بأن الحركة الإصلاحيّة السّلفيّة التي قامت في عهد الاستعمار، يجب أن تكون في الجزائر الحديثة.

توفي الشّيخ الإبراهيمي يوم الخميس 20 ماي 1965 ودفن في مقبرة سيدي محمّد بالجزائر العاصمة، ومن آثاره الفكريّة المطبوعة " عيون البصائر" وهي مجموعة المقالات التي كتبها في افتتاحيات جريدة البصائر في سلسلتها الثّانيّة ابتداء من سنة 1947، وهناك مخطوطات لم تنشر تتعلق بالشّؤون اللغويّة والأدبيّة منها: " أسرار الضّمائر العربيّة"

" التّسميّة بالمصدر، الاطراد والشّذود في اللغة...".(28)

4- قراءة في جهود الشّيخ البشير الإبراهيمي في إحياء دروس اللغة العربيّة بتلمسان: كم هي كثيرة الكتابات التي تناولت شخصيّة محمّد البشير

الإبراهيمي وفي مختلف النّواحي، في الدّين والفكر والثّقافة والأدب والشّعر وحتى السّياسة، وأنا هنا لست بصدد التّطرق إلى نشاطه في ميدان السّياسة والإصلاح والصّحافة، ولكن يعنينا جهوده في إحياء اللغة العربيّة.[29]

لقد كان الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي أديبا فذا، قلما أنجبت الجزائر مثله في العقود الأخيرة، فهو وحيد زمانه، تمتع بحافظة نادرة، وحب للأدب العربي القديم فنهل من حياضه ما شاءت نفسه وطموحه، حفظ دواوين الشّعر ومتون اللغة وخزائن الأدب والشّواهد، فقد بهر المعاصرين في المشرق والمغرب بقوة حفظه واستحضاره ذخائر التّراث، وقد ظهر ذلك على لسانه وقلمه، ولم يؤلف الكتب، لأن وقته كان مكرسا كما قال، لتكوين الرّجال.[30]

وعن اهتمام الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي باللغة العربيّة فقد بين مكانتها بقوله:" اللغة العربيّة هي لغة الإسلام الرّسميّة ولهذه اللغة على الأمة حقان أكيدان...أحدهما أنها لغة دين الأمة...وحق ثان أنها لغة جنسها بحكم أن الأمة عربيّة الجنس ففي المحافظة عليها محافظة على جنس ودين معا".[31]

يصف لنا أحمد توفيق المدني في كتابه حياة كفاح إلمام الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي بمختلف مجالات العلم، بأن الشّيخ: "..كان المعلم، وكان الصّحفي، وكان الكاتب، وكان الخطيب، وكان الباني، وكان المبشر، وكان والله كل شيء..".[32]

وخوفا مما كانت تحدثه المدرسة الفرنسيّة في تغيير الذّهنيّة الجزائريّة، عمل الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي على تشجيع الجزائريين على التّنافس لبناء المدارس العربيّة الحرة، من أجل استرجاع مقومات الأمة الإسلاميّة، لأن المدرسة كما يمكن أن تكون عامل بناء ودعم لكيان الشّخصيّة القوميّة للجماعة، يمكنها أن تكون عكس ذلك عامل هدم وتقويض لمقومات الشّخصيّة على حد تعبير الشّيخ الإبراهيمي "..المدرسة جنة الدّنيا، والأمة التي لا تبنى لها المدارس تبنى لها السّجون..".[33]

تماشيا مع الرّقابة التي وضعتها الإدارة الاستعماريّة لتنقلات العلماء المصلحين الذين أحدثوا نهضة ثقافيّة وفكريّة، وجه رئيس بلديّة ندرومة المختلطة"Sept" إلى والي وهران يشير فيها إلى عوامل نجاح السّياسة التّعليميّة للعلماء وإخفاق فرنسا يرجع بالأساس إلى "عدم قدرتنا على بناء مؤسسات تعليميّة، وتوفير المعلمين كما وعدناهم منذ سنوات". [34]

بعد تفطّن الإدارة الاستعماريّة إلى الدّور الهام الذي كان يلعبه التّعليم في إيقاظ الشّعور الوطني، والذي يعتبر وسيلة أساسيّة في ترسيخ عناصر المقاومة بمختلف أشكالها في نفوس الجزائريين، [35] وعملا بتصريحات السّاسة الفرنسيين منذ الاحتلال والتي جاء في أحدها:"...علموا لغتنا وانشروها حتى تحكم الجزائر، فإذا حطمت لغتنا الجزائر، فقد حكمناها حقيقة..."، وقد كان ساسة فرنسا يعملون بمبدأ بناء مدرسة أفضل من فيلقين لإقرار الأمن،وبينما كان الطّمس والهدم يلحق بالمدارس التي كانت موجودة آنذاك، مثلما لحق بالمسجد الجامعة "التّاشفينيّة" بتلمسان عام 1873، عمدت جمعيّة العلماء المسلمين بقيادة عبدالحميد بن باديس ونائبه محمّد البشير الإبراهيمي إلى بناء العديد من المدارس والمساجد، وتأسيس العديد من الصّحف والنّوادي، والقيام بالعديد من دروس الوعظ والإرشاد لتثبيت بقاء اللغة العربيّة. [36]

ولتجسيد مشروع نهضة الجزائر كان للشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي الأثر البالغ في بناء مدرسة دار الحديث بتلمسان سنة 1937م، [37] إذ لقبت بـ'مدرسة الإبراهيمي'، ويذكر أن الشّيخ كان يلقي في اليوم الواحد عشرة دروس، [38] ويعطي فيها اهتماما كبيرا باللغة العربيّة، حيث يقول في موضوع تجربته لإحيائها بتلمسان:" ولقد بدأت دروسي ومحاضراتي في تلمسان بالعربيّة الفصحى وأخذت نفسي بذلك أخذا أصيلا فيه إلى درجة الإغراب أحيانا وكان من وراء الالتّزام غرضان: أحدهما إقامة الدّليل للمتعلمين باللغات الأجنبيّة

على أن الفصحى لا تعني بحمل المعاني مهما تنوعت وعلت، وأنها تمد اللغات في ميدان التّعبير عن الحقائق والخيالات والخواطر والتّصورات. وقد بلغت من هذا الغرض ما أريد. والغرض الثّاني أن أحدث في نفوس العامة المحبين للعلم والدّين أسفا يقصي مضاجعهم فيدعوهم إلى تدارك ما فاتهم منها في أبنائهم وكنت أرى من عامة السّامعين حسن إصغاء ينبئ باهتمام عميق فأتى أوله على أنه تأثر بالآيات و الأحاديث التي يكثر ترددها في الدّرس ..، والتّأثر بكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم طبيعي في المسلم، وكم كنت أخشى أن ينفضوا من حولي يوما لعدم فهم ما يسمعون لولا أنني آوي إلى ركن شديد من كلام الله ورسوله. وما زلنا على هذا حتى فعل المران فعله، وأصبحوا يفهمون ويتذوقون ويخرجون وهم يتدارسون.". [39]

يقول الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي في افتتاحيّة جريدة البصائر الإصلاحيّة: "..وأما الحقيقة فهي أن الوطن عربي وأن القبائل مسلمون عرب كتابهم القرآن يقرؤونه بالعربيّة، ويكتبونه بالعربيّة، ولا يرضون بدينهم ولا بلغته بديلا، ولكن الظّالمين لا يعقلون.". [40]

وقد حمل الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي على عاتقه بمدرسة دار الحديث بتلمسان مهمة إلقاء دروس الموطأ بعد صلاة الفجر، ودروسا في الفقه ابتداء من الرّابعة بعد الظّهر، [41] ودروس التّفسير بعد الغروب بالمسجد، [42] هذه الدّروس التي كانت تحضرها فئات متنوعة من العلماء المصلحين والوطنيين من حزب الشّعب الجزائري، وحتى التّلاميذ والمدرسين من الثّانويّة الفرنسيّة الإسلاميّة المجاورة، [43] كما أصبح مكانا لاستقبال وفود الوعظ والإرشاد، فالدّروس كانت تنظم ليلا ما بين سا20 وسا23، وكان الحضور يصل أحيانا إلى 300شخص. [44]

إن المتتبع لكتابات الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي يجده فارسا في المقاومة عن لغته ولغة أجداده، فكان لا يرضى بالسّكوت عن مواجهة أعدائها الفرنسيين والجزائريين المفرنسين، وقد طالب في العديد من المواقف بعدم إدخال اللغة في الصّراعات الحزبيّة داخل الحركة الوطنيّة الجزائريّة، لأنه يرى "أن التّعليم عند الأمم التي عرفت الحياة معدود في المقومات التي هي رأس مال الوطن، ورأس المال يسمو عن الحزبيات." [45]

إن العروبة التي دعا إليها الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي ليست عرقيّة ولا عنصريّة، بل هي عروبة لغة وثقافة، وجوهرها اللسان العربي، وهو الذي نزل به القرآن الكريم في قوله ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾. [46]

كانت الإدارة الاستعماريّة ترى أن بقاء أبناء الجزائر في الشّارع دون دراسة خير من تعليمهم، بل أخذت في مضايقة معلمي المدارس، ومنعهم من التّدريس، [47] وفي هذا الموضوع يقول البشير الابراهيمي:" إن الحكومة ترى أن بقاء أبنائها في الأزقة معرضين للشر والفساد خير من تعليمها إياهم تعليما عربيا وإسلاميا، فلما صممنا على أداء الواجب علينا لديننا وأمتنا صممت على المعاكسة والتّضييق". [48]

وتذكر التّقارير الفرنسيّة أن الشّيخ الإبراهيمي كان يقدم خلال شهر رمضان درسه بعد السّابعة مساء، [49] وقد كانت تضم حلقة التّدريس ما بين 100 إلى 150 شخصا من البالغين. [50]

لقد أدرك الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي الأهميّة العميقة للغة العربيّة وأنها عنوان الهويّة، ووعاء الفكر، وأداة التّواصل، ولسان الدّين الحنيف، بقرآنه وسنته وتراثه، وحضارته، وعن فضلها على الشّعوب الإسلاميّة حيث ذكر بأنها فتحتهم على مختلف الحضارات الإنسانيّة، فكانت على حد قوله سببا في تقارب

تفكير الأمم وتشابه عقلياتهم، وتمازج أذواقهم وتوحيد مشاربهم، ولولا العربيّة لاختلفت الأمم الإسلاميّة في فهم حقائق الدّين باختلاف العقليات الجنسيّة.[51]

ويتحدث عزالدّين إبراهيم –المستشار الثّقافي بديوان رئيس الإمارات العربيّة المتحدة- عن قوة اللغة العربيّة التي كان يستعملها الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي في أحد محاضراته بمصر: "..لكن الذي استوقفني حينما استمعت إليه هو اقتداره العجيب على استخدام البديع ارتجالا ودون تعسف، ودون افتعال وخصّة الجناس".[52]

لقد نجح الشّيخ البشير الإبراهيمي في التّقريب بين المتعلمين بالعربيّة بتلمسان الذين كان أغلبهم من طلبته، وخريجي المدارس والجامعات الفرنسيّة وإذا كان بعض هؤلاء يتفادون لقاءه والاتصال به خشيّة بطش السّلطات، فإن أحمد طالب الإبراهيمي يقول في ذلك: "أن أغلبهم كانوا يتقربون إليه، إما بالحضور علنا في محاضراته أو بالإسهام بحذر في الجمعيّة التي أسسها لتسيير "دار الحديث"، وكان من بين هؤلاء أطباء، مثل علال ومرابط، وصيادلة مثل بن عليوة وتريكي، وأطباء أسنان، مثل بريكسي ومصلي، ومهندسون معماريون مثل عبد الرّحمان بوشامة، ومحامون مثل عمر بوكلي حسن، وقد ذهب بعضهم إلى حد النّضال النّشيط في صفوف جمعيّة العلماء، مثل البروفيسور عبد القادر محداد.".[53]

وعن دور التّعليم المدرسي الذي ترقى به الأمم يقول الشّيخ الإبراهيمي في ذلك: " ويدخل في باب التّعليم المدرسي وقراءة القرآن الكريم فهو سلاحها الذي به تناضل وعلى الدّعوة إليه بنت مبدأها الإصلاحي، ومن فروع هذا النّوع تعليم الأميين من الكبار، وهو من أهم فروع التّعليم في نظر الجمعيّة، وأما المحاضرات التّهذيبيّة فأسلوبها يرتكز على الخطابات المؤثرة في العقول".[54]

تفعيلا للمقابلة التي جمعت بين الشّيخ الإبراهيمي ونائب الوالي بتلمسان في بدايّة شهر ماي 1943 بدأت الدّروس بمدرسة دار الحديث، وقد نظم التّعليم بإشراف سبعة (07) من الأساتذة يقدمون دروس أغلبها في اللغة العربيّة والدّين الإسلامي. [55]

فتح خلال الفترة ما بين سنة 1943 و1945 [56] قسم خاص ذو مستوى عالي يدرسه الشّيخ البشير الإبراهيمي بعد صلاة المغرب، [57] وكان من بين طلبته: البشير بن شعبان، وعبد الله بوعنان، ومحمّد الهادي بختي، وعبدو بريكسي، وأمين بريكسي ومحمّد دالي يوسف، ومولاي الحسن رحمون، ومختار الصّبان، ومحمّد شيعلي، وعبد الغني السّقال، [58] ومن بين أهم المواد المدرسة هي تفسير القرآن الكريم، والحديث الشّريف، [59] وتعليم اللغة العربيّة، والفقه والشّعر، والبيان والعروض. [60]

لقد حرص الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي على تطوير التّعليم العربي الحر وقد وضع تصورا للتعليم الذي تريده الأمة، والمدرسة التي يتطلع إليها ويقول عن ذلك: "والأمة تريد تعليما عربيا يساير العصر وقوته ونظامه، لا تعليما يحمل جراثيم الفناء، وتحمله نذر الموت"، [61] ويظهر ذلك الحرص من خلال رسالة وجهها إلى محمّد الغسيري [62] يعاتب فيها تقصيره في حق التّعليم في 29 أكتوبر1944، وجاء فيها:" إن مستغانم وهي في قلق عظيم وأنا في قلق أعظم، وإن بسكرة عاكستني معاكسة تؤدي إلى سقوط قيمتي في عمالة وهران وسقوط قيمة جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، وأن غليزان تنتظر أكثر من أختها. كذلك القول في الحمري ووهران وتيارت وحتى تلمسان...، يا ولدي إذا دام هذا الحال فعلى جمعيّة العلماء... بلغ هذا الكلام إلى بوشمال والشّيخ العربي التّبسي ومحمّد خيرالدّين. إني في تعب عظيم من الجولات والتّرهيب والعمل المتواصل لإحضار البرامج ليلا ونهارا منذ أكثر من شهر وكلكم لم

تعينوني بشيء، وقد أحضرت كل شيء، ولكنني فشلت لا لشيء إلا لتراخيكم، وعدم تقديركم للموقف الذي أنا فيه.

طلبت الرّخصة إلى الجزائر وإلى قسنطينة ولي عشرون يوما وأنا في الانتظار، [63] ولي رجاء قوي في زيارتكم هذه الأيام.". [64]

ألقى الشّيخ البشير الإبراهيمي عدة دروس وخطب مختلفة منذ افتتاح دار الحديث حتى لقبت بمدرسة الإبراهيمي، [65] ويقول عنه تلميذه الأستاذ أحمد بري [66] الذي انضم إلى الدّروس العلميّة التي كان يقدمها الشّيخ الإبراهيمي لطلبته بدار الحديث سنة 1938، أن عدد الدّروس التي كان يقدمها هو اثنا عشر درسا، وهذه الدّروس هي:

1- البيقونيّة في الأصول قبل صلاة الصّبح؛
2- موطأ الإمام مالك إثر صلاة الصّبح؛
3- المفرد العلم في رسم القلم؛
4- القواعد 'قطر النّدى؛
5- التّاريخ الإسلامي العام؛
6- تحفة ابن عاصم؛
7- المعلقات السّبع؛
8- البلاغة 'الجوهر المكنون؛
9- مقتطفات من الأدب العربي؛
10- نسي هذه المادة؛
11- التّفسير بين العشاءين؛
12- النّحو الواضح بعد صلاة العشاء. [67]

تذكر المصادر التّاريخيّة أن عدد الطّلبة الذين كانوا يتلقون هذه الدّروس على الشّيخ بلغ حوالي 25 طالبا، من بينهم الشّيخ أحمد بوزيدي من مدينة صبرة، والشّيخ الأخضر القباطي وشقيقه عبد الحميد من مدينة الغزوات والشّيخ بن عودة منصري من بلديّة وادي الشّولي، وابن صولة من مدينة مغنيّة ومحمّد بابا أحمد ومولاي الحسن البغدادي من تلمسان.[68]

لقد تميز من بين هؤلاء جميعا الدّكتور بومدين الشّافعي،[69] الذي نال درجة الدّكتوراه في علم النّفس بمصر، والذي يعد من أبرز تلامذته الذين هاجروا مبكرا نحو المشرق، ويقول عن أستاذه وفضله على تلاميذ دار الحديث: "نحمد الله الذي أنعم علينا بخير خليفة له، واصل جهاده ونفذ رغبته ورفع صوته، أطال الله عمر شيخنا البشير، لقد عرفت فيه الأب العطوف والوجه الحكيم، وأسأل الله أن يهيئ للجزائر رجالا يتابعون الكفاح العلمي وبث الثّقافة ليكون اسم ابن باديس أساسا قويا لشجرة عاليّة تمتد فروعها وتتحد أوراقها ويعم نفعها..، وأرجو من زملائي تلامذة الدّار الجدد أن يكون لهم أمل كبير في العلم وثقة قويّة بالأستاذ الجليل الذي اتسع صدره لطيشنا في أيام الطّفولة".[70]

لقد أسهم الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي في غرس حب تعلم اللغة العربيّة لغة القرآن، ولغة الأجداد، واهتم أكثر بتعليمها بين الصّغار، لأنه كان يعول عليهم في مشروع البناء، لذلك نجده بطريقة مباشرة أو غير مباشرة يعود الفضل له في تكوين جيل قائد حريص على لغته ما بعد الاستقلال، وكم هم كثر، ويقول الشّيخ البشير الإبراهيمي عنهم في ذلك"..فجهزت منهم كتائب لحرب الأميّة، وجندتهم فجندت أبطالا ...، ونصبتهم، فنصبت منهم أعلام هدايّة للجيل الجديد، وأقطاب تربيّة وتثقيف له..".[71]

وحتى عند مرضه بقي الشّيخ يدافع عن اللغة العربيّة في وجه الإدارة الاستعماريّة الفرنسيّة التي حاولت القضاء عليها، فكانت رسالتّه لها كالتّالي: "..أنا مريض والموضوع طويل عريض، وقد أصبحت بين عاملين، همّ يتجدد وطبيب يتشّدد، وإن حق الضّمير لأوكد عندي من حق الجسد، وليقع الاستعمار أو ليطر فإننا نتعلم لغتنا وديننا، ولو في سمّ الخياط، أو على مثل حدّ الصّراط.". [72]

5- خاتمة: لقد كان للأمّة التّلمسانيّة الحظ الوافر من علم الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي حيث نهلوا من فيض علومه واقتبسوا من أنوار معارفه، ولم يبخل على أحد بالعلم النّافع، فنظم دروسا بالعربيّة للتلامذة الوافدين عليه حسب درجاتهم، كالنّحو والبلاغة والشّعر، والتّفسير والحديث، بالإِضافة إلى المحاضرات في المدارس والمساجد وحتى في النّوادي، وبهذا يكون الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي قد حقق آمال جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، وأَحيا بها رسوم العلم بعدما اندثرت في بلد العلم.

6- قائمة المراجع:

الأرشيف:

- الكراس الخاص بدروس الحديث الشّريف في **أرشيف ولايّة قسنطينة**، "ج.ع.م.ج" العلبة1، الملف'ب'، كراس الحديث الشّريف.
- **Archive Municipale de Tlemcen** : Police Municipal de Tlemcen, Rapport N°13988, Tlemcen, 03 -12 -1937..
- **A.M.T** :P.M.T, Rapport N°10030, Tlemcen, 07 -10 -1937.
- **A.W.O**, Bulletin Mensuel D'Information Concernant la Politique Indigène dans le Département d'Oran, N°281, Octobre et Novembre 1937.
- **A.W.O**, L'Activité Indigène dans le Département d'Oran, N°513, juillet 1943.
- **A.W.O**, P.R.G, P.M.T, Rap N°605, Activité du cheikh Taleb Bachir Ibrahimi, Tlemcen 9-10-1944.
- **A.W.O** ،L'Activité Indigène dans le Département d'Oran, N°352, Aout 1944, et N°677, Décembre1944.
- **A.W.O**, Police de Renseignement Généraux,, P.M.T, ، Rapport N°40, Tlemcen, 16-01-1945.

Archive de la Wilaya d'Oran, Sl 6988, 26 Mai1952.

- **Archive de la Wilaya de Constantine**, Boite N°2, Archive Privées, fonds ،Mohamed Ben Ahmed El Mansouri El-Ghassiri,, Dossier N°1, Correspondance Particulières, Lettre le 29-10-1944.

المؤلفات:

- ابن مريم التّلمساني، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، طبع ومراجعة محمّد ابن أبي شنب، المطبعة الثّعالبيّة، (الجزائر، 1908)

- أبـو العيـد دودو، **الجزائـر في مؤلفـات الرّحّـالين الألمـان 1830- 1855**، الشّـركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، (الجزائر، 1975)
- أبـو القاسـم الزّيـاني، **التّرجمانـة الكـبرى في أخبـار المعمـور بـرا وبحـرا**، عبـدالكريم الفيلالي، تح، عدار المعرفة للنشر والتّوزيع، (الرّباط، 1991)
- أبـو القاسـم سـعد الله، **تـاريخ الجزائـر الثّقـافي**، ج5- 6- 8، دار البصـائر، (الجزائـر 2007)
- أبو القاسم سعدالله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج2، (دار البصائر، الجزائر)
- أبوحامـد المشـرفي، **طـرس الأخبـار بمـا جـرى آخـر الأربعـين مـن القـرن الثّالـث عشـر للمسلمين مع الكفار في عتو الحاج عبدالقادر وأهل دائرته الفجار**، مخطوط بالمكتبة الوطنيّة الجزائريّة.
- أحمد الخطيب، **جمعيّة العلمـاء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر** المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، (الجزائر، 1985)
- أحمـد توفيـق المـدني، **حيـاة كفـاح مـذكرات**، ج2، ط1، المؤسسـة الوطنيّـة للكتاب، (الجزائر، 1988)
- أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**، مكتبة النّهضة، (مصر، د.ت)
- أحمد طالب الإبراهيمي ، **مذكرات جزائري أحلام ومحن 1932- 1965**، ج1 دار القصبة للنشر، (الجزائر، 2006)
- أنـور الجنـدي، **الفكـر والثّقافـة المعاصـرة في شمـال إفريقيـا**، الـدّار القوميّـة للطباعـة والنّشر، (مصر، 1965)
- إيفـون تـيران، **المواجهـات الثّقافيّـة في الجزائـر المسـتعمرة المدارس والممارسـات الطّبّيّـة والدّين1830- 1880**، تر، عبد الكريم أوزغلة، دار القصبة للنشر (الجزائر، 2007)
- تركـي رابـح عمـامرة، **التّعلـيم القـومي والشّخصـيّة الوطنيّـة 1931- 1956** ش.و.ن.ت، (الجزائر، 1975)
- تركـي رابـح عمـامرة، **الشّـيخ عبـد الحميـد ابـن بـاديس رائـد الإصـلاح والتّربيّـة في الجزائر**ط3، ش.و.ن.ت، (الجزائر، 1981)

- تركي رابح، **التّعليم القومي والشّخصيّة الجزائريّة 1930- 1956**، الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، (الجزائر، 1975)
- جيلالي صاري، **بروز النّخبة المثقفة الجزائريّة 1850- 1950**، تر:عمر المعراجي منشورات ANEP، (الجزائر، 2007)
- صالح بن عتيق، **أحداث ومواقف في مجال الدّعوة الإصلاحيّة والحركة الوطنيّة الجزائريّة**، مطبعة دحلب، (الجزائر، 1990)
- مازن صلاح حامد مطبقاني، **جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنيّة الجزائريّة 1931- 1939**، تقديم، أبو القاسم سعد الله، عالم الأفكار للنشر والتّوزيع، (الجزائر، 2011)
- محمّد البشير الإبراهيمي، **آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي1929- 1940** جمع وتق، أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، ج1- 4 دار الغرب الإسلامي، (لبنان 1997)
- محمّد البشير الإبراهيمي، **سجل مؤتمر جمعيّة العلماء المسلمين المنعقد بمركزها العام بنادي التّرقي 1935**، المطبعة الجزائريّة الإسلاميّة، (قسنطينة، 1935)
- محمّد الحسن فضلاء، **من أعلام الإصلاح في الجزائر**، ج1- 3، دار هومه (الجزائر 2000)
- محمّد علي دبوز، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج1، ط1، المطبعة التّعاونيّة (بيروت، 1965)
- مرتاض عبد المالك، **نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر1925- 1954** ط2 ش.و.ن.ت، (الجزائر، 1969)
- مرزوق خالدّ، المختار بن عامر، **مسيرة الحركة الإصلاحيّة بتلمسان آثار ومواقف 1907- 1931- 1956**، طبع بمركز التّصوير، (تلمسان، 2003)
- Claude Collot ،**les institutions de l'Algérie pendant la période coloniale 1830-1962**, Edition du CNRS, Paris, O.P.U, (Alger, Sd)
- Fanny Colonna, **Instituteurs Algériens : 1883-1939**, O. P.U, (Alger, 1975)

• Jeanne et André Brochier :**Livre d'ore de l'Algérie- dictionnaire des personnalités passées et contemporaines1937-** , Imp Baconnier frères, (Alger,1937)

• Léon Roches, **Trente- Deux Ans A Travers l'Islam 1832-1864,** T1, Librairie De Firmin- Didot, (Paris.1884)

المقالات:

• **جريدة لسان الدّين**، ع38، 6 أكتوبر 1937.

• محمّد البشير الإبراهيمي، "العربيّة، فضلها على العلم والمدنيّة، وأثرها في الأمم غير العربيّة"، **مجلة الشّهاب**، مج15، ج1، فيفري1939.

• أبو مدين الشّافعي، "ذكريات من بعيد"، **مجلة العبقريّة**، ع2، ماي 1947.

• محمّد البشير الإبراهيمي، "اللغة العربيّة في الجزائر، عقليّة حرة ليس لها ضرة" **جريدة البصائر**، ع41، 28 جوان 1948.

• محمّد البشير الإبراهيمي، "جنايّة الحزبيّة على التّعليم والعلم"، **جريدة البصائر** ع46، 23 أوت1948.

• محمّد البشير الإبراهيمي، "قادة الجيل الجديد في ميادين العلم"، **جريدة البصائر** ع56، 15نوفمبر 1948.

• أبو مدين الشّافعي، "إلى أستاذي البشير"، **جريدة البصائر**، ع98، 12ديسمبر 1949.

• محمّد البشير الإبراهيمي، "التّعليم العربي والحكومة"، **جريدة البصائر**، ع65- 74 31جانفي14أفريل1949.

• **جريدة البصائر**، ع172- 173، 15 أكتوبر 1951.

• **جريدة البصائر**، ع218، 20 فيفري 1953.

• محمّد البشير الإبراهيمي، "أنا"، **مجلة مجمع اللغة العربيّة**، مصر، ج21 1966.

• محمّد الصّالح رمضان، "الشّيخ محمّد الغسيري في سطور"، **مجلة الثّقافة**، ع45 جوان- جويليّة1978.

• سعدالله أبو القاسم، "الشّيخ الإبراهيمي في تلمسان من خلال الوثائق الإداريّة 1933- 1940"، **مجلة الثّقافة**، الجزائر، ع101، 1988.

- **جريدة البصائر**، ع95، 6- 12 ماي 2002.
- Masse Henri ،« Les études Arabes en Algérie », **Revue Africaine**, N74, 1933.
- Henri Pérès, « L'Algérie vue par deux voyageurs musulmans en 1877-1877 », **Revue Africaine**, N°76, 1935.
- « Enseignement du second degré», **Bulletin de l'Académie d'Alger**, N°01, Novembre 1957.

المداخلات:

- عزالدّين إبراهيم، "رؤيّة مشرقيّة لبعض إنجازات الإبراهيمي وإبداعاته"، **الملتقى الدّولي للإمام محمّد البشير الإبراهيمي بمناسبة الذّكرى الأربعين لوفاته- الجزائر-** دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006.
- **محادثة مع الشّيخ محمّد شيعلي** –تلميذ الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي- يوم 13- 3- 2007 بمدرسة دار الحديث بتلمسان على السّاعة14:00.

الأطاريح الجامعيّة:

- عبدالرّحمان بن بوزيان، **دار الحديث ودورها في الحركة الإصلاحيّة بتلمسان1937- 1956**، رسالة ماجستير، قسم التّاريخ جامعة الجزائر2، 2013.
- إبراهيم مهديد، **الجزائريون في القطاع الوهراني بين 1900و1940الجدور الثّقافيّة الهويّة الوطنيّة والنّشاط السّياسي**، ج1، أطروحة دكتوراه في التّاريخ الحديث والمعاصرجامعة وهران، 1999.
- Mohamed Korso ،**Politique et religion en Algérie ،Le cas de L'association des Oulamas Musulmans Algériens en Oranie 1925-1945Les structures est les Hommes**, T1-2, Thèse de Doctorat, Paris7, 1989.

□

- **الهوامش:**

[1]- أبو العيد دودو، **الجزائر في مؤلفات الرّحّالين الألمان 1830- 1855**، الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، الجزائر، 1975، ص13.

[2]- أبو القاسم الزّياني، **التّرجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا**، عبدالكريم الفيلالي تح، عدار المعرفة للنشر والتّوزيع، الرّباط، 1991، ص147- 148.

[3]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثّقافي**، ج5، دار البصائر، الجزائر، 2007 ص106.

[4]- **أبو حامد العربي بن عبد القادر المشرفي**، عالم جزائري ولد بمعسكر، عاصر نهايّة الوجود التّركي وبدايّة الاحتلال الفرنسي، هاجر إلى المغرب بعد الاحتلال الفرنسي، وقد زار الجزائر بعد هجرته منها مرتين، سنة 1849 و1877، توفي في 1895 .أنظر في ذلك بالتّفصيل، سعدالله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج2، عالم المعرفة، الجزائر صص175- 191، وكذلك

Henri Pérès "L'Algérie vue par deux voyageurs musulmans en 1877-1877", **Revue Africaine**, N°76, 1935, PP259-270.

[5]- أبوحامد المشرفي، **طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثّالث عشر للمسلمين مع الكفار في عتو الحاج عبدالقادر وأهل دائرته الفجار**، مخطوط بالمكتبة الوطنيّة الجزائريّة، الحامة.

[6]- **لاموريسيير كريستوف لويس**La Mercière Christophe-Louis Léon-Juchault، من مواليد نانتNantes، تعلم اللغة العربيّة واللهجات المحليّة، وشارك في احتلال بجايّة، ليترقى إلى رتبة مقدم على إثر الاحتلال الأول لمعسكر، وأسهم في احتلال قسنطينة، وفي 1840 تولى إدارة مقاطعة وهران، أسهم في احتلال جامع الغزوات، ترقى إلى رتبة جنرال 1848، ثم تولى وزارة الحربيّة الفرنسيّة توفي في 13سبتمبر 1865، أطلق اسمه على مدينة أولاد ميمون – تبعد بـ 30كلم شرق مدينة تلمسان- . للمزيد أنظر

Jeanne et André Brochier :**Livre d'ore de l'Algérie-dictionnaire des personnalités passées et contemporaines1937**-, Imp Baconnier frères, Alger, P190.

[7]- **أبي مدين شعيب بن حسين الأنصاري الأندلسي**، هو الولي الصّالح صاحب الكرامات من مواليد إشبيليّة سنة520هـ، تتلمذ على يد الشّيخ ابن حرزهم وعلى الفقيه أبي الحسن بن غالب، وأخذ عن علماء المشرق في رحلته للحج، أين التّقى الشّيخ عبدالقادر الجيلاني وأخذ عنه الصّوفيّة، وقد استدعاه الأمير يعقوب المنصور المريني إلى المغرب بعد عودته إلى بجايّة أين باشر تعليمه، توفي بالقرب من

تلمسان سنة 594هـ، وفي سنة 739هـ/1339 شيد السّلطان المريني أبوالحسن علي بن عثمان بن يعقوب مسجدا قرب ضريحه بالعباد وبعد ثماني سنوات من ذلك شيدت مدرسة بجانب المسجد أخذت اسم أبي مدين، والتي سميت في وقت متأخر بـ"المدرسة الخلدونيّة" نسبة لعبدالرّحمان بن خلدون الذي درّس بها. حول الموضوع راجع: ابن مريم، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، طبع ومراجعة محمّد ابن أبي شنب، المطبعة الثّعالبيّة، الجزائر، 1908، صص108- 114.

[8]- إيفون تيران، **المواجهات الثّقافيّة في الجزائر المستعمرة المدارس والممارسات الطّبيّة والدّين1830- 1880**، تر، عبد الكريم أوزغلة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007 صص139- 140.

[9]- لقد تكونت نخبة جزائريّة من مدرسين وعلماء في حواضر ثقافيّة وعلميّة مشهورة مثل ترارة التي ينحدر منها سيدي محمّد البوحميدي الذي كان له تأثير على سكان هذه المنطقة وأصبح خليفة على مقاطعة تلمسان في عهد الأمير عبد القادر، ومن أولاد رياح اشتهر فقيه المواريث سي محمّد بن عزة ومن بني ورنيد المفتي سي محمّد بن عبد الله، ومن ندرومة العدل سي محمّد بن قانة. حول الموضوع أنظر إبراهيم مهديد، **الجزائريون في القطاع الوهراني بين 1900و1940الجذور الثّقافيّة، الهويّة الوطنيّة والنّشاط السّياسي**، ج1 أطروحة دكتوراه في التّاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 1999 ص101. وكذلك

-Léon Roches, **Trente- Deux Ans A Travers l'Islam 1832-1864**, T1, Librairie De Firmin- Didot, Paris.1884, P214.

[10]- للتفصيل أكثر ينظر أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر ...، المرجع السّابق**، ج6 ص28- 32.

[11]- مازن صلاح حامد مطبقاني، **جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنيّة الجزائريّة 1931- 1939**، تقديم، أبو القاسم سعد الله، عالم الأفكار للنشر والتّوزيع، الجزائر، 2011، ص35- 36.

[12]- اقتصر تعليمها رسميا من خلال المدارس الرّسميّة الثّلاث في كل من قسنطينة والجزائر وتلمسان، والتي أنشئت بموجب مرسوم 30 جويليّة 1850، حيث أصبحت اللغة العربيّة لغة أجنبيّة وكانت وسيلة تعليمها هي اللغة الفرنسيّة. حول الموضوع ينظر إلى

"Enseignement du second degré", **Bulletin de l'Académie d'Alger**, N°01, Novembre 1957, p78.

[13] -Masse Henri ،« Les études Arabes en Algérie », **Revue Africaine**, N74, 1933, P217.

[14]- تواصل طمس وتدنيس اللغة العربيّة في الجزائر، من خلال مرسوم شوطان الصّادر بتاريخ 8 مارس 1938، الذي أعلنت بموجبه الحكومة الفرنسيّة أن اللغة العربيّة لغة أجنبيّة في الجزائر. للتفصيل أكثر ينظر

Claude Collot ،**les institutions de l'Algérie pendant la période coloniale 1830-1962**, Edition du CNRS, Paris, O.P.U, Alger, p324.

[15]- أنور الجندي، **الفكر والثّقافة المعاصرة في شمال إفريقيا**، الدّار القوميّة للطباعة والنّشر، مصر 1965، ص133.

[16] - Fanny Colonna, **Instituteurs Algériens ،1883-1939**, O. P.U, Alger, 1975 ،p87□

[17]- أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**، مكتبة النّهضة، مصر، د.ت، ص141.

[18]- تركي رابح، **التّعليم القومي والشّخصيّة الجزائريّة 1930- 1956**، الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، الجزائر، 1975، ص382.

[19]- حول هذه النّهضة التي عرفتها الجزائر مع بدايّة القرن العشرين عد بالتّفصيل إلى محمّد علي دبوز، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج1، ط1، المطبعة التّعاونيّة بيروت، 1965.

[20]- محمّد البشير الإبراهيمي، "أنا"، **مجلة مجمع اللغة العربيّة**، مصر، ج21، 1966 ص144.

[21]- محمّد البشير الإبراهيمي، **سجل مؤتمر جمعيّة العلماء المسلمين المنعقد بمركزها العام بنادي التّرقي 1935**، المطبعة الجزائريّة الإسلاميّة، قسنطينة، 1935، ص46.

[22]- صالح بن عتيق، **أحداث ومواقف في مجال الدّعوة الإصلاحيّة والحركة الوطنيّة الجزائريّة** مطبعة دحلب، الجزائر، 1990، ص190.

[23]- كتب في البصائر مقال يشكر فيه أستاذه الإبراهيمي من القاهرة، راجع البصائر 12- 12- 1949، ع98، ص5.

[24]- نفسه، ص192- 193.

[25]- أحمد الخطيب، **جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر** المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، الجزائر، 1985، ص154.

[26]- محمّد البشير الإبراهيمي، آثار...، ج4، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1985 ص- 20- 28.

[27]- أحمد الخطيب، مرجع سابق، ص156.

[28]- نفسه، ص158.

[29]- تناولت العديد من الأبحاث والدّراسات دور وجهود الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي في إحياء اللغة العربيّة، أذكر من بينها محمّد مهداوي، **البشير الإبراهيمي واللغة العربيّة** ماجستير، كليّة الآداب بجامعة دمشق، 1987. محمّد العيد تاورتة، **نثر الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي في الفترة من 1929- 1939**، مذكرة ماجستير، معهد اللغة الآداب والثّقافة العربيّة، جامعة قسنطينة، ج1- 2 1980. عبد الملك بومنجل، **النّثر الفني عند البشير الإبراهيمي**، بيت الحكمة، سطيف، 2009.

[30]- أبو القاسم سعدالله، **تاريخ الجزائر...** ، ج8، المرجع السّابق، ص82.

[31]- مازن صلاح حامد مطبقاني، **المرجع السّابق**، ص101.

[32]- أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح مذكرات**، ج2، ط1، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر 1988 ص337.

[33]- **جريدة البصائر**، ع172- 173، 15 أكتوبر 1951.

[34]- **Archive de la Wilaya d'Oran**، Sl 6988, 26 Mai1952.

[35]- **جريدة البصائر**، ع95، 6- 12 ماي 2002، ص2.

[36]- جيلالي صاري، **بروز النّخبة المثقفة الجزائريّة 1850- 1950**، تر: عمر المعراجي منشورات ANEP، الجزائر، 2007، ص9.

[37]- تأسست هذه المدرسة بجهود الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي وجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، وأبناء تلمسان من علماء، وطلبة، وملاك، وتجار، ونواب بلديون، دامت فترة البناء 18 شهرا تقريبا، افتتحت يوم 27 سبتمبر 1937 بحضور جمع كبير من العلماء الجزائريين وبعض المغاربة كانت بحق مدرسة عربيّة إسلاميّة عصريّة، أغلقتها إدارة الاحتلال سنة 1939م، ثم عادت للنشاط بعد نهايّة الحرب العالميّة الثّانيّة، ليعرف تطورا كبيرا بعدها في عدد التّلاميذ، ونوعيّة ووسائل التّعليم إلى غايّة غلقها النّهائي سنة 1956م. للتفصيل أكثر حول الموضوع ينظر عبدالرّحمان بن بوزيان، **دار الحديث ودورها في الحركة الإصلاحيّة بتلمسان1937- 1956**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر2، قسم التّاريخ 2013.

[38]- بن عتيق، **المرجع السّابق**، ص 199.

[39]- محمّد البشير الإبراهيمي، محمّد البشير الإبراهيمي، **آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي 1929- 1940**، جمع وتق، أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، ج1، د.غ.إ، لبنان 1997، ص75.

[40]- محمّد البشير الإبراهيمي، "اللغة العربيّة في الجزائر، عقليّة حرة ليس لها ضرة"، **جريدة البصائر**، ع41، 28 جوان 1948، ص1- 2.

[41] -**Bulletin Mensuel D'Information Concernant la Politique Indigène dans le Département d'Oran**،N°281, Octobre et Novembre 1937, P5-6.

[42]- مرتاض عبد المالك، **نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر1925- 1954**، ط2 الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، الجزائر، 1969، ص54.

[43] -Mohamed Korso، **Politique et religion en Algérie ،Le cas de L'association des Oulamas Musulmans Algériens en Oranie 1925-1945Les structures est les Hommes**, T1-2, Thèse de Doctorat, Paris7, 1989, P237.

[44]- خلال أحد الدّروس الذي نظم في بدايّة شهر ديسمبر 1937 تم جمع 1.600ف.ف. أنظر **Archive Municipale de Tlemcen** :P.M, N°13988, Tlemcen, 03 -12 -1937.

[45]- محمّد البشير الإبراهيمي، "جنايّة الحزبيّة على التّعليم والعلم"، **جريدة البصائر**، ع46 23 أوت1948، ص2.

[46]- **سورة الشّعراء**، الآيّة 193،194،195.

[47]- تركي رابح عمامرة، **التّعليم القومي والشّخصيّة الوطنيّة 1931- 1956**، ش.و.ن.ت الجزائر 1975، ص167.

[48]- تركي رابح عمامرة، **الشّيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح والتّربيّة في الجزائر** ط3 ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981، ص375.

[49]- سعدالله أبو القاسم، "الشّيخ الإبراهيمي في تلمسان من خلال الوثائق الإداريّة 1933- 1940" **مجلة الثّقافة**، الجزائر، ع101، 1988، ص90- 91.

[50] -**A.M.T** :P.M, N°10030, Tlemcen, 07 -10 -1937.

[51]- محمّد البشير الإبراهيمي، "العربيّة، فضلها على العلم والمدنيّة، وأثرها في الأمم غير العربيّة" **مجلة الشّهاب**، مج15، ج1، فيفري1939.

[52]- عزالدّين إبراهيم، "رؤيّة مشرقيّة لبعض إنجازات الإبراهيمي وإبداعاته"، **الملتقى الدّولي للإمام محمّد البشير الإبراهيمي بمناسبة الذّكرى الأربعين لوفاته- الجزائر-** ، دار الغرب الإسلامي بيروت، 2006، ص155.

[53]- أحمد طالب الإبراهيمي، أحمد طالب، **مذكرات جزائري أحلام ومحن 1932- 1965** ج1 دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص25- 26.

[54]- الشّيخ البشير الإبراهييمي، سجل مؤتمر...، مصدر سابق، صص57- 59.

[55]- **L'Activité Indigène dans le Département d'Oran**, N°513, juillet 1943, P3.

[56]- تجددت الجمعيّة الدّينيّة لدار الحديث خلال جانفي 1945، وعين فيه بن قلفاط الغوتي بوصالح عبدالسّلام، بن دي مراد العربي، بريكسي الحاج عبدالله، بابا أحمد علي، بخشي الحاج غوتي، بوعياد العربي، بخوشة محمّد. أنظر بالتّفصيل

A.W.O،Rap de P.R.G, P.T, N°40, Tlemcen, 16-01-1945.

[57]- **A.W.O**،P.R.G, P.T, Rap N°605, Activité du cheikh Taleb Bachir Ibrahimi, Tlemcen 9-10-1944.

[58]- **محادثة مع الشّيخ محمّد شيعلي** –تلميذ الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي- يوم 13- 3- 2007 بمدرسة دار الحديث بتلمسان على السّاعة14:00.

[59]- تتضمن دروس الحديث الشّريف شرح الحديث وتعريف الرّاوي، وقد كان عادة يتم اختيار الأحاديث القصيرة حول المسائل الفقهيّة من عبادات ومعاملات مثل :"إنما الأعمال بالنّيات وإنما لكل إمرئ ما نوى". راجع بالتّفصيل الكراس الخاص بدروس الجديث الشّريف في **أرشيف ولايّة قسنطينة** "ج.ع.م.ج"، العلبة1، الملف'ب'، كراس الحديث الشّريف.

[60]- مرزوق وبن عامر، المصدر السّابق، ص243.

[61]- محمّد البشير الإبراهيمي، آثار..، المصدر السّابق، ج3، ص283.

[62]- محمّد المنصوري الغسيري، 1919- 1974 ولد في دشرة أولاد منصور من دوار غسيرة بأريس أتم حفظ القرآن في قريته ثم انتقل إلى بسكرة وانظم إلى مدرسة الإخاء ما بين 1929- 1931 لينتقل بعدها إلى الجامع الأخضر بقسنطينة، وانتظم بعدها في سلك طلبة الشّيخ ابن باديس إلى غايّة 1938، ثم انخرط في سلك كشافة الرّجاء إلى أن عين باسم الكشافة الجزائريّة مرشدا عاما وأصبح عضوا في لجنة التّعليم العليا لـ"ج.ع.م.ج"، ثم مفتشا جهويا، ثم مفتشا عاما في العمالات الثّلاث، ألقي القبض عليه في 16 ماي1945 تنقل بين سجن الكديّة والحراش، ومنه نقل إلى معتقل جنين بورزق جنوب عمالة وهران، ليفرج عليه نهائيا في 27 مارس1946 عائدا منه إلى قسنطينة. راجع

عنه محمّد الحسن فضلاء **المرجع السّابق**، ج1، صص279- 286. وكذلك محمّد الصّالح رمضان، "الشّيخ محمّد الغسيري في سطور"، **مجلة الثّقافة**، ع45، جوان- جويليّة1978، صص105- 107.

[63]- أسهم الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي في صائفة 1944 إسهامات فعالة في تنظيم المخيم الفدرالي الأول للكشافة الاسلاميّة الجزائريّة المنعقد بتلمسان ما بين 23- 30 جويليّة 1944 بهضبة لالة ستي، وخلال شهر نوفمبر غادر الإبراهيمي إلى العاصمة ليعود بعدها في 21 ديسمبر إلى تلمسان، وقد تعب الشّيخ الإبراهيمي كثيرا من كثرة التّنقلات بين العمالات، وإشرافه على الحركة الإصلاحيّة بالعمالة الوهرانيّة وحرصه على التّدريس بدار الحديث. أنظر

A.W.O ،A.I.D.O, N°352, Aout, P3. et N°677, Décembre1944, P3.

[64]- **A.W.C** :Boite N°2, Archive Privées, fonds ،Mohamed Ben Ahmed El Mansouri El-Ghassiri, , Dossier N°1, Correspondance Particulières, Lettre le 29-10-1944.

[65]- **جريدة لسان الدّين**، ع38، 6 أكتوبر 1937، ص3.

[66]- أحمد بري، ولد في مدينة مغنيّة سنة 1922، حفظ القرآن الكريم وعمره 17 عاما على يد الشّيخ الأخضر منصوري من 'جبالة' بلديّة ندرومة، تم واصل تعليمه بدور المعازيم بلديّة مغنيّة، درس على يد الشّيخ البشير الإبراهيمي بدار الحديث، وخلال الحرب العالميّة هاجر إلى المغرب واستقر بمدينة تازة، وبعد نهايّة الحرب عاد واشتغل بمدرسة التّربيّة والتّعليم بمغنيّة إلى غايّة أكتوبر 1945 بعد إلقاء القبض عليه. للتفصيل أكثر أنظر محمّد الحسن فضلاء، **المرجع السّابق**، ج3، صص175- 179.

[67]- **نفسه**، ص176.

[68]- **نفسه**، ص177.

[69]- ولد بتلمسان، واكب منذ صغره المجالسّ العلميّة للشيخ بوعروق في جامع سيدي الجبار، وحضر أيضا مجالسّ الشّيخ الإبراهيمي، تم اواصل تعلمه بجامع الشّرفاء، ثم انتقل إلى مدرسة ديسيو الفرنسيّة إلى أن وصل إلى درجة شهادة البكالوريا، فتقدم إلى امتحانها في صيف 1938 وبسبب اختياره للغة العربيّة كلغة أجنبيّة، وقد وقعت محاورة عنيفة بينه وبين مدير الثّانويّة، وسافر إلى القاهرة لإتمام دروسه لينال شهادة الدّكتوراه في علم النّفس، ألقى عدة دروس في كليّة الطّب والآداب بجامعة فؤاد الأول بمصر، للتفصيل أكثر أنظر أبو مدين الشّافعي، "ذكريات من بعيد"، **مجلة العبقريّة**، ع2 ماي 1947، صص45- 48. وكذلك **جريدة البصائر**، ع218، 20 فيفري 1953، ص 5.

[70]- أبو مدين الشّافعي، "إلى أستاذي البشير"، **جريدة البصائر**، ع98، 12ديسمبر 1949 ص5.

[71]- محمّد البشير الإبراهيمي، "قادة الجيل الجديد في ميادين العلم"، **جريدة البصائر**، ع56 15نوفمبر1948، ص1.

[72]- كتب الشّيخ مجموعة من المقالات في صفحات جريدة البصائر حول واقع تعليم اللغة العربيّة في الجزائر والعراقيل الإداريّة القمعيّة في حق معلمي اللغة العربيّة في مدارس جمعيّة العلماء المسلمين. عد بالتّفصيل إلى مقالاته تحت عنوان "التّعليم العربي والحكومة"، **جريدة البصائر**، ع65- 74 31جانفي14أفريل1949.

مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 22 العدد: 50 السّنة: الثّلاثيّ الثّاني 2020 ص: 471 - 496

دور الأنشطة المعرفيّة في تنميّة المهارات اللغويّة لدى المتعلّم – سنة أولى متوسّط أنموذجا-

The role of knowledge activities in the development of language skills of the learner – the first year the average model–

سمراء شلوا ش[1]
إشراف أ.د. عز الدّين صحراوي

تاريخ الإرسال: 13 07 2019 تاريخ القبول: 20 10 2019

ملخّص هذه الدّراسة تناولت دور الأنشطة اللغويّة في تنميّة المهارات اللغويّة لدى المتعلّم، واستمدت الدّراسة أهميتها من أهميّة الأنشطة اللغويّة التي أثبتت نجاعتها في عدة مجالات من منطلق الدّور الذي تلعبه، إذ يتوقف على تعليمها بالطّريقة الصّحيحة نجاح العمليّة التّعليميّة، بينما يعرقل الإخفاق فيها هذه العمليّة ويعقدها، وهدفت الدّراسة إلى الكشف عن دور هذه الأنشطة في مساعدة المتعلّمين على بناء تعلّماتهم وترسيخ مكتسباتهم وتنميّة قدراتهم لتنميّة القدرة اللغويّة المقررة، وتوصلت الدّراسة لمجموعة من التّوصيات من بينها: الحرص على اكتساب المتعلّم المهارات اللغويّة بشكل مقنن، توظيف الوسائط التّعليميّة الحديثة من أجل خدمة اللغة العربيّة وتحسين استيعابها من قبل المتعلّمين وتنويع المعلّم لطرق وأساليب حديثة لتدريس أنشطة اللغة العربيّة وتفادي استخدام أسلوب نمطي لكي لا يمل المتعلّمون وينفروا منها.

[1] جامعة باتنة 1، مخبر الموسوعة الجزائريّة الميسرة ، البريد الإلكتروني: samradz04@gmail.com

الكلمات المفتاحيّة: دور؛المهارات اللغويّة؛ الأنشطة اللغويّة؛ تنميّة؛ المتعلّم؛ القدرة؛ المعرفة.

Abstract: This study examined the role of language activities in the development of language skills of the learner. The study derived its importance from the importance of language activities that proved successful in several areas in terms of the role played by it. It depends on teaching the right way the success of the educational process, The study aimed to reveal the role of these activities in helping learners to build their learning, consolidate their gains and develop their abilities to develop the language ability, The study reached a number of recommendations, including: to ensure that the learner acquire language skills in a standardized manner, to employ modern educational media in order to serve the Arabic language and improve its comprehension by learners, to diversify the teacher to modern methods and methods of teaching Arabic language activities, and to avoid using a stereotypical style And disown them.

Keywords: Role; language skills; Language activities; development; learner; ability; knowledge.

مقدّمة: يعد تدريس أنشطة اللغة العربيّة ذا أهميّة بالغة في تنميّة المهارات اللغويّة، فهي تمثل مادة رئيسيّة بما تحتويه من آليات وتقنيات تثري الحصيلة اللغويّة للمتعلّمين بكل أبعادها المختلفة، فما المهارات التي تنميها الأنشطة المعرفيّة، وفيم تكمن أهميتها، ودورها في العمليّة التّعليميّة ؟

تعد العمليّة التّعليميّة عمليّة بالغة التّعقيد تتشابك فيها عدة عوامل داخليّة (داخل الحجرة الصّفيّة: المعلّم- المتعلّم- المادة)، وخارجيّة (خارج

الفصل: عوامل اجتماعيّة- نفسيّة- ثقافيّة...)، الهدف منها إكساب مادة معرفيّة للمتعلّمين وتعزيزها بمختلف الوسائل والآليات المناسبة، ولعل نجاح العمليّة التّعليميّة للغة العربيّة مرهون بالممارسة النّوعيّة لأنشطة اللغة العربيّة من أجل تنميّة مهارات القراءة والمحادثة والاستماع والكتابة وتعزيزها لدى المتعلّمين وذلك من خلال تفاعل أقطاب العمليّة التّعليميّة الثّلاثة وهي: المعلّم- المتعلّم- المادة المعرفيّة.

1- أقطاب العمليّة التّعليميّة: إنّ العمليّة التّعليميّة عمليّة تكامليّة تتفاعل فيها أطراف متعددة، والمطلوب أن تتفاعل هذه الأطراف مجتمعة بشكل إيجابي لكي تتحقق على إثرها أهداف التّعليم المخطط لها، وذلك من منطلق أن حصول أي خلل في أي طرف أو ركن من الأركان المذكورة آنفا (متعلّم، معلم معارف) سيؤدي حتما إلى خلل في العمليّة التّعليميّة. [1]

أ - المتعلّم: يعد محور العمليّة التّعليميّة مما زاد الاهتمام بدوره ومشاركته الإيجابيّة في العمليّة التّعليميّة، لذا انتشرت الدّراسات الخاصة بالفروق الفرديّة والميول والاتجاهات والقدرات، [2]والاهتمام بالنّمو الشّامل والمتكامل للمتعلّمين في جميع جوانبهم. [3]

ب - المعلّم: أما المعلّم فهو الميسر للتعلّم والمرشد والموجه لنشاط المتعلّمين والمقيم لأدائهم والمهيء لبيئة تعليميّة ثريّة؛ [4]بهدف متابعة نموهم العقلي والبدني والجمالي والدّيني والاجتماعي والخلقي [5]، وتلك الأدوار مجتمعة تُسهم في نمو المتعلّمين وتقدمهم في تحقيق الأهداف المنشودة [6].

ج - المعرفة: إنّ المعارف الواجب تعلّمها معارف أكاديميّة، تنتجها مراكز الأبحاث والجامعات، ولكنها تخضع لتحديد وقياس من قبل واضعي المناهج الدّراسيّة... يتعاطى المعلّم مع هذه المعارف في تحولاتها المختلفة، ويستوعب

محتواها ومقاديرها، ويبحث عن أنجع الأساليب لتقديمها إلى المتعلّمين ومساعدتهم على بنائها وتمثلها وتحصيلها. [7]

والشّكل الآتي يوضح مدى تفاعل هذه الأقطاب التّعليميّة وتكاملها فيما بينها [8]:

الشّكل رقم 1: أقطاب العمليّة التّعليميّة التعلّميّة

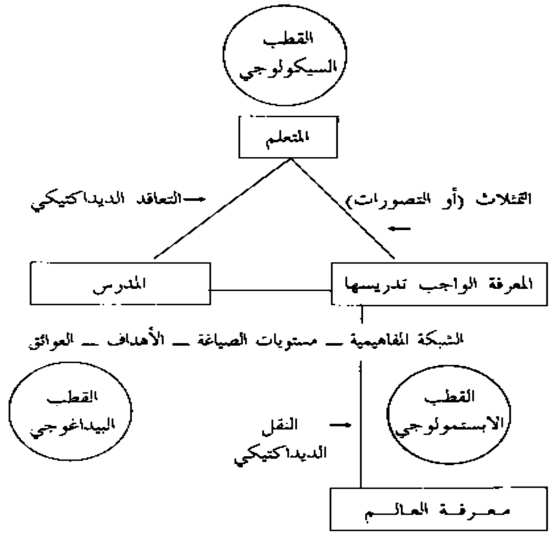

يوضح هذا الشّكل العلاقات التي تربط بين أقطاب العمليّة التّعليميّة فالضّلع الأول الذي يربط بين المعلّم والمعرفة؛ هو الذي يحدد مفهوم نقل وتحديد المعرفة، أما الضّلع الثّاني الذي يربط بين المعلّم والمتعلّم، فهو الذي يحدد مفهوم العقد التّعليمي الذي يقتضي تبيان المعرفة وتوضيحها، أما الضّلع الثّالثّ، فهو الذي يوصل بين المعرفة والمتعلّم والذي يحدد مفهوم التعلّم إمّا بصورة منظمة أو فطريّة أو عشوائيّة. [9]

إن الهدف من تفاعل هذه الأقطاب معا وتكاملها هو التّطبيق الفعال والنّاجع للأنشطة المعرفيّة، والتي تشمل أربعة ميادين هي: ميدان فهم المنطوق- ميدان

فهم المكتوب1 (قراءة مشروحة)- ميدان فهم المكتوب2 (نص أدبي)- ميدان إنتاج المكتوب، والتي تسهم بدورها في تنميّة المهارات اللغويّة لدى المتعلّمين.

2. وصف الجوانب الخاصة بالأنشطة اللغويّة: تنوعت الأنشطة اللغويّة بتنوع الغايات والمرامي المرجوة من العمليّة التّعليميّة وهي:

أ. ميدان فهم المنطوق: وهو ما يصطلح عليه بالتّعبير الشّفهي سابقا يعرف كل من **راتب قاسم عاشور و محمّد فؤاد الحوامدة** في كتابهما "**أساليب تدريس اللغة العربيّة بين النّظريّة والتّطبيق**" بأنه « الإفصاح عما في النّفس من أفكار ومشاعر بالطّرق اللغويّة وخاصة المحادثة أو الكتابة، وعن طريق التّعبير يمكن الكشف عن شخصيّة المتحدث أو الكاتب وعن مواهبه وقدراته وميوله.» [10]

ب. ميدان فهم المكتوب (القراءة المشروحة): يعرف بشير **إبرير** القراءة المشروحة في كتابه" **تعليميّة النّصوص بين النّظريّة والتّطبيق**" بأنّها نشاط فكري متكامل وتفاعل نفسي مع مقتضيات ترجمة رموز اللغة وفعل كلي متشابك تتداخل فيه العوامل النّفسيّة والاجتماعيّة واللغويّة. [11]

ج. **ميدان فهم المكتوب (قواعد اللغة):** يوصي هذا المنهاج بتناول موضوعات قواعد اللغة عقب الانتهاء من دراسة نص القراءة وبأسلوب لا يشعر فيه المتعلّمون بأن ثمة حاجزا بين النّص والقواعد؛ وهذا ما يصطلح عليه بالمقاربة النّصيّة.

د. ميدان فهم المكتوب (النّص الأدبي): يعرّف **بشير إبرير** النّص الأدبي في كتابه "**تعليميّة النّصوص بين النّظريّة والتّطبيق**" بأنّه بنيّة لغويّة ذات دلالات متعددة ووظائف متنوعة ومحصول معرفي نشأ وترعرع في أحضان ثقافة ما، فكل معرفة أو ثقافة تظهر وتتجلى من خلال وحدة لسانيّة كبرى هي النّص تحتاج إلى القراءة والفهم ليتم التّوصل أو التّفاعل معها. [12]

ه.ميدان إنتاج المكتوب (التّعبير الكتابي): يعرّف **محسن علي عطيّة** ميدان إنتاج المكتوب في كتابه "**مهارات الاتصال اللغوي وتعلّمها**" هو نشاط لغوي يعبر به المتعلّم عن مشاعره وأحاسيسه وأرائه وحاجاته ونقل خبراته إلى الآخرين بكلام مكتوب كتابة صحيحة، تراعي قواعد الرّسم الصّحيح واللغة وحسن التّنظيم والتّراكيب وترابط الأفكار. [13]

3. وصف الجوانب الخاصة بالمهارات اللغويّة: تسعى العمليّة التّعليميّة التعلّميّة لأنشطة اللغة العربيّة إلى تنميّة مجموعة من المهارات اللغويّة هي: مهارة القراءة- مهارة التّحدث- مهرة الاستماع- مهارة الكتابة.

أ. **مهارة القراءة:** تعرف القراءة بأنها عمليّة عقليّة معقدة تشمل تفسير الرّموز التي يتلقاها القارئ عن طريق عينيه؛ فهي عمليّة دائريّة تبدأ بالتّركيز على الكلمة المكتوبة وتنتهي بالحصول على المعنى. [14]

ومن هذا التّعرف يمكن استخلاص عناصر القراءة والتي تتمثل في: الرّمز المكتوب- المعنى الذّهبي- اللفظ. والقراءة أنواع هي: **القراءة الصّامتة- القراءة الجهريّة- قراءة الاستماع.**

❖**أهميّة القراءة:** للقراءة أهميّة بالغة في تنميّة قدرات المتعلّمين فهي:

- توسيع خبرات المتعلّمين وإغناؤها عن طريق القراءة الواسعة في المجالات المتعددة التي يهتم بها المتعلّمون بما يتفق مع طبيعة نموهم؛
- ترقيّة أذواق المتعلّمين بحيث يستطيعون اختيار الأساليب الجميلة والتّعرف عليها فيما يستمعون أو يقرؤون أو يكتبون؛ [15]
- الاستمرار في تنميّة القدرات والمهارات مثل السّرعة في النّظر والاستبصار في القراءتين الجهريّة الصّامتة، فالإضافة إلى النّطق في القراءة الجهريّة؛
- تدريب المتعلّمين على مهارة الكشف في بعض المعاجم اللغويّة التي تفي بحاجاتهم وتمدهم بالثّروة اللغويّة اللازمة لهم. [16]

ب. **مهارة الاستماع:** هي تلك العمليّة الإنسانيّة الواعيّة المدبرة لغرض معين وهو اكتساب المعرفة، تستقبل فيها الأذن أصوات النّاس في المجتمع في مختلف حالات التّواصل وبخاصة المقصود وتحال فيها الأصوات إلى ظاهرها المنطوق وباطنها المعنوي، وتشتق معانيها مما لدى الفرد من معارف سابقة وسياقات التّحدث والموقف الذي يجري فيه التّحدث. [17]

وبناء على ما تقدم ذكره نخلص إلى أن الاستماع نشاط أساسي من أنشطة الاتصال بين البشر، فهو النّافذة التي يطل الإنسان من خلالها على العالم من حوله، ومنه فالمستمع الجيد هو الذي يفكر ويقيم باستمرار ويقوم بربط كل ما يستمع إليه ومنه يتم توظيفه في مواقف حياته المستقبليّة.

❖**أهميّة الاستماع:** إن الاستماع من أهم فنون اللغة إن لم يكن أهمها على الإطلاق وذلك لأن النّاس يستخدمون الاستماع والكلام أكثر من استخدامهم للقراءة والكتابة.

فالاستماع له أهميّة كبيرة في الحياة الاجتماعيّة بشكل عام فهو يساعد على إثراء حصيلة المستمع من مفردات وتراكيب وهو وسيلة ناجحة في تعليم الأطفال القراءة والكتابة والحديث الصّحيح سواء في اللغة العربيّة أم اللغات الأخرى كما أن إتقان الاستماع يعد علامة من علامات رقي الأمة وتقدمها وتظهر أهميّة الاستماع في المحاضرات والنّدوات حيث لا توجد هاتان الأخيرتان في كتاب وإنما عليك أن تعتمد على نفسك في التّقاط مادتها. فأنت المعني وحدك في الاستماع إليها. [18]

تبين من ذلك أن مهارة الاستماع من المهارات الهامة في عمليّة التعلّم ويكفينا تدليلا أن مكانتها كانت كبيرة عند العرب القدامى، فقد كانوا يرسلون أبناءهم إلى الباديّة لسماع وتعلّم فصيح اللغة من منابعها الأصليّة. كما اعتمد القدماء على سماع الرّوايات المنطوقة في نقل التّراث من الماضي إلى الحاضر. وإن

النّحو العربي وصلنا عن طريق السّماع فالنّحاة كانوا يرحلون إلى البوادي لينقلوا اللغة عن فصحاء وأقحاح العرب، فالسّماع له مكانة كبيرة منذ وقت بعيد وحتى يومنا هذا.

ج. **مهارة الحديث:** يعد التّحدث الوسيلة اللغويّة الأولى المستخدمة من قبل الإنسان لإيصال ما لديه من أفكار، أما ما يدور في نفسه من مشاعر وأحاسيس للآخرين ويطلق على مهارة الحديث أيضا في مدارسنا "التّعبير الشّفوي"، الذي يعرف بأنه إفصاح المرء بالحديث أو الكتابة عن أحاسيسه الدّاخليّة ومشاعره وأفكاره ومعانيه بعبارات سليمة تتوافق مع مستويات المتعلّمين المختلفة.

لذلك يؤدي تدريس التّعبير إلى تعويد المتعلّمين على جودة الأداء اللفظي وحسن التّفكير المعنوي، ويقصد بالأداء اللفظي المظهر الذي يبدو من خلال الكلمات والجمل والتّراكيب والأساليب. واما حسن التّفكير المعنوي فيراد به المحتوي الفكري الذي ينشا في داخل الفرد من المعاني التي يرغب في التّعبير عنها بالأداء اللفظي وهذان العنصران مترابطان لا يصح الفصل بينهما. [19]

❖**أهميّة مهارة الحديث:** لعمليّة المحادثة أهميّة وفوائد جلّيّة منها:

- إثراء ثروة الطّفل اللفظيّة؛
- تمكينه من تشكيل الجمل وتركيبها؛
- تحسين هجائه ونطقه؛
- تهيئة التّلاميذ لمواجهة المواقف الحياتيّة المختلفة؛
- تعويد التّلاميذ على ترتيب أفكارهم؛
- تنميّة التّفكير وتنشيطه وتنظيمه والعمل على تغذيّة خيال المتعلّم. [20]

د. **مهارة الكتابة:** الكتابة عند رشدي أحمد طعيمة ليست عمليّة آليّة بحتة يكفي فيها برصد مجموعة من الكلمات لتكوّن جملا والجمل لتكون فقرات والفقرات لتكون موضوعا. إنّ الكتابة عمليّة إبداعيّة ينبغي على المدرس تعريف

الدّارس بأبعادها فيدربه على أن يسأل نفسه دائما قبل أن يكتب لماذا أريد أن أكتب؟ ما الذي أود التّعبير عنه؟ ثم لمن أوجه هذه الكتابة؟ .[21]

❖ **أهميّة التّعبير الكتابي:** وللتعبير أهميّة كبيرة تظهر من خلال ما يأتي:

- تنميّة قدرة المتعلّم على التّعبير الوظيفي وهذا يعني:
- تنميّة قدرة المتعلّم على المحادثة والمناقشة، وقص القصص؛
- تنميّة حساسيّة التّلميذ للمواقف الاجتماعيّة المختلفة .
- تنميّة قدرة المتعلّم على التّعبير الإبداعي وهذا يعني:
- تنميّة قدرته على التّعبير عن أحاسيسه وانفعالاته من حزن وألم و غيرها من الأحاسيس الأخرى.[22]

4. دور الأنشطة المعرفيّة في تنميّة المهارات اللغويّة لدى المتعلّم –سنة أولى متوسط أنموذجا-

يعتبر الجانب التّطبيقي في الدّراسة المرحلة الأهم من مراحل البحث، وعمودها الأساسي الذي تقوم عليه، فبفضله تمكنت الباحثة من جمع الحقائق والمعلومات المتعلقة بموضوع دراستها؛ وذلك عن طريق النّزول إلى الميدان للتحقق من صدق الفرضيات المطروحة أو نفيها.

1 - **<u>عينة الدّراسة:</u>** تكونت عينة الدّراسة من معلمي اللغة العربيّة ممن يدرسون السّنة الأولى من التّعليم المتوسط للسنة الدّراسيّة 2018/2017م وقد بلغ عددها خمسة وثمانين(85) معلما ومعلمة، تم اختيارهم بطريقة عشوائيّة، وقد شملت عينة الدّراسة ثلاثين (30) متوسطة في ست (06) ولايات ضمن ست عشرة(16) بلديّة، كما يوضحه الجدول الآتي:

الجدول رقم (1): عينة الدّراسة الميدانيّة لعدد معلمي ومدارس السّنة أولى متوسط.

الولايّة	البلديّة	المتوسطة	عدد المعلّمين
الجزائر غرب	عين البنيان	أثير الدّين الغرناطي	02
		عبد الحميد بن باديس	02
	زرالدّة	لاعب الطّيب	02
		19 ماي	02
	الشّراقة	عيسى بن ضياف	02
		مولاي علي	02
	بئر خادم	العقيد سي الحواس	02
		ابن رشد	02
سكيكدة	عين قشرة	بوحيرة علي	03
		ارزيوق محمّد	03
		عيسى عبد الوهاب	03
	الولجة بو البلوط	مباركي الطّاهر	03
المسيلة	المسيلة	العقيد الحواس	04
		أحمد شوقي	04
	المعاضيد	العلامة عبد الحميد بن باديس	04
تيارت	تيارت	حمداني مليكة	03
	عين كرمس	خيثر البودالي	03
		عواد محمّد	03
	وادي ليلي	ميهوب عبد الباقي	03

أم البواقي	أم البواقي	وقاف السّبتي	03
		حمو بوزيد	03
		بن طبيبل الرّبعي	03
	عين فكرون	قعقاع عبد الله	03
		العربي بن مهيدي	03
	عين البيضاء	ابن رشد	03
		قوادريّـــــــة الرّبيعي	03
غردايّة	غردايّة	محمّد بوضياف	03
		المجاهـــد رمضـــان إبراهيم	03
		الحـــاج امحمّـــد مطهري –مليكة –	03
		بن يزقن الجديدة	03
		أول نـــــــوفمبر 1954 –بوهراوة	03
المجمـــوع: 6 ولايات	**16 بلديّة**	**30 متوسطة**	**85 معلما ومعلمة**

2 – **أداة البحث:**

يتوقف اختيار المنهج المناسب للدراسة على حسب طبيعة الموضوع وعليه تم الاعتماد على المنهجين الوصفي والإحصائي، كونهما الأنسب لعرض النّتائج والمعطيات المتحصل عليها وتحليلها وتفسيرها عن طريق الاستبيان المقدم لأفراد العينة المذكورة آنفا.

بني هذا الاستبيان من سبعة (7) أسئلة، أسئلته تدور حول الموضوع الأساسي للبحث وهو " **دور الأنشطة المعرفيّة في تنميّة المهارات اللغويّة لدى المتعلّم –سنة أولى متوسط أنموذجا-** ".

3 – عرض نتائج الدّراسة وتحليلها:

1 - النّتائج المتعلقة بالسّؤال الأول :

نصّ السّؤال على الآتي: ما الأنشطة التي يتجاوب معها المتعلّمون؟

وكانت النّتيجة كالآتي:

جدول (2): نسبة الأنشطة بحسب تفاعل المتعلّمين

الاحتمالات	نشاط القراءة	نشاط القواعد	نشاط النص الأدبي	نشاط التعبير	المجموع
العدد	33	29	21	2	85
النسبة المئوية	%39	%34	%25	%2	%100

لقد تباينت الآراء واختلفت فيما بينها حول الأنشطة اللغويّة التي يتفاعل معها المتعلّمون فنجد نسبة **39%** من المعلّمين ينسبونها إلى نشاط القراءة، بينما نجد نسبة **34%** من المعلّمين يرجعونها إلى نشاط القواعد، في حين نجد نسبة 25% من المعلّمين إلى نشاط النّص الأدبي، لتليها في الأخير نسبة **2 %** من المعلّمين الذين يرون أن النّشاط التّعبيري هو النّشاط الذي يتجاوب معه المتعلّمون.

كما يوضحه الرّسم البياني الآتي:

الشّكل رقم (2):

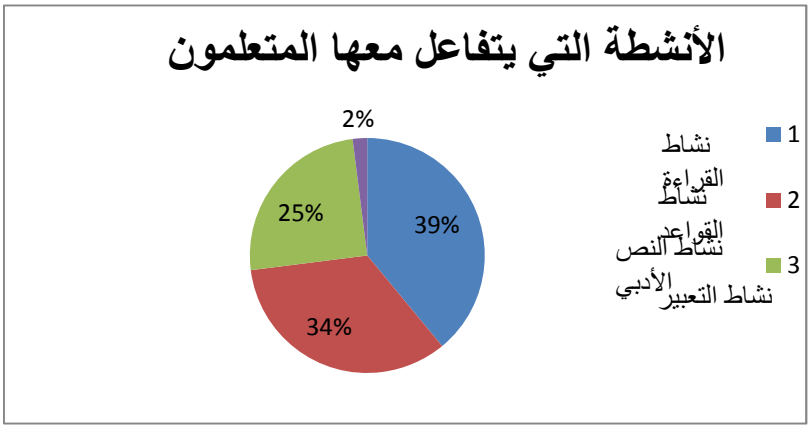

2 - النّتائج المتعلقة بالسّؤال الثّاني:

نصّ السّؤال على الآتي: ما المهارات اللغويّة التي تنميها هذه الأنشطة عند المتعلّمين، وتراعي الفروق الفرديّة بينهم ؟

وكانت النّتيجة كالتّالي:

جدول (3): نسبة المهارات اللغويّة التي تنميها الأنشطة اللغويّة لدى المتعلّم.

الاحتمالات	التّعبير الشّفهي	التّعبير الكتابي	القراءة	الاستماع	المجموع
العدد	33	19	16	17	85
النسبة المئويّة	%39	%22	%19	%20	%100

عند استقراء نتائج الجدول المبينة أعلاه نصل إلى أن نسبة 39% من المعلّمين يرون بأن المهارات اللغويّة التي تنميها هذه الأنشطة عند المتعلّمين هي التّعبير الشّفهي بأن تكسبهم القدرة على التّحدث بلسان عربي فصيح وبلغة سليمة خاليّة من الأخطاء، وتعلّمهم آداب الحوار والإدلاء برأيهم بكل حريّة وطلاقة مع احترام الآخرين، بينما نجد نسبة 22% من المعلّمين يرون بأن التّعبير الكتابي يعد من أهم المهارات اللغويّة التي تسعى هذه الأنشطة اللغويّة لتنميتها عند المتعلّمين، لتليها نسبة 20% الذين يرون بأن مهارة الاستماع هي المهارة الجوهريّة التي تعمل الأنشطة اللغويّة على ترسيخها عند المتعلّمين خصوصا من خلال ميدان فهم المنطوق فالاستماع "يساعد على توسيع ثروة المتعلّم اللفظيّة فمن خلال الاستماع يتعلّم المتعلّم كثيرا من الكلمات والجمل والتّعبيرات التي سوف يراها مكتوبة"، [23] لنصل في الأخير إلى أن نسبة 19 % من المتعلّمين يرون بأن الأنشطة اللغويّة تحرص على قراءة معبّرة ومسترسلة الخاليّة من الأخطاء النّحويّة ومطبقة للنبر والتّنغيم، فمن خلال القراءة " تزداد معرفة المتعلّمين للكلمات والجمل والعبارات المستخدمة في الكلام والكتابة، وعلى هذا فهي تساعد المتعلّمين في تكوين إحساسهم اللغوي وتذوقهم لمعاني الجمال وصوره فيما يسمعون وفيما يقرؤون ويكتبون." [24] نصل بناء على ما سبق نستخلص بأنّ "كل هذه المهارات مرتبطة ببعضها البعض، فعند تعلّم إحداها يجب تعلّم الأخريات معها جنبا إلى جنب ." [25].

كما يوضحه الرّسم البياني الآتي:

الشّكل رقم (3):

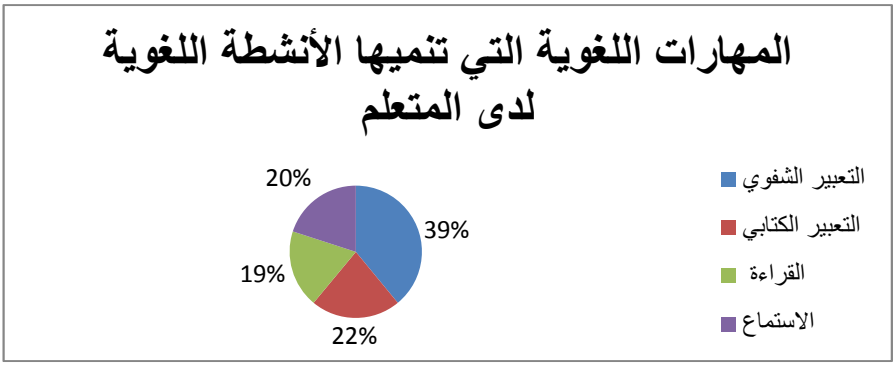

3 - النّتائج المتعلقة بالسّؤال الثّالث:

نصّ السّؤال على الآتي: أين تظهر قدرة المتعلّم، وحسن أدائه، وفهمه لمحددات النّشاط اللغوي؟، وكانت النّتيجة كالتّالي:

جدول (4): نسبة ظهور قدرة المتعلّم وحسن أدائه وفهمه للأنشطة للغويّة

الاحتمالات	القراءة الجهرية	القراءة الصامتة	قراءة الاستماع	المجموع
التكرار	51	12	22	85
النسبة المئوية	%60	%14	%26	%100

عند استقراء نتائج الجدول المبينة أعلاه نصل إلى أن نسبة 60% من المعلّمين يرون بأن القراءة الجهريّة هي النّشاط الذي تظهر فيه قدرة المتعلّم وحسن أدائه وفهمه لمحددات النّشاط اللغوي ؛ كونها " تنيّر للمعلم الكشف عن أخطاء المتعلّمين في النّطق، فهي وسيلة المعلّم أيضا في اختبار قياس الطّلاقة والدّقة في النّطق والإلقاء ." [26] بينما 26% من المعلّمين يرون بأن قراءة الاستماع النّشاط الذي تبرز فيه مهارة المتعلّم وجودة تحصيله واستيعابه

لضوابط النّشاط اللغوي، في حين نجد نسبة 14% يرون بأن القراءة الصّامتة النّشاط الذي تتجسد من خلاله قدرة المتعلّم وحسن إنجازه وإدراكه لمحددات النّشاط اللغوي؛ " لأن القراءة الصّامتة تتيح للقارئ تأمل العبارات والتّراكيب وعقد المقارنات بينها والتّفكير فيها مما ينمي ثروته اللغويّة كما أنها تشغل متعلّمي الفصل جميعا وتعودهم الاعتماد على النّفس في الفهم، كما تعودهم حب الاطلاع وفيها مراعاة للفروق الفرديّة بينهم إذ يستطيع كل فرد أن يقرأ وفق المعدل الذي يناسبه ."[27]

كما يوضحه الرّسم البياني الآتي:

الشّكل رقم (4):

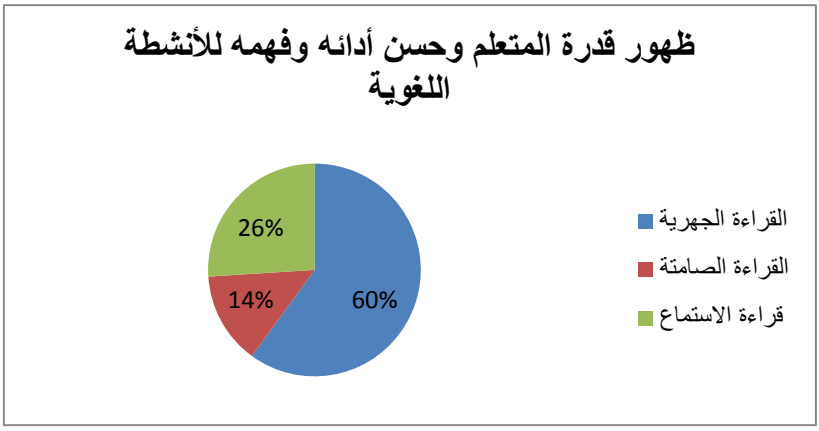

4- <u>النّتائج المتعلقة بالسّؤال الرّابع:</u> نصّ السّؤال على الآتي: هل تتحقق الكفاءة المسطرة (مهارة الكتابة) من درس التّعبير الكتابي في كتابات المتعلّمين؟، وكانت النّتيجة كالتّالي:

جدول (5): نسبة تحقق الكفاءة المسطرة من ميدان إنتاج المكتوب في كتابات المتعلّمين وإنتاجاتهم.

الاحتمالات	نعم	لا	المجموع
العدد	53	32	85
النسبة المئوية	%62	%38	%100

بالعودة إلى النّسب الواردة في الجدول أعلاه نجد أن نسبة 62% من المعلّمين يرون بأن الكفاءة المسطرة من درس التّعبير الكتابي تتحقق في كتابات المتعلّمين بينما نجد نسبة من المعلّمين يرون خلاف ذلك وأن إنتاج المتعلّمين لا يجسد ما تم التّخطيط له وفق الكفاءة المسطرة من درس التّعبير الكتابي.

كما يوضحه الرّسم البياني:

الشّكل رقم (5):

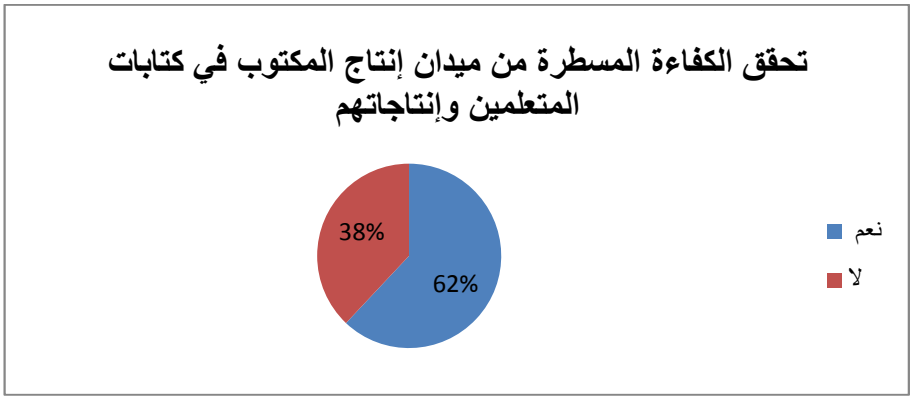

5 - النّتائج المتعلقة بالسّؤال الخامس:

نصّ السّؤال على الآتي: هل الأنشطة المعرفيّة المتضمنة في الكتاب المدرسي قادرة على تنميّة قدرات ومهارات المتعلّم في ميدان إنتاج المكتوب؟، وكانت النّتيجة كالتّالي:

جدول (6): نسبة قدرة الأنشطة المعرفيّة المتضمنة في الكتاب المدرسي على تنميّة قدرات ومهرات المتعلّم في ميدان المكتوب.

الاحتمالات	نعم	لا	المجموع
العدد	46	39	85
النسبة المئوية	%54	%46	%100

بالعودة إلى النّسب الواردة في الجدول أعلاه نصل إلى أن نسبة 54% من المعلّمين يرون بأن الأنشطة المعرفيّة في الكتاب المدرسي قادرة على تنميّة قدرات المتعلّم في ميدان إنتاج المكتوب، بينما نجد نسبة 46% من المعلّمين بقصور الأنشطة المعرفيّة في الكتاب المدرسي وأنها غير كافيّة وحدها لتنميّة مهارات المتعلّم في ميدان إنتاج المكتوب، ومن بين الآليات التي يتم بواسطتها تعويض هذا النّقص:

- تفعيل دور المكتبات المدرسيّة وترسيخ ثقافة المطالعة في الوسط التّربوي؛
- تخصيص حجم زمني أكبر لحصة إنتاج المكتوب؛
- العمل على معالجة النّقص من خلال استثمار حصص الأعمال الموجهة والاستدراك؛
- اختيار نصوص متنوعة ومشوقة ثم قراءتها وفهم ما تشتمل عليه من أفكار ويجب أن تكون متمشيّة مع بيئة وواقع المتعلّم حتى يتم التّعبير عنها بصدق وموضوعيّة.

كما يوضحه الرّسم البياني الآتي:

الشّكل رقم (6):

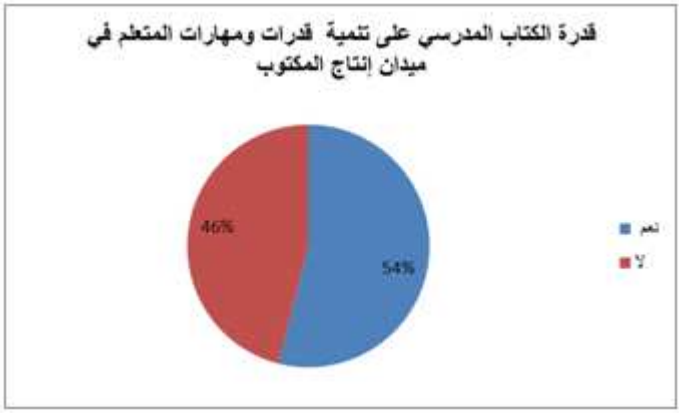

6 - النّتائج المتعلقة بالسّؤال السّادس:

نصّ السّؤال الآتي: ما الصّعوبات والعراقيل التي تحول دون تحقيق نتائج أفضل لترسيخ المهارات اللغويّة لدى المتعلّمين؟، وكانت النّتيجة كالآتي:

جدول (7): نسبة الصّعوبات والعراقيل التي تحول دون تحقيق نتائج أفضل لترسيخ المهارات اللغويّة لدى المتعلّمين.

الاحتمالات	ضعف مستوى المتعلم القاعدي	قلّة التمارين	صعوبة التمارين	طريقة تنفيذ التمرين	المجموع
العدد	47	17	10	11	85
النسبة المئوية	%55	%20	%12	%13	%100

أنّ النّسب المسجلة أعلاه تثبت وتدعم الاحتمالات التي افترضنا أن نقدمها كأسباب أساسيّة وجوهريّة أدّت إلى الضّعف الملحوظ لمستوى المتعلّمين في مادة اللغة العربيّة، وقد حظي احتمال عينة ضعف مستوى المتعلّم القاعدي بأعلى

نسبة حيث بلغت نسبة المتعلّمين الذين اختاروها 55%، يليها احتمال فئة قلة التّمارين وقدرت بنسبة 20% باعتباره هو العامل الأساسي لتدني مستوى المتعلّمين، وأرجعت نسبة 13% أن التّمارين المقدمة للمتعلّمين تفتقر إلى أسس منهجيّة لتطبيقها، وفي الأخير تحصل احتمال صعوبة التّمارين على نسبة 12% كونها لم يراع في إعدادها الأخذ لمبدإ التّدرج من البسيط إلى المعقد، ولا تشتمل على أكثر من صعوبة واحدة في التّمرين الواحد .

كما يوضحه الرّسم البياني الآتي:

الشّكل رقم (7):

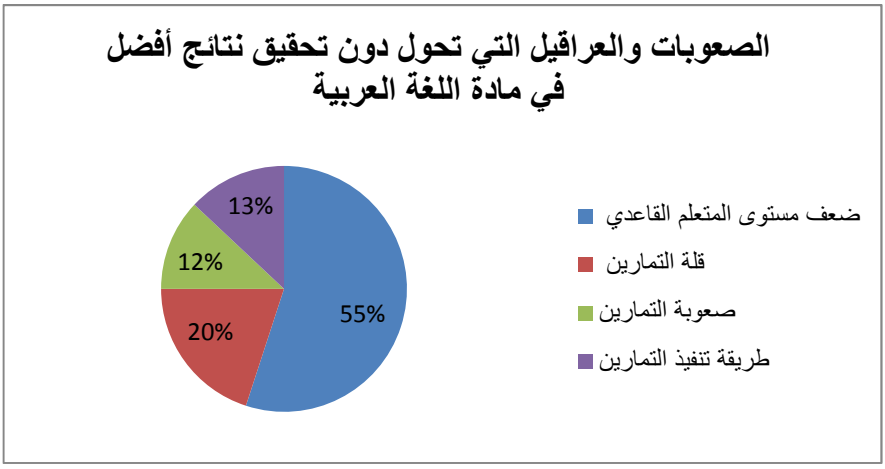

7 - النّتائج المتعلقة بالسّؤال السّابع:

نص السّؤال على الآتي: ما هي الحلول المقترحة لمعالجة ضعف المتعلّمين في الأنشطة المعرفيّة من أجل تحقيق تنميّة أفضل للمهارات اللغويّة؟

وكانت النّتيجة كالتّالي:

الجدول (8): إحصاء نسبة الحلول المقترحة لمعالجة ضعف المتعلّمين في الأنشطة المعرفيّة من أجل تحقيق تنميّة أفضل للمهارات اللغويّة.

الاحتمالات	العدد	النسبة المئوية
تمديد حصص التطبيق	39	%46
مراعاة مقاييس علمية دقيقة في إعداد التطبيقات اللغوية والنحوية	25	%29
حسن أداء الأستاذ لمادته العلمية اللغوية	21	%25
المجموع	85	%100

لو أمعنا النّظر في نتائج الجدول المبينة أعلاه لأدركنا أن أراء العينة تباينت واختلفت فيما بينها فنجد **46%** من المعلّمين يرون بأن تمديد حصص التّطبيق عامل مهم لمعالجة ضعف المتعلّمين في اللغة العربيّة؛ وذلك بتخصيص حصص الدّعم والمعالجة والأعمال الموجهة لتقديم تطبيقات متنوعة للمتعلّمين فضلا عن إعطاء واجبات منزليّة تشتمل على تمارين محفزة لترسيخ المعارف المكتسبة في الأنشطة وتثبيتها في ذهن المتعلّم، بينما نجد **29%** من المعلّمين يشيرون إلى مراعاة مقاييس علميّة دقيقة في إعداد التّطبيقات اللغويّة والنّحويّة هو الحل الأمثل لتخفيف من تدني مستوى المتعلّمين في اللغة العربيّة؛ وذلك لا يكون إلا بتعيين فريق تربوي متخصص يراعي في إعدادها مستوى المتعلّمين ونضجهم العقلي، ومتدرجة في عرضها من البسيط إلى المعقد، في حين نجد نسبة **25%** يقترحون بأن حسن أداء المعلّم لمادته العلميّة اللغويّة هو المنفذ الوحيد الذي من خلاله يمكن أن نعالج المشاكل التي يعاني منها المتعلّمون في اللغة العربيّة، ويكون ذلك بالتّحضير الجيّد للنشاط المقدم للمتعلّم.

كما يوضحه الرّسم البياني الآتي:

الشّكل رقم(8):

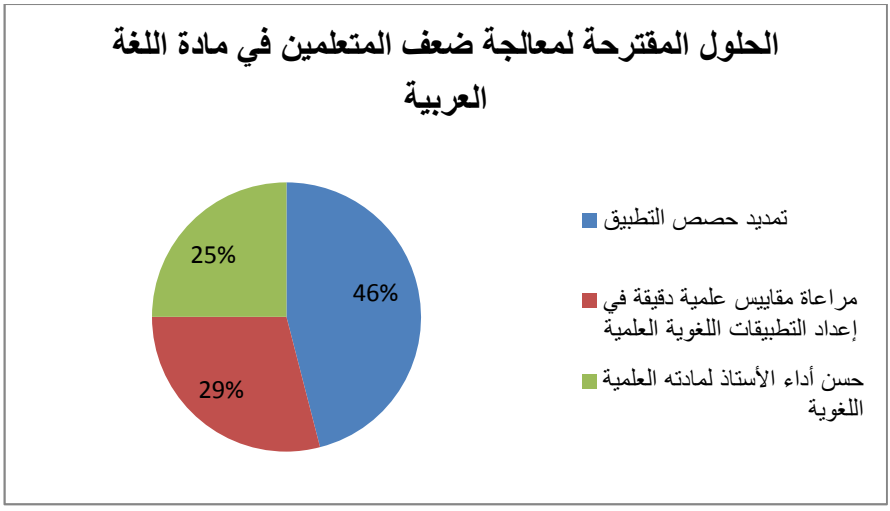

خاتمة: تبين من خلال ما سبق أن نجاح العمليّة التّعليميّة يتوقف على عدة عوامل، أهمها حسن استعمال الأنشطة اللغويّة من أجل تطوير المهارات اللغويّة بما يتوافق وقدرات المتعلّمين، لما لهما من علاقة وطيدة تربط بينهما باعتبارهما يسعيان إلى تحقيق نفس الغايّة المرجوة من العمليّة التّعليميّة وهي بناء كفاءة لغويّة متكاملة للمتعلّم، وتوصلت الدّراسة في الأخير لمجموعة من التّوصيات أهمها:

- الحرص على اكتساب المتعلّم المهارات اللغويّة بشكل مقنن ؛
- وضع معايير تربويّة لاختيار المعلّمين الأكفاء لتكوين المهارات اللغويّة لدى المتعلّم في اللغة العربيّة لتعلّمها تعلّما سليما ؛
- انتقاء سندات تربويّة هادفة لها علاقة مباشرة بحياة المتعلّمين، ومناسبة لمستواهم العقلي وقدراتهم؛
- ضرورة مراجعة الخبراء والمثقفين ودمجهم في إعادة تفعيل المنظومة التّربويّة؛

■توظيف الوسائط التّعليميّة الحديثة من أجل خدمة اللغة العربيّة وتحسين استيعابها من قبل المتعلّمين؛

■تشجيع المتعلّمين على التّحدث باللغة العربيّة الفصحى من خلال الاهتمام بميدان فهم المنطوق وإنتاجه؛

■تنويع المعلّم لطرق وأساليب حديثة لتدريس أنشطة اللغة العربيّة، وتفادي استخدام أسلوب نمطي لكي لا يمل المتعلّمون وينفروا منها.

قائمة المراجع:

1- أحمد حسين اللقاني، المناهج بين النّظريّة والتّطبيق، دار عالم الكنب، القاهرة، مصر ط4، 2013م.

2- أنطوان صياح وآخرون، تعلّميّة اللغة العربيّة، دار النّهضة العربيّة، بيروت، لبنان ط1 ج1، 2006م.

3- بشير إبرير، تعليميّة النّصوص بين النّظريّة والتّطبيق، عالم الكتب الحديث، الأردن ط1، 2007م.

4 - حسن شحاتة، زينب النّجار، مراجعة حامد عمار، معجم المصطلحات التّربويّة والنّفسيّة، الدّار المصريّة اللبنانيّة، القاهرة، مصر، ط1، 2003م .

5 - راتب قاسم عاشور، محمّد فؤاد الحوامدة، أساليب تدريس اللغة العربيّة بين النّظريّة والتّطبيق ، ط1، دار المسيرة ، عمان ، الأردن ، 2000م.

6 - راتب قاسم عاشور. محمّد فؤاد الحوا مدة. أساليب تدريس اللغة العربيّة بين النّظريّة والتّطبيق .. (دار الميسرة. ط2. 2007.).

7 - رشدي احمد طعيمة. المهارات اللغويّة مستوياتها تدريسها صعوباتها.(دار الفكر العربي .ط1 .2004م.).

8 - سعادة عبد الرّحيم خليل، توجهات معاصرة في التّربيّة والتّعليم، مجد المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 2013م.

9 - صالح حثروبي، الدّليل البيداغوجي لمرحلة التّعليم الابتدائي، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، 2012م.

10 - طه حسين الدّليمي، سعاد عبد الكريم عباس الوائلي.اللغة العربيّة منهاجها وطرائق تدريسها. (دار الشّروق للنشر والتّوزيع ط1 .2003م)

11 - عبد الفتاح حسن البجة. أساليب تدريس مهارات اللغة العربيّة وآدابها. (دار الفكر العربي، الإمارات. ط1 .2001م)

12 - عبد الله علي مصطفى. مهارات اللغة العربيّة ..(دار للنشر و التّوزيع) ط1 .2002م .

13 - علي احمد مدكور. تدريس فنون اللغة العربيّة.(دار الفكر العربي. د.ط .2000 م)

14 - علي آيت أوشان، اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النّحو الوظيفي "الأسس المعرفيّة والدّيداكتيكيّة، دار الثّقافة، الدّار البيضاء، ط1، 1998م.

15 - فتيحة حايد، المحتوى اللغوي في كتاب اللغة العربيّة للسنة الثّانيّة متوسط دراسة تحليليّة نقديّة - ، رسالة ماجستير، إشراف: عبد الكريم بورنان، جامعة باتنة 1 2011- 2012م.

16 - كوثر حسين كوجك، اتجاهات حديثة في المناهج وطرق التّدريس، عالم الكتب للنشر والتّوزيع والطّباعة،، القاهرة، ط2، 2001م.

17 - محسن علي عطيّة، مهارات الاتصال اللغوي وتعلّمها، دار المناهج، عمان، الأردن ط1، 2007م.

18 - محمّد السّيد علي، اتجاهات وتطبيقات حديثة في المناهج وطرق التّدريس، دار المسيرة عمان، الأردن، ط1، 2011م.

19- مصطفى أرسلان. تعليم اللغة العربيّة (دار الثّقافة للنشر و التّوزيع . د.ط . 2005).

الهوامش:

[1]- فتيحة حايد، المحتوى اللغوي في كتاب اللغة العربيّة للسنة الثّانيّة متوسط دراسة تحليليّة نقديّة - ، رسالة ماجستير، إشراف: عبد الكريم بورنان، جامعة باتنة 1، 2011- 2012م ص: 10

[2]- كوثر حسين كوجك، اتجاهات حديثة في المناهج وطرق التّدريس، عالم الكتب للنشر والتّوزيع والطّباعة، القاهرة، ط2، 2001م، ص: 113.

[3]- أحمد حسين اللقاني، المناهج بين النّظريّة والتّطبيق، دار عالم الكنب، القاهرة، مصر ط4 2013م، ص:31

[4]- محمّد السّيد علي، اتجاهات وتطبيقات حديثة في المناهج وطرق التّدريس، دار المسيرة عمان الأردن ط1، 2011م، ص: 240

[5]- حسن شحاتة، زينب النّجار، مراجعة حامد عمار، معجم المصطلحات التّربويّة والنّفسيّة، الدّار المصريّة اللبنانيّة، القاهرة، مصر، ط1، 2003م، ص: 283.

[6]- محمّد السّيد علي، اتجاهات وتطبيقات حديثة في المناهج وطرق التّدريس، ص: 240

[7]- أنطوان صياح وآخرون، تعلّميّة اللغة العربيّة، دار النّهضة العربيّة، بيروت، لبنان ط1 ج1، 2006م ص: 15.

[8]- علي آيت أوشان، اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النّحو الوظيفي "الأسس المعرفيّة والدّيداكتيكيّة، دار الثّقافة، الدّار البيضاء، ط1، 1998م، ص: 120.

[9]- صالح حثروبي، الدّليل البيداغوجي لمرحلة التّعليم الابتدائي، دار الهدى، عين مليلة الجزائر 2012م، ص:127- 128.

[10]- راتب قاسم عاشور، محمّد فؤاد الحوامدة، أساليب تدريس اللغة العربيّة بين النّظريّة والتّطبيق ط1، دار المسيرة ، عمان ، الأردن ، 2000م، ص197.

[11]- بشير إبرير، تعليميّة النّصوص بين النّظريّة والتّطبيق، عالم الكتب الحديث، الأردن ط1 2007م ص: 131

[12]- المرجع نفسه، ص: 130.

[13]- محسن علي عطيّة، مهارات الاتصال اللغوي وتعلّمها، دار المناهج، عمان، الأردن ط1، 2007م ص: 160.

[14]- مصطفى أرسلان. تعليم اللغة العربيّة. (دار الثّقافة للنشر والتّوزيع. د.ط . 2005). ص 109.

[15]- علي احمد مدكور. تدريس فنون اللغة العربيّة. (دار الفكر العربي. د.ط .2000 م) ص 121-122.

[16]- ينظر: طه حسين الدّليمي، سعاد عبد الكريم عباس الوائلي. اللغة العربيّة منهاجها وطرائق تدريسها. (دار الشّروق للنشر والتّوزيع عمان، الأردن. ط1 .2003م)، ص 107.

[17]- راتب قاسم عاشور. محمّد فؤاد الحوا مدة. أساليب تدريس اللغة العربيّة بين النّظريّة والتّطبيق .. (دار الميسرة. ط2. 2007.). ص 39.

[18]- عبد الفتاح حسن البجة. أساليب تدريس مهارات اللغة العربيّة وآدابها. (دار الفكر العربي الإمارات ط1 .2001م)، ص 28.

[19]- المرجع نفسه، ص 53.

[20]- عبد الله على مصطفي. مهارات اللغة العربيّة ..(دار للنشر و التّوزيع . ط2002.1.ص 140.)

[21]- رشدي احمد طعيمة. المهارات اللغويّة مستوياتها تدريسها صعوباتها.(دار الفكر العربي .ط1 .2004م.)، ص 191.

[22]- ينظر: علي احمد مدكور. تدريس فنون اللغة العربيّة. ص 228- 230.

[23]- المرجع نفسه، ص:127.

[24]- المرجع نفسه، ص: 128.

[25]- سعادة عبد الرّحيم خليل، توجهات معاصرة في التّربيّة والتّعليم، مجد المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 2013م.ص: 32.

[26]- علي أحمد مدكور، تدريس فنون اللغة العربيّة، ص: 142.

[27]- المرجع نفسه، ص: 140.

مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 22 العدد: 50 السّنة: الثّلاثيّ الثّاني 2020 ص: 497 - 512

ظاهرة الانزياح في النقد العربي بين التأصيل اللغوي وتعدّد المصطلح

The phenomenon of displacement in Arab criticism between linguistic rooting and pluralism of the term

أ. دوبالة عائشة[1]
المشرف: أ.د برونة محمّد

تاريخ الإرسال: 02 01 2019 تاريخ القبول: 25 12 2019

ملخّص: اهتمّت الدّراسات النّقديّة العربيّة بظاهرة الانزياح باعتباره قضيّة أساسيّة في تشكيل جماليات النّصوص الأدبيّة، والانزياح هو انحراف الكلام عن نسقه المألوف، وهو حدث لغوي يظهر في تشكيل الكلام وصياغته، ويمكن بوساطته التّعرف إلى طبيعة الأسلوب الأدبي وخصائصه الفنيّة والجماليّة.

وانطلاقا من هذه الحقيقة، نجد أنفسنا في مجال النّقد والأدب أمام سؤال ملح: ما مفهوم ظاهرة الانزياح عند النّقاد والبلاغيين العرب القدامى والمحدثين؟ وفيم تكمن الوظيفة الأسلوبيّة للانزياح في النّص الأدبي؟ هذا ما سنسعى للإجابة عنه في هذه الدّراسة.

كلمات مفتاحيّة: الانزياح؛ النّقد العربي؛ البلاغة؛ الأسلوبيّة؛ النّص الأدبي.

Abstract: The Arab criticism studies the phenomenon of displacement as a fundamental issue in the formation of aesthetics literary texts, and displacement is a deviation from the usual style of speech, a linguistic event that appears in the formation of speech and

[1] جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، البريد الالكتروني: doballah31@gmail.com

formulation, and can identify the nature of literary style and its artistic and aesthetic characteristics.

Based on this fact, we find ourselves in the field of criticism and literature in front of the urgent question: what is the concept of the phenomenon of displacement among the critics and the old and modern Arab? What is the stylistic function of the displacement in the literary text? This is what we will try to give answers about in our study.

Keywords: displacement; Arab criticism; rhetoric; stylistic; literary text.

مقدّمة: تعدّ ظاهرة الانزياح من الظّواهر الهامة في الدّراسات الالسّنيّة والأسلوبيّة التي تدرس اللغة الشّعريّة على أنها لغة مخالفة للكلام العادي والمألوف لأن النّص الأدبي خاصة الشّعر ينزع إلى تحقيق هويته من خلال الاختلاف عن الخطاب الشّائع. الانزياح في الخطاب الأدبي يشكل مجالا واسعا للتفاعل والتّواصل، إذ يؤثر في شعور المتلقي وإحساسه، وذلك باختراق اللغة والانحراف عن القاعدة والمعيار الأساسي، للخطاب العقلاني ليأتي محله الشّعور الوجداني وبموجبها يكون الخطاب عامل تأثير في المتلقي فللأديب أمور كثيرة يستغلها في التّعبير عن تجربته من خلال الانفعال والتّأثير.

من هذا المنطلق يلوح الإشكال على المشتغل بالدّرس النّقدي: هل اهتم الخطاب النّقدي والبلاغي قديمه وحديثه عند العرب على حد سواء بظاهرة الانزياح؟ وهل أسس آليات لدراستها بعدما باتت واحدة من أهم مقومات إنتاج النّص الأدبي؟

1. ملامح الانزياح في التّراث النّقدي العربي: تناول النّقد العربي قضيّة الانزياح من قبل، بأسلوب يضاهي أحيانا مستوى المدارس الأسلوبيّة الغربيّة الحديثة، وإن كان مصطلح الانزياح حديث النّشأة، إلا أن الظّاهرة التي يدل

عليها ليست جديدة، بل تعود جذورها إلى القدم، وإن كانت حاضرة بمسميات مختلفة[1].

الباحث عن ملامح الانزياح في التّراث العربي حتما سيجد ما يبحث عنه ولكن بتسميات واصطلاحات: كالعدول والالتّفات والتّغيير والخروج والانحراف والتّحريف وغير ذلك، ومن الملحوظات المبكرة في التّراث العربي حول هذا المفهوم، ما ذهب إليه بعض النّقاد من "أن الجاحظ (ت 255ه) قد أشار في البيان والتّبيين إلى مستويين في اللغة: المستوى العادي في الاستعمال، والمستوى الفني في الاستعمال الخاص، ويقترن المستوى الأول بطبقة العامة، وغرضه إفهام الحاجة أما المستوى الثّاني فغرضه البيان البليغ، ويتميز هذا المستوى بمبدأ اختيار اللفظ وينفرد بالتّجويد والتّماس الألفاظ وتخيرها"[2].

1.1 العدول: إن مصطلح "العدول" هو أقوى المصطلحات القديمة تعبيرا عن مفهوم الانزياح، فقد حظي هذا المصطلح باهتمام النّقاد والدّارسين المحدثين بالاستعمال، ورأى بعضهم أن المصطلح أحسن ترجمة لمفهوم الانزياح، ولذلك سنحاول الآن إيراد بعض السّياقات التي ورد فيها بمعنى فني مما يمكن أن يوضح إلى أي مدى اقترب المصطلح واستعماله من المفهوم الحديث.

فقد ورد العدول عند "ابن جني" (ت.392ه) بعد تفطنه إلى المعاني التي يحققها الانزياح في قوله: " وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهي الاتساع والتّوكيد والتّشبيه " [3].

يلاحظ من مجمل قوله أن العدول يجوز كلما استعمل في الكلام المجازي قصد الاتساع والتّوكيد والتّشبيه، فالانزياح مصطلح غير مذكور في "الخصائص"، لكن يمكن أن يقرب بالعدول والاتساع والمجاز، وورد عنده أيضا في قوله: "ونحو من تكثير اللفظ لتكثير المعنى العدول عن معتاد لفظه" [4].

واستعمله "ابن سينا"(ت.428ه) في قوله: "فإن العدول عن المبتذل إلى الكلام العالي الطّبقة، والتي تقع فيها أجزاء هي نكت نادرة هي في الأكثر بسبب التّزيين لا بسبب التّبيين" [5].

واستعمله "عبد القاهر الجرجاني"(ت.471ه)أيضا في قوله: "اعلم أن الكلام الفصيح ينقسم قسمين: قسم تعزى المزيّة والحسن فيه إلى اللفظ، وقسم يعزى ذلك فيه إلى النّظم. فالقسم الأول: الكنايّة والاستعارة، والتّمثيل الكائن على حد الاستعارة ، وكل ما كان فيه، على الجملة، مجاز واتساع وعدول باللفظ عن الظّاهر..." [6] فضلا عن أنه يرى العدول هو جوهر الشّعريّة ومادتها فيقول: "هذا الضّرب من المجاز، على حدته كنز من كنوز البلاغة، ومادة الشّاعر المفلق والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان والاتساع في طرق البيان [7].

ولقد يطول بنا المقام لو رحنا تستقصي كل من ورد مصطلح "العدول" عنده من القدماء أو كل السّياقات التي ورد فيها، لكن في وسعنا تأكيد أن المصطلح كثير الورود في التّراث العربي القديم.

2.1 الالتّفات: حظي مصطلح "الالتّفات" من أهل اللغة والبيان بكثير من العنايّة والاهتمام وكانت بوادر ذلك مبكرة نوعا ما، "فأول من ورد عنده هذا المصطلح هو فيما يبدو "الأصمعي"، إذ نراه يسأل إسحاق بن إبراهيم الموصلي: أتعرف التّفاتات جرير؟ فيقول له: وما هي؟ فينشده:

أتنسى إذ تودعنا سليمى بعود بشامة سقي البشام

يقول الأصمعي: ألا تراه مقبلا على شعره ثم التّفت إلى البشام، فدعا له". [8] وعند هذا يقف الأصمعي دون أن يشير إلى غايّة ما من وراء هذا الالتّفات، فهو يكتفي بأن يصف الظّاهرة وحسب.

وعرض "ابن المعتز" للالتّفات وعرفه بأنه "انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك." [9] ثم ذكر جملة شواهد له دون تعليق.

وورد عند "قدامة بن جعفر" في (نقد الشّعر) حيث جعله من نعوت المعاني قال: "ومن نعوت المعاني الالتّفات: وهو أن يكون الشّاعر آخذا في معنى، فكأنه يعترضه إما شك فيه أو ظن بأن رادا يرد عليه قوله، أو سائلا يسأل عن سببه فيعود راجعا إلى ما قدمه، فإما أن يذكر سببه، أو يحل الشّك فيه" [10]. ومن الواضح أن قدامة هنا يلتفت إلى غايّة الالتّفات فيجعلها من قبيل توكيد المعاني وإزالة الإبهام.

أما "ابن جني" فإنه عرض للالتّفات وحاول جلاء بعض أسراره، عن طريق تنبهه على أن الالتّفات ليس من قبيل الاتساع كما جرت العادة أن يقال ،بل لابد فيه من غرض معنوي، فقال "في قراءة الآيّة "**وَاتَّقُوا يَوْمًا يُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَىَ اللّه**" البقرة 281.

بياء مضمومة: إنه ترك الخطاب إلى لفظ الغيبة كقوله تعالى: "**حتى إذا كنتم في الفلك جرين بهم بريح طيبة**" يونس 22.،وكأنه- والله أعلم – إنما عدل عن الخطاب إلى الغيبة، فقال: (يرجعون) بالياء رفقا من الله سبحانه بعباده المطيعين لأمره" [11]. وهكذا فما يهم عند ابن جني هو ما وراء "الالتّفات" من غايات معنويّة لا مجرد الحركة بين الخطاب والغيبة في ذاتها.

وورد عند "الزّمخشري" (ت .538ه) مصطلح "الالتّفات" معرفا على نحو قريب مما أتى عليه "ريفاتير" من اعتبار الانحراف حيلة مقصودة لجذب انتباه القارئ، إذ نجد الزّمخشري يرى بلاغة الالتّفات ماثلة بما فيه من مبالغة وبما فيه من تحريك للفت انتباه السّامع، يقول: "فإن قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة؟ قلت: المبالغة، ثم إن الكلام إذ نقل من أسلوب إلى أسلوب

كان أحسن تطريّة لنشاط السّامع وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد." [12] وبالتّالي فإن الزّمخشري قد ذكر وتنبه إلى غايّة معنويّة أخرى للالتّفات وهي المبالغة ولفت انتباه السّامع.

3.1 التّغيير: وقد تردد هذا المصطلح عند شراح أرسطو من العرب وبخاصة "ابن سينا" (ت.428ه) و "ابن رشد" (ت.595ه)، والتّغيير فعل يؤدي بالكلام العادي المألوف إلى أن يخرج غير مخرج العادة، فقد ذهب ابن سينا إلى قول "أن القول يرشق بالتّغيير، والتّغيير هو أن يستعمل كما يوجبه المعنى فقط، بل أن يستعير ويبدل ويشبه، وهو يرى أن التّغييرات أربعة: تشبيه واستعارة من الضّد واستعارة من التّشبيه" [13].

ويرى "ابن رشد" - وهو الذي أكثر من استعمال المصطلح- أن القول الشّعري هو القول المتغير، والمتغير عدول عن الحقيقة إلى المجاز. ويشرح هذا التّغيير فيقول: "ومعنى التّغيير أن يكون المقصود يدل عليه لفظ ما، فيستعمل بدل ذلك اللفظ لفظ آخر، ثم يشير إلى أن هذا التّغيير يكون على ضربين: أحدهما التّشبيه والآخر الاستعارة" [14].

وقد فصل "ابن رشد" القول في مفهوم التّغيير بصورة تجلي دلالتّه على الانزياح، قول: "التّغييرات تكون بالموازنة والموافقة والإبدال والتّشبيه، وبالجملة بإخراج القول غير مخرج العادة مثل: القلب والحذف والزّيادة والنّقصان والتّقديم والتّأخير وتغيير القول." [15] فإخراج القول الشّعري إخراجا مغايرا للمألوف يتحقق في مستويات الخطاب المختلفة فهو يتحقق في بنيته الإيقاعيّة التي تتسم بالانسجام والتّوازن، ويتجسد في المستوى التّركيبي من خلال التّصرف في تراكيب الكلام تقديما وتأخيرا، حذفا وإيجازا، وما إلى ذلك، فضلا عن المستوى الدّلالي وما يتعلق به من أمور الصّور والمجاز عامة.

ولعله قد بدا جليا أن مؤدى "التّغيير" لا يختلف في كثير عن مؤدى الانحراف أو الانزياح.

4.1 الخروج: أورد "أبو الهلال العسكري" نصا يقول فيه: أن الشّعر "أكثره قد بني على الكذب والاستحالة؛ من الصّفات الممتنعة،

والنّعوت الخارجة عن العادات، والألفاظ الكاذبة" [16].

وترد عند "الباقلاني" كثيرا عبارة (الخروج عن العادة) في سياق وصفه لإعجاز القرآن الكريم.

وثمة قول "لابن سينا" لاحظ فيه أن الشّعراء هم "أول من اهتدى إلى استعمال ما هو خارج عن الأصل...إذ كان بناؤهم لا على صحة، بل على تخييل فقط". [17]

ولكن ثمة نصا وجدناه أبلغ نص التّفت إلى مفهوم الانزياح عبر استعماله لفظ "الخروج" وقد كان ذلك النّص "لأبي الحسن علي بن محمّد الدّليمي" قال فيه: "إن الصّناعات الخارجة عن المعتاد تدل على انفراد صانعها بصنعه، لأن النّاظر إذا نظر إلى تلك الصّنعة البائنة عن الصّناعات جذبته قوة الصّناعة الحكميّة التي يوافقها على صانعها، وذلك أن الحسن الذي للمصنوع بالصّنعة إنما هو معنى من الصّانع ألبسه إياه". [18]

ومن الواضح أن النّص يضفي على الفرادة والخروج عن المألوف قيمة كبرى فيرى أنهما مناط التّميز ومنبع الجذب والتّأثير. وبهذا تكون مزيّة الشّاعر (الصّانع) في قدرته على الخروج من إطار المألوفات، والدّخول فيما ليس بمألوف ولا معتاد؛ أي أن مزيته في قدرته على الانزياح عما قد ألفه هو، وعما قد ألفه النّاس منه.

5.1 الانحراف والتّحريف: خصص "ابن جني" فصلا صغيرا من كتابه "للتحريف"، الذي يصيب اللفظ وأشار إلى أنه قد جاء في ثلاثة أضرب: الاسم

الفعل والحرف. ويرد عند "ابن جني" لفظ "الانحراف "إذ يقول:"...فلما كانت فعيل هي الباب المطرد وأريدت المبالغة، عدلت إلى فعال فضارعت فعال بذلك فعّالا. والمعنى الجامع بينهما خروج كل واحد منهما عن أصله، أما فعّال فبالزّيادة، وأما فعال فبالانحراف عن فعيل." [19]

وورد عند "ابن كثير" الفعل الماضي "حرف" في تعليقه على قوله تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴾ [الأنبياء 93/92].

قال "الأصل في تقطعوا تقطعتم، عطفا على الأول، إلا أنه حرف الكلام من الخطاب إلى الغيبة على طريقة الالتّفات " [20].

ويرد عند "حازم القرطاجني"(ت.684ه) ذكر لفظ "الانحراف" في قوله: "فأما ما يجب في طريقة الجد(في الشّعر)فألا ينحرف في ما كان من الكلام على الجد إلى طريقة الهزل كبير انحراف، أو لا ينحرف إلى ذلك بالجملة؛ لأن الكلام المبني على الجد إنما قصد به إلقاؤه بمحل القبول من أهل الجد، وكثير من أهل الجد يكره طرق الهزل...فلذلك يجب ألا يتعرض إليها كبير التّعرض". [21] وما يهمنا في قوله هذا هو تسميته الخروج من الجد إلى الهزل "انحرافا".

ومن تلك الإشارات نلمح معرفة الدّرس النّقدي والبلاغي القديم لظاهرة الانزياح، وإن كانت بمسميات مختلفة تقترب بشكل أو بآخر من فضاء هذه الظّاهرة الأسلوبيّة، فقد اهتدى نقادنا العرب إلى صور متعددة تمثل في جوهرها خرقا للمألوف، لذلك كانت إشاراتهم وملاحظاتهم بذورا صالحة للتوسع والتّطوير، تكشف عن اهتمام مبكر منهم بالبحث عن طرق استغلال إمكانات اللغة، وطاقاتها الكامنة وأسرارها الدّفينة.

إن هذا التّغيير هو الذي يكسب الكلام جمالا ورونقا، و"ابن سينا" يقصد به استخدام الألفاظ في غير معناها الحقيقي، والخروج بالتّراكيب اللغويّة من

مجراها الطّبيعي، وهذا كله يتضمن الصّور القائمة على التّشبيه والاستعارة وما يجري مجراهما من المجاز والكنايّة، وهذه كلها أبواب داخلة تحت ما يعرف عند النّقاد بالتّغيير والانحراف.

2. أسلوبيّة الانزياح عند العرب المحدثين: اهتمت الدّراسات الأسلوبيّة اللغويّة واللسانيّة العربيّة الحديثة بظاهرة الانزياح باعتبارها قضيّة أساسيّة في تشكيل جماليات النّصوص الأدبيّة فدرستها تنظيرا وتطبيقا، ولم يهمل النّقاد العرب الإشارة إلى الباحثين الأسلوبيين والشّعريين الغربيين الذين تطرقوا للانزياح كما أنهم لم ينقلوا آراء الدّارسين الغربيين دون إضافة أو تأصيل للانزياح في النّقد الأسلوبي العربي، وبالإضافة إلى هذا فإننا نلاحظ أن جميع الدّراسات الأسلوبيّة العربيّة لم تخل من الإشارة إلى مفهوم الانزياح ودوره في الخطاب الأدبي.

ولذلك سنحاول رصد هذه الظّاهرة عند بعض الدّارسين العرب المحدثين و عرض مفهومهم و نظرتهم للانزياح و ما أضافوه من جديد على ما سبق، أو ما أقروه فنجد من أمثلة ذلك:

1.2 ظاهرة الانزياح عند "عبد السّلام المسدي": يعرض "عبد السّلام المسدي" مفهوم الانزياح في كتابه (الأسلوبيّة والأسلوب) وفيه يرى أن جل التيارات التي تعتمد الخطاب أساسا تعريفيا للأسلوب تكاد تنصب في مقياس تنظيري هو بمثابة العامل المشترك الموحد بينها ويتمثل في مفهوم الانزياح l'ecart، جعل المسدي الانزياح كأنه العامل المشترك بين كل التيارات التي تعتمد الأسلوب الأدبي عنصرا أساسيا في خطاباتها.

ثم ينتقل "المسدي" بعد ذلك إلى ذكر أن للانزياح قواعد تأسيسيّة متجاوزة للمنظور الأسلوبي الضّيق لتشع بجلاء على حقول التّفكير اللساني، وصورة ذلك قول المسدي: "أننا قد نبسط فرضيّة عمل نعتبر بها أن الظّاهرة اللغويّة في

ذاتها مصب جدولين ونقطة تقاطع محورين: أولهما الجدول (النّفعي) وهو الجدول الخادم إذ مداره وضع اللغة الأول وهو الأصل بالذّات الزّمن، وثانيها الجدول العارض وهو الجدول المخدوم إذ محوره وضع اللغة الطّارئ، هذان المظهران كلاهما واقع لغوي وأولهما متنازل descendant ويمثل قضيّة la thèse الموجود اللغوي كتجسيد لخصوصيّة الحيوان النّاطق والثّاني(متعال)ascendant وهو(نقيضه) l'antithèse ذلك الموجود". [22]

ويستطرد "المسدي" في حديثه عن الانزياح ليصل إلى إبراز قيمة هذا المفهوم فيقول في ذلك: "ولعل قيمة مفهوم الانزياح في نظريّة تحديد الأسلوب اعتمادا على مادة الخطاب تكمن في أنه يرمز إلى صراع قار بين اللغة والإنسان: هو أبدا عاجز أن يلم بكل طرائقها ومجموع نواميسها وكلية إشكالها كمعطى (موضوعي: ما ورائي) في نفس الوقت بل إنه عاجز عن أن(يحفظ) اللغة شموليا وهي كذلك عاجزة عن أن تستجيب لكل حاجته في نقل ما يريد نقله وإبراز كل كوامنه من القوة إلى الفعل." [23] ليصل في الختام إلى اعتبار الانزياح احتيال على مستويين: احتيال الإنسان على اللغة، واحتيال الإنسان على نفسه وذلك حين قال: "وما الانزياح عندئذ سوى احتيال الإنسان على اللغة وعلى نفسه لسد قصوره وقصورها معا." [24] وهذا الاحتيال المشروع، يمكن الشّاعر أو المبدع من تجاوز النّمطيّة والقالب اللغوي الجاهز، الذي يجعلانه عاجزا عن الإبداع، واللغة الشّعريّة ليست عاجزة على الابتكار والإبداع، وإنما هي قادرة على تجاوز قصور اللغة المعياريّة.

وعليه يمكن القول أن "عبد السّلام المسدي" تطرق لظاهرة الانزياح أو الاستعمال النّفعي كما يصطلح عليها وذلك من خلال اطلاعه على المراجع الأجنبيّة المتخصصة في ذات الموضوع كما أنه يرى أن مصطلح "العدول" هو المصطلح الأنسب لهذه الظّاهرة اللغويّة و بهذا يكون قد أضاف إلى الدّراسات النّقديّة العربيّة الكثير.

2.2 ظاهرة الانزياح عند أحمد محمّد ويس: درس "أحمد محمّد ويس" مفهوم الانزياح في كتابه(الانزياح من منظور الدّراسات الأسلوبيّة)، ويعرفه بأنه "استعمال المبدع للغة مفردات وتراكيب وصورا استعمالا يخرج به عما هو معتاد ومألوف بحيث يؤدي ما ينبغي له أن يتصف به من تفرد وإبداع وقوة جذب وأسر" [25]، ويظهر لنا من هذا التّعريف أن الانزياح هو الفيصل بين الكلام العادي والكلام الفني، وليس من قبيل المبالغة في شيء أن يقال: "إن الانزياح يتغلغل في مسارب الأدبيّة عامة والشّعريّة على نحو خاص تغلغلا يصح معه القول إنه يقع منهما موقع القلب من الجسد؛ فإذا كان القلب هو ما يمد الجسم بالدّم والغذاء فإن الانزياح هو وحده الذي يمنح الشّعريّة موضوعها الحقيقي." [26]

ومفهوم الانزياح الذي نحن فيه الآن مفهوم تجاذبته وتعلقت بدائرته مصطلحات وأوصاف كثيرة. إذ نجد "ويس" يقول: "ومن البديهي أن تتفاوت فيما بينها تفاوتا كبيرا ولكن كثرتها تلفت النّظر حقا، فهي ليست بطارئة في الكتب العربيّة فحسب، بل إنها غربيّة المنشأ أصلا، وقد أشار إليها(خوسيه إيفانكوس) إشارة سريعة. وكان عبد السّلام المسدي قد أورد طائفة من تلك المصطلحات ذاكرا أمام كل واحد منها أصله الفرنسي وصاحبه، وذلك على هذا النّحو [27]:

الجدول رقم 1: مصطلحات الانزياح.

المصطلح المعرب	المصطلح الغربي	مستعمله
الانزياح	L'ecart	فاليري
التّجاوز	Labus	فاليري
الانحراف	La deviation	سبيتزر
الاختلال	La distorsion	ويلك ووارين
الإطاحة	La subversion	باتيار

المخالفة	l'infraction	تيري
الشّناعة	le scandale	بارت
الانتهاك	Le viol	كوهين
خرق السّنن	La violation des normes	تودوروف
اللحن	L'incorrection	تودوروف
العصيان	La transgression	آراجون
التّحريف	L'alteration	جماعة مو

المصدر: أحمد محمّد ويس، الانزياح من منظور الدّراسات، ص30- 31.

وعلى هدي ما تقدم يمكن القول، إذا كان لانبثاق المصطلح من دواع تختلف من عصر إلى آخر، فإن نمو الفكر وتطوره، ثم اتساع رقعة المعارف، واكتشاف حقائق جديدة، كل ذلك من دواعي انبثاق مصطلحات جديدة.

3.2 ظاهرة الانزياح عند منذر عياشي: لقد تمكن "منذر عياشي" من خلال دراسته لمصطلح الانزياح من تحديد مفهوم أولي، وذلك عند حديثه عن اللغة والمعيار: "ثمة معيار يحدده الاستعمال الفعلي للغة ذلك لأن اللغة نظام وإن تقيد الأداء بهذا النّظام هو الذي يجعل النّظام معيارا، ويعطيه مصداقيّة الحكم على صحة الإنتاج اللغوي وقبوله." [28]

من خلال هذا القول ندرك جليا معياريّة اللغة وما مدى خضوعها لهذا النّظام المعياري إذ أن هذا المعيار هو المحدد الأول لصحة الإنتاج اللغوي.

كما أن "منذر عياشي" من خلال كتابه (الأسلوب وتحليل الخطاب) تطرق إلى تعريف الانزياح من خلال قوله: "أما الانزياح فيظهر إزاء هذا على نوعين: إنه إما خروج على الاستعمال المألوف للغة، وإما خروج على النّظام اللغوي نفسه" [29].

من خلال القول الذي بين أيدينا ندرك جليا أن "منذر عياشي" سعى إلى إيجاد مفهوم لمصطلح الانزياح الذي وقع في شباك تعدد المصطلح، نظرا لصعوبة تحديد مفهوم شامل لهذا المصطلح، وهو على حسب منذر عياشي يقع على وجهين أحدهما خروج عن النّظام اللغوي في حد ذاته وهذا أبلغ وأوسع من سابقه.

4.2 ظاهرة الانزياح عند محمّد العمري: تناول الباحث "محمّد العمري" ظاهرة الانزياح في كتابه (تحليل الخطاب الشّعري) فيقول: "إلى جانب الاتجاه اللساني الخالصّ الذي يسعى إلى وضع نحو للشعر ضمن نحو اللغة أو بموازاته وعلى حذوه، هناك اتجاه البلاغيين البنيويين الذين استفادوا من اللسانيات من جهة واستثمروا نتائج الدّراسات البلاغيّة القديمة من جهة أخرى، وفي هذا النّطاق يدخل جون كوهن في كتابه "بنيّة اللغة الشّعريّة"..." [30].

لذا يقر "محمّد العمري" بأن أكمل صياغة لسانيّة لنظريّة الانزياح وأشهرها هي التي صاغها جون كوهن في كتابه "بنيّة اللغة الشّعريّة" لهذا حاول أن يبرهن على أن الصّور البلاغيّة كلها إنما تعمل بخرقها الدّائم لسنن اللغة. فإذا كانت "اللغة من المنظور الوظيفي؛ وسيلة للتواصل من أقرب الطّرق وبأقل جهد فإن الشّعر يسعى إلى عرقلة هذه الوظيفة بطرق متعددة، وليس خرق قوانين اللغة إلا مرحلة أولى من عمليّة الانزياح ينبغي أن تتلوها مرحلة تقليص الانزياح، وهي مرحلة تأويليّة تعيد الصّورة إلى حظيرة اللغة، وتبعدها من غير المعقول، ولذلك يلح" جون كوهن"- ويتبنى رأيه "محمّد العمري" – على الوظيفة التّواصليّة وإلا فقد الشّعر انتماءه إلى اللغة، وهذا ما عبر عنه جاكبسون بالهيمنة." [31]

فالخطاب الشّعري خطاب لغوي تواصلي تهيمن فيه الوظيفة الشّعريّة دون أن تغيب الوظيفة التّواصليّة. ويرى "محمّد العمري" أن ظاهرة الانزياح باعتبارها

إجراء لغويا تجد بعدا مهما في التّراث البلاغي العربي في الحديث عن العدول والالتّفات والصّور كالمجاز والاستعارة، وليست نظريّة الانزياح في صياغتها اللسانيّة الحديثة إلا محاولة لتفسير ما عبر عنه البلاغيون العرب القدامى.

خاتمة: إن هذه الدّراسة تمحورت حصيلتها حول الكشف عن ظاهرة الانزياح في النّقد العربي، فعمدنا في إطار هذا البحث التّطرق إلى الجانب النّظري للظاهرة، إذ حاولنا أن نتناول ظاهرة الانزياح عند العرب القدامى والمحدثين، مع تتبع الخصوصيّة الأسلوبيّة للنص الأدبي. واستنادا إلى ما درسناه حول الموضوع توصلنا إلى النّتائج التّاليّة:

- أن هناك ملامح وصلات لظاهرة الانزياح في الدّرس النّقدي والبلاغي العربي القديم، ولكنها لم ترد بهذا المصطلح أي الانزياح وإنما وجدت في ثنايا مصطلحات عديدة؛ كالعدول والالتّفات والتّغيير والخروج والانحراف...وكلها ألفاظ تصب مفاهيمها في ظاهرة الانزياح بشكل أو بآخر تتسع أو تضيق؛ معنى ذلك عدم وجود مصطلح يتطابق مع مصطلح الانزياح- بالمفهوم الحديث- تطابقا كليا ليبقى مجال الخصوصيّة والتّميز مفتوحا؛

- وجود مستويين في استخدام اللغة؛ المستوى العادي النّمطي الذي تحكمه علاقات لغويّة عاديّة مألوفة، والمستوى الفني الذي تحكمه علاقات لغويّة غير عاديّة أو منحرفة عن المألوف في الانجاز اللغوي؛

- إن الدّارسين والنّقاد العرب المحدثين قد أصلوا للظاهرة الانزياحيّة في التّراث النّقدي والبلاغي العربي، كما أنهم تأثروا بالدّراسات الغربيّة وخاصة بنظريّة "جون كوهن"، فاستفادوا وأفادوا وشكلوا بذلك خلفيات معرفيّة ينطلق منها الدّارس المعاصر.

هوامش:

[1] ينظر: أحمد محمّد ويس، الانزياح وتعدد المصطلح/مجلة عالم الفكر، الكويت/مج25 ع3- جانفي- مارس ، ص 63.

[2] عبد السّلام المسدي، المقاييس الأسلوبيّة في النّقد الأدبي من خلال "البيان التّبيين" للجاحظ، مقال حوليات الجامعة التّونسيّة، العدد: 13- ص 158.

[3] ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، ج2، تح: محمّد علي النّجار، دار الهدى للطباعة والنّشر بيروت- لبنان، د.ط ، د.ت، ص 442.

[4] المصدر نفسه، ص 267.

[5] أحمد محمّد ويس، الانزياح في التّراث النّقدي والبلاغي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق- سوريا د.ط، 2002، ص39.

[6] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ط2 1989،ص429- 430.

[7] المصدر نفسه، ص228.

[8] أحمد محمّد ويس، الانزياح في التّراث النّقدي والبلاغي، ص 175.

[9] ابن المعتز، كتاب البديع، دار الحكمة، دمشق–سوريا، د.ط، د.ت، ص 58.

[10] قدامة بن جعفر، نقد الشّعر، تح : محمّد عبد المنعم الخفاجي، دار الكتب العلميّة بيروت ، د.ط، د.ت ص 150.

[11] أحمد محمّد ويس، الانزياح في التّراث النّقدي والبلاغي، ص 177.

[12] المرجع نفسه، ص 178.

[13] أحمد محمّد ويس، الانزياح في التّراث النّقدي والبلاغي، ص 41.

[14] المرجع نفسه، ص42.

[15] سفيان بوعنينبة، الانزياح اللغوي عند ابن سينا وابن رشد، مجلة البحوث والدّراسات الإنسانيّة ع11، سكيكدة، 2015، ص 54.

[16] أبو الهلال العسكري، الصّناعتين، تح: علي البجاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، ط1 القاهرة 1952 ، ص 136.

[17] أحمد محمّد ويس، الانزياح في التّراث النّقدي والبلاغي، ص 46.

[18] المرجع نفسه، ص 46- 47.

[19] ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، ج3، ص 268.

[20] أحمد محمّد ويس، الانزياح في التّراث النّقدي والبلاغي، ص 45.

[21] حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمّد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1986، ص 328.

[22] عبد السّلام المسدي، الأسلوبيّة والأسلوب، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، ط3، د. ت، ص 105.

[23] المرجع نفسه، ص 106.

[24] المرجع نفسه، ص 106.

[25] أحمد محمّد ويس، الانزياح من منظور الدّراسات الأسلوبيّة، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، ط1، 2005، ص7.

[26] المرجع نفسه، ص 7.

[27] ينظر: المرجع نفسه، ص30- 31.

[28] منذر عياشي، الأسلوب وتحليل الخطاب، دار الإنماء الحضاري، سوريا ، ط1،2002 ص 204.

[29] المرجع نفسه، ص 204.

[30] محمّد العمري، تحليل الخطاب الشّعري، الدّار العالميّة للكتاب، الدّار البيضاء- المغرب ط1،1990 ، ص 32.

[31] المرجع نفسه، ص36- 40.

مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 22 العدد: 50 السّنة: الثّلاثيّ الثّاني 2020 ص: 513 - 524

مَخْطُوطَةُ الضّوَابِطِ الكُلِّيّة فِي نظْمِ العَوَامِلِ الجُرْجَانِيّة لِأَحْمَدَ بْنُ سِيبَوَيْهِ (الحَنبَلِيُّ، ابْنُ سِيبَوَيهِ) – تَحْقِيقٌ وَشَرْحٌ

Manuscript of the total controls in the systems of the factors Aljerganip Ahmed bin Sebwayh (Hanbali, Ibn Sebwayeh) – Inquiry and explanation –

عبد الوهاب حجازي: طالب دكتوراه♥

إشراف: الأستاذ الدّكتور محمّد دويس

تاريخ الإرسال: 19 03 2019 تاريخ القبول: 29 09 2019

ملخّص: يتناول هذا البحث رسالة لأرجوزة نحويّة موسومة" **الضّوَابِطِ الكُلِّيّة فِي نَظْمِ العَوَامِلِ الجُرْجَانِيّة**" لِأَحْمَدَ بْنُ سِيبَوَيْهِ (الحَنْبَلِيُّ اِبْنُ سِيبَوَيهِ) وهي عبارةٌ عن جمعٍ لما جاء في العوامل المائة التي ذكرها الجرجاني في كتابهِ، وأعقبت هذا التّحقيق بشرحٍ بسيطٍ يسيرٍ لفكّ ما استُغلِقَ منهُ دون الإطالةِ حتى لا يتشتتَ ذهنُ القارئِ، وأرفقت ذلك بتوضيحٍ لكلِّ عاملٍ في محلّهِ الذي يقتضيهِ، مع التّنبيهِ على بعضِ الزّياداتِ في المقام التي هي فيهِ.

الكلمات المفتاحيّة: النّظم، الجرجاني، العوامل، النّحويّة، الضّوابط

Abstract: This research deals with a letter of Grammatical systems, entitled "The total controls in the systems of the factors of the jorjani" by Ahmed Ibn Sebwayeh (Hanbali Ibn Sebwayeh), which is a collection of the hundred factors mentioned by Al-Jorjani in his book, and followed

♥المركز الجامعي –صالحي أحمد– النّعامة، الجزائر، البريد الإلكتروني : hadjazi20@gmail.com

this investigation with a simple explanation to break what has been closed without prolonging So as not to distract the mind of the reader, and attached it by clarifying each factor in its place required by, with a warning to some increases in the place where it is.

Keywords: systems, jorjani, factors, grammatical, controls.

مقدّمة: بسمِ الله الرّحمنِ الرّحيمِ الحمدُ لله الرّحمنِ الرّحيمِ، المنّانِ الكريم والصّلاة والسّلام على نبيِّه الأمين المبعوث رحمة للعالمين، محمّد خاتمِ النّبيين وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتّابعين وأتباعِ التّابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين أمّا بعد:

فهذا تحقيقٌ لنظمٍ مختصرٍ في العوامل النّحويّة التي ذكرها الجرجانيّ ألّفها **أَحْمَدَ بْنُ سِيبَوَيْهِ (الحَنْبَلِيُّ إِبْنُ سِيبَوَيهِ) رحمهُ اللهُ، وسنشرع مباشرةً في تحقيق النّظمِ نظرًا لعدم توفرِ ترجمةٍ للناظمِ.**

أوّلا: وصف المخطوط: اعتمدت في تحقيق هذا النّظمِ على نسخةٍ وحيدةٍ واضحة الخطِّ لعدمِ توفّر نسخٍ أخرى فيما توصلنا إليهِ، وهي من مخطوطاتِ المكتبة الأزهريّة: - 322559.

بدايّة النّسخة: بسم الله الرّحمن الرّحيم، والصّلاة والتّسليم على سيدنا محمّد وعلى آله [الصّراط المستقيم]

يقول راجي عفو ربي العلي ❖❖❖ أحمد نجل سيبويه الحنبلي...

نهايّة النّسخة:

... وصلّ يا ربّ على الشّفيعِ ❖❖❖ فإنه يوم الجزا شفيعي

والحمد لله على التّمامِ ❖❖❖ وقد كفاني العلم بالإسلامِ

تمّت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والحمد لله وحده.

وتاريخ النّسخِ والنّاسخِ مجهولٌ. والنّسخةُ في المجملِ العامِّ واضحةُ تشتملُ على ثلاث أوراق.

أوّلُ صورةٍ من المخطوط

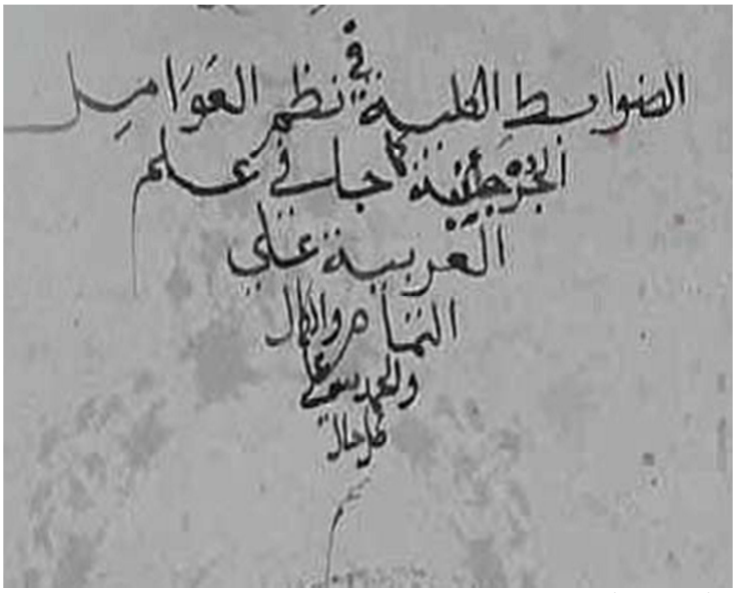

الصّورةُ الأخيرةُ من المخطوط

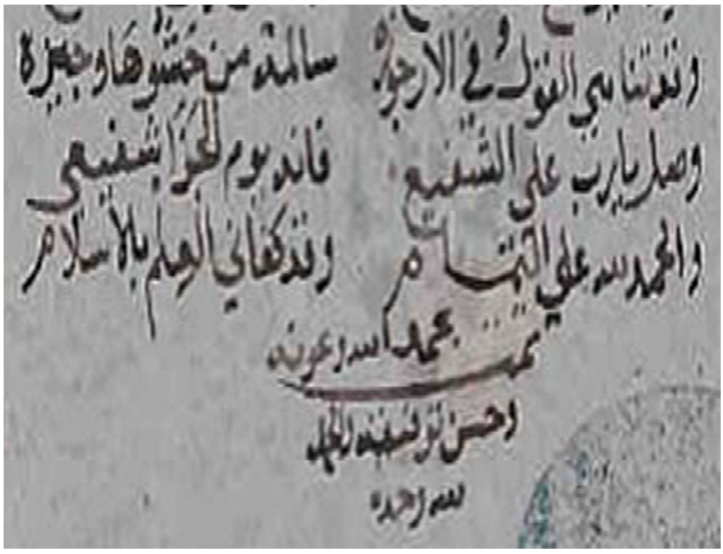

منهجي في التّحقيقِ:

1- نسخ الأصل المخطوط، وضبط نصّه، وبيان مشكله، وتوضيح ما خفي منه أو غمض.

2- قد يظهر في بعض المواضع خللٌ في عبارة النّاظمِ، وأرى أنه لا بد من توضيح وتبيينٍ، فإني أضع ما أراهُ جديرًا بالإضافة في التّهميشِ شرحًا.

3- وضعت عناوين رأيتها مناسبة لبعض الأبياتِ، وكلّ ما زدته أضعه بين معقوفين [ ].

4- لم أتعرض لشرحِ غوامضِ النّظمِ إلّا في حدودِ ما تقتضيهِ الضّرورة العلميّة.

النّصُّ المُحَقَّقُ

بسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيمِ والصّلاة والتّسليم على سيدنا محمّد وعلى آلهِ الصّراطِ المستقيمِ

يقولُ راجي عفْوِ ربِّه العَلِيْ ... أحمدُ نجلُ سيبويهِ الحنبلِ [1]

مِنْ بعدِ حمدِ الله ذي الجلالِ ... ثم الصّلاةُ أبدَ الليالي

على النّبيِّ المصطفى محمّد ... وآله أهل التّقى والسّؤددِ

فدونكَ العواملَ النّحْويهْ ... منظومةً في رَجَزٍ محْويّهْ

وهْي على ما حصروها ميّهْ ... لفظيّة تأتي ومعنويّهْ

وقد ذكرتُ في حروف الجرِّ ... أشياءَ لم يأت بها في النّثرِ

فلا تكنْ مُستنكرَ الزّيادهْ ... فإنما مقصودُنا الإفادهْ [2]

[بابُ العوامل اللفظيّة]

فالعاملُ اللفظيُّ فيما عُلما ... إلى: سماعٍ وقياسٍ قسما

ثم السّماعيُّ لباقي الحصْرِ ... أنواعه: ثلاثةٌ معْ عشرِ

أولها- فاعلم- : حروفُ الجرِّ ... هنّ عشر تُبِعت بعشرِ

حتّى عدا مِن في إلى حاشا خلَا ... مُذْ منذُ رُبَّ واوُه معْ عن علَى[3]

ثم حروفُ لبّك الزّوائدِ ... وتوْبُ إن جاءتْ لخُلْف العاقدِ[4]

ونوعُه الثّاني كما قدِ اشتهرْ ... ما ينصب الإسم ويرفعُ الخبرْ

ستُّ حروفٍ تُشبه الأفعالا ... إنَّ، وأنَّ مثلَ ما قد قالا[5]

كأنَّ، لكنَّ، وليتَ، ولعلْ ... مثالُه: كأنَّ زيدا البطلْ[6]

ونوعه الثّالث: عُدَّ ما، ولا ... ويعملان عكسَه إنْ عَمَلا[7]

ورابعُ الأنواع، فاحذر الغلطْ ... ما ينصب اسما واحدا منها فقطْ

وهنَّ سبعٌ: يا، وأيْ، والهمْزه ... أيَا، هيَا، والواوُ، فاعرفْ رمْزَهْ[8]

وهو إذا كان لمعْ في المعنى ... وحرفُ لا إذا به يُسْتَثنَى[9]

وخامسُ الأنواع يا ذا الحازم ... هنَّ حروف الخمسة الجوازمِ

لَمَّا، ولم، واللامُ عندَ الأمر ... وإنْ لدى الشّرط، ولا في الزّجْرِ[10]

وسادسُ الأنواع خُذْ لِتَسْمَعَه ... نواصبُ الأفعال، وهْي أربعهْ

كيْ، وإذنْ، وأنْ، ولنْ، والتّابعُ ... نوعٌ به يَنجزمُ المضارعُ[11]

تسعةُ أسماءٍ: متى، ومَن، وما ... وأنْ، وأينَ، أيُّ، إذْ، ما، مهما[12]

وحيثما، وثامنُ الأنواعِ ... ينصب تمييز بلا نزاعِ[13]

كلُّ منكَّرٍ من الأسماءِ ... أربعةٌ يا صائبَ الآراءِ

عشَـــرَةٌ إنْ رُكِّبَـــتْ مـــعَ الأحَـــدْ ... ثـــم تناهـــتْ في مراتـــب العَـــددْ[14]

منـــــه إلى التّســـــعة والتّســـــعينَا ... كـــذا كـــأيِّنْ، كـــم، فـــزِدْ يقينـــا[15]

وتاســـعُ الأفعـــالِ يـــا ذا الرّفْعـــهْ ... أسمـــاءُ الافعـــال وهـــنَّ: تســـعهْ

تنصـــب منهـــا ســـتة، وترفـــعُ ... ثلاثـــة، دونَكموهـــا، فـــاسمعوا

بلـــه، وهـــا قويـــك ، مـــعْ رُوَيـــدا ... ثـــم عليـــك، حيَّهـــلْ، الثّـــر يـــدا[16]

شَـــتانَ، سَـــرْعانَ، وهيهـــاتَ تلـــيْ ... وعاشـــرُ الأنْـــواعِ، وهْـــو فاجعـــلِ[17]

نـــواقصُ الأفعـــال، وهْـــي عشَـــرهْ ... تُعَـــدُّ مـــعْ ثلاثـــةٍ مشْـــتهرهْ:

كـــان، صـــار، بـــاتَ، ظـــلَّ، أضـــحى ... مـــا زال، أمســـى، لـــيس، ثـــم أصـــبحَا[18]

مـــا انْفـــكَّ، مـــا دامَ، كـــذاك مـــا بَـــرِحْ ... ومـــا فـــتيْ حُكْمُهـــا كمـــا شُـــرِحْ[19]

أن ترفـــع الإســـم، وتنصـــب الخـــبرْ ... وبعـــدَ ذا، فنوعُـــه الحـــادي عشَـــرْ

وترفـــعُ اسمـــا واحـــدا عنـــدَ العـــربْ ... كـــاد، عســـى، أوشـــك، بعـــده: كَـــرَبْ[20]

والأربـــــع المقاربـــــات تُسْـــــمَى ... وإنْ تُـــرِدْ مـــدحَ امـــريءٍ أو ذَمَّـــا

للـــذم اسمـــان، وللمـــدح كـــذا ... بـــئسَ، وســـاءَ، ثـــمَّ نِعْـــمَ حَبَّـــذا[21]

وترفـــع اســـم الجـــنس يـــا غلامـــي ... حيـــثُ أتـــى معرَّفـــا بـــاللامِ

وذاك ثـــــاني عشـــــرةِ الأنـــــواعِ ... وثالـــــثّ العشـــــر بـــــلا نـــــزاعِ

ســـبعةُ أفعـــالٍ علـــى التّعـــيينِ ... تأتيـــك للشـــك وللـــيقينِ

وتنصـــبُ اسمـــين بـــلا تـــأوّلِ ... ثانيهمـــا يكـــون عـــينَ الأولِ

حسِـــبْتُ، مـــعْ ظننـــتُ، مـــعْ زعمـــتُ ... رأيـــتُ مـــعْ وجـــدتُ مـــعْ علمـــتُ[22]

وســـابعُ الأفعـــال: خِلْـــتُ، فـــاعلمِ ... وثالـــثّ العشْـــرة يـــا ذا الكَـــرَمِ[23]

[بابُ العواملِ السّماعيّة]

سبعة أنواعٍ على اتفاقِ الفعلُ - يا ذا - قُلْ: على الإطلاقِ[24]

مثالُهُ: أكرمَ زيدٌ عَمْرا وثَنِّ باسم الفاعلين ذِكْرَا[25]

تقولُ: زيدٌ ضاربٌ أبوهُ عَمْرًا، وإنْ شِئتَ، فقل: أخوهُ

والعاملُ الثّالثُ في القياسِ هو اسمُ مفعولٍ بلا التّباسِ[26]

كمِثْلِ مضروبٌ أبوهُ عمرُو والرّابعُ: المصدر قل: يا عمرو[27]

أعجَبَنِي ضَرْبُ علِيٍّ عَمرا وخامسُ الأنواعِ فيما قُرِّرا:

وهْي تُسَمَّى: الصّفة المُشَبَّهْ فاحفظْه يا ذا الفِطْنة المنَبَّهْ[28]

كقولنا: زيدٌ كريمٌ أصلُهُ وخَلْقُهُ، وخُلْقُهُ، وفِعْلُهُ

وسادسُ الأنواعِ، فالإضافهْ كقولهم: طاب حِمَى الخلافهْ[29]

والسّابعُ: التّمْييزُ فيما عُدِّدا كطاب زيدٌ عُنْصرًا ومَحتِدَا[30]

[بابُ العوامل المعنويّة]

والمعنويُّ اثنانِ، فالعاملُ في المُبْتَدا، وبعدَ ذاكَ فاعطفِ[31]

عليه ما يرتفعُ المضارعُ به كمثْلِ: تُقبلُ المطامعُ[32]

قدْ تناهَى القولُ في الأرجوزهْ سالمةً مِن حشْوِها وجيزهْ

وصَلِّ يا ربّ على الشّفيعِ فإنّه يومَ الجَزا شفيعي

والحمدُ لله على التّمامِ وقد كفاني العلمُ بالإسلامِ

تمتْ بحمدِ اللهِ وعونهِ وحسنِ توفيقهِ

والحمدُ للهِ وحده

شرحٌ وتبسيطٌ لبعضَ ما وردَ في النّظمِ:

عوامل النّحو مائة عاملٍ وهي نوعان:

1- **العوامل اللفظيّة** (98 عاملاً).

2- **العوامل المعنويّة** (عاملان).

والعواملُ اللفظيّة تنقسم إلى قسمين سماعيّة وقياسيّة كالآتي:

1- **العواملُ السّماعيّة** 91 عاملًا.

2- **العواملُ القياسيّة** 07 عوامل

والعوامل السّماعيّة ثلاثة عشر(13) نوعا:

الأوّل: حروفُ تجرّ الاسمَ وهي سبعة عشر(17) **حرفًا وهي: الباء بمعانيها** [33] **واللام ومعانيها** [34] **ومن بمعانيها** [35] **وإلى بمعانيها** [36]**، حتى بمعانيها** [37]**، على بمعانيها، وعن، وفي بمعانيها** [38]**، والكاف** [39]**، ومذ ومنذ، وربّ، والواو، والتّاء وحاشا، خلا، عدا.**

الثّاني: الحروف المشبَّهة بالفعل: (إنَّ، أنَّ، لكنَّ، ليت، لعل)، تدخل على المبتدأ والخبر، فتنصب المبتدأ ويُسمَّى اسمَها، وترفع الخبر ويُسمَّى خبرها.

الثّالثّ: الأفعال النّاقصة: (كان وأخواتها)، وهي تدخل أيضًا على المبتدأ والخبر، فترفع المبتدأ ويُسمَّى اسمها، وتنصب الخبر ويُسمَّى خبرها.

الرّابع: ما ولا المشبهتان بليس

الخامس: حروف تنصب الاسم فقط وهي سبعة أحرف:

الواو التي بمعنى "مع"، إلّا للاستثناء، يا وهيا للنداء القريب والبعيد، أيا وهيا لنداء البعيد، أي والهمزة لنداء القريب.

السّادس: حروف تنصب الفعل المضارع (أن، لن، كي، إذنْ، لام التّعليل).

السّابع: حروف تجزم الفعل المضارع (لم، لما، لام الأمر، لا النّاهيّة).

الثّامن: أسماء تجزم الفعل المضارع؛ كونها مُشتمِلة على معنى (إنْ)، وهي تسعة أسماء: (مَن، ما، أي، متى، أينما، مهما، حيثما، إذْما).

التّاسعُ: أسماء تنصب الأسماء النّكرات على التّمييز وهي:

أ/ عشرة وعشرون إلى التّسعين إذا رُكِّب مع إحدى واثنين إلى تسع (من 11 إلى 99)، " كم " وهي على نوعين: استفهاميّة وخبريّة، وكأيّن، وكذا.

العاشرُ: أسماء الأفعال وهي تسعةٌ: رويد، بله، دونك، عليك، حيّهل، ها هيهات، سرعان، شتان.

الحادي عشر:أفعال المقاربة وهي أربعة: عسى، كاد، كرب، أوشك.

الثّاني عشر: أفعال المدحِ والذّمّ وهي أربعةٌ: نعم، بئس، ساء، حبَّ.

الثّالثّ عشر: أفعال القلوب ثلاثة منها للشكّ وهي: حسبتُ، ظننتُ، خلتُ وثلاثة لليقين وهي: علمتُ، رأيتُ، وجدتُ والمشترك بينهما زعمتُ.

والعوامل القياسيّة سبعة (07) أنواع:

الفعل عموماً، المصدر، اسم الفاعل، اسم المفعول، الصّفة المشبّهة، المضاف الاسم التّام.

والعوامل المعنويّة عاملان (02):

الأول: العامل في المبتدأ والخبر - وهو الابتداء - نحو (زيدٌ منطلقٌ) (فالمبتدأ عامل في الخبر، والخبر عامل في الابتداء).

الثّاني: العامل في الفعل المضارع حلوله محل الاسم.

وبهذا تكون توفرت مائة عامل نحويّ والذي أقرهُ أحمد ابن سيبويه الحنبلي في نظمهِ هذا يزيد بثلاثةِ عوامل وقد نبّهنا إليها في موضعها سلفًا وهي: (واو ربّ) (مع)، (باء القسم).

وهذا جدولٌ مقتبسٌ توضيحيّ للعوامل كما ذكرها الجرجاني دون زيادةِ النّاظمِ أَحْمَدَ بْنُ سِيبَوَيْهِ (الحَنْبَلِيُّ اِبْنُ سِيبَوَيهِ) رحمهُ اللهُ:

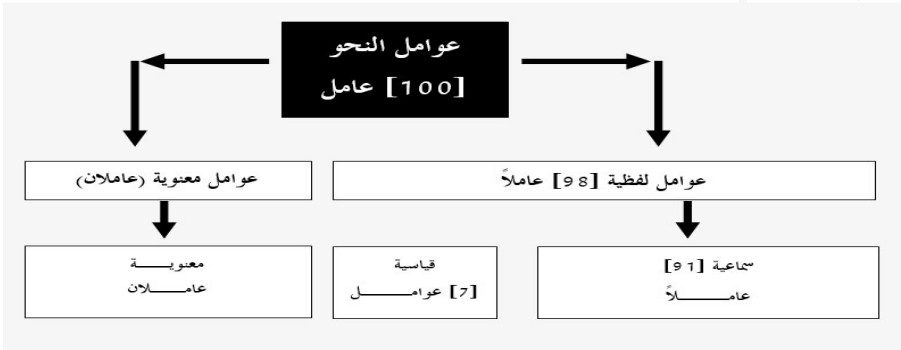

1	حروف تجر الاسم
2	الحروف المشبهة بالفعل
3	ما ولا المشبهتان بـ ليس
4	حروف تنصب الاسم فقط
5	حروف تنصب الفعل المضارع
6	حروف تجزم الفعل المضارع
7	أسماء تجزم الفعل المضارع
8	أسماء تنصب الأسماء النكرات على التمييز
9	أسماء الأفعال
10	الأفعال الناقصة
11	أفعال المقاربة
12	أفعال المدح والذم
13	أفعال القلوب

1	الفعل مطلقًا
2	المصدر
3	اسم الفاعل
4	اسم المفعول
5	الصفة المشبهة
6	المضاف
7	الاسم التام

1	العامل في المبتدأ والخبر (الابتداء)
2	العامل في المضارع (زيد يعلم)

هوامش البحث:

[1] لم نقف على ترجمة للناظم.

[2] أضاف النّاظم ثلاثة عوامل وهي (واو ربّ)، (مع)، (باء القسم) وفي العوامل عند الجرجاني غير مثبتةٍ وقد نبّهَ النّاظم إلى هذهِ الزّيادة.

[3] عدّ النّاظم في هذا البيت أربعة عشر (14) عاملا.

[4] في هذا البيت عدّ النّاظم ستة (06) عوامل.

[5] في هذا البيت عاملان وهما: إنّ وأنّ

[6] هنا عدّها أربعةٌ: كأنَّ، لكنَّ، وليتَ، ولعلْ

[7] عاملان: ما و لا

[8] ستةُ عوامل: يا، أي، الهموة، أيا، هيا، الواو

[9] عامل واحد: إلّا

[10] خمسة عوامل: لَمَّا، ولم، ولامُ الأمرِ، وإنْ، ولا.

[11] أربعة عوامل: كيْ، وإذنْ، وأنْ، ولنْ.

[12] تسعة عوامل: متى، ومَن، وما ، وأنْ، وأينَ، أيُّ، إذْ، ما، مهما.

[13] عامل واحد: حيثما.

[14] عامل واحد: عشرة.

[15] ثلاثة عوامل: كذا كأيِّنْ، كم.

[16] ستة عوامل: بله، ها، دونك، رويدا، عليك، حيّهل.

[17] ثلاثة عوامل: شَتانَ، سَرْعانَ، وهيهاتَ.

[18] تسعة عوامل: كان، صار، باتَ، ظلَّ، أضحى، ما زال، أمسى، ليس، أصبحَ.

[19] أربعة عوامل: ما انْفكَّ، ما دامَ، ما برح، ما فتىء

[20] أربعة عوامل: كاد، عسى، أوشك، كَرَب.

[21] أربعة عوامل: بئس، ساء، نِعْمَ، حبّذا.

[22] ستة عوامل: حسِبْتُ، ظننتُ، زعمتُ، رأيتُ وجدتُ، علمتُ.

[23] عامل واحد: خلت.

[24] عامل واحد وهنا تبدأ العوامل السّماعيّة: الفعل مطلقا.

[25] عامل واحد: الاسم.

[26] عامل واحد: اسم المفعول.

[27] عامل واحد: المصدر

[28] عامل واحد: الصّفة المُشبّهةُ.

[29] عامل واحد: الإضافة.

[30] عامل واحد: التّمييز.

[31] هنا بدأ في ذكر العوامل المعنويّة: العامل في المبتدأ وهو الابتداء.

[32] والعامل في الفعل المضارع هو وقوعهُ موقعَ الاسم.

[33] الالصّاق، الاستعانة، المصاحبة، المقابلة، التّعديّة، الظّرفيّة، زائدة، التّفديّة. ينظر العوامل المئة للجرجاني: ص 42- 42.

[34] التّمليك، التّخصيص، التّعليل، بمعنى (عن)، زائدة، بمعنى (بعد)، بمعنى (الغير)،

[35] ابتداء الغايّة، تبين الجنس، التّبعيض، الظّرفيّة بمعنى(في)، زائدة. ينظر العوامل المئة للجرجاني: ص 43.

[36] انتهاء الغايّة، وبمعنى (مع). ينظر العوامل المئة للجرجاني: ص 44.

[37] انتهاء الغايّة، وبمعنى (مع). ينظر العوامل المئة للجرجاني: ص 44.

[38] الظّرفيّة، وبمعنى(على). ينظر العوامل المئة للجرجاني: ص 44- 45.

[39] التّشبيه، وزائدة. ينظر العوامل المئة للجرجاني: ص 47.

مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 22 العدد: 50 السّنة: الثّلاثيّ الثّاني 2020 ص: 525 - 544

نقد منطق التفكيك

Criticism of deconstruction logic

أ. أحمد العزري[1]

تاريخ الإرسال: 11 06 2019 تاريخ القبول: 29 09 2019

ملخّص: إنّ الشّائع في حقل الدّراسات الفلسفيّة والنّقد الأدبي أنّ التّفكيك ليس نظريّة ولا منهجًا، أي أنّه لا يحتوي على منطق اشتغال مقنّن ومحدّد سلفاً، ذلك أنّ البناء على منهج معيّن دون غيره يفترض ممارسة الإقصاء حتمًا، لذلك يطرح هذا العنوان في ذهن القارئ تساؤلاً مفاده كيف يكون للتفكيك منطق اشتغال، وهو يقوم على نقد ذلك؟ والأرجح أنّ ذلك الإنكار هو من جوهر منطق الاشتغال في الطّرح التّفكيكي.

الكلمات المفتاحيّة: التّفكيكيّة،اللغة، الدّلالة، النّقد الأدبي، التّشتيت، الاختلاف، التّمركز المنطقي الغراماتولوجيا ...

ABSTRACT: It is obvious, in the field of philosophical studies and literary criticism, that deconstruction is neither a theory nor a method, that is to say that it doesn't include a predefined and codified logic of function, as the construction, according to a specific method, requires certainly exclusion. For this reason, the tittle prompts the reader to ask the following question : How can deconstruction have a logic of function whereas it tends to criticize this aspect? This refutation is likely to represent the essence of the deconstruction logic of function.

[1] جامعة بومرداس، الجزائر، البريد الإلكتروني: ahmed.l3azri@gmail.com

Keywords: *Deconstruction.* philosophical studies. literary criticism. Dissemination. Differance. Logocentrisme .grammatologie …..

المقال: ينطلق المفكر الأمريكي «جون إليس» (John Ellis) في نقده لطروحات «دريدا» من فكرة مفادها، أنّ التّفكيك ليس مجرد أفكار ومقولات في نقد قضايا فكريّة ونظريّة، بل هو نظريّة في الفكر تقوم على أسس وتنبني على نظام اشتغال وإذا نظرنا إلى هذا الحكم بمعزل عن طريقة التّفكير التّفكيكيّة فإنّ المنهجيّة الدّقيقة والمنطق الرّصين يعد فضيلة نقديّة وليس مأخذًا نقدياً، لكن التّفكيكيّة في جوهرها تقوم على نقد فكرة المنهج أو المذهب لأنّ المنهجيّة تفترض التّفكير والعمل على نظام محدّد سلفاً وهذا ما يتعارض مع طروحات التّفكيك الجوهريّة، كما سبق وأن أشرنا، لذلك فالقول بأنّ التّفكيكيّة منهج؛ يعد نقدًا جذرياً لها بل تقويضًا وهدمًا لأهم أسسها، ويقول «إليس» في هذا الباب: "التّفكيك ليس مجرد مجموعة من المناقشات تتناول مختلف أنحاء النّظريّة، أو حتى مجموعة من مواقف متواشجة، إذ من الممكن أن نجرد من كل ذلك استراتيجيّة محدّدة أو نوعًا من المنطق التّفكيكي في البحث والاستقصاء" [1] (جون إليس 2012)، غير أنّ طبيعة النّقد الذي يسعى إليه «إليس» ، يقوم على تتبع خطوات النّقد التّفكيكي ومنهجيته في القراءة، حيث تقوم القراءة التّفكيكيّة - حسبه- في مواجهتها للموضوع بتهميش قضايا جوهريّة ومهمة والاهتمام بقضايا ساذجة وبسيطة، ومن ثم تعميم الحكم على كافة القضيّة موضوع الدّراسة، ومن ذلك نقد التّفكيكيين للنظريّات التّقليديّة في الدّرس اللغوي القديم، إذ يركزون على قضيّة تطابق الإسم والمسمّى، أو أنّ اللغة عبارة عن قائمة من الأسماء تقابلها قائمة من الأشياء، ويثبتون مدى تهافت هذا الكلام، ذلك أنّ اللغة تمتلك من الطّاقات المجازيّة والإيحائيّة ما يجعل التّطابق التّام والدّائم بين الدّال والمدلول أمرًا غير متاح، لايشك أي دارس للغة في صحة

هذا الكلام، لكن هذا يمارس بشكل تعسفي إقصاءً لجهود علماء اللغة السّابقين فمن غير المنطقي ولا المنّصف حصر نظريّات اللغة القديمة (وتدخل في هذا الباب كل نظريّات اللغة التي عرفت قبل الطّرح التّفكيكي بما في ذلك لسانيات دي سوسور) كلها في قضيّة تطابق الدّال والمدلول وثبات المعنى [2] (جون إليس 2012)، وإذا ما أجلنا النّظر في جهود علماء اللغة القدماء في الثّقافة العربيّة القديمة على سبيل المثال، فإنّ حصر ما كتبوه ونقده من منطلق الحجر على المعنى أو تطابق الدّال والمدلول يكون إجهاضًا لفكرهم، فهل تحصر بحوث البلاغة للجرجاني والقرطاجني في مجرد هذا الحكم؟، من هنا تبدو لنا مدى تعسفيّة الطّرح التّفكيكي في تعامله مع النّظريّات القديمة، كما نكتشف بعد النّظر النّقدي لدى «جون إليس». لكنّ نقدنا للطرح التّفكيكي لا يقوم على تتبع خطوات التّفكيكيّة بالدّقة التي انتهجها «إليس» في كتابه ضد التّفكيك AGAINST DECONSTRUCTION ، ولا نهدف كذلك إلى تتبع علاقة التّفكيكيّة بأنظمة الفكر أو مناهج النّقد الأخرى، وإنّما يقوم نقدنا على النّظام العام الذي تشتغل عليه التّفكيكيّة وذلك من جانبين:

الأوّل: علاقة مقولات التّفكيك الأساسيّة (الإختلاف المرجئ، اللوغومركزيّة - التّمركز المنطقي- ، علم الكتابة...) ببعضها، والتّركيز على نظام الاشتغال الدّقيق الذي يحكم الطّرح التّفكيكي.

الثّاني: التّركيز على مدى تطابق مبادئ التّفكيك وشعاراته من قبيل الاختلاف والاعتراف بالآخر... مع واقع ممارساته النّقديّة، فإن تطابقت الشّعارات فذاك المراد، وإلاّ يتحوّل الطّرح التّفكيكي إلى طرح مثالي أو ميتافيزيقي، لا تتوافق معتقداته النّظريّة مع ممارساته في أرض الواقع.

1. نقد فرضيّة اللاّنسقيّة (اللامنهجيّة): ليست اللانسقيّة أو اللاّمنهجيّة مقولةً من مقولات الطّرح التّفكيكي، مثلما هو الحال مع مقولة الغراماتولوجيا

أو غيرها، إنّها من مضمرات الطّرح التّفكيكي، وتعد من روح اشتغال التّفكيكيّة، كما تظهر في تصريحات «دريدا» وأتباعه بشكل واضح لا مراء فيه. وبناءً على منهجيّة النّقد الذي تبنيناه لتحليل نظام اشتغال التّفكيكيّة، سنركز على واقع الممارسة وليس على الظّاهر من المبادئ والشّعارات، فمن خلال ما قيل عن المفاهيم المركزيّة للنقد التّفكيكي، نلحظ مدى التّرابط السّببي والتّسلسل المنطقي بين هاته المفاهيم، بحيث لا يمكن الحديث عن نقد اللوغومركزيّة دون نقد علم الكتابة (الغراماتولوجيا)، ولا الحديث عن علم الكتابة دون نقد التّمركز الصّوتي، ولا الحديث عن الاختلاف المرجئ دون تحقيق لمبدئي نقد التّمركز الصّوتي ونقد اللوغومركزيّة اللّذان يتيحان مبدأ البذر أو التّشتيت والذي يتيح بدوره لنا الدّخول في عالم الاختلاف المرجئ، إلى هنا تبقى الأمور معقولةً ومقبولةً من النّاحيّة المنطقيّة، إلى أن نّصّل إلى مبدأ الأثر، الذي يبدو ظاهريًا نشازًا عن نظام التّفكيك الدّقيق، إذ كيف يمكن أن يكون فاعلاً في حقل التّفكيك وذا دور في الوصول إلى عالم الاختلاف المرجئ ؟

إنّ الأثر في المفهوم الدّريدي هو ما يبقى من المعنى السّابق في سلسلة الاختلافات اللامتناهيّة، فالمعنى الذي يعطى يكون فيه شيء من أثر المعنى السّابق ويكون في الوقت نفسه محفزًا على حصول تأويلات أخرى ومعانٍ جديدة وهذا ما يجعل الاستقرار والرّسو على معنى ثابت أمرًا في حكم المستحيل، وهكذا نّصّل إلى حكم مفاده أنّ كل مقولة في طرح التّفكيك تربطها علاقة وطيدة بالمقولات الأخرى وفي شكل منظم وكلها توصل إلى مقولة الاختلاف المرجئ وهذا ما كان يقصده «دريدا» بمقولته عالم بريء صالح للتأويل، إنّها بالمختصر المفيد براءة من الأصول والمرجعيات بل من الحقيقة والمعنى، إنّ مقولات التّفكيك في مجملها تشبه الرّوافد المائيّة التي تصب في جدول واحد وهو الاختلاف المرجئ، الذي لا يعد في جوهره لا مقولةً ولا آليّة من آليات النّقد التّفكيكي إنّه باختصار الهدف الذي يسعى الطّرح التّفكيكي الوصول إليه.

إنّ تحديد الهدف يعني منطقيًا وبالضّرورة وجود خطة ومنهج اشتغال للوصول إليه، لكنّ افتراض وجود منهجيّة علميّة دقيقة تحكم الطّرح التّفكيكي يتعارض مع أقوال منظري التّفكيكيّة والمتأثرين بهم، فالغالب في اصطلاح التّفكيكيين أنّ "التّفكيك ليس منهجًا خصوصًا إذا أكدنا على الدّلالة الإجرائيّة، لذلك يمكن القول أنّ التّفكيك لا يمكن اختزاله إلى أدوات منهجيّة أو إلى مجموعة من القواعد والإجراءات القابلة للنقل" [3] (عبد السّلام بن عبد العالي 1999)، إنّ افتراض اللامنهجيّة ليس بالضّرورة موافقًا لواقع الحال أو وصفًا دقيقًا لطبيعة التّفكيكيّة، بقدر ما هو جزء لا يتجزأ من المنظومة التّفكيكيّة ومنهجيتها في النّقد.

إنّ النّقد التّفكيكي اتجاه يقوم على مبدأ الثّورة على أنظمة الفكر التّقليديّة فمنذ أن بدأ «دريدا» كتاباته وطرح أفكاره، أعلن وبشكل صريح لا موارية فيه عداءه لميتافيزيقا الحضور، وقد ذكر هذا "إمبرتو إيكو" في نقده لقراءة «دريدا» للسيميوزيس البيرسيّة وأكدّ أنّ قراءة «دريدا» لنّصّوص من قبيل السّيميوزيس البيرسيّة أو الاختلاف السّوسوري ليس معرفة كنهها وكشف آليات اشتغالها بقدر ما هو تحدٍ لميتافيزيقا الحضور الغربيّة ذلك أنّ «دريدا» كان دائمًا فيلسوفًا ويشتغل في كل قراءاته لخدمة فلسفته العامة ولم يكن ناقدًا [4] (إمبرتو إيكو 2000).وفي هذا الإطار عمد «دريدا» إلى فضح تجليات ميتافيزيقا الحضور في شتى أنظمة الفكر الغربيّة، وهذه الجرأة في الطّرح تفترض وجود ردة فعل (ربما كانت هذه الجرأة في الطّرح من بين الأسباب التي أدّت إلى رواج الفكر التّفكيكي في أمريكا أكثر بدلاً من أوروبا) وتجعل منهجيّة اشتغال «دريدا» ونظريته النّقديّة محل انتقاد، لذلك كان افتراض «دريدا» اللاّنسقيّة واللاّمنهجيّة في طرحه، ذلك أنّ البناء على منهج يفترض أمرين أساسيين:

الأوّل: وجود مرجعيّة فكريّة يستند عليها صاحب المنهج في بناء طروحاته وأفكاره وهذا ما لا يتمشى مع أهم المبادئ التّفكيكيّة، وهي نقد التّمركز والمرجعيات المغلقة ونقد الهويّة والثّبات.

الثّاني: الاستناد إلى نظام المنهج ونمط اشتغاله وإجراءاته، واعتبارها السّبيل الوحيد للوصول إلى الحقيقة أو المعنى، وهذا ما يتعارض مع مقولة الاختلاف والانفتاح على الآخر ومبدأ السّيرورة والتّغير الدّائم للمعنى.

وهذا كله يجعل النّقد التّفكيكي بل وجوهره عرضةً للنقد، من جهة المرجعيّة وكذلك من جهة منهجيّة الاشتغال، أي سلامة المنهج وفاعليته ومنطق اشتغاله وبالنّسبة لقضيّة استهداف المنهج بالنّقد واستهداف أجزائه وآلياته الدّاخليّة، فلا أدل على ذلك من النّقد الذي وجّهه النّاقد الفرنسي **ألجيرداس غريماس (Greimas)** لمنهج **فلاديمير بروب** (F. PROP) في كتابه "**مورفولوجيا الحكايّة الشّعبيّة**"، وكذلك النّقد الذي وجهه ليفي ستراوس لنفس المنهج فنقدهما كان موجهًا بشكل مباشر للنظام الدّاخلي لوظائف بروب، إنّ «دريدا» في ثورته على ميتافيزيقا الحضور الغربيّة، أدرك مدى خطورة الاشتغال على منهج عمل محدّد ، خصوصًا إذا تميز هذا المنهج بالجرأة وبمهاجمة الأصول والمعتقدات النّظريّة والفكريّة التي ينبني عليها النّظام الاجتماعي والفكري مثلما هو الحال مع طروحات «دريدا»، وكان هذا السّبب الأساس وراء افتراض اللّانسقيّة واللاّمنهجيّة في الطّرح التّفكيكي ولا أدلّ على هذه القضيّة من حادثة بول ريكور مع «دريدا»، حين سأله عن ضرورة تأليف كتاب مثل البطاقة البريديّة، فردّ عليه «دريدا» بقوله أنّ حديثه عن الضّرورة يعني أنّه لا يزال حبيس الميتافيزيقا الغربيّة أمّا «دريدا» فقد خرج منها منذ زمن، إنّ رد «دريدا» ليس إجابةً بقدر ما هي هدم للمنطلق الفكري الذي بنى عليه ريكور تساؤله، فقد استطاع «دريدا» أن يجرده من كل أسلحته النّقديّة ، ولم يتسن له ذلك إلاّ لأنّه لا يمتلك جبهة مباشرة وظاهرة يمكن لريكور مهاجمتها بشكل واضح وصريح

هذا لأنّ «دريدا» لا يصرح بأي منهجيّة محدّد ة في نقده، وهذا ما يتيح له الهروب من المساءلة النّقديّة ، ويجعل أفكاره ترقى إلى مصاف المسلمات التي لا يطالها النّقد والتّشكيك، فعلى أي أساس ومرجعيّة أو أي أرضيّة يمكنك الانطلاق لنقد طروحات التّفكيكيّة، ثم أي منظومة فكريّة أو أي منهج نقدي تنقد فالتّفكيكيّة ليست مذهبا ولا نظريّة ولا منهجاً، ففكرة المنهج في حد ذاتها يزعمون أنّها من تجليات ميتافيزيقا الحضور، وهكذا لا يمكننا البقاء على الرّأي السّائد أنّ مقولة اللاّمنهجيّة التي يرددها التّفكيكيون هي مجرد فكرة هامشيّة في الطّرح التّفكيكي، إنّها مقولة أساسيّة يمكن عدها واحدةً من آليات التّفكيك مثلها مثل الاختلاف المرجئ وعلم الكتابة. إنّها باختصار شديد أشبه بجهاز المناعة الذي يحمي هيكل الطّرح التّفكيكي.

2. نقد مقولة الهامشيّة: تشكل مقولة الهامشيّة فكرة مركزيّة في الطّرح التّفكيكي، ذلك أنّ محور التّفكيك وكل فكر مابعد الحداثة يدور حول فكرة مفادها أنّ الحياة كلها تصنع على الهامش فالنّظرة الفاحصة لجل هذه التيارات تؤكد متانة هذا الادعاء، ففكر مابعد الحداثة يتجه على سبيل المثال إلى البحث في اللاّمفكر فيه بدل البحث في المفكر فيه ، فالتّحليل النّفسي عند فرويد يذهب إلى البحث في اللّاوعي بدل الوعي، ويحذو حذوه في ذلك "جاك لاكان" إذ يذهب إلى البحث في المسكوت عنه بدل البحث في المنطوق، والأمثلة في هذا الباب أوسع من أن نذكرها بالتّفصيل في هذا المقام.

وقد سار النّقد التّفكيكي في نفس المسار، إذ يركز على الهامش بدلاً عن التّركيز في المتن، وهذا المبدأ سواء سمي باللّمفكر فيه أم المسكوت عنه أم الهامش يظل ينطوي على الجوهر ذاته، إذ يشير في عمومه إلى ما يمكن تعريفه بـ: "الحقل الذي لم يحرث فيه من قبل" [5] (علي حرب 2005)، وكلها تعبر عن المقموع والمهمّش وغير المعترف به في تاريخ الفكر الإنساني، فهذا الفكر في تشكله عبر

العصور التي مر بها والتّحولات المعرفيّة والإبستيميّة التي مرّ بها، اتخذ لنفسه نسقًا ونظامًا وصرحًا وينطوي هذا البناء على تهميش كل الأفكار التي لا تتمشى مع جوهر هذا النّظام وطبيعته، وهنا يحصل النّبذ والتّهميش، الذي لا يبقى حبيس الأفكار والجدل الفلسفي الصّوري، وإنّما يترجم إلى أعمال قمعيّة واقعيّة وتاريخ الفكر الإنساني مليء بالأحداث التي يمكن الاستشهاد بها على صحة هذا الطّرح (ومن أمثلة ذلك حرق المتصوف الشّهير الحسين بن منّصّور الحلاج وحرق كتب ابن حزم الظّاهري وأبي الوليد بن رشد في الثّقافة العربيّة الإسلاميّة، وحادثة غاليلو في الثّقافة المسيحيّة...)، ومن هذا المنطلق عينه كان بحث "ميشيل فوكو" في تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، من منطلق أنّ خطاب المجانين لا ينطوي على جنونيته في جوهره هو، بل في مخالفته للنسق الفكري العام الذي يتصف بالمنطق أو العقلانيّة، ولعلّ إدراك إمبرتو إيكو لهذا الأمر هو ما جعله ينفي إمكانيّة إعطاء مفهوم محدّد للعقلانيّة وذلك في قوله: "يصعب تحديد اللاعقلانيّة دون امتلاك تصور فلسفي عن العقل وبكل أسف فإنّ تاريخ الفلسفة كله يبين أنّ تعريفاً من هذا النّوع لا إجماع فيه، فلا وجود لنمط واحد من التّفكير لا ينظر إليه بأنّه لا عقلاني انطلاقا من نموذج تاريخي لنمط آخر من التّفكير، هو نفسه ينظر إليه بأنّه لا عقلاني". [6] (إمبرتو إيكو 2000).

وهذا المبدأ نفسه الذي تقوم عليه التّفكيكيّة عند «دريدا»، إذ تهدف إلى تفكيك بنيّة الفكر المسيطر ليس لإعادة بنائه كما يفترض بعض الباحثين وإنّما لكشف وفضح ضروب النّبذ والتّهميش التي ينطوي عليها الفكر، وذلك كما سبق أن وضحنا في الفصل الأول المتعلق بمفاهيم التّفكيك.

إنّ كل مقولات التّفكيك تصب في جدول الهامش، فمقولة الاختلاف المرجئ تتيح الانزلاق الدّائم للدلالة والمعنى، وتجعل الثّبات والاستقرار على معنى واحد وثابت ضربًا من ضروب التّهميش والنّبذ، وكذلك مقولة اللوغومركزيّة

فمفهومها هو التّمركز على مقولات عقلانيّة أو منطقيّة أو لغويّة واعتبارها عين الحقيقة إمّا لعقلانيتها أو عدم تناقضها، وعلى هذا الأساس يكون كل رأي مخالف لهاته المقولات لا عقلانياً، وهنا يظهر النّبذ والتّهميش. والأمر ذاته بالنّسبة لمقولة البذر (التّشتيت) ففحواها أنّ المعنى والحقيقة مبذوران موزعان ومشتتان على كل القراء، وهذا تحدٍ صريح للتهميش الذي يعدّ آليّة من آليات السّيطرة في الفكر الإنساني كما سبق وأن أشرنا، وليس القصد في هذا المقام التّركيز على مقولات التّفكيك واحدةً واحدة وبيان علاقتها بمقولة الهامشيّة، فكل آليات التّفكيك إنّما تهدف إلى فضح ضروب النّبذ والتّهميش التي ينبني عليها الفكر الغربي والإنساني عموماً.

إنّ مبدأ تحدي وفضح أساليب النّبذ والتّهميش في الفكر الإنساني، يؤدي إلى ظهور مقولة أخرى إلى السّطح وهي على علاقة وطيدة بمقولة الهامش وهي "الآخر" أو "المختلف"، فالهامش في واقع الأمر ما هو إلاّ فضاء للآخر المختلف والمغاير وبالتّالي فإنّ الحديث عن الهامش ونّصرته ما هو إلاّ إقرار بحق الآخر المختلف في الوجود والفاعليّة في الحياة الفكريّة، على عكس الفكر التّقليدي الذي مارس تجاه الآخر كل أساليب الحجب والإقصاء وسلبه حتى حق الحديث عن نفسه فالنّقاد التّقليديون "يستغلون فرص القول المتاحة لهم لغرض التّركيز على إشعاعهم الشّخصي بل قد تذهب بهم العجرفة وحب الظّهور إلى استبدال مقولات الآخر بمقولاتهم" [7] (عبد العزيز بن عرفة 1993).

من هنا نّصّل إلى نتيجة مفادها أنّ التّفكيكيّة تحاول أن تجعل من الهامش فضيلةً نقديّة ، فوقوعها –كما كان يروج «جاك دريدا»وأشياعه- في الهامش ونّصّرته على المتن، إنّما هو من قبيل نّصرة المهمشين والمقموعين غير المعترف بهم والذين لم يكن لهم حتى حق الحديث عن أنفسهم، لكنّ السّؤال الذي يفرض

نفسه في هذا المقام هو ما مدى مطابقة هذا الادعاء لواقع الممارسة النّقديّة التّفكيكيّة، أو ماهيّة الطّرح التّفكيكي؟

والحق أنّه يمكن معالجة هذا التّساؤل من جانبين:

الأوّل: أنّ التّفكيكيّة لم تقف يوماً عند حدود الاعتراف بالآخر المختلف، بل تستعمل هاته المقولات لما لها من قبول في السّاحة الفكريّة والنّقديّة ، لتكون ديباجةً لتغطيّة المقصد الحقيقي، فالحق أنّ التّفكيكي لا يهدف إلى الاعتراف بالآخر بقدر ما يهدف إلى إشاعة السّيرورة اللامنتهيّة للدلالة والمعنى والحقيقة ذلك أنّ أي توقف في سيرورة الإدلال يعني إقصاء أصوات وتأويلات أخرى محتملة وهنا يبدأ ويظهر التّهميش، وإذا اعتبرنا هذا الإشكال داءً فإنّ التّرياق الذي يقترحه التّفكيكيون هو السّيرورة اللامنتهيّة وممعن النّظر في المسألة يدرك أنّ السّيرورة لا يمكن عدها مجرد حل لمشكل التّهميش والاصطفاء، الحق أنّها الهدف الحقيقي من وراء الطّرح التّفكيكي كله، على عكس ما شاع استعماله في معجم النّقد المعاصر، وهو مصطلح التّعدديّة الذي يضفي هالة من الفضيلة والاعتراف بالآخر والتّسامح، ونتيجة التّقارب بين المفهومين (التّعدديّة والسّيرورة) في الاستعمال النّقدي لا ننتبه إلى أنّ التّفكيكيّة تلعب على وتر التّداخل بين المصطلحين، لكن دون أن ننسى أنّ "التّفكيك لم يتوقف في أي وقت من الأوقات عند تعدديّة الدّلالة بل لم يكن تعدد الدّلالة على قائمة الأهداف، لقد كان المقصود دوما لا نهائيّة الدّلالة" [8] (عبد العزيز حمودة 1998). وهذه الظّاهرة معروفة في الطّرح التّفكيكي فمقولة الاختلاف - مثلاً- عند تحليلها ندرك أنّ الاختلاف ليس مقصوداً في ذاته بل الهدف الأساس هو الإرجاء والتّأجيل المستمر للدلالة، وهناك الكثير من "المصطلحات البارزة في أعمال «دريدا» تحمل بنيّة ثنائيّة بشكل عنيد، مثلاً: الفارماكون والذي يعني السّم والتّرياق في آن معاً

والملحق (supplément) والذي يعني فائضاً وإضافةً ضروريّة في آن معاً" (جون ليتشه د.ت) [9].

من هنا يمكن لقارئ الطّرح التّفكيكي التّشكيك في ضرورة وجود هذا الطّرح أصلاً أو مدى فاعليته، ذلك أنّ التّفكيكيين بخلفيتهم العدميّة انجروا في الكثير من الأحيان خلف إثبات صحة ادعاءاتهم بدل الاهتمام بدراسة الموضوع، وهذا عين المشكل في طرحهم حول قضيّة الهامش، وهم بهذا يقعون في المطبات والمآخذ ذاتها التي يأخذونها على الاتجاهات التّقليديّة الأصوليّة "إنّ «دريدا» وأصدقاءه يظنون أنّهم يميزون في كل النّصوص مآزق منطقيّة ولا يبدو أنّهم يدركون إلى أي حد يسقطون بناءات لما وراء مقولاتهم على النّصّ المحلّل، إنّهم بهذا يعيدون إنتاج بعض مساوئ اللوغومركزيّة" [10] (بيير زيما 2003).

في هذا السّياق يمكننا العودة إلى بعض المقولات التي استخدمها التّفكيكيون أو بالأحرى المآخذ التي أبرزوها للفكر التّقليدي، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر مقولة "**خصي النّصّ**" (castration du texte)، إذ يمكن استعارة هذه المفردة والقول: أنّ التّفكيكيّة تقوم بخصي النّصّ ليس على النّحو الذي قصده "رولان بارث"؛ إفقاد النّصّ القدرة على الإدلال وقتل طاقته الإنتاجيّة بإيقاف عمليّة التّأويل عند معنى ثابت وقار، يكون في الغالب محدّدا سلفاً بفعل المرجعيات المنغلقة سواء كانت عقلانيّة أم علميّة أم غيبيّة لاهوتيّة، وإنّما القصد أنّ التّفكيكيّة تفقد النّصّ القدرة على الإدلال وتقتل المعنى، إذ لا يمكن أبدًا الوقوف على معنى معيّن، بل لا يمكن حتى الحكم على معنى ما بأنّه خاطئ أو صحيح، فحين يتخذ قرار من هذا القبيل تظهر السّلطة والتّمركز وأثر تحكم المرجعيات والأصول، وهذا عمليًا مفاده أنّ المعنى لا وجود له [11] (عبد العزيز حمودة 1993).

الثّاني: يتعلق الجانب الثّاني بطبيعة الممارسة التّفكيكيّة ذاتها، فهل انتصارها للهامش يعني أنّها انسحبت كليّة من لعبة المتن (الفكر المسيطر والثّقافة المهيمنة) ؟

الحق أنّ فكر تفكيكيّة قائم على تقويض كل الأصول والمرجعيات الماورائيّة للفكر الإنساني، ذلك أنّها تبحث عن ممارسة فلسفيّة وهي أقرب إلى حالات الوجد الصّوفي منها إلى القراءة الفلسفيّة، وهنا وفي حالة غياب الأصول والمرجعيات التي تشكل ما يصطلح على تسميته بالهويّة، تصبح مقولة الهامش لا أساس لها، ومقولة الآخر ينسحب عليها الحكم، إذ ببساطة في عالم الاختلاف المرجئ عند «دريدا» فكرة الآخر مجرد تسميّة لشيء غير موجود لأنّ هذا الآخر لا ينطوي على ما يميزه عن الأنا أو الذّات إذ لا هويّة له، وبالتّالي لا وجود لمتن وهامش، والنّتيجة التي يمكننا قولها هنا أنّ مقولة الهامشيّة ذاتها مقولة ذات بنيّة ثنائيّة ضديّة، على النّحو الذي بيّناه سابقاً مع مصطلحات أخرى، ذلك أنّ ظاهرها هو الانتصار لصوت الآخر المهمش والمقموع وإشاعة فكر التّعدد والاختلاف، لكن القصد الحقيقي من وراء هذا الطّرح، هو جعل الممارسة الفلسفيّة التّفكيكيّة تعبر عن صوت المهمشين والمقموعين، لتشكل هذه الخاصيّة فضيلة فكريّة وإنسانيّة وطاقة دعائيّة للفكر التّفكيكي، "إذ يحاول «دريدا» إثبات أنّ التّفكيكيّة تشكل هامش الفلسفة الرّسميّة لكي يجعل من هذه الهامشيّة فضيلةً نقديّة ، ويلعب بذلك دومًا دور الضّحيّة" [1 2] (بيير زيما 2003).

هذا يفيد بشكل مباشر أنّ مقصد التّفكيك من وراء مقولة الهامشيّة ليس إشاعة فكر الاختلاف ولا التّعدديّة الفكريّة، وإنّما استغلال فضيلة الهامش، في حين أنّ الفلسفة التّفكيكيّة لا تخرج عن متن الفلسفة الغربيّة ولا عن النّسق الفكري الغربي ونظامه وبالتّالي هي لا تعدو كونها مرحلة من مراحل سيرورة الفلسفة الغربيّة، ذلك أنّ "«دريدا» لا ينسحب أبدًا من اللعبة الفلسفيّة التي

يحترم أعرافها حتى في الفروقات الطّقسيّة التي لا تصدم إلاّ الأصوليين، إذ لا يمكنه أن يقول إلاّ فلسفيًا حقيقة النّصّ الفلسفي" [13] (بيير زيما 2003).

من هنا يمكننا القول أنّ الهامشيّة رغم أنّها ليست مقولةً محوريّة ولا آليّة مركزيّة من آليات التّفكيك (كالاختلاف المرجئ والغراماتولوجيا ...)، لكنّ مقولة ضمنيّة اشتغل عليها الفكر التّفكيكي، وشكلت أحد الأهداف التي رسمها التّفكيكيون، وهدفنا في هذه القراءة ليس المقولات المركزيّة التي حدّدها التّفكيكيون أنفسهم، بل نهدف إلى قراءة تنأى عن ترديد ما قاله التّفكيكيون عن أنفسهم، لذلك يمكننا التّصريح باستنتاجنا المتعلق بمقولة الهامش والذي مفاده أنّها مقولة مركزيّة في النّقد التّفكيكي وينطبق عليها الكثير مما ينطبق على المفردات المركزيّة في التّفكيكيّة، ومن ذلك أنّها تحمل في طيّاتها بنيّة ثنائيّة ضديّة، فظاهرها هو الانتصار للمهمش والمقموع، غير أنّ غايّة الطّرح التّفكيكي من ورائها، هو لعب دور الضّحيّة وجعل الهامش الدّيباجة الظّاهرة وشعار التّفكيك لتحتل موقع الهامش من الفلسفة الرّسميّة، وهذا ما يشكل فضيلةً وامتيازًا.

3- **التّطرف إمكانيّة كامنة في الطّرح التّفكيكي:** يتعارض ادعاء التّطرف إمكانيّة كامنةً في الفكر التّفكيكي مع الشّعارات المعلنة للتفكيكيين وأشياعهم بل يصل حدّ التّناقض الصّريح مع أقوالهم، فالتّفكيكيّة تقوم بالأساس على مبدأ حريّة التّأويل، وأحقيّة كل إنسان مهما يكن انتماؤه في التّعبير عن خصوصيته وفرادته، ومن هنا كان مبدأ لا نهائيّة التّأويل، أو بالأحرى أنّ كل تأويل هو تأويل مغلوط وصحيح في الآن ذاته (وهذا ما تترجمه مقولة الحضور والغياب) وذلك أنّ التّأويل لا يخضع إلاّ لحالة المؤول لحظة اقترانه بالموضوع (وهذا تفاديًا للاعتماد على مرجعيات معيّنة خلفياتً للقراءة، تؤدي إلى الحجر على المعنى والحقيقة وعدم الاعتراف بالآراء المخالفة)، والتّأويل الذي يعطى للظاهرة أو

النّصّ لا ينفي إمكانيّة تأويلات أخرى، ونتيجةً لعدم الاعتماد على أصول ومرجعيات مستندًا للحكم بالصّحة أو الخطأ، يصبح كل تأويل صحيحًا؛ فعلى أي أساس يمكن تغليطه، ولكن لاحتمال تعارضه مع التّأويلات الأخرى فيصبح الأمر خبط عشواء، يدخل احتمال الغلط كأمر لا مناص منه، فيصبح كل تأويل يحتمل الصّحة بالقدر نفسه لاحتماله الغلط، وهكذا يصير التّأويل صحيحًا وخاطئًا في الآن ذاته وبتعبير أكثر دقة يصبح المعنى حاضرًا غائبًا معاً وكذلك الأمر بالنّسبة لمفهوم الحقيقة، ولاستحالة هذه المعادلة موضوعياً وميدانيًا (ولا يمكن القول عقليًا أو منطقيًا لأنّ هذه المفردات منبوذة في الطّرح التّفكيكي، ذلك أنّ مفهومي العقل والمنطق من تجليات ميتافيزيقا الحضور والفكر التّقليدي الأحادي) تطرح السّيرورة نتيجةً حتميّة وتحصيل حاصل.

هذه الطّروحات المعارضة لكل الأصول والمرجعيات، والمعاديّة لمفهوم الإنسان من حيث نفيها للشرط التّواصلي في كل عمليّة لغويّة، بإشاعتها لمبدأ لا نهائيّة الدّلالة التي تعارض ضرورة وجود سقف تداولي لكل عمليّة لغويّة تواصليّة، كل هذا يجعل طروحات التّفكيك استفزازيّة (إن جاز لنا القول)، ما ينجر عنه ردود فعل تجاهها (ولعل هذا من بين الأسباب التي أدّت إلى رواجها في أمريكا أكثر من أوروبا)، لكنّ رواد التّفكيكيّة لا ينزعجون من هذه الرّدود مهما بلغت حدّتها لأنّها في الواقع من صلب الاستراتيجيّة التّفكيكيّة، فهي البرهان الذي لا مراء فيه على وجود النّزعات المتطرفة الرّافضة لمبادئ التّعدد والاختلاف، وفي هذه النّقطة بالذّات يقول "جون إليس": "ما يثير الغرابة الشّديدة في ردود المؤيدين للتفكيك على ما يلقاه موقفهم من هجوم أنّهم يبدون سعداء تقريباً بذلك الهجوم، كما لو أنّ الهجوم نفسه كان ضروريًا حتى يكتمل موقفهم وتظهر قوته" [14] (جون إليس 2012). لهذا فليس من المجدي حسبه أن يندفع النّقاد خلف إثبات تهافت

هذه الرّؤية، التي لا يكمن فشلها في كونها نظريّة باطلة [15] (جون إليس 2012) إنّما في التناقض الظّاهر مع واقع الممارسة النّقديّة ونتائجها.

والقضيّة لا تتوقف عند حدود أنّ التّفكيكيّة تحتاج إلى ردود فعل أو نقد خارجي لتثبت متانة ادعاءاتها وتقوي موقفها في مسألة النّزعات المتطرفة، بل يتعدى الأمر ليصبح مسألة وجود، ويدفعنا الأمر إلى التّساؤل حول ضرورة وجود فكر كالتّفكيكيّة إذ لو لم تكن هناك هاته النّزعات المتطرفة والإمبرياليّة الفكريّة، لا يعود هنالك سبب فعلي يؤدي إلى قيام الطّرح التّفكيكي كتيار فلسفي ونقدي يعادي التيارات المتطرفة. وهذا ما يدفعنا إلى القول بأنّ التّفكيكيّة تتغذى على هذه النّزعات المتطرفة بل تستمد منها شرعيّة بقائها والحق أنّ هذا ما يراه كذلك بيير زيما في نقده للتفكيكيّة، إذ يقول: "إنّ التّفكيكيّة والنّزعة المحافظة تشكل نوعًا من التّكافل حيث تتغذى إحداهما من الأخرى، وهكذا تستمر في الحياة أفكار تستحق الزّوال" [16] (بيير زيما 2003). وهذا يضع التّفكيكيّة في الخانة نفسها مع التيارات المتطرفة، ذلك أنّها لم تقف موقفًا وسطًا في الرّد، وإنّما وقفت تمامًا على طرف النّقيض، فواجهت تطرف الحجر على المعنى والحقيقة، بتطرف التّمييع والسّيرورة اللامنتهيّة.

كما أنّه إذا عدنا إلى قضيّة اشتغال الدّلالة ولا نهائيّة التّأويل، فيمكن القول أنّ الرّؤى السّابقة للتفكيك كانت تؤمن بوجود تأويلات صحيحة وأخرى خاطئة، أو بكلام أكثر دقة تأويلات يحتملها النّصّ وأخرى مقحمة لا يمكن للنّصّ بناءً على لغته وسياقه أن يحتملها، وهذا –دون الخوض في التّفاصيل- يشكل مناعةً ضد الأفكار المتطرفة أو ضد استعمال النّصوص لأغراض ذاتيّة محضة، بينما لا تعترف التّفكيكيّة عمليًا وفي قضيّة التّأويل بوجود تأويلات متطرفة تستعمل النّصوص ولا تؤولها، فعلى أي أساس يمكن تقديم هذا الحكم وهي بهذا تسمح لآراء متطرفة وتأويلات تستعمل النّصوص بالوجود، بل هي

عمليـاً تسـمح بوجـود آراء قـد تكـون إرهابيّـة تسـتعمل النّصـوص الدّينيّـة مـثلاً وتستعملها لتبرير أعمال إجراميّة، وهذا بداعي حريّة التّأويل، فالآراء التّكفيريّة الإسـلاميّة الـتي تسـتعمل نّصّوص الدّيانـة الإسـلاميّة (القـرآن الكـريم والحـديث النّبوي الشّريف) سندا لإثبات شرعيّة أعمالها، لا يمكن في منطق التّفكيك الرّد على تأويلاتهم، لأنّ ذلك وببساطة كبح لعمليّة التّأويل وحجر غير مبرّر على المعنى والطّامة الأكبر أنّ القضيّة لا تتوقف عند حدود الممارسة الفكريّة والجدل المنطقي، بل تترجم إلى أعمال ميدانيّة والأمثلة على ذلك أشهر من أن تذكر. ولا يمكن الرّد في منطق التّفكيك؛ فلكل الحق في التّعبير عن خصوصيته، ولكل جماعة بشريّة الحق في التّعبير عن تميزها، من هنا ظهر ما يسمى بحقوق الأقليات، والشّواذ، ولكن المشكلة لا تتوقف عند حدود الحق في الاختلاف، بل تذهب إلى حد إلغاء الإنسانيّة المشتركة بتركيز كل جماعة فقط بما يميزها عن الأخريات، وصنعها بذلك لانتمائها الضّيق وولائها لذلك دون الانتباه إلى ما هو مشترك، وهذا الإصرار على أنّ كل أعضاء الجنس البشري هم مجموعة من الأقليّات (لكل هويته المتفردة) يعني أنّه لا توجد أغلبيّة ويعني أنّه لا توجد إنسانيّة مشتركة وأنّ لكل أقليّة حقوقًا مطلقة، وهو ما يعني في واقع الأمر أنّ لا توجد إنسانيّة مشتركة وإنّما توجد حالة الطّبيعة/ المادة، وهي حالة صراع ماديّة [17] (عبد الوهاب المسيري 2007)، إنّ هذه القراءة تدفعنا إلى التّساؤل حول مدى شرعيّة الاختلاف والحريّة في الطّرح التّفكيكي، يبدو أنّ من يتحدثون عن الحريّة هم أبعد النّاس عنها، ذلك أنّهم يتحدثون عن حريتك وكأنّهم أولى منك بحريتك،أو أنّهم يطلبون منك ممارسة الحريّة على طريقتهم، أي بالمختصر المفيد يجب أن تكون حرًا على الطّريقة التي يحددونها، فعلى سبيل المثال للتعبير عن كونك حرًا وديمقراطيًا يجب أن تنتخب مثل ما ينتخب الأمريكي وإلاّ فأنت تقبع في حبائل الدّيكتاتوريّة... والأمثلة من هذا القبيل

كثيرة، والحقيقة أنّ مقولات المساواة وحريّة الرّأي والتّأويل التي دعت إليها التّفكيكيّة، وفكر ما بعد الحداثة لا يخرج عن هذا النّسق، فإذا اتفقنا على أنّ مبدأ المساواة يشكل فضيلة إنسانيّة، فالإشكال علام تقوم هذه المساواة؟، فحتى المساواة هنا تكون على الطّريقة التي يريدها الطّرف المسيطر، وهذا قمة العنصريّة والتّطرف أو هو ممارسة عنصريّة غير تقليديّة، فلقد مرّ مفهوم العنصريّة بمرحلتين؛ الأولى تقوم على مبدأ التّفاوت، ومثال ذلك أنّ الإنسان الغربي متفوق على غيره من الأجناس الأخرى المتخلفة فطرياً، والتي تتوارث أسباب التّخلف بشكل جيني [18]، ومن أمثلة هذا التّوجه العنصريّة النّازيّة الألمانيّةوفكرة الجنس الآري الرّاقي، والأجناس الدّون من الأفارقة والعرب واليهود...، ومن الأمثلة كذلك الاستعمار الغربي الحديث الذي رأى في غيره من الشّعوب المستعمرة مجرد مادة استعماليّة يمكن للغرب استغلالها لمواصلة مشروعهم الحضاري، فتلك الشّعوب لا يمكنها بأي حال من الأحوال أن يحكموا أنفسهم أو يؤسسوا لحضارة موازيّة للحضارة الغربيّة، لهذا فالأسلم هو استعمالهم، لكنّ عنصريّة ما بعد الحداثة [19] والتّفكيكيّة على وجه الخصوص، لا تقوم على مبدأ التّفاوت الفطري بين البشر، وإنّما على المساواة التي تصل حدّ التّجريد من القيم الإنسانيّة (كسنة الاختلاف بين الشّعوب في المأكل والملبس والثّقافة والدّين ورؤيّة الوجود) وهنا تظهر العنصريّة وهاته العنصريّة "ليست معاديّة لجماعة بشريّة بعينها لحساب جماعة أخرى، وإنّما هي عنصريّة موجهة ضد العنصر الإنساني ذاته ككائن متميز وضد مفهوم الطّبيعة البشريّة والمرجعيّة الإنسانيّة" [20] (عبد الوهاب المسيري 2007).

وعلى هذا الأساس ظهرت العديد من الآراء النّقديّة ترى أنّ الطّرح التّفكيكي فلسفة معاديّة للإنسان، ذلك أنّها في تحديدها لمفاهيمها واستراتيجياتها طبيعة الإنسان ومن ذلك ما سيق في هذا العنصر حول النّزعة العنصريّة الكامنة في الطّرح التّفكيكي رغم أنّها لا تظهر بشكل مباشر.

4. قائمة المراجع:

- إمبرتو إيكو، التّأويل بين السّيميائيات والتّفكيكيّة، ترجمة: سعيد بنكراد ط1 المركز الثّقافي العربي، بيروت والدّار البيضاء، 2000.
- بيير زيما، التّفكيكيّة دراسة نقديّة، ترجمة: أسامة الحاج، دار مجد، بيروت، ط2 2006.
- جون إليس، ضد التّفكيك، تر: حسام نايل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1 2012.
- جون ليشته، خمسون مفكراً أساسيا معاصرًا من البنيويّة إلى ما بعد الحداثة، ترجمة: فاتن البستاني، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت، د.ت.
- عبد السّلام بنعبد العالي، ميثولوجيا الواقع، دار توبقال، الدّار البيضاء، ط1 1999
- عبد العزيز بن عرفة، الدّال والاستبدال، دار الحوار، اللاذقيّة، ط1، 1993.
- عبد العزيز حمودة، الخروج من التيه، سلسلة عالم المعرفة العدد 298، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2003.
- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، سلسلة عالم المعرفة العدد 232، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 199
- عبد الوهاب المسيري، الفلسفة الماديّة وتفكيك الإنسان، دار الفكر، بيروت، ط2 2007.
- علي حرب، نقد النّصّ، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، ط4، 2005.

6. الهوامش:

[1]- جون إليس، ضد التّفكيك، تر: حسام نايل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1 2012، ص 187.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 188 وما بعدها.

[3]- عبد السّلام بنعبد العالي، ميثولوجيا الواقع، دار توبقال، الدّار البيضاء، ط1، 1999 ص 83.

[4]- إمبرتو إيكو، التّأويل بين السّيميائيات والتّفكيكيّة، ترجمة: سعيد بنكراد ط1 المركز الثّقافي العربي، بيروت والدّار البيضاء، 2000، ص 121.

[5]- علي حرب، نقد النّصّ، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، ط4، 2005، ص 197.

[6]- إمبرتو إيكو، التّأويل بين السّيميائيّة والتّفكيكيّة ص 26.

[7]- عبد العزيز بن عرفة، الدّال والاستبدال، دار الحوار، اللاذقيّة، ط1، 1993، ص 17.

[8]- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، سلسلة عالم المعرفة العدد 232، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص 10.

[9]- جون ليشته، خمسون مفكراً أساسيا معاصرًا من البنيويّة إلى ما بعد الحداثة، ترجمة: فاتن البستاني، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت، د.ت. ص. 224.

[10]- بيير زيما، التّفكيكيّة دراسة نقديّة، ترجمة: أسامة الحاج، دار مجد، بيروت، ط2 2006، ص 158- 159.

[11]- عبد العزيز حمودة، الخروج من التيه، سلسلة عالم المعرفة العدد 298، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2003، ص 151.

[12]- بيير زيما، التّفكيكيّة دراسة نقديّة، ص 161.

[13]- المرجع نفسه، ص 160.

[14]- جون إليس، ضد التّفكيك، ص 138.

[15]- المرجع نفسه، ص 140.

[16]- بيير زيما، التّفكيكيّة دراسة نقديّة، ص 167.

[17]- عبد الوهاب المسيري، الفلسفة الماديّة وتفكيك الإنسان، دار الفكر، بيروت، ط2 2007، ص 190.

[18]- نفسه، ص 180.

[19]- عبد الوهاب المسيري لا يفرق بين التّفكيكيّة ومابعد الحداثة، إذ يرى أنّ المصطلحين متقابلان، أنّ مقولة التّفكيكيّة مطابقة في مفهومها لما بعد الحداثة أو مجرد تنويع عنها ينظر كتابه المشترك مع فتحي التّريكي، الحداثة ومابعد الحداثة. دار الفكر، بيروت، ط1 2004.

[20]- عبد الوهاب المسيري، الفلسفة الماديّة وتفكك الإنسان، ص 187.

مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 22 العدد: 50 السّنة: الثّلاثيّ الثّاني 2020 ص: 545 - 586

هل يمكن للتابع أن يُسمع؟:
النظريّة السّياسيّة، الترجمة، التمثيل وغياتري شكرافورتي سبيفاك

Can the Subaltern Be Heard ?:
Political Theory, Translation, Representation, and J. Maggio[1] Gayatri Chakravorty Spivak

أ. يونس سلاّم[2].

تاريخ الإرسال: 07 04 2019 تاريخ القبول: 29 09 2019

ملخّص: تطرق موضوع غياتري شكرافورتي سبيفاك: «هل يمكن للتابع أن يتحدث؟» إلى حدود مقدرة الخطاب الغربي، والخطاب ما بعد الكولونيالي على التّفاعل مع ثقافات متباينة. وفي هذا المقال الذي نحن بصدده سنعمل على الإشارة إلى إمكانيّة أن تكون هذه الحدود هي المسيطر فعلاً. حيث نجد عديد التّعقيبات التي خُصت بها سبيفاك مركزةً على قراءتها لماركس من خلال منظور دريدا ومقولتها حول المخبر الأصلي «native informant»، الذي يتم إنشاؤه وتدميره في الآن ذاته. أؤكد أنّ شروط الارتباط بالنّسبة لسبيفاك تتضمن موضوعاً ضمن الليبراليّة المستقلة التي تتحدث بشكل حركي نشط علاوة على ذلك وبالنّظر إلى حدود الفهم التي ينطوي عليها مقال سبيفاك فإنّني أدعو إلى قراءة الثّقافة / الثّقافات على أساس افتراض أنّ جميع الأفعال تقدم دوراً تواصلياً، لذا بإمكان الفرد فهم ثقافة جماعةٍ عن طريق ترجمة

[1]) University of Florida, 4222 NW 19th Place, Gainesville, FL 32605. E-mail: jmaggio@polisci.ufl.edu

[2]) أستاذ في جامعة بودواو - بومرداس- (الجزائر)، البريد . younes.sellam8@gmail.com :

مختلف سلوكاتهم التي تخص ثقافتهم. وعلى هذا الأساس أرى أنّ عنوان موضوع سبيفاك سيكون أكثر دقة لو كان بهذا الشّكل «هل يمكن للتابع أن يُسمع؟»

الكلمات المفتاحيّة: سبيفاك، ما بعد الكولونياليّة، ثقافة، ترجمة، نظريّة سياسيّة.

Abstract: Gayatri Chakravorty Spivak's essay "Can the Subaltern Speak?"questions the notion of the colonial (and Western) "subject" and provides an example of the limits of the ability of Western discourse, even postcolonial discourse, to interact with disparate cultures. This article suggests that these limits can be (partially) overcome. Where much commentary on Spivak focuses on her reading of Marx through the prism of Derrida, and on her contention that the "native informant" is simultaneously created and destroyed, I contends that Spivak's terms of engagement always imply a liberal–independent subject that is actively speaking. Moreover, given the limits of understanding implied by Spivak's essay, I advocate a reading of culture(s) based on the assumption that all actions offer a communicative role, and that one can understand cultures by translating the various conducts of their culture. On this basis I argue that the title of Spivak's essay might be more accurately stated as "Can the Subaltern Be Heard?"

Keywords: Spivak, postcolonial, culture, translation, political theory

مقدّمة المترجم: لقد شغل مقال النّاقدة الهنديّة غياتري شكرافورتي سبيفاك «هل يمكن للتابع أن يتحدث؟» العديد من الدّارسين في مختلف الحقول المعرفيّة منذ صدوره في مؤتمر «الماركسيّة وتفسير الثّقافة» الذي انعقد عام 1983م، وتمّ نشره في عام 1988م، وذلك لما اكتساه من أهميّة بالغة في تفكيك الخطاب الغربي الكولونيالي ومحاولة الذّود عن خصوصيّة الثّقافة الهامشيّة والدّعوة إلى فهمها من عمق المجتمع الذي تبلورت فيه وليس من منظار متعالٍ ينأى بشوفينيته عن كلّ إمكانيّة تقارب بين معيار الأنا وثقافة الآخر. كما تنمّ صيغة المقال الاستفهاميّة على ألق راود النّاقدة طويلاً دفعها للاستنكار والتّعجب لحال هذا التّابع الذي لا صوت له أو لهو صوت غيبته مختلف وسائل الاسكات باحثة في ثنايا ذلك عن إمكانيّة توفر سياقات ثقافيّة مواتيّة تسمح له بالتّحدث وإسماع صوته بعدما سلبته قوى الهيمنة الامبراطوريّة حقّ تمثيل نفسه من خلال سلبها حقّ الكلام الذي يعدّ القناة الأساسيّة في تأسيس معرفة منسجمة مجسدة لهذا التّابع.

ويعدّ المقال مكوّناً جوهرياً ومنعرجاً حاسماً في سلسلة أبحاث ودراساتٍ عُرفت بـــ«دراسات التّابع» التي أسس لها ثُلة من المفكرين الهنود على رأسهم «رانجيت غوها»، أين عملوا على توجيه البحث نحو الفئات المهمشة في المجتمع الهندي بدل التّركيز على البرجوازيّة البريطانيّة وما أفرزته من أزمات على أنّها الفاعل في كلّ ما يحدث في الهند، فأرادوا في هذا السّياق إعادة كتابة تاريخ للهند انطلاقاً من "صوت" الفئات الأقل حظاً وحضوراً في المشاهد السّياسيّة بدل اعتماد السّرديّة التّاريخيّة النّخبويّة. وفي هذا يبدو تأثر هؤلاء واضحاً بمنهج المؤرخين البريطانيين الماركسيين الذين دعوا إلى «كتابة التّاريخ من تحت» وإبراز ذلك الدّور المحوري للفلاح والحرفي والصّياد .... وكل مكوّنات الفئات التّابعة في كتابة تاريخ البلد. هذه الفئة التي ظلّ "صوتها" مُغيّباً في تأريخ النّخبة

والامبراطوريّة خلف ضمير الغائب يجب أن يجد له مكاناً –حسب غوها- عبر بنى الوعي الأهليّة (بنى التّقاليد، القرابة، الدّين، البنى الطّبقيّة ...). لكن هل يجد "صوت" التّابع صدى له في ظلّ هذا الانسداد السّلطوي بين الامبراطوريّة والفئات المهمّشة؟ وهل يجد هذا "الصّوت" يوماً سياقات ثقافيّة تُتيح له فرصة سماعه وتمثيل نفسه؟. وهل يمكن للتابع أن يتخلص من هذا العنف "الإبستيمي" أو "اللوغوس الغربي" الذي تفرضه القوى المهيمنة؟ وهل يمكنه الخروج من هامش الخطاب المركزي ليتموضع في مركز بديل غيره؟

مقدّمة المؤلّف: إلى جانب كتاب «الاستشراق» لإدوارد سعيد يعد عمل «هل يمكن للتابع أن يتحدث؟» لغياتري شكرافورتي سبيفاك الأكثر تأثيرا في مجال النّظريّة ما بعد الكولونياليّة [1]. فلقد امتد تأثيره لتخصصات عديدة مثل: التّاريخ، الأنتروبولوجيا، علم الاجتماع الدّراسات الأدبيّة، الدّراسات النّسويّة والدّراسات الثّقافيّة ... وأخرى.[2]

ففي عملها الشّهير طرحت سبيفاك أسئلة عن مفهوم "موضوع" المستعمِر (والغرب) وأكّدت أنّ المفكرين الأوروبيين افترضوا أنّهم يعرفون الآخر، ويمكن أن يضعوه في سياق قصة المضطهد: «على [المثقفين] أن يحاولوا كشف ومعرفة خطاب المجتمع الآخر»[3] في الواقع، من خلال الفعل الإبستيمولوجي (معرفة/ عنف). لأنّ مأسسة الآخر (إضفاء الطّابع الأساسي على الآخر) هو دائما تعزيز لخطر الإمبراطوريّة. وكما كتبت سبيفاك: «ليس هناك لغة أكثر خطورة من تحويل أسماء الأعلام إلى أسماء شائعة – بالتّرجمة – واستخدامها كأدلة اجتماعيّة[4]، فكل منطق ثقافيٍّ متسامٍ هو في جوهره إمبريالي».[5]

فمثل إدوارد سعيد تريد سبيفاك فضح الطّبيعة المتواطئة للأدب والنّخبة المثقفة التي غالبا ما تبدو بريئة في المجال السّياسي للاضطهاد[6]. فالنّخبة المثقفة الغربيّة والجنوب غربيّة الأكاديميّة عادة ما تتظاهر وتتصنع لكي لا

تكون مُلامة في مجال الاستعمار. بعبارة أخرى، فإنّ الفكر الغربي «يتنكّر على أنّه تاريخ غير مهتم، حتى وإن تجرأ ناقد وافترض لمسه للاوعيه»، فالأكاديميّة هي جزء من المشكلة وجزء من الحل.

كتبت سبيفاك :«أعتقد أنّه من المهم الإقرار بتواطئنا من خلال الصّمت، من أجل أن يكون الأمر أكثر فعاليّة على المدى الطّويل». ومن ثَمَّ، فإنّ المثقف الغربي هو تقريبا – في الفكر النّقيض لدريدا – الضّابط لحدود الخطاب وطرد اللاخطاب وبإعطاء هذه الحدود للخطاب تقرُّ سبيفاك بأنّ «النّظريّة» لها قيمة محدودة بالنّسبة للتابع[8]. في الواقع، على الرّغم من أنّ سبيفاك تريد أن تجعل – على سبيل المثال– «الحركة النّسويّة» أكثر تنظيراً، فهي تدرك أنّ التّابع «لا يمكن أن تخدمه الدّعوة إلى المزيد من التّنظير في المجتمع الأنجلو- أمريكي»[9]. فالنّظريّة – على الرّغم من قوتها – لا يمكن أن تعمل كإكسير لقضايا التّابع فالسّؤال الأساسي إذاً: ما هو دور الأكاديميّة؟ وهل هناك مكان لتحرير الرّغبات الفكريّة في دراسة التّابع؟ فهذا ما يضع المثقف في موقف غريب إلى حد ما، وهو موقف لا يمكن أن تكون فيه الليبراليّة المتعددة الثّقافات بشكلها البسيط حلاًّ[10]. فعلى الرّغم من أنّ الليبراليّة تسعى إلى الحياديّة، إلاّ أنّها في الواقع تدمر كل اختلاف.

مثل ما كتب J.G.A Pocock :« [قصة المضطهد] ستكون جزءاّ من قدرة الليبراليّة على استيعاب كل اختلاف، وستعزّز بذلك قدرتها»[11]. في الواقع – بحسب سبيفاك- فإنّ «موضوع» ما بعد الحداثة - وبشكل جذري- لا يزال استعماريا[12]. ومع ذلك هناك الرّغبة والحاجة إلى تطوير المصادر للبدء في الحديث عن الثّقافة على أنّها نتاجُ تعدد المسارات[13].

وبالنّظر إلى هذه الرّغبة في التّواصل مع (وحول) التّابع، في هذه المقالة أؤكّد أنّ العمل البارز لسبيفاك يقدم مثالاً على حدود قدرة الخطاب الغربي، وما بعد

الكولونيالي في التّفاعل مع الثّقافات المتباينة. مع ذلك، يمكن –إلى حدٍّ ما– تجاوز هذا المثال. في حين أنّ معظم من عقّب على سبيفاك (نقاد و معجبين) قد ركّزوا على موضوع الذّاتيّة /الاختلاف /التّغيير، أو كما كتب Terry Eagleton حول محاولة سبيفاك يمكن «أن تكون ظلاميا كما يمكنك بكل احترام أن تُفلت منه»[14].

سأقدم قراءة تتحدى الشّرح التّقليدي لمقال سبيفاك. فمعظم شارحي مقال سبيفاك لاحظوا أنّها تؤكّد دائما على أنّ كلَّ المُطالبات بالذّاتيّة - بما في ذلك ذاتيّة ما بعد الحداثة- هي في أساسها الجوهري شكلٌ من أشكال الاستعمار الجديد. وبهذا المعنى فإنّ معرفة سبيفاك ارتكزت أساسا على قراءتها لماركس من خلال منظور دريدا، وعلى مقولتها حول «المخبر الأصلي» الذي يتم إنشاؤه وتدميره في الآن ذاته. على النّقيض من ذلك، أؤكّد أن شروط الارتباط تتضمن دائما موضوع الليبراليّة المستقلة التي تتحدث بشكل حركي نشط.

إضافة إلى ذلك، فمن الوقاحة الافتراض أنّ كلّ الثّقافات تتحدث بنفس اللغة عن «الهويّة»، ومن ثَمّ فإنّ أفضل ما يمكن أن يفعله النّاقد الغربي (المواطن) هو «الانفتاح» بطريقة تمكّنه من السّماع والفهم. لذا أرى أنّ أفضل طريقة لفعل ذلك –لـ«ترجمة» اللاغرب- هي محاولة فهم كل الأفعال كشكل من أشكال التّواصل، لتفسير هذا التّواصل وفقاً لشروطه الخاصة به. وبالنّظر إلى حدود الفهم التي يتضمنها مقال سبيفاك. فإنّني أدعو إلى قراءة الثّقافة (الثّقافات) على أساس افتراض أنّ كلّ الأفعال –إلى حدٍّ ما– تقدّم دوراً تواصلياً. وبالتّالي يمكن للمرء أن يفهم ثقافة جماعة عن طريق ترجمة السّلوكات المختلفة لثقافتهم، فمن خلال تبني هذه النّظرة الأكثر انفتاحاً للخطاب والتّواصل لن يطمح أحد إلى إعطاء الامتياز للثقافة الغربيّة (أو أيٍّ ثقافة)، وليس بوسعه إلاّ أن يحاول فهمها من منطلق عبر- ثقافي. مع وضع هذا النّقد في الاعتبار أؤكّد

أنّ عنوان مقالة سبيفاك سيكون أكثر دقّة لو كان بهذا الشّكل: «هل يمكن للتابع ان يسمع؟».

1) ماركس، دريدا والتّابع الذي لا يتحدث لسبيفاك:

مفهوم التّابع قد يكون شاقاً لأنّه يعمل بشكل غامض للغايّة للإشارة إلى «الاضطهاد» أو «الغيريّة»[15]. لذا رفضت سبيفاك هذا التّعريف وعرضت فكرة وصف التّابع فقط. لأنّ هذا (التّعريف/الوصف) – بالطّبع – مهم كونه يعزّز فكرة أنّ التّابع لا يمكن أن يتموقع إلاّ في سياق السّيطرة الامبرياليّة. بهذا المعنى فإنّ (اللاتعريف) الذي عرضته سبيفاك سيعمل كدرع واقٍ ضد اتّهامها بان طرحها ضرب من الماوراء فلسفي.

وبالطّبع، فإنّ الماوراء فلسفيات هو بالضّبط ما تريد سبيفاك تجنبه. وهذا– تقريبا- السّبب الذي جعلها تعمد إلى توظيف جوهر بعض المفاهيم الإجرائيّة الماركسيّة فضلا عن دراستها لمفكريْن تأثرا بماركس هما: فوكو و دلوز. فإذا حاول ادوارد سعيد المزج بين فوكو وغرامشي، فإنّ سبيفاك تريد إدخال عصا دريدا بين المفكرين (فوكو– دلوز). في الواقع- وكما ذكر أعلاه- فقراءة سبيفاك هي مثل محاولة قراءة ماركس عبر دريدا لفهم الفكر الماركسي عندما ينصّ على «أنّ القيم المستخدمة هي ضرب من الخيال النّظري» وأنّ «مسائل الأصل تصبح مسائل عمليّة».[16]

وكما يشير Forest Pyle، فإنّ عمل دريدا يعمل كـ«رافعة» لسبيفاك في استجواب أسس التّقاليد الفلسفيّة الغربيّة[17]، وفي استجواب هذه الأسس تسعى سبيفاك –عكس سعيد- إلى إحياء «ماركس القابل للاستخدام»[18].

ولا يمكن لـ «ماركس القابل للاستخدام» أن يستند على مفاهيم قديمة حول «التّمثيل» تعود إلى عهد ما قبل الطّوفان. فماركس –حسب سبيفاك-

يستعمل مصطلحين جرمانيين للفعل (تمثيل) وهما Vertreten الذي يعني: « لِملء» أو «الوقوف في مكان» وDarstellen الذي يتضمن « إعادة التّمثيل».

هذه المصطلحات مرتبكة (في التّرجمات)، فعندما يكتب ماركس: «لا يستطيع مُلاك الفلاحين البسطاء تمثيل أنفسهم، لذا يجب أن يتمّ تمثيلهم»[19] ومع ذلك، في لغات أخرى كلا المصطلحين يُحدَّدان –عموماً- على أنّهما (التّمثيل). إضافة إلى هذا فإنّ هذين المعنيين للتمثيل هما ضمن – تشكيل الدّولة والقانون- من جهة، وموضوع- التّنبؤ من جهة أخرى- مرتبطان، ولكن قطعاً ليس بشكل متواصل[20]. تتضمن Vertreten فهما كاملا لموضوعٍ مُمثَّل يكاد يكون الأمر كما لو أنّ المَمثِّل يمتلك وكالة كاملة للموضوع المُمثَّل «ملءٌ» كاملٌ، وعلى النّقيض من ذلك، فإنّ Darstelling تتعلق بتمثيل «الدّائرة الانتخابيّة»، والأمر ليس مجرد إعطاء صوت، بل يتعلق بتشكيل المجموعة المهمشة والعمل من أجلها، وتمثيلها وتمثّلها[21]. ومن ثَمَّ فإنّ المقاربة الغربيّة للتابع هي إمّا أن تتحدث باسمه أو تسمح له بالتّحدث عن نفسه صامتاً. فكِلتا الاستراتيجيتين تُسكتان التّابع لأنّهما يتجاهلان الموضوع الذي يفرضه المهيمِن على التّابع في علاقاتهما.

وبالتّالي فإنّ دمج مفهومي التّمثيل معاً سيؤسس لشلل التّابع، فلا يمكنه أبداً أن يتحدث لأنّه «واقف» و«مجسد» من طرف الآخرين في الخطاب المهيمِن.

وباستخدام المصطلحات الماركسيّة، فإنّ الرّأسماليّة العالميّة والتّحالف الوطني لا يمكنهما شرح «تركيبة القوة»[21]. أو بعبارة أخرى، فإنّ الماركسيين أسكتوا التّابع من خلال «إعادة» تمثيله في خطاب لا يملك فيه مهمة التّحدث. وكتبت سبيفاك أنّ تفاهة قوائم المفكرين اليساريين للتّعرف على الذّات- سياسياً- تجعل التّابع الحذق يقف مكشوفا ومُمثِّلاً لهم، وبمثل هذا يمثل المفكرون أنفسهم بكل شفافيّة[21]. بعبارة أخرى، تمثيل الآخر يدمِّر ذاتيّة التّابع.

تشير سبيفاك إلى أنّ تركيز دلوز على «نضال العمال» هو دلالة على مركزيته الأوروبيّة، إنّه «الولاء»[24]، فلا مجال للتّستر على طريقة دلوز في تقييم الأفكار، الثّقافة أو الأيديولوجيا[25]. هذا المشكل ظهر في«المطلب» الشّائع الذي وجهه اليسار «الجديد» الدّائم للرئيس Mao القاضي بـ: «أنّ استخدام مصطلح «الماوي» في السّياق الأوروبي يهدف إلى جعل آسيا مكشوفة[26].

بالإضافة إلى ذلك –وبحسب سبيفاك- فإنّ التّواريخ الجزئيّة لـ(فوكو) تمجد فقط الطّبيعة الشّخصيّة للمقاومة. هذه التّواريخ تتجاهل نزعات التّاريخ الكلي التي قد تضع التّابع كلاعب مفتاحي. فالنّظر إلى تركيز اوسع للقوة – هو نهج يكاد يكون مناقضا لكل مشروع فوكو – من شأنه أن يعرض الطّبيعة الاستبداديّة للاستعمار في حين تعجز التّواريخ الفوكويّة عن ذلك. إذ لا يستطيع بذلك فوكو «رؤيّة» الاستمراريّة الفكريّة للتاريخ، فهو لا يرى سوى اللاإتساق. مع ذلك فإنّ نضالات الشّعب الكولونيالي «لُعبت في سياق الرّأسماليّة العالميّة والامبرياليّة»[27].

كما ذكرنا سابقاً، عرّف الأوروبيون أنفسهم . تقليدياـ في سياق الآخر«فلقد عزّزت أوروبا نفسها كموضوع أجنبي من خلال تعريف مستعمراتها على أنها «الآخر» بالرّغم من أنّها هي التي أنشأتها»[28] فـ«الذّات» مرتبطة بالمفهوم الكلى للاستعمار. ومثلما كتبت سبيفاك: «المستعمِر يبني نفسه عندما يبني مستعمَرة، فالعلاقة جدٌّ حميمة، ولا يمكن للسر الشّائع أن يكون جزءًا من المعرفة الرّسميّة» [29]. في هذا المعنى بحثت سبيفاك في « فهم الغيريّة كبعد مكانيٍّ بدلاً من البعد الزّمني».[30]

تشرح سبيفاك هذا المفهوم في مناقشتها الممتازة للأفلام الغربيّة التي تصور العالم الثّالثّ، مقابل أفلام ذات موقع «أصلي» وتؤكّد سبيفاك أنّه من النّادر أن يستطيع أحد الإخبار بالحقبة الزّمنيّة لفيلم العالم الثّالثّ، بينما نجد أنّ

التّفاصيل الزّمنيّة لـ«القطعة الزّمنيّة» التي تمّ وضعها في الغرب تكاد تكون دائما واضحة على الشّريط. إنّ لغة سبيفاك، التي تستخدم Frederick Jamson كخلفيّة فكريّة، هي فكرة ثاقبة للغايّة، لذا من المناسب اقتباسها بشكل مطوّل:

يمكن الإشارة إلى زيف المشروع على أكثر المستويات سطحيّة، إذا قارنا ذلك – على سبيل المثال- مع الفيلم الأمريكي «الحنين إلى الماضي» الذي وصفه Frederick Jamson بأنّه «قريب جدًّا من التّاريخانيّة الشّهوانيّة». يري فريديريك جامسون أنّ فترة الخمسينات كانت أعزّ موضوع للرغبة فقده الأمريكان - إلى حدٍّ ما- لأنّها كانت تعني رخاء واستقرار السّلام الأمريكاني. يتحدث الفيلم عن «الاستعمار الخفي للحاضر من خلال أسلوب الحنين إلى الماضي»، فمن خلال فكرة كـ«حرارة الجسم» في الفيلم، لاحظ فريديريك جامسون أنّه قد تمَّ إعداد الإطار بشكل استراتيجي – ببراعة كبيرة – لتجنب معظم الإشارات التي تنقل حاضر الولايات المتحدة في عصره المتعدد الجنسيات ... كما لو أنّ [السّرد] تمَّ وضعه في الثّلاثينيات الغابرة ما وراء التّاريخ. لكن لا حاجة لمثل هذه البراعة لحالة الوهم الزّائف في الهند الامبرياليّة أو إفريقيا الاستعماريّة. فالمناظر الطّبيعيّة الرّيفيّة لغاندي أو خارج إفريقيا تتنكر بشكل هادئ كخلفيّة لحاكم الهند أو للمستعمرة. هي في الواقع، مشهد غير متناسق للريف الهندي أو لأفريقيا اليوم، فالرّنين والصّدى المختلف للمنازل والعالم في الهند وكذا شمال غرب أوربا، لهو مثال على ذلك.[31]

فبينما يمشي الغرب قُدماً في عالم زمني، يبقي العالَم المستعمَر ثابتًا، لا يُقيم اعتباراً لـ«حركة» الزّمن، فـ«الحضارة»، «التّقدم» وحتى «الهويّة الشّخصيّة» دائماً ما تستعصي على التّابع. وبعبارة أخرى، فالغرب يُعرَّف من خلال اختلافيته بين «الحاضر»، «الماضي» و«المستقبل» على خلاف المعنى بالنّسبة للآخر، إذ ليس للعالم المستعمَر هويّة شخصيّة – على الأقل – بحسب إدراك المُشاهِد الغربي لها.

وبالنّظر إلى هذه الفكرة غير الرّسميّة عن الذّات الغربيّة، فإنّ الآخر غالباً ما يكون «مخلوقاً» في فلسفات اختزاليّة - راديكاليّة– مثل الماركسيّة أو ما بعد البنويّة/ما بعد الحداثة على سبيل المثال. تنعكس هذه الماركسيّة الاختزاليّة في تثبيت فوكو للمظلوم كموضوع (كائن قائم بذاته)[32] عموماً، يُخفي التّحليل الماركسي فوكو- دلوز برنامجاً أساسياً مضمونه فكرة الهيمنة للحركة التّأسيسيّة[33]. هذه التّحاليل الماركسيّة تقوم أساساً على مفهوم الآخر أو مفهوم «الدّاخل والخارج»[34]. في الواقع، بقدر ما ينتقد أصحاب ما بعد البنويّة «الموضوع» الأوروبي - وهو بالتّأكيد موضوع مفضل لمثل هؤلاء المفكرين- يتمّ إنشاء التّابع باستمرار. فالمشاركة في النّقد المذكور، معناه الاشتغال على «ما أنتجه الموضوع الاستعماري»[35].

وترى سبيفاك –موظّفةً النّهج الدّيريدي- بإمكانيّة « قياس صمت التّابع» فهذا الموضوع –هو موضوع ديريدي- ممكن الوجود حتّى في سياقٍ يكون فيه الموضوع ثابتاً. ففي هذه الحالات تكون الذّات مثبّتة و«العالم» يتحرّك. وبحسب سبيفاك/دريدا لفهم السّياسات يجب على المرء تفكيك «حركة» العالم حول الموضوع.[36]

في الحقيقة، يُعدّ نهج دريدا الفلسفي الأقلَّ خطورةً، لأنّه يُدرِك ذاتياً مواضعَ الصّلة بين الأحزاب في مجال التّواصل[37]، أو بالمصطلح الدّقيق لسبيفاك فهو يستغيث متوسلاً أو يتّصل بالآخر(الفعلي)[38]. نجد عند سبيفاك تعاطفاً خاصاً مع دريدا، لأنّه يحاول دائماً وضع نفسه في سياق الفلسفة الأوروبيّة، لذلك يعتبر دريدا فيلسوف الإدراك الذّاتي النّموذجي الذي يُسائل دائماً الحدود. فإذا لم يطرح الإنسان أسئلة عن الحدود المذكورة فسيكون هناك دائما خطر مُحدق « يمكن أن يتحوّل إلى أنظمة شموليّة متنوعة»[39]. ومن ثَمّ، هناك الزّام أخلاقي يقضي بضرورة تفكيك أيّ تقليد فلسفي[40].

بتطبيق هذا النّمط من التّفكير تُؤكد سبيفاك بأنّ «السّاتي» ❖ الهنديّة هي شرح لكيفيّة عدم قدرة التّابع على التّحدّث. تسأل: «ماذا قال السّاتي؟»، «هل يمكن للتابع أن يُفهم؟»، أو«هل دائماً يُتحدّث عنه؟». فالسّاتي كان يُفهم إمّا - من خلال اللغة الإنجليزيّة- على أنّه ذبح لنساء بريئات، أو - من خلال الهندوس الذّكور الذين تحدّثوا عن النّساء الهنديات- على أنّه عمل تطوّعي بمحض إرادتهنّ. وبعبارة أخرى، التّابع في هذه الحالة - نساء الهند- لا يملكن صوتاً:

من الواضح أنّني لا أدافع عن قتل الأرامل، فأنا أرى أنّ كلا النّسختين المتضاربتين تمثلان ضرباً من الحريّة. فدستور «موضوع» المرأة في الحياة هو موضع للاختلاف، ففي حالة المرأة الأرملة التي تُضحي بنفسها لا يُعاد تعريف الطّقوس كخرافة ولكن كجريمة. إذ تكمن خطورة السّاتي في كونها - إيديولوجياً- تُعدّ«رسالة اجتماعيّة»[41].

في الواقع، أنّ سبيفاك تعمل على لفت الانتباه إلى أنّ البريطانيين تجاهلوا أنّ السّاتي كثيراً ما يُحرّكه الإرث الثّقافي للأرامل القاضي بالتّضحيّة في سبيل ممتلكاتهنّ (أزواجهنّ). وعليه فُهم السّاتي على أنّه «طقس هندوسي نبيل»، وعلى النّقيض من ذلك على أنّه «طقس هندوسي سيّئ». البريطاني المتحضّر مقابل البدائي صاحب البشرة الدّاكنة[42]. ولم يعتبر أبداً ما تفعله الأرملة من تضحيّة شكل من أشكال «الشّهادة» مع زوج ميّتٍ يقف سدّاً منيعاً من أجل التّسامي والعلو، لقد كان مجرّد جريمةٍ.[43] لقد قبل الهنود الوطنيون قراءة البريطانيين للساتي وجعلوا منه نقطة انطلاق لاستعادة هذه الممارسة. تقول سبيفاك: «إنّ الوقوع في هذا الارتباط المتتابع بين التّدخلات الاستعماريّة (الخيّرة) ونضالات التّحرير الوطنيّة اللذان يعملان على بناء إرادتهما من خلالها، جعل التّابع غير قادر على التّحدّث».[44]

فأصبح مثل الطّفل الذي تمزّق بين والدّيْن مطلقين (أو متزوجين)، فالتّابع يتمّ إسكاته حتّى عند محاولة التّحدّث. ودائماً ما يتمّ تصويره على أنّه خائن أو مقاوم فصوته الخاص به لا يمكن أن يُسمع. فإنتاج موضوع ما بعد الكولونياليّة ينبني أساساً على الخلق الفكري «للغرب» الذي يجعل منه موضوعاً للدراسة على غرار شرق إدوارد سعيد. وبالتّالي فإنّ الغرب لا يمكنه فهم خطاب السّاتي لأنّه غير مترجم.[45] فبحسب سبيفاك لا يمكن للتابع أن يتحدّث.

لقد حاول العديد من الكتّاب الإجابة على سؤال: «هل يمكن للتابع أن يتحدّث؟» موظّفين مصطلحات كانطيّة صريحة، لذا عُدّت محاولاتهم سوء فهم للتعقيد الذي يعتري عمل سبيفاك[46]، وهو بذلك أمر مثير للسخريّة لأنّ كانط يُعدّ «مسألة شائكة» في تحليل سبيفاك خاصة في كتابها: نقد الفكر ما بعد الكولونيالي. لقد فهمت سبيفاك الموضوع الكانطي على أنّه ينبني أساساً على الحكم الجمالي.[47]، فبالنّظر إلى أنّ التّابع لا يملك «ثقافة» فلا يمكنه أن يكون إنساناً حقيقياً. كتبت سبيفاك:

دعونا نلاحظ أنّ الكانطيّة رغم أنّها تسجيل خاص لحكم مبرمج في الطّبيعة، إلاّ أنّه يحتاج إلى وجود «ثقافة». فإذا كنّا بشكل طبيعيٍّ غريبين عنها، فعلينا قراءة وصف كانط للرغبة في أنسنة مناسبة للإنسان من خلال ثقافة متضمَّنة داخل هذا الإطار المتناقض: «فبدون تطوير الفكرة الأخلاقيّة التي نحن بصدد إعدادها بواسطة ثقافة سميناها التّقديم المتسامي للنّفس الخام (الرّجل الخام) سيكون الأمر فضيعاً» ... (نقد الأحكام 105: التّركيز على اللُّغم حسب تأكيد سبيفاك). فصفة خام موحيّة جدّاً، يتمّ ترجمتها بشكل عام بلفظ (غير متعلّم). ففي واقع الأمر عند كانط اللفظ (غير متعلم) يخصّ الطّفل والفقير. و(غير المتعلّمة طبيعياً) هي المرأة. لكن على العكس من ذلك يمكن لعبارة الشّخص الخام أن تستوعب في حدود دلالتّها معنى الهمجي والبدائي...

الرّجل الخام لم يُنجَز بعد أو أنّه لا يمتلك موضوعاً مرافقاً له، أو لا يملك برنامجاً يحوي بنيّة شعوريّة للأخلاق. فهو لا يُعدّ –إلى حدّ الآن– موضوعاً مقسَّماً ومنظوراً إليه ضمن هذه التّساؤلات النّقديّة الثّلاثة. بعبارة أخرى، فهو ببساطة ليس موضوعاً على نحو يكون فيه «بطل النّقد»، والمثال الوحيد لمفهوم الكائن الطّبيعي بعد العقلاني. ويمكن سدّ هذه الفجوة بين الموضوع كما هو، والموضوع بصدد التّكوُّن في ظل الظّروف المواتيّة بحسب الثّقافة[48].

اللغة الموظَّفة أعلاه آسرة، لأنّها تشير إلى أنّ الثّقافة هي مفتاح الموضوع الغربي. بعبارة أخرى، – وبحسب سبيفاك– فإنّ كانط يخلق « الموضوع » خارج حدود القدرة من أجل تشكيل أسئلة وأحكام الجمالي عبر الوكالة البشريّة.[49] ومن ثَمّ، فإنّه إلى الحدّ الذي لا يتحدّث فيه التّابع –أو لا يُسمع أبداً– فهو لا يشارك في الثّقافة الإنسانيّة. وعليه فإنّ صمت التّابع لا يؤدّي إلى تشكيل الخطاب وحسب (بالمعنى الدّريدي)، بل يجعل التّابع بدون «موضوع ثابتِ الوجود». على المستوى المعرفي لا يملك التّابع حقّ الدّخول إلى موضوع كانط، فهو مُبعدٌ بواسطة التّعريف الخارق لهذا الموضوع. ومن ثَمّ، لا يؤسّس كانط للموضوع الغربي الحديث وحسب، بل يساعد أيضاً على تعريف الآخر (اللاغرب).

لكن سأحاول في هذا المقال التّحايل على هذا الأساس الكانطي الذي يعتبر «الثّقافة» التّقليديّة –وبشكل صريح– «حُكماً جمالياً»، وذلك من خلال تقديم طريقة لفهم التّابع تقوم على هذا الأساس الكانطي. فبصرف النّظر عن حلّي المحتمل يجب أن أشير إلى أنّ قراءة سبيفاك لكانط تُزوِّدنا برافعة استراتيجيّة لا يمكن الاستغناء عنها حتّى يمكن تفجير قضايا الموضوع الغربي المتعلق بالهويّة /الغيريّة[50]. بالطّبع، للقيام بذلك يجب على المرء أن يسمع التّابع، لأنّ صمت التّابع يشير إلى استحالة الحديث مع جمهور يرفض الاستماع إليه[51].

2) هل مـــا زال التّابع صامتاً؟ إنّ أهم لغزٍ لسبيفاك هو: «كيف يمكننا أن نقيم حساباً للتابع؟» كيف يمكن للتابع أن يتحدّث؟. فلم يكن في نيّة سبيفاك – في تفسيرها الصّريح- إسكات كلّ نقاش يخصّ التّابع[52]. فعلى المثقف أو أيٍّ كان يحاول تحليل التّابع، أن يُدرك بوعيّ موقعَ القارئ/الكاتب مقابل خطاب التّابع والمهيمن[53]. إذ لا أسهلَ من تمكين (الأصلي) ومنحه القوة، ففي فعل التّمكين نفسه يكمن تأثير الإصمات. وبعبارة أخرى، قد يكون من المستحيل تمكين التّابع من التّحدث. فالمصيدتان – التّحدث من أجل التّابع أو التّظاهر بإمكانيّة تحدثه بمفرده- تنتظران دائماً مثقفاً صاحب نوايا حسنة، لكن المرء لا يمكنه التّدخل بشكل تطوّعي[54]. فهل نحن - بذلك- مكبّلون دائماً بالتّمثيل السّطحي للتابع؟.

إلى حدٍّ ما، فإنّ التّابع دائماً – بحكم تعريفه- فهو معرفياً في مرتبة أقلّ من الثّقافة المهيمنة[55]. فبالرّغم من أنّ المرء يمكنه أن يتخيّل أنّ ممثل التّابع بمقدرته أن يحمل النّور إلى الغرب، إلاّ أنّ هذا التّنوير بطبيعته مقلقٌ. فعلى سبيل المثال: تشير سبيفاك إلى أنّ بعض الهنود يعملون «مخبرين محليين» لصالح النّخبة، وهم يملكون نظرة مشوَّهة عن التّابع. «فهم أفضل مخبرين محليين لأفضل مفكري العالم، مهتمون بصوت الآخر»[56]. ومع ذلك فإنّ هذا الكاشف الأصلي هو موجود دائماً كجزء من «نقطة التّلاشي»، هذه النّقطة التي تجعل من الصّعب تصوّر منفذ صحيحٍ موصل للتابعين. فالمخبر الوطني على الرّغم من فائدته، فهو لا يقدم سوى طريقاً مسدوداً: «حتى وإن كان التّاريخ سرداً شاملاً، إلاّ أنّني ما أفتقده فيه هو أنّ الموضوع المحوري للمخبر الوطني الذي - عُدَّ مهما في فترة ما – قد صُنّف هو أيضا تاريخياً ومن ثَمَّ مركزياً.[57] فبغض النّظر عن كفاءة الكاشف المحلي أو النّقد ما بعد الكولونيالي فإنّ التّابع

سيبقى دائما منظوراً إليه – إلى حدٍّ ما– كغريب وآخر. أو كما تقترح سبيفاك بأنّ التّابع سيظل سواداً يتعذّر الوصول إليه[58].

وأشار كلّ من Hafferan و Didur إلى أنّ سبيفاك تحاول تأسيس خطاب التّابع كموضوع «للاعتراض»[59]. ولكن هذا الاعتراض دائماً ما يكون عبارة عن فعل الوساطة الذي يعاني من تموضع المعترِض، الذي يعتبر – حسب سبيفاك – ذلك المخبر الأصلي الذي سبقت الإشارة إليه. ومن ثَمَّ. يمكن للمرء أن يرى بكل وضوح المشاكل الدّريديّة في الاعتماد على المخبر الأصلي، وذلك لأنّه في الوقت الذي يتم استدعاؤه يتم إيقافه – حسب نصّ دريدا –[60]، فالمخبر الأصلي موجود دائماً على الهامش. ومن ثَمَّ فهو غير موجود إطلاقاً. فمحوه يكمن في تعريفه: لأنّ المسافة عالَمي التّمثيل «تحولت إلى إزعاجٍ وتشويشٍ مستمرٍ»[61]. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ أيّ شكل يتمّ اعتماده من طرف المخبر /المعارض الوطني للإخبار عن رغبات وانشغالات التّابع، سيجعل المخبر –في نهايّة- في خدمة الاتجاهات الرّأسماليّة العالميّة. بعبارة أخرى، يمكن ضمُّ المخبر الوطني إلى ما أسمته سبيفاك «الإمبراطوريّة الجديدة»[62]. كتب ديدور وهافرنان:

كما أنّ إعادة التّلقيح تعانق جدلا «التّجربة الملموسة» لهاته النّسوة، فإنّ شهاداتهن تُقرأ كمبررٍ للعولمة. لذلك مرّة أخرى، يتمّ استخدام القراءة الشّفافة للآخر وقراءة الآخر كنص شفّافٍ من أجل تقويّة الإمبراطوريّة الامبرياليّة الرّأسماليّة، التي سرعان ما أصبحت القاعدة الأساس قي القرن21م. ومثلما أشارت سبيفاك، فإنّ موضوع السّيادة غالبا ما يُستدعى للاحتجاج به لصالح الرّأسماليّة العالميّة.[63]

وبهذا المعنى، فإنّ ما يسمى بالمخبر المحلي في وضع خاص لا يحسد عليه. فهو/هي « يسمِّم الهيمنة: إذ أنّه يفتح إمكانيّة الانتهاك والتّعدي، ويعالج مفهوم الهيمنة من خلال تأكيد سلطته».[64] إنّ المخبر المحلي يُعد كبش فداءٍ دريديٍّ

يعمل على احتواء وتعريف الآخر، بحيث يذكّرنا « في نفس الوقت بإمكانيّة التّواطؤ والحاجة إلى وضع استراتيجيات مستمرة»[65].

3) موضوع سبيفاك: تعترف سبيفاك بأنّها متورطة في هذه العمليّة: فهي كبش فداء بشكل من الأشكال[66]. في الواقع، وبحسب سبيفاك فإنّه يجب على الأكاديميّة نفسها أن تُدرك دورها في مجال الخيار المشترك للثقافة المحليّة ضمن مخطط الرّأسماليّة العالميّة، أو الأشكال المهيمنة للثقافة[67]. كتبت سبيفاك: «يجب أن نعترف بتواطئنا في هذا الإصمات، لكي نكون أكثر فعاليّة على المدى الطّويل»[68]. أو بعبارة أخرى، يمكن أن يكون عمل سبيفاك –إلى حدٍّ ما– إسكاتاً للتابع[69]، إذ يمكن استخدام كتاباتها لتبرير مواقف «البيع الكلي» هذه، على أنّها متطلبات دولة الرّفاهيّة الحديثة وطبيعة السّوق العام لتوزيع السّلع الفكريّة[70]. ونتيجة لذلك فإنّ سبيفاك الكاتبة/المفكرة غالباً ما تكون عرضة للهجوم بسبب تحديداتها الغريبة لدورها التّاريخي الطّارئ كمخبر محلي (أصلي).

بالنّظر إلى هذا الموقف من التّابع/المخبر المحلي، سيكون من المفهوم أنّ معظم الآداب الثّانويّة المتأثرة بمنطق سبيفاك ستركّز على المفاهيم الخاصة بـ«الموضوع» الواردة في عملها. فإلى حدٍّ ما يمكن النّظر إلى هذا المفهوم الخاص بـ «الموضوع» على أنّه هاجس لسبيفاك ومفكرين ما بعد كولونياليين آخرين.[71] ففي حركة نموذجيّة ما بعد بنويّة ترفض سبيفاك جميع تعريفات «الذّات» باعتبارها ثابتة أو أساسيّة[72]. ويمكن للمرء أن يقرأ جوهر عمل سبيفاك كحجّة مفادها: أنّ موضوع ما بعد الكولونياليّة قد تمّ تعريفه (تدميره) من طرف الاستعمار الأوروبي[73]. حتّى الليبراليين المناهضين للاستعمار قاموا بمأسسة التّابع بسبب الدّافع الرّومانسي، لكي يكون لديهم أكبر عدد ممكن من الجماهير «البريئة » المضطهَدة[74]. بالطّبع، هناك دائما محاولة فتح تحقيق حول الآخر

على صعيد ما وراء- العالميّة، وبالتّالي عندما لا يدرس الباحثون الهويّة/الغيريّة، فغالباً ما يعمد العلماء إلى مناقشة «الموضوع» أو«المواطن» العالمي.[75]

تقتصر الرّدود العلميّة التّقليديّة على ادّعاءات سبيفاك إمّا على مناقشة حول احتمال وجود موضوع سبيفاكي أصيل أو السّعي لإيجاد نهج يسمح للتابع بـ «التّحدّث» أو بطيعة الحال، فإنّ ادّعاءات الهويّة الخاصة بسبيفاك هي –إلى حدٍّ ما – مضمنّة في الجدل القائم حول «الموضوع»[76]. لذا يدّعي مفكّرون أمثال ديدور وهيفرنان –وبشكل واضح- أنّ اهتمام سبيفاك الأساسي هو «الهويّة السّياسيّة»[77]. ومن المؤكد أنّ الحكمة التّقليديّة المتعلقة بسبيفاك هي أنّها «استغلت وكالتّها وصوت المستعمرين»[78] إلى الحدّ الذي – كما تقول Wendy Brown- يخلق حدود الهويّة.[79] وعليه فإنّه من الضّروري على «المهاجر الجديد» أن يخلق لغة جديدة[80]. ومع ذلك، ليس من الواضح أنّ هذه اللغة الجديدة ستعطي التّابع صوتاً. فعلى سبيل المثال، أكد Bruce Robbins - بكل وضوح- أنّ سبيفاك تحاول التّحدث عن التّابع: « فالنّاقد الذي يتّهم شخصاً آخر بأنّه يتحدّث عن التّابع ... فهو - بالطّبع- يدّعي أنّه يتحدّث عِوضاً عنه».[81]

يمكن للمرء أن يخمّن أنّ أسلوب السّيرة الذّاتيّة لسبيفاك نفسه قد يحلّ مشكلة حديث التّابع[82]، وأنا متعاطف –إلى حدٍّ ما- مع هذا الاقتراح. إلاّ أنّ هذا «الحل» قد يتجاهل دور سبيفاك –الذي تمّ مناقشته سابقاً- على أنّه «مخبر محلي» مُدرك لذاته. وأوافق على أنّ أسلوب السّيرة الذّاتيّة لسبيفاك غالباً ما يعمل على تفكيك مفاهيم الهُويّة لأنّ نصوصها غالباً ما تعني « عكس ما يريد أسلوب سيرتها عرضه: فبينما توضّح سبيفاك أنّ ادّعاءات التّوصيف (والمطالبة بالتّعبير) هي إشكاليّة كبيرة في أحسن الأحوال، وغير نزيهة في بعض الأحيان»[83] إلاّ أنّها لا تستطيع أن تتخلص من دورها النّخبوي.

إثر ملاحظة Terry Eagleton لوضع سبيفاك المتأنّه شنّ نقداً لاذعاً لعملها على عديد المستويات. في الواقع، هو يشكك في مفهوم النّقد ما بعد الكولونيالي برمّته باعتباره أداة تسويقيّة زائفة تمكّن من الحصول على منحة دراسيّة سهلة. ويشير إلى أنّ عدداً قليلاً من المفكّرين سيعانقون هذا المصطلح: «فمن اللافت للنظر صعوبة الحصول على أناس متحمّسين وغير متردّدين من بين أولئك الذين يروّجون له» [84]، وبشيء من الثّقة يزعم إيغلتون أنّ «فكرة ما بعد الكولونياليّة قد اتّخذت هذا المنحى الهجومي من نظريات ما بعد كولونياليّة ذلك أنّ استخدام كلمة لذات الشّخص –دون تحفظ– سيكون بمثابة استدعاء للشخص نفسه» [85]. فكما ذكرنا سابقاً، فإنّ إيغلتون متذمّر من سبيفاك بحجّة أنّها – ببساطة– غير مفهومة [86].

إضافة إلى هذا، فإنّ هجمات إيغلتون لم تتوقف عند حدود الأسلوبيّة، بل تعدتها إلى الهجوم على برنامج الدّراسات ما بعد الكولونياليّة ككل – فحسبه– يُعدّ ما بعد الكولونياليين جميعهم «مخبرين محليين» مع جدول أعمال فارغ. [87] وعلى الرّغم من أنّ سبيفاك وإخوتها في مجال ما بعد الكولونياليّة لديهم فلسفة باروكيّة –إلى حدٍّ ما– «إلاّ أنّ نظريتها البراقة والمزيَّفة تُخفي أجندة سياسيّة» [88]. ومن ثمَّ –بالنّسبة إلى إيغلتون– تعود الإنجرافات ما بعد الكولونياليّة إلى الرّأسماليّة– الليبراليّة: « فعلى غرار العديد من النّظريات الثّقافيّة، تسمح ما بعد الكولونياليّة لأحدهم التّحدّث بظلاميّة وحقد عن التّخريب، بينما لا يتطرق إلى السّياسة الحاليّة لـ Edward Kennedy مثلاً» [89]. كما أضاف آخرون إلى هذا النّقد الموجّه لما بعد الكولونياليّة نقداً آخر مفاده: أنّ الدّرس ما بعد الكولونيالي هو نقد لا ينخرط في أيّ صراع «حقيقي» [90]، وأضاف آخرون أنّ تركيز سبيفاك على النّصّيّة في ذاتها يعدّ شكلاً من أشكال الاستعمار الفكري الجديد. [91]

يظهر بوضوح في الكلمات المذكورة أعلاه خيانة إيغلتون لميولاته الماركسيّة. ما هي « هذه السّيادة الفعليّة الواحدة» ؟ هل هي فقط مفاهيم السّيادة والتّوزيع الاقتصادي؟. بالنّسبة لسبيفاك هذه المفاهيم مهمّة، لكنّها تريد أيضاً أن تشير إلى أنّ الهيمنة تتّخذ أشكالاً عديدة، فالماركسيّة المعياريّة وما بعد البنويّة لا يمكنهما أن تفسّرا ظاهرة صمت التّابع. ومن ثمَّ، فإنّ إيغلتون يجهل الكثير عن «جوهر» تأكيدات سبيفاك: التي تنصّ على أنّ السّرديات الغربيّة الكبرى المتعاليّة على غرار الماركسيّة قد أسكتت التّابع. لكن ماركسيّة إيغلتون المترسّخة [في وعيه] تشير ضمنياً إلى وجود مشكلة محتملة بالنّسبة لكلّ من سبيفاك ونقادها. فسبيفاك مرتبطة بمفهوم غربي فريد لموضوع الهويّة قائم على «الفعل».

صحيح - بالطّبع- أنّ مفهوم الغرب للسيادة الفرديّة دائماً ما يُجسِّد مفهوم الإحساس بحضور الآخر، لكن من غير الواضح ما إذا كانت سبيفاك قد أفلتت من هذا التّجسيد.[92] فقد يكون الأمر ممكناً على الرّغم من النّوايا الواضحة لكلٍّ من سبيفاك ودريدا، إذ أنّ مفهوم «الآخر» دريدياً يمتلك نفس أهميّة المفهوم الغربي للموضوع الكانتي.[93]

يرتبط التّمييز بين الذّات/الآخر في ذلك التّوتر الحاصل بين «التّحدث» و«إمكانيّة أن يُسمع لك». وعليه، فإنّ مفهوم «الهُجنة» هو الحل المحتمل. والهجنة هي نظريّة في دراسات التّواصل تبحث عن طريقة «لتنظير الصّراعات والانتماءات المتعددة لمجموعات الشّتات ... ويتمّ تكوين الهجنة عبر الرّبط بين المحلي والعالمي والاجتماعي والسّياسي والقانوني لتحديد بعض الأبعاد».[94] ومع ذلك، لا يزال مفهوم الهجنة يرتكز على المفهوم الغربي - الخالصّ- للمتحدث النّشط. وبالطّبع، فإنّ هذا المتحدث لا معنى له في سياق إمكانيّة

التّواصل، وترتبط كلمة «التّحدث» ارتباطاً وثيقاً بـ«إمكانيّة أن يُسمع». وفي هذا الصّدد كتب Devadas وNichols :

فبعبارة أخرى، فإنّ «عدم إمكانيّة التّحدّث» الموجودة في «التّابع لا يمكنه التّحدّث» تلمّح إلى استحالة الكلام أمام جمهور يرفض سماعه والاستجابة لبكائه. فهذه هي المعاملة غير المكتملة التي تقمع التّابع ... فالحديث –كمعاملة مكتملة– لن يكون ممكناً إلاّ في حال وقوع محادثة غير متوقّعة يتمُّ فيها استقبال الرّسالة المرسلة.[95]

وبعبارة أخرى أيضاً، ليس هناك تمييز قطعيٌّ بين «المتحدّث» المعزول و«المستمع». فهناك دائماً صراع وتوتّر متأصل فطرياً بين «موضوع المتحدّث» و«موضوع المستمع».[96]

هناك عديد الصّعوبات في النّهج التّقليدي لسبيفاك، لكن المشكلة الأكثر إلحاحاً –كما هو موضح أعلاه– هي تحيّز سبيفاك لـ«الفعل» أو –على الأقل– لـ«التّحدّث النّشط»، إذ يتجرّأ البحث عن صوت التّابع على ادّعاء وجود تابع «حقيقي» يمكن للغرب الحذِر التّنصّت عليه. ففقر هذا الموقف كشفت عليه تحاليل سبيفاك التي استعملت اللامركزيّة الدّريديّة كنقطة للانطلاق. ومع ذلك، فإنّ اللامركزيّة نفسها تبدو عليها آثار الموضوع العالمي، وغالباً ما تكون محدّدة بموقعها التّبعي لمفهوم المركزيّة نفسها. فالدّريديّة/السّبيفاكيّة ذاتها –إلى حدٍّ ما– هي: «هيكل عالميّ جديد للذاتيّة كاختلاف»[97]. وبعبارة أخرى، فإنّ كانط يزحف في كلّ زاويّة[98].

وبالنّظر إلى هذا الانشطار بين الموضوع الكانطي/ واللاموضوع الدّريدي فإنّ تفوق الغرب يتمّ تأكيده باستمرار. كما أنّ عمل سبيفاك يضع مسؤوليّة استرداد العافيّة لغير الغربي على عاتق المفكر الغربي، على الرّغم من أنّها تشكّ في مقدرة الغربي على معالجة الضّرر الذي يُحدثه الاستعمار على نحوٍ ملائم[99].

لذا قد تشير قراءة سبيفاك ضمنياً إلى أنّ مفهوم الموضوع ما بعد الكولونيالي فُسِّر على أنّه «تمّ تدميره» من قِبل المستعمِر الأوروبي، لذلك فهو خاضع للنشاط والثّقافة الأوروبيّة[100]. في الحقيقة لقد كان تورّط الليبراليين أصحاب النّوايا الحسنة أشدّ غوراً من المحافظين المفعمين بالحيويّة في قضيّة إسكات التّابع.[101]

باختصار يمكن وضع الرّدّ على مقال سبيفاك في أشكال رئيسيّة ثلاثة هي اعتباره:

1) محاولة السّماح أو التّمكين لخطاب التّابع؛
2) محاولة للعثور على «ذات» التّابع الأصلي؛
3) مجهود للبحث عن موضوع «عالمي» أو «غير محلي».

ومع ذلك، لا يتمُّ إشراك التّابع بكونه تابعاً على الإطلاق، كما أنّ موضوع الغرب لم يخاطِب التّابع وجهاً لوجهٍ. بعبارات أخرى، يمكن للتابع أن يتحدّث طالما أنّه يتحدّث بـ«لغة» مُعترفٍ بها بالفعل من قِبل الثّقافة المهيمِنة في الغرب. إذ أنّ اتّصالاً فكرياً ومنطقياً توسط بفعل السّوق والأكاديميّة وساد كلغة فوقيّة، وفي هذه الظّروف أُجبر التّابع على التّنافس في سوق الأفكار أين تمّ ملءُ سطح المركب بركام ضدّ هذا التّابع بفعل سنوات من الحكم الاستعماري.

ومع استمرار مواجهة صمت التّابع يسعى الغرب –في الكثير من الأحيان– إلى التّوليف والتّصنيف، كما لو أنّنا لم نتعلم شيئاً من نيتشيه. وبدلاً من الاعتراف –كما تؤكد سبيفاك– فإنّ تلك التّناقضات المنطقيّة تجسّد أغنى أشكال المعرفة على الإطلاق فالباحث الغربي وحتّى العديد من المفكرين ما بعد الكولونياليين يواصلون محاولات التّوليف والتّحدّث بدل التّابع.[102]

بالنّظر إلى التّحليل أعلاه، كيف يمكن للباحث الغربي دراسة التّابع؟ وهل التّابع دائماً –كما ترى سبيفاك أحياناً– «سوادٌ يتعذّر الوصول إليه»، والذي

من خلاله فقط يمكننا قياس أو مقارنة الغرب؟ هل التّابع «نقطة عمياء تسدّ طريق المعرفة والفهم؟»[103]، هل معرفة «الآخر» مستحيلة؟ كتب Moore Gilbert:

لقد تركت سبيفاك من سيكون غير تابع وكل التّابعين - ظاهرياً- في مأزق يصعب الخروج منه، وفي نفس الوقت هي غير قادرة على تمثيل التّابع في ثوب «اللامبالاة» ... وبعبارات أخرى، على غير التّابع إمّا أن يحترم جذور الآخريّة للآخر إلى أقصى حدٍّ، - وبذلك يترك الوضع سليماً- أو أن يحاول المستحيل «للانفتاح» على الآخر دون أن يجعل هذا الآخر «مشابهاً» له أو لها في موقفه/ها الخاص من موضوع وجهات النّظر أو الهويّة.[104]

وبالطّبع ترفض سبيفاك الفكرة القائلة أنّ التّابع هو الوحيد الذي يمكنه مناقشة قضيّة المظلوم[105]. وتريد بذلك أن يقوم الباحث الغربي بمناقشة قضيّة التّابع، فهي تتفق مع «Pocock» في الاعتراف بأنّ الغرب بحاجة إلى طريقة فعّالة لدراسة الآخر[106]. ومع ذلك فلا يزال من الضّروري أن يمتلك النّاقد الرّاديكالي موقفاً جريئاً بعض الشّيء[107]، لأنّه يبقى –دائماً- الحديث حول أو (عن؟) التّابع أمراً خطيراً.[108]

وكإجابة محتملة على لغز سبيفاك أقترح أنّ الطّريقة المناسبة لفهم التّابع هي مقاربة هذا الخطاب كما أبلغت عنه طرائق التّرجمة. وعلى وجه التّحديد أنا أدعو إلى «ترجمة» الثّقافة اليوميّة والتّبادل المعلوماتي للتابع. فهذا النّهج أراه الأقدر على حفظ نزاهة وإنسانيّة كلٍّ من الموضوع الغربي وغير الغربي.

4) ترجمة التّابع: لقد ناقش العديد من المفكرين البارزين مسألة عمليّة التّرجمة بعمق، على غرار «Walter Benjamin» الذي كافح –على نحوٍّ فذٍّ- تعقيدات التّرجمة، فبالنّسبة له «متلقي» التّرجمة هو مفهوم لا معنى له،[109] لأنّه لا وجود لأيّ ترجمة تعدّ هي نفسها «الأصليّة». وبعبارة أخرى، لا يمكن

للترجمة «كشف أو تأسيس هذه العلاقة الخفيّة»[110]، فليس من واجب المترجم تمثيل الأصلي لأنّ هذا التّمثيل مستحيل: «فحتّى أعظم التّرجمات أُعدّت لتكون جزءاً من نمو وتطوّر لغاتها الخاصة».[111]

يجب على المترجم أن ينظر إلى التّفاعل بين اللغات وعليه أن يتحرّى «النّيّة التي تستند عليها كلّ لغة في كلياتها»[112]. فحسب بنيامين التّرجمة هي «الوصول إلى مصطلح مع» أنواع أجنبيّة من التّواصل، فـ«الوصول إلى امتلاك» عناصر اللغة معناه خلق مأزق فكري[113]، فالتّرجمة في معنى من المعاني «حركة» بين لحظة تأويل وأخرى[114]. لذلك، يمكن للترجمة أن «ترقى» بالأصل، وعندها تكون مهمّة المترجم «أن يكون صدى» للأصل بطريقة تساعد على تسليط الضّوء حول المعنى المقصود[115]. لذا يقترح بنيامين أن تكون التّرجمة دائماً على هامش الخطاب لتعمل كـ«همزة وصل» تقف في منتصف الحوار الفكري[116]. بالمقابل لا يمكن للمترجم الاعتماد –بكلّ بساطة– على التّرجمة الحرْفيّة في مقالة افتراضيّة، لأنّه في التّرجمة الحرفيّة لا يوجد شيء سوى الفراغ[117]. ويشرح النّاقد الأدبي George Steines مفهوم التّرجمة في سياق الحديث عن نوايا الكاتب، ويُرجعه إلى مقدرة المترجم على فعل ذلك.[118]

قام Roland Barthes أيضاً بفحص طرق التّرجمة، وأكّد أنّ الثّقافة نفسها كانت من وضع الإنسان، لذا يمكن ترجمتها إلى خطاب أكاديمي. فالأشياء والأحداث الثّقافيّة اليوميّة –مثل الإعلانات التّجاريّة، مساحيق الصّابون، الطّهي ... وما إلى ذلك– تخلق دلالات تتضمن معنى الخضوع تقع إلى جانب معانيها الأساسيّة. تساعد معاني الخضوع هذه –بعد ذلك– على تعزيز قيم النّظام الرّأسمالي– البرجوازي المهيمن. ففي ترجمة الثّقافة اليوميّة كان بارث «مهتمًّا بالموارد الغنيّة للسميولوجيا المنبثقة عن المجتمع المستهلك»[119]. وعلى سبيل المثال، في ترجمة وجه الممثلة (غريتا غاربو) كتب بارث:«لقد عرضت غاربو

- لمن يُمعن النّظر- نوعاً من أنواع الأطروحات الأفلاطونيّة حول المخلوق البشري، وهو ما يُفسّر سبب عدم التّمكّن من تحديد وجهها جنسيًّا دون ترك أحدهم في شكٍّ». فبارث يرى مدلول الشّخصيّة الشّعبيّة- الثّقافيّة لغاربو في سياق أو لغة الفلسفة الأفلاطونيّة، فهذا مثال لترجمة الثّقافة إلى لغة العقل. ومع ذلك، يحاول بارث تقديم ترجمة غير منهجيّة –إلى حدٍّ ما- لتعليل تابع سبيفاك، فالتّابع لا يمكن التّحدّث عِوضاً عنه عبر لغة بنويّة واصفة ومتعاليّة.

وانتقد «Henri Lefebvre» نظريّة بارث في التّرجمة بسبب وجود «صنم الدّلالة»[120]، وحجته في ذلك أنّ النّظريّة المتعاليّة ليست مناسبة تماماً لتفسير الثّقافة: «فرغبتها في الصّاق الظّواهر وربطها بالمعنى النّصّي... غير مهيأة للتعامل مع الظّلاميّة والرّوتين في الحياة اليوميّة»[121]. وفي ملخص أفكاره يؤكّد Lefebvre أنّ «الانشغالات اليوميّة يجب أن تُفهم على أنّها سلاسل متنقلة لعناصر متداخلة، مقاومة لفكرة أنّ البصر يُوفّر الوضوح»[122]. هذه الفكرة تتقاطع مع فكرة Steiner أنّ «اللغة في تغيّر دائمٍ»[123]، ويكتب قائلاً:

لكن اللغة العاديّة على مستوى حروفها خاضعة للتحول في أيّ لحظة، وهو تحوّل يأخذ أشكالاً عديدة كدخول كلمات جديدة حينما تفقد كلمات قديمة مفعولها، أو تغيير القواعد النّحويّة المتداولة تحت ضغط الاستخدام الاصطلاحي أو بموجب المرسوم الثّقافي. فنطاق التّعبير المسموح به - في مقابل ما هو محظور- في تحوّل دائم، وعلى مستوى أعمق حتّى الأبعاد النّسبيّة وكثافة الملفوظ والتّغيير غير المعلن.[124]

باستخدام هذه التّرجمة لـ«البعد النّسبي وكثافة الملفوظ والقواعد غير المعلنة» أعتقد أنّه يمكن للفكر أن يُعبّر عن حياة التّابع بإحساس ودقّة ملائمتين.[125]

ولقد كتبت سبيفاك نفسها الكثير عن التّرجمة، وكما يتوقع المرء فإنّ الإصغاء الجاد هو الخطوة الأولى إلى التّرجمة[126]، أو بشكلٍ أكثر دقّة، فإنّ الإعلان عن صمت التّابع هو الخطوة الأولى نحو «إلغاء إصمات» التّابع[127]. وبالتّالي، فإنّه بعد أن يمتلك المفكّر وعياً بصمت التّابع الفريد من نوعه، عندها يمكن للترجمة أن تتمّ.

فيما يتعلق بالتّرجمة فإنّ سبيفاك تتّفق مع بنيامين في أنّه لا أحد يمكنه أن يعطي مدلولاً لـ«الأصلي»: فالتّرجمة هي «استحالة حتميّة» ... فهي ليست معانٍ دالة، وإنّما هي علامة. لذلك لا يمكن لها أن تدلّ على «الأصل»[128]. بالنّسبة لسبيفاك، ينبغي على المترجم أن «يَسكن» اللغة المستضيفة[129]. فينبغي له/لها أن يستوطن «ولو على شكل مستعار العديد من القصور والمستويات الخاصة باللغة المستضيفة». بعبارة أخرى، ينبغي على المترجم أن يُحاول دائماً إيجاد الافتراضات المسبقة للغة والثّقافات التي يُحاورها. «فعلى المترجم أن يحاول الوصول إلى فهم دقيق لافتراضات الكاتب المسبقة، فالتّرجمة ليست مجرّد ربط وتجميع لمترادفات ضمن تركيب مقارب»[130]. وبهذا المعنى، فإنّ مفهوم سبيفاك للترجمة يُردّد مرّة أخرى مفهوم بنيامين لها. وأعتقد أنّ سبيفاك أكثر استعداداً من بنيامين لتوسيع مسؤوليّة المترجم الاجتماعيّة، حيث كتبت: «أتمنّى –على الأقلّ– امتلاك قدرة الإشارة إلى أنّ هذه الحالة [السّلبيّة] في العالم لها علاقة بفشل التّرجمة المسؤولة في معناها العام أو الضّيق».[131]

للوهلة الأولى لا يبدو لي أنّ مسألة استخدام التّرجمة ضروريّة لمعالجة موضوع سبيفاك حول صمت التّابع. مع ذلك، فإنّ صياغة سبيفاك لسؤالها تشير ضمنيًّا إلى عدم وجود أيّ تصرّف يصبّ في صالح التّابع. وبعبارات أخرى لقد منحت سبيفاك المعيار الكانطي امتياز خلق معيارٍ متعالٍ تقيس من خلاله التّابع.

لكن بالرّغم من هذه اللغة الكانطيّة العالقة، إلاّ أنّ سبيفاك ترفض مطلقاً فكرة وجود معيارٍ متعالٍ وتؤكّد –أخذاً بفكرة دريدا– أنّه لا وجود «لحدٍّ أقصى» ينبغي لأحدهم الوصول إليه[132]، فـ«اللغة المثاليّة» لبنيامين غير موجودة، لذا على الباحث الغربي أن يكون دائماً على درايّة تامّة بـ«عدم إمكانيّة الوصول» إلى معرفة الآخر[133]. ومع ذلك يمكن التّغلب على انعدام الإمكانيّة هذه –في ظلّ ظروف مواتيّة– من خلال محاولة «ترجمة» الآخر بدل البحث عن «معرفة» متخيَّلة. ومن الممكن شرح هذه «التّرجمة» – ببساطة– على أنّها الرّغبة في «الفهم» بدلاً من «المعرفة» و(«المعرفة» – بالطّبع– مرتبطة دائماً بالسّلطة والهيمنة).

وبهذا المعنى، يمكن لسبيفاك أن تكون مدعوّةً للقيام بتحاليل أعمق عن التّابع تعترف بمدى الاختلاف الحاصل بين الثّقافات. لذا أقترح أنّه من الضّروري اتّباع نهج أكثر صرامة، كما يجب أن نُدرك تمامَ الإدراك أنّ المرء « يُترجم» دون أن يمتلك مقدرة التّعبير بدقّة عن الآخر. فإذا كانت التّرجمة الثّقافيّة تعني ضمنيّاً أنّها أفق التّرجمة الأدبيّة، فلزاماً على المترجم أن يُدرك تلك العلاقة الضّمنيّة بين الغربي والتّابع: «إذا كانت هناك علاقة مع الآخر كآخر ... لن تكون سوى علاقة أخلاقيّة»، وليست علاقة مبنيّة على «أساس معرفي»[134]. ومن ثَمَّ، علينا أن نُدرك أنّ التّرجمة –التي تُفهم في أوسع معانيها– يمكن أن تُساعدنا في فهم واحترام التّابع. فبالنّظر إلى هذا التّعريف الموسّع للنص، يمكن للمرء أن يفترض أنّ التّرجمة «تغطي مجموعة واسعة ومتنوّعة من الأنشطة معظمها يهدف إلى جعل النّصوص متاحة لأشخاص لا يعرفون اللغة».

فأقترح أن نُوسّع مفهوم الثّقافة ليطبّق على جميع أنواع الثّقافات على اختلافها ومختلف الممارسات الاجتماعيّة. وفي هذا المعنى، يمكن للمرء أن يرى «الحجج» في اللاعقلاني، و«مؤكّدات القيمة» في الجمالي. وعليه، يمكن

«لترجمة» بهذا المفهوم أن تحلّ بعض المشاكل السّبيفاكيّة من خلال ترجمة ثقافة الحياة اليوميّة للتابع. لكن إذا كانت التّرجمة الثّقافيّة –كما ذُكر أعلاه– متضمَّنة دائما في التّرجمة الأدبيّة فإنّ هذا النّهج المتّبَع في مقاربة التّابع بالكاد يأخذ هذه الضّمنيّة في استنتاجه النّفعي العملي. بالطّبع، إنّ ترجمة ثقافة التّابع مهمّة صعبة، لأنّ ذلك يتطلب الكثير من الصّبر والتّعاطف والعمق. حتّى أنّ سبيفاك لاحظت مدى صعوبة ترجمة الأدب عندما «يكون الأصلي غير مكتوب عنه في أيٍّ من لغات شمال أوروبا». ومن ثَمَّ، فإنّ ترجمة ثقافة التّابع ستكون أكثر صعوبة.[135]

ويرى Michel de Certeau أنّه على المرء دراسة الممارسات الثّقافيّة للثقافة اليوميّة «المهام المتكررة التي يقوم بها النّاس كلّ يوم»[136]. ونظراً لفحصه لما هو يومي، ترجم سارتو منطق الجوار والطّهي:

من ناحيّة، فإنّ العيش في حيٍّ وِفق ممارسات الأسرة يشير إلى (البنيّة المزدحمة للشارع) والتي يمكن تشبيهها ببيت نملٍ تشكّله بنيّة من النّشاطات تتخللها فراغات وعلاقات. ومن ناحيّة أخرى، فإنّ براعة الطّهي تؤسس لغة جماعيّة مشتركة لتواريخ النّظام الطّبقي في علاقاته المتعدّدة. ومن ناحيّة أخرى كذلك، فإنّ براعة الطّهي تؤسس لغة جماعيّة لتواريخ النّظام الطّبقي في علاقاته المتعدّدة بين الاستماع والتّحكم المتعلق باللغات الأساسيّة المتردّدة في التّفاصيل اليوميّة.[137]

وكما يتبيّن من المقطع أعلاه، فإنّ ثقافة «الحياة اليوميّة» للجوار والطّهي تعطي الحجة حول طبيعة الحياة، وكذا القيم التي نعيش بها والتي ينبغي أن نعيشها. في الحقيقة، حتّى البلادة والملل ينقلان الكثير عن الثّقافات[138]. «فبالنّظر إلى الثّقافة –ليس من خلال التّقديرات التي يقوم بها هذا التّمثيل الرّسمي أو السّياسات الاقتصاديّة وإنّما فيما يدعمه هذا التّمثيل أو تلك

السّياسات- تبرز أولويات ثلاث هي: الشّفاهيّة العملياتيّة والاعتياديّة»[139]. ومن ثَمَّ فإنّ اليومي الشّفاهي والاعتيادي يعبّر عن القيم المعرفيّة والأخلاقيّة والوجوديّة.

وبهذا المعنى، يمكن ترجمة «صمت» التّابع إمّا عن طريق الصّمت بمعناه الحرفي أو باعتباره من أعراض ما بعد البنويّة أفرزته اللغة المهيمِنة[140]. فمع مفهوم سارتو حول الحياة اليوميّة ومفهوم لفيبفر حول سلسلة العناصر المتحركة والمترابطة يمكن إيجاد طريقة محتملة عبرهما لترجمة التّابع[141]. وبعبارات أخرى، ترجمة ثقافة معناها ترجمة «العمليّة المستمرة لإنتاج المعاني من خلال ولأجل تجربتنا الاجتماعيّة» تلك المعاني تكون دائماً مثقلةً بعناصر سياسيّة: «الثّقافة (بمعانيها وملذاتها) هي سلسلة مستمرة من الممارسات الاجتماعيّة، فهي - لذلك- سياسيّة بطبيعتها متورّطة بشكل محوري في عمليّة التّوزيع وإمكانيّة إعادة التّوزيع لمختلف أشكال القوى الاجتماعيّة»[142]. لذلك فإنّ ترجمة الثّقافة تساعد على فهم المنطق السّياسي للتابع.

وتُعدّ التّرجمة منهجاً مفيداً لأنّها تجعل من الشّفافيّة طريقة تُعزّز من خلالها بعضُ أشكال التّواصل سلاسلَ هرميّة محدّدة وشوفينيات اجتماعيّة بعينها. ويشير Staten إلى أنّ أشكال وحالات التّواصل تظهر بوضوح في النّقاش الدّائر بين دريدا و Rey Chow حول الطّبيعة الصّوتيّة للغة الصّينيّة المكتوبة: «إذ يعتمد راي تشاو- بشكلٍ غير قابل للنقد- على معيار مركزيّة الصّوت كقيمة».[143] ما يجعله يقع في مفارقة ساذجة، فبينما ينتقد دريدا على تهميشه للغة الصّينيّة، يُؤكّد تشاو على الأوضاع الرّسميّة المهيمِنة للغاتٍ ذات أساسي صوتيٍّ. فهذا النّوع من القيمة المعياريّة المخفيّة في أشكال الاتّصال هو بالضّبط ما يُمكن لـ«ترجمة» التّابع أن تساعد على تخفيفه.

وبهذا المعنى، فإنّ كتابة سبيفاك –إلى الحدّ الذي تكسّر به الخطاب الفلسفي/الأكاديمي- تعمل أيضاً كنقد مضادٍ للأشكال المعياريّة الخاصة بالخطاب الغربي. فعلى غرار انتحار «السّاتي» أو «بهاندوري» فقد عملت كتابة سبيفاك كنص تخريبي يمكن للمرء ترجمته وتأويله. «فالقوة الاقتصاديّة تدعمها القوة السّيميائيّة وتتفوق عليها في الآن ذاته في قدرتها على صناعة المعاني»[144]. وبعبارات أخرى، ترجمة ثقافة أو نصوص إلى الخطاب الغربي، معناه أن تنتقد ضمنياً الافتراضات المعياريّة الأساسيّة لمختلف أشكال الاتّصال.

وأخيراً –وربّما الأهم من كلّ ما ذُكر- فإنّ فكرة ترجمة التّابع تعترف بأنّ المترجم الغربي هو ذاك الوسيط المُحتمل المُدرك لذاته، والذي من خلاله يتمّ فهم الآخر. هذه المقاربة من شأنها أن تتجنّب المشكل السّبيفاكي الخاص بـ«ثبات» التّابع. لأنّها تعترف بالطّبيعة الشّرطيّة لدستور كلٍّ من الجماعة المهيمِنة والتّابع. إنّ النّقد الغربي مشكَّل من طرف الآخر –أو التّابع- كما أنّ التّابع تمّ إنشاؤه بالنّظر إلى علاقته بالجماعات المهيمِنة. «فلا وجود لأيّ منظومةِ معانٍ – بالنّسبة له- مستقلة عن ترجمته لهم، وكأنّ أحدهم نُسج في الآخر»[145]. تأخذ هذه العلاقة الدّاخليّة/الخارجيّة شكل الجمعيّة الدّريديّة، فسبيفاك نفسها سمحت بأن تدين لدريدا ولتحليله التّفكيكي ولثقته على استمرار حضوره الشّخصي[146]. وبهذا المعنى، فإنّ المترجم/النّاقد الغربي في علاقة دياليكتيكيّة (جدليّة) مع التّابع، هذا الدّيالكتيك الذي يُشكّل كِلا الكينونتين المشروطتين [أي تتوقف إحداهما على الأخرى]. وبالطّبع، مثلما كتب بنيامين «الشّغل الشّاغل للمترجم الحقيقي يبقى متملّصاً بعيد المنال».[147]

لكن المترجم موجود في سياق علاقة تاريخيّة، وفي الحقيقة هي «واحدة من أكبر العمليات التّاريخيّة إثماراً وقوة»[148]. وبالنّظر إلى هذه العمليات التّاريخيّة، فإنّ منهج ترجمة التّابع يُحقّق دعوة سبيفاك من أجل انسيابيّة

معرفيّة أكبر[149]. كما يسمح بشكل مباشر لفهم التّابع أن يكون واعياً بذاته وأنّه متوسَّطٌ له عن طريق استراتيجيّة ماركسيّة/دريديّة تلتقي –إلى حدٍّ ما– مع المعايير الصّارمة التي وضعتها سبيفاك.[150]

وبالنّظر إلى نقد سبيفاك في «هل يمكن للتابع أن يتحدّث؟» فإنّ التّرجمة هي الأنسب مقارنة بـ«التّمثيل». وكما أشار بنيامين وسبيفاك وغيرهما، فـ«المترجم» يُدرك بشكلٍ قطعيٍّ أنّه أو أنّها لا يُقدّم عملاً مساويا لـ«الأصلي»، كما أنّه/ها لا يُقدّم ترجمة بتصوّرٍ مكتمل. وبعبارة أخرى، فإنّه لا Dartelling ولا Vertreten متضمّنان في عمليّة التّرجمة، فالمترجم يُحاول – حتماً– الإمساك بهيئة الأصلي ونقلها. لكن يُحاول «تمثيل» (Vertreten) أو إعادة تمثيل (Dartelling) للأصليين.

هذه الفكرة نجدها مُتضمَّنة –إلى حدٍّ ما– في مفهوم التّأويل عند Charles Taylor وهو المفهوم الذي لا يتعارض مع استراتيجيّة «التّرجمة» التي أقترحها. إذ يعترف تايلور أنّ «هناك إحساس مهم لا يمكن للمعنى المترجَم الذي يلعب دور الوسيط أن يُعبّر عنه بشكلٍ متطابق»[151]. فالتّرجمة تتضمن مسافة معيّنة، وفي هذه المسافة يوجد فضاء مُتاحٌ للتابع لكي يتحدّث. وتوظيفاً للغة التّأويل كتب تايلور: «أنّ التّأويل النّاجح هو الذي يجعل المعاني التي وردت مشوَّشة ومجزّأة وغائمة في أصلها، واضحةً. لكن كيف يمكن للمرء أن يعلم أنّ هذا التّأويل صحيح؟ من المفترض أن يعود السّبب إلى أنّ هذا التّأويل يعمل على صناعة معنى النّص الأصلي: فما هو غريب، غامض محيّرٌ ومتناقض لم يعد كذلك».[152]

لكن في الحالة المتعلّقة بالتّابع، يجب على المرء أولاً أن يُقرّر معرفة لغة التّواصل باعتبارها الطّريق الصّحيح. وبعبارة أخرى، يجب علينا أن نسعى

جاهدين للاستماع إلى النّاس عبر جميع أشكال تواصلهم. فالتّابع يتكلّم طوال الوقت: لكنّنا - ببساطة- غير قادرين على سماعه.

ربّما يشير البعض إلى أنّه من السّذاجة دعم مترجم غربي متطوّع من أجل تقديم قراءة متعاطفة مع التّابع. هذا النّقد يُعدّ مقبولاً وسيبقى راسخاً في أفكار هذا الكاتب. لكن باحثين كُثر في مختلف المجالات قد جرّبوا هذا النّوع من التّحليل، ولعلّ اختبار سارتو للفضاء السّكني والطّهي مثال جيّد لهذا النّوع من التّرجمة الثّقافيّة. بالإضافة إلى ذلك، يُوفّر عمل Joe Moran نموذجاً جيّداً كذلك لهذا النّوع من التّرجمة الثّقافيّة: ففي قراءته لليومي بحث جو موران عن مدلولات الأنشطة الاعتياديّة، كالانتظار في محطة الحافلات والتّسوق في المركز التّجاري[153]. وهناك أيضاً حركة فكريّة متجذّرة –إلى حدٍّ ما- في الماركسيّة لقراءة «الأشياء» غير الحيّة كما لو أنّها تنقل الأفكار[154]، وتتصادم «نظريّة الشّيء» هذه –إلى حدٍّ ما- مع الاعتراف بأنّه يجب على دراسة التّابع أن تفحص النّصوص الخفيّة للشعوب الأصليّة أو للثقافة الجماعيّة.[155]

بطبيعة الحال، يجب لترجمة التّابع أن تكون مرهفة الإحساس لكي لا يُفرض الأسلوب المهيمِن للخطاب على الاتّصال. وعلى سبيل المثال، يَفهم Robert Ray النّصوص الأساسيّة للثقافة (الشّعبيّة) عندما يكتب: «يبقى Tutti Frutti أكثر ثوريّة من «المرأة هي زنجيّة العالم»: فالموسيقى تسجّل دائماً بشكلٍ أقلّ على مستوى المحتوى السّياسي الصّريح مقارنة بالمستوى الصّوتي»[156]. وبالتّالي، فإنّ الموسيقى على غرار معظم المظاهر الثّقافيّة تتواصل بطريقة غير صريحة وغير عقلانيّة، فواجب المفكّر الغربي هو افتراض أنّ الهدف الرّئيسي هو التّخاطب مع التّابع لترجمة ثقافته ولغاته بينما عليه أن يكون عارفاً دائماً بدوره كمترجم. وحالما تتمّ هذه التّرجمة بالجدّيّة اللازمة نأمل عندها أن يكون للغرب –إلى حدٍّ

ما- حواراً مفتوحاً مع التّابع حول القيم الأنطولوجيا، الظّلم والنّظريّة السّياسيّة.

❖❖❖ ❖❖❖ ❖❖❖

قدمتُ في هذا المقال حلاًّ محتملاً للغز سبيفاك، يقوم على فكرة أنّه من الضّروري أن يُترجم المثقفُ الغربي التّابعَ. ففكرة سبيفاك حول صمت التّابع تفضح الانحياز الكانطي لـ«المتحدث» الغربي النّشط، وتُظهر كيف أنّ موضوع الغرب هو فكرة سلطويّة. وفي هذا المعنى، فإنّ شروط الجدل القائم حول «التّمثيل» في «الدّيمقراطيات» الحديثة متضمَّنة في المعنى الذي يكون فيه التّابع طرفاً في هذا الجدل.

فحسب سبيفاك، لا يمكن للمؤسسة الدّيمقراطيّة أن تسعى لكي تكون مُمثّلة من طرف«الموكَّل» ولا حتّى عبر «الأصلي» لأنّ كلاهما يتجاهلان الدّور الذي تلعبه القوة/التّابع داخليا أو/و خارجياً في الفعل السّياسي نفسه، وعليه إذا أُخذ هذا النّقد للديمقراطيات الغربيّة على محمل الجدّ، سيُسمح لأحدهم –بطريقة ما- تمثيل التّابع. لكن حتّى هذا «السّماح» ما هو إلاّ إتفاقيّة غربيّة تعزّز الفكرة القائلة بأنّ الإنسان في هذا العالم يتصرّف وِفق إرادة ذاتيّة كانطيّة. في الحقيقة أودّ أن أقول أنّه يجب علينا استخدام التّرجمة كوسيلة لاقتلاع الموضوع الكانطي من المفاهيم الدّيمقراطيّة لـ«التّمثيل».

وبطريقة أخرى، باستعمال طُرق الوعي- الذّاتي للترجمة يمكن للكاتب أو النّاشط الحريص والحذر أن يبحث ويُحقّق في «الحجج» و«التّأكيدات» التي تقدّمها الثّقافة اليوميّة للتابع. فمن وجهة نظري، هذا ما تُحاول سبيفاك فعله في قراءتها لانتحار بهادوري، ومع ذلك تبدو سبيفاك وكأنّها لا تزال عالقة في العُقدة الكانطيّة/الدّيكارتيّة فهي لا تزال تبحث عن الفعل الإرادي للكلام عِوضاً عن محاولة الاستماع للتابع بالطّرق العديدة التي يعتمدها في التّواصل. فأنا

أُومن بأنّه يمكن للحوار أن يكون منفتحاً مع التّابع، وهذا الحوار المنفتح هو ما ينبغي للمنظرين السّياسيين أخذه على محل الجدِّ.

ملاحظات:

أود أن أشكر كلاّ من: Margaret Kahn، Jessica Peet، Jennifer Forshe، Rose Moon، Mary Dietz و Naomi Nelson على التّعليقات والدّعم والإلهام.

هوامش:

1. Gayatri Chakravorty Spivak, “Can the Subaltern Speak?” in Colonial Discourse and Post-Colonial Theory,eds. P. Williams and L. Chrisman (New York: Columbia University Press, 1992), pp. 66–111.
2. Jill Didur and Teresa Heffernan, “Revisting the Subaltern in the New Empire,” Cultural Studies17 (2003): 1–15; at 2.
3. Spivak, note 1, p. 66.
4. Ibid., p. 102.
5. Gayatri Chakravorty Spivak, ACritique of Postcolonial Reason: Towarda Historyof the Vanishing Present(Cambridge: HarvardUniversity Press, 1999) p. 334.
6. Ibid., p. 205.
7. Ibid., p. 208.
8. Spivak, note 1, p. 91.
9. Ibid.
10. Spivak, note 5, p. 311.
11. J. G. A. Pocock, “The Politics of History: The Subaltern and the Subversive,” Journal of Political Philosophy 6(1998): 219–234; at 200.
12. David Huddart, “Making an Example of Spivak,” Angelaki: Journal of Theoretical Humanities6(April 2001): 35–36; at 38.
13. Raka Shome and Radha S. Hedge, “Postcolonial Approaches to Communication: Charting Terrain, Engaging the Intersections,” Communication Theory12 (August 2002): 249–270; at 265.
14.TerryEagleton, Figures of Dissent: Critical Essays on Fish, Spivak, Zizek and Others(London: Verso, 2003), p. 160.
15. Didur and Heffernan, note 2, p. 2.
16. Huddart, note 12, p. 37.
17. Forest Pyle, “‘By a Certain Subreption’: Gayatri Spivak and the ‘Lever’ of the Aesthetic,” Interventions4(2002): 186–190; at 187.
18. Bart Moore-Gilbert, Postcolonial Theory(London: Verso, 1997), p. 81.
19. Spivak, note 1, p. 71 (quoting Marx).

20. Ibid., p. 70 (emphasis added).

21. Vijay Devadas and Brett Nicholls, “Postcolonial Interventions: Gayatri Spivak, Three Wise Men and the Native Informant,” Critical Horizons3 (2002): 73–101; at 83.

22. Spivak, note 1, p. 74.

23.Ibid., p. 70.

24. Ibid., p. 67.

J. Maggio 439

25. Ibid., p. 68.

26. Ibid., p. 67.

27. Didur and Heffernan, note 2, p. 12.

28. Spivak, note 5, p. 199.

29. Ibid., p. 203.

30. Didur and Heffernan, note 2, p. 2.

31. Spivak, note 5, p. 202 (footnote omitted).

32. Spivak, note 1, p. 69.

33. Ibid., p. 80.

34. Ibid., p. 88.

35. Ibid., p. 89.

36. Spivak, note 5, p. 323.

37. Spivak, note 1, p. 87.

38. Ibid., p. 89.

39. Spivak, note 5, p. 323.

40. Ibid., p. 336.

41. Spivak, note 1, p. 97.

42. Ibid., p. 97.

43. Ibid., p. 98.

44. Didur and Heffernan, note 2, p. 3.

45. Spivak points out that it is ironic that people never question the act of celibacy for a widow. Additionally, I am not suggesting that Spivak is cor-rect about Kant’s notion of culture. I am not sure, for example, that Spivak

and Hannah Arendt agree on Kant's aesthetics. Yet it is interesting that Spivak understands the Kantian self to be dependent on "culture."

46. Didur and Heffernan, note 2, p. 3.

47.Devadas and Nicholls, note 21, p. 76.

48.Spivak, note 5, pp. 12–14 (footnotes omitted; emphasis in original).

49. My understanding here is indebted to Pyle's interpretation of Spivak.

50. Pyle, note 17, p. 189.

51. Devadas and Nicholls, note 21, p. 84.

52. Didur and Heffernan, note 2, p. 4.

53.Ibid.

54. Moore-Gilbert, note 18, p. 89.

55. Ibid., pp. 81, 88.

56.Spivak, note 1, p. 79.

57. Spivak, note 5, p. 344.

58. Moore-Gilbert, note 18, p. 91.

59. Didur and Heffernan, note 2, p. 4.

60.Huddart, note 12, p. 38.

61. Mark Sanders, "Representation: Reading-Otherwise," Interventions 4 (2002): 198–204; at 200.

62. Didur and Heffernan, note 2, p. 4.

63. Ibid., p. 6.

64. Devadas and Nicholls, note 21, p. 81.

65. Ibid.

66. Moore-Gilbert, note 18, p. 77.

67. Colin Wright, "Centrifugal Logics: Eagleton and Spivak on the Place of 'Place' in Postcolonial Theory," Culture, Theory, and Critique43 (2002): 67–82; at 68.

68.Spivak, note 5, p. 309.

69. Moore-Gilbert, note 18, p. 104.

440 "Can the Subaltern Be Heard?"

70. Bruce Robbins, "Soul Making: Gayatri Spivak on Upward Mobility,"

Cultural Studies 17 (2003): 16–26; at 13, 18; Purushottama Bilimoria "Postcolonial Critique of Reason: Spivak Between Kant and Matilal," Interventions4(2002): 160–167; at 166.

71. Eagleton, note 14, p. 167.

72. Moore-Gilbert, note 18, p. 86.

73. Ibid.

74. Ibid.

75. See, for example, Pratap Bhanu Mehta, "Cosmopolitanism and the Circle of Reason," Political Theory 28 (October 2000): 619–639; Arash Abizadeh, "Does Collective Identity Presuppose an Other? On The Alleged Incoherence of Global Solidarity," American Poltical Science Review 99 (February 2005): 45–60.

76. Huddart, note 12, p. 38.

77. Didur and Heffernan, note 2, p. 11.

78. Shome and Hedge, note 13, p. 266.

79. Wendy Brown, "At The Edge," Political Theory 30 (August 2002): 556–576; at 556.

80. Sanders, note 61, pp. 198–204; at 201, 202.

81. See Moore-Gilbert, note 18, p. 104, for an analysis of Robbins's com-ments.

82. Huddart, note 12, p. 36.

83. Ibid.

84. Eagleton, note 14, p. 158.

85. Ibid.

86. Ibid. Of course, this can be said of much philosophy, criticism, and lit-erature. Additionally, Eagleton does not mind—apparently—ending a sen-tence with a preposition.

87. Spivak might agree that she and her postcolonial brethren are all native informants, but I doubt she would concur with the conclusion that such critics are lazy.

88. Eagleton, note 14, p. 164.

89. Ibid., p. 165.

90. Examples include Aijaz Ahmad and Benita Parry; Huddart, note 12 p. 35.

91. Huddart, note 12, p. 35.

92. Abizodez, note 75, p. 46.

93. Moore-Gilbert, note 18, p. 84.

94. Shome and Hedge, note 13, p. 266.

95. Devadas and Nicholls, note 21, p. 84.

96. Gayatri Chakravorty Spivak, "Translating Into English," in Nation Language, and the Ethics of Translation,eds. S. Bermann and M. Wood (Princeton: Princeton University Press, 2005), pp. 93–110; at 104.

97. Henry Staten, "Tracking the 'Native Informant': Cultural Translation as the Horizon of Literary Translation," in S. Bermann and M. Wood, eds. Nation, Language, and the Ethics of Translation(Princeton: Princeton University Press, 2005), pp. 111–126; at 118 (emphasis in original).

98. This is, of course, a reference to Foucault's famous comment con-cerning Hegel.

99. Moore-Gilbert, note 18, p. 87.

100. Ibid., p. 86.

101. Spivak, note 5, p. 396, n. 113; Moore-Gilbert, p. 86.

J. Maggio 441

102. Moore-Gilbert, note 18, p. 99.

103. Robert Young, White Mythologies: Writing History and the West(New York: Routledge 1990), p. 164.

104. Moore-Gilbert, note 18, p. 102.

105. Ibid., pp. 86–89.

106. Pocock, "The Politics of History," p. 221. Levinas's notion of the other is also implicated in this analysis; see Staten, note 97, p. 113.

107. Sangeeta Ray, "Ethical Encounters: Spivak, Alexander, and Kincaid," Cultural Studies17 (2003): 42–55; at 93.

108. Didur and Heffernan, note 2, p. 3.

109. Walter Benjamin, Illuminations (New York: Schocken Books, 1968)

p. 69.

110. Ibid., p. 72.

111. Ibid., p. 73.

112. Ibid., p. 74.

113. Ibid., p. 75.

114. Samuel Weber, "A Touch of Translation: On Walter Benjamin's 'Task of the Translator,'" in S. Bermann and M. Wood, eds., Nation, Language, and the Ethics of Translation (Princeton: Princeton University Press, 2005) pp. 65–78; at 66.

115. Benjamin, note 109, pp. 75–76.

116. Ibid., pp. 76–77.

117. Weber, note 114, p. 77.

118. George Steiner, After Babel: Aspects of Language and Translation (London: Oxford University Press, 1998), p. 5.

119. Joe Moran, Reading the Everyday(London: Routledge, 2005), p. 22. My understanding of Barthes is somewhat indebted to Moran generally.

120. Henri Lefebvre, "Critique of Everyday Life," vol. 2, Foundations for a Sociological of the Everyday,trans. John Moore (London: Verso, 2002), p. 276.

121. Moran, note 119, p. 22.

122. Ibid., p. 23.

123. Steiner, note 118, p. 18.

124.Ibid., p. 19.

125. Weber, note 114, p. 65.

126. Devadas and Nicholls, note 21, p. 92.

127. Ibid., p. 85.

128.Spivak, note 96, p. 105.

129.Ibid., p. 95.

130. Ibid., p. 93.

131. Ibid., p. 104.

132. Moore-Gilbert, note 18, p. 104.

133. Staten, note 97, p. 116.

134. Ibid., p. 113. Staten here references Levinas.

135. Spivak, note 96, p. 94.

136. Moran, note 119, p. 10.

137. Michel de Certeau, The Practice of Everyday Life(Berkeley: University of California Press, 1984), p. 3.

138. Moran, note 119, p. 11.

139.Certeau, note 138, p. 251.

140.Staten, note 97, p. 117. Of course, this is essentially what Spivak does in “Can the SubalternSpeak?” Staten points out that this symptomatic “silence” is also evident in Spivak’s reading of Toni Morrison.

442 “Can the Subaltern Be Heard?”

141. Moran, note 119, p. 23.

142. John Fiske, Reading the Popular(London: Unwin Hyman, 1989), p. 1 (emphasis mine).

143. Staten, note 97, p. 119.

144. Fiske, note 143, pp. 9–10.

145. Charles Taylor, “Interpretation and the Sciences of Man,” in M. Martin and L. C. McIntyre, eds., Readings in Philosophy of Social Science (Cambridge: MIT Press, 1994), pp. 181–212; at 193.

146. Spivak, note 5, pp. 321–322.

147. Benjamin, note 109, p. 75.

148. Ibid., p. 73.

149. Didur and Heffernan, note 2, p. 2.

150. Devadas and Nicholls, note 21, p. 89.

151. Taylor, note 146, p. 182.

152. Ibid., p. 183.

153. Moran, note 119, generally. For a good example of the ways of read–ing the subalternstate, see Fernando Coronil, “Listening to the Subaltern: The Poetics of Neocolonial States,” Poetics Today15 (Winter 1994): 643–658.

154.Good examples include Lorraine Daston, ed., Things That Talk: Object Lessons from Art and Science(New York: Zone Books, 2004); Bill Brown

ed., Things(Chicago: University of Chicago Press, 2004); Elizabeth Edwards and Janice Hart, eds., Photographs Objects Histories: On the Materiality of Images (London: Routledge: 2004).

155. Paul Rich and Guillermo De los Reyes, “Popular Culture and Reconstructing Multi-Tiered Reality,” Gender, Latino, Subaltern, and Criminal Studies30 (Fall 1996): 29–37; at 32.

156.RobertRay, “Critical Senility v. Overcomprehension: Rock Criticism and the Lesson of the Avant-Garde,” in S. Jones, ed., Pop Music and the Press (Philadelphia: Temple University Press, 2002), p. 76 (emphasis in original).

مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 22 العدد: 50 السّنة: الثّلاثيّ الثّاني 2020 ص: 587 - 604

هيمنة اللغة الإنجليزيّة على اللغة العربيّة
المظاهر، المخاطر، سبل التصدي

The dominance of English over Arabic
manifestations, risks, ways of coping

أ. عائشة بن السّايح[1]
د. سيبوكر اسماعيل[2]

تاريخ الإرسال: 18 06 2019 تاريخ القبول: 16 12 2019

الملخّص: انفتح العالم العربي على العالم الغربي بعد عصر النّهضة وامتزجت بعدها الثّقافة العربيّة بغيرها من الثّقافات الأجنبيّة؛ ومن سلبيات هذا الانفتاح الغزو الفكري والثّقافي تحت رايّة الانفتاح على المعرفة العلميّة، ووعيا منّا بخطورة هذا الغزو الممثل في الهيمنة على ثقافتنا وفي مقدّمتها اللغة العربيّة يأتي هذا البحث ليحقق هدفا يتمثل في تحديد لمفهوم الهيمنة اللغويّة، وأسبابها وتحديد مظاهر هيمنة اللغة المهيمِنة اليوم_الإنجليزيّة_ على اللغة العربيّة والتّوعيّة بمخاطر ذلك، وإيجاد سبل التّصدي المناسبة، والحثّ على تفعيلها حفاظا على خصوصيّة اللغة العربيّة، وقد عرضت الدّراسة أسباب الهيمنة وتوصّلت إلى مظاهر هيمنة الإنجليزيّة على العربيّة وكذا سبل الحد من هذه الهيمنة.

[1] جامعة ورقلة، لجزائر، البريد الإلكتروني: aichabensayah1989@gmail.com.
[2] جامعة ورقلة، لجزائر

الكلمات المفتاحيّة: هيمنة_ لغة إنجليزيّة_ لغة عربيّة_مظاهر_ مخاطر_ سبل تصدي.

Abstract: The world lives a village that has no boundaries between its parts, which made the Arab World open to the western world after the Renaissance and then the Arab culture was blended with other foreign cultures; The disadvantages of this openness are intellectual and cultural, under the banner of openness to scientific knowledge, and awareness From us to the seriousness of this invasion represented in the domination of our culture, foremost among which is the Arabic language this research comes to achieve the goal of defining the concept of linguistic dominance, its causes, and identifying the manifestations of dominance of the dominant language today _ English_ on the Arabic language, raising awareness of the dangers, and finding ways The appropriate response and encourage its activation in order to preserve the privacy of the Arabic language.

Keywords: Dominance _ english _ Arabic Language _ manifestations _ dangers _ ways of addressing.

1. **مقدّمة:** يعيش العالم حياة القريّة التي لا حدود بين أجزائها، ويعيش العالم العربي هذا العصر منذ انفتاحه على العالم الغربي بعد عصر النّهضة وامتزجت بعدها الثّقافة العربيّة بغيرها من الثّقافات الأجنبيّة؛ الأوروبيّة والأمريكيّة، وكانت ثمرة هذا الانفتاح سلاحا ذا حدّين؛ فهي كما مثلت انفتاح العالم العربي على المعرفة والتّكنولوجيا الحديثة، كانت في مقابلها غزوا فكريا وثقافيا تحت رايّة الانفتاح على المعرفة العلميّة، وتعدُّ الهيمنة اللغويّة أبرز مظاهر هذا الغزو الثّقافي وأخطره. فما المقصود بالهيمنة اللغويّة؟ وما هي

أسبابها؟ وفيم تتمثل مظاهر هيمنة اللغة المهيمِنة اليوم_الإنجليزيّة_ على اللغة العربيّة؟ وما المخاطر المترتّبة عن هذه الهيمنة؟ وكيف يمكن التّصدّي لها؟

لقد عرف ابن جني اللغة بقوله:"هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" [1] وليست اللغة مجرد مبانٍ أو رموز أومحض وسيلة للتواصل والافصاح عن مراد النّفس، إنما هي الحامل الأكبر للثقافة والمعرفة والسّلاح الذي تدافع به الأمم عن هويتها وكنهها، وهي بلاشك إحدى المنصّات الرّئيسة التي تقلع منها أيّة أمّة مغادرة بؤس التّخلف والانغلاق إلى رحاب الرّساليّة حاملة مشعلا للحضارة"[2] فضلا عن كونها" المدخل الأخطر لبعثرة الأمة والعبث بتراثها وتاريخها وذاكرتها، وعزلها عن تجاربها وماضيها وقيمها وشخصيتها الحضاريّة إنها تشكل أهم مقومات الارتكاز الحضاري، فهي تؤدي دورا أساسيا وفاعلا في قضايا ارتقاء الحضارات أو صراعها وسقوطها"[3] فكما قال أمين آل ناصر الدّين[4]:

لِكُلّ قومٍ لِسَانٌ يُعْرَفُونَ بِهِ إنْ لَمْ يَصُونُوهُ لَمْ يُعْرَفْ لَهُمْ نَسَبُ

وإنْ موطن عُرْبٍ يَرْطَنُونَ وإن عَلَتْ مبانيه لَهُوَ المَوْطِنُ الخَرِبُ

لَنْ يُدْرِكَ المَجْدَ شَعْبٌ مَالَهُ لُغَةٌ تَحُوطُهَا دَوْلَةٌ أسْيَافُهَا قُضُبُ

لَهَا حُمَاةٌ عَلَى اسْتقلالُهَا غُيُرٌ وَجَحْفَلٌ ذَائِدٌ عن حَوْضِهَا لَجِبُ

فاللغة إذا هي أساس الأمة، وقد أدرك السّاسة هذه الأهميّة للّغة منذ المراحل المبكرة للتوسع الامبريالي، فكانت تستخدم لغة المُستعمِر لصهر لغة المستعمَر وذوبانها وذوبان الشّخصيّة، وأيقن المستعمر أنّه لِيتغلغلَ في البلاد والمجتمعات لابد من السّيطرة على اللغة بترويج لغته هو"[5].

2. **الهيمنة اللغويّة:** تُعرف الهيمنة اللغويّة بأنها " تلك الظّاهرة التي تسيطر على عقول شعب معين تجاه لغة أجنبيّة مهيمنة على لغتهم الأصليّة، بحيث

يعتقدون أنه يجب عليهم استخدام اللغة الأجنبيّة في تعاملاتهم اليوميّة وفي نظامهم التّعليمي وفي جوانب الفلسفة والأدب والمعاملات الحكوميّة والقضائيّة والإداريّة. إنّ الهيمنة اللغويّة تتّبع منهجيّة تمكّنها من السّيطرة حتى على عقول النّخبة بحيث يظن المرء بأنّ لغته لا ترقى إلى مصافّ اللغات الأجنبيّة المهيمنة وبذلك يبدأ العزوف عن اللغة الأصليّة واحتقارها"[6].

ومن مظاهر احتقار اللغة الأصليّة " والانهزام النّفسي والشّعور بالدّونيّة الحضاريّة الذي يغلب اليوم على العرب تجاه الغرب مانراه من رغبة طاغيّة لدى كثير منهم في أن يقحموا في كلامهم أو كتاباتهم كلمات أو عبارات أو مصطلحات أعجميّة لا تتطلبها مناسبة ولا تقضيها ضرورة ولا يستدعيها مقام وإنما هو شعور الضّعف الذي سرى فينا واستحوذ علينا "[7]

وهذا مايؤكد قول ابن خلدون: أن المغلوب مولع جدا بالاقتداء في شعاره وزيّه ونحلته وسائر أحوالها وعوائده، والسّبب في ذلك أن النّفس أبدا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه[8].

فلماذا نبجّل لغة الآخر، وننصهر فيها، ونرى في العجمة كمالا وقوة نحاول الانتماء إليها! في حين نجد من يرى في لغته كيانه الخالصّ فبدل أن يستعمل ألفاظا من لغات أخرى فرضتها عليه ظروف الحياة، يسعى بكل قوة إلى طردها من محيطه الاجتماعي[9] قائلا : " إن لغتنا الفرنسيّة ليست ضعيفة جداً إلى الحد الذي يجعلها غير قادرة على ارجاع ما اقترضته من الآخرين بوفاء ومجدبة جدا كي تعجز عن إنتاج ثمار خاصة بها نابعة من اختراع جيد يتم لحصول عليه عبر الصّناعة ومثابرة اولئك الذين يقومون بفلاحتها، شريطة أن يكون لبعض هؤلاء ما يكفي من الحبّ لبلدهم ولأنفسهم كي يتمكنوا من إنجاز هذه المهَمّة"[10]. فصاحب هذا القول يعي جيدا قيمة صناعة الألفاظ وعدم اقتراضها والانبهار بها.

وفي هذا السّياق يقول أحد المدافعين عن الإنجليزيّة :" يجب أن تكتب لغتنا نظيفة ونقيّة، وألا تُمزج وتشوّه بالاقتراض من لغات أخرى، وإن لم تنشغل بتوليد الألفاظ وظللنا نقترض ولا ندفع، فإن اللغة ستكون مجبرة على الإفلاس"[11] لأن الاقتراض علامة الفقر، والفقر يستوجب طلب الدّين إلى أن يصبح المدين مملوكا للدائن، وكذالك ينطبق الحال مع اللغة في افتراضها من غيرها، إلى أن تصير اللغة المُقرِضَة قد امتلكت السّنة أهل اللغة المقترضة باسطة هيمنتها ونفوذها على اللغة القوميّة، ونجد أن هذا الكلام كله لمجرد اللفظ باعتباره منفذا لهيمنة اللغة الأجنبيّة فكيف الأمر مع الهجرة إلى لغة أخرى تطمس معالم اللغة القوميّة [12].

إنّ اللغة المهيمنة هي لغة الدّولة المهيمنة فما اللغة إلا مرآة عاكسة للأمة ومكانتها اذ بقدر قوة الأمة تقوى لغتها، فحينما كانت الدّولة الاسلاميّة قويّة ومسيطرة شاع اللّسان العربي وتفوّق على غيره من الالسّنة، لكن بعد ذلك تزعزع اللسان العربي، وخاصة مع غلبة العجم، يقول ابن خلدون: ولما تملّك العجم وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك الإسلاميّة فَسُد اللسان العربي لذلك، لولا ما حفظه من عنايّة المسلمين بالكتاب والسّنة[13] أما اليوم فاللغة المهيمنة على لغات العالم هي اللغة الانجليزيّة ، وتلك القوة مستمدة من قوة الدّولة الأمريكيّة.

3. **مظاهر هيمنة اللغة الإنجليزيّة على اللغة العربيّة:** يمكن تلخيص أهم مظاهر هيمنة اللغة الإنجليزيّة على اللغة العربيّة في ما يلي : [14]

_ انتشار مايسمى " المدارس الدّوليّة " ومدارس اللغات والمدارس التّجريبيّة في مختلف الدّول العربيّة حيث يتم التّدريس في هذه المدارس باللغات الأجنبيّة والانجليزيّة خصوصا، وليت الامر يتوقف عند تعليم الانجليزيّة فقط؛ ففي تقرير لروبرت ساتلوف مدير قسم السّياسة والتّخطيط في معهد واشنطن لسياسات الشّرق الأدنى قال: "المدارس الأمريكيّة في البلاد العربيّة والإسلاميّة

ليست مجرد صروح تعليميّة رفيعة المستوى، بل هي سلاحنا السّري في معركة أمريكا الأيديولوجيّة لأمركة المجتمعات العربيّة والإسلاميّة"[15].

_ تدريس المقررات العلميّة في كليات الطّب والصّيدلة والهندسة والحواسيب والعلوم الطّبيعيّة في مختلف الدّول العربيّة باللغة الانجليزيّة والفرنسيّة (باستثناء سوريا)، فضلا عن ابتداع برامج جديدة في كليات التّجارة والحقوق والاقتصاد والعلوم السّياسيّة في بعض الجامعات العربيّة لتدريس المقررات الدّراسيّة بهذه الكليات باللغة الإنجليزيّة.

ففي مصر، على سبيل المثال، كان تعليم الحقوق في الماضي باللغة الفرنسيّة. وكانت الحجة في ذلك، أن القوانين المصريّة مأخوذة من القوانين الفرنسيّة وعلى الطّالب أن يدرس المادة وشرحها من الكتب التي وضعها الفرنسيون وبعدها أصبحت العلوم القانونيّة والاقتصاديّة تدرس باللغة الإنجليزيّة.

ويدّعي أنصار التّدريس باللغة الإنجليزيّة في الجامعات، بأنّ الاعتبارات ناجمة عن الأسباب الآتيّة:

❖أن ألفاظ العربيّة قاصرة على احتواء المصطلحات التّكنولوجيّة المستجدّة وأن نقل المصطلح إلى العربيّة لا يفي بالمعنى المراد؛

❖ التّعلم باللغة الأجنبيّة يفتح الآفاق أمام الباحثين والدّارسين للتعرف على الثّقافة الغربيّة المتنورة، والتي تشكل المصدر العلمي الهام للتقدم التّكنولوجي؛

❖ غالبيّة المحاضرين تلقوا تعليمهم في الدّول الأجنبيّة، ولا يتقنون العربيّة كلغة مهنيّة للمادة التي يدرّسونها؛ أما الكتب المترجمة أو المادة التي تدرَّس بالعربيّة في العلوم الإنسانيّة تظهر تباينًا في المصطلح للمفهوم الواحد، وإذا ما تم ترجمته أو تعريبه اختلفت التّرجمة من قطر عربي إلى آخر، وهذا بحد ذاته يشكل خطرًا على وحدة الفكر بين المثقفين.[16]

_ هيمنة اللغة الانجليزيّة على المشهد العام في شوارع معظم المدن العربيّة حيث إن أسماء المحلات التّجاريّة والإعلانات التّجاريّة سواء في الشّوارع أم داخل

المحلات، وكذلك أسماء المنتجات، كل ذلك يكتب باللغة الانجليزيّة، فعلى سبيل المثال وصل هذا الأمر في بعض شوارع مدينة أسيوط في مصر إلى أن أكثر من 90% من أسماء المحلات التّجاريّة في تلك المدينة مكتوب باللغة الإنجليزيّة

_ انتشار ظاهرة العبارات الانجليزيّة التي تكتب على الملابس، حتى أنه في معظم الأحيان لا يعرف من يرتدي هذه الملابس معاني تلك العبارات الانجليزيّة!؛

_ اشتراط اتقان اللغة الإنجليزيّة للتوظيف والتّشغيل: واذا نظرنا إلى وضع اللغة العربيّة في سوق العمل نجد أن المبالغة في أهميّة اللغة الإنكليزيّة واشتراط إجادتها كتابة وقراءة وتحدثاً من قبل الشّركات الأجنبيّة وغيرها قد أصبح ظاهرة تستحق الوقوف عندها وتأملها بل وتأمل انعكاساتها على مصلحة الوطن وملامح الهويّة، ومن المتوقع أن تزداد مزاحمة اللغة الأجنبيّة للعربيّة شراسة في سوق العمل مع استفحال ظاهرة العولمة، إذا ترك الحبل لهذه اللغات الأجنبيّة على الغارب[17]، فلماذا يُجبر المواطن العربي على إجادة اللغة الانجليزيّة للحصول على العمل في بلده، وإذا لم يجدها يستبدله أصحاب الشّركات وأرباب العمل بعمال أجانب يجيدونها، وبذلك يسدون على مصدر قوته بينما يتعين على من يقصد البلدان الأجنبيّة إجادة لغاتها قبل التّوجه إليها؟!!

ومن المنتظر أن تسهم هذه الشّركات العالميّة العابرة للحدود في تعميق هذا الوضع وجعله أشبه ما يكون بالأمر الواقع، مما يتسبب في استجلاب المزيد من العمالة الأجنبيّة، وسد الباب أمام المواطن العربي إلا إذا وفى بهذا الشّرط المجحف، الذي لا يشترط في أي بلد متقدم[18]؛

_انتشار ظاهرة التّحول اللغوي إلى اللغة الانجليزيّة أثناء الحديث من دون أيّ مبرّر لذلك، في حين أن هذه الكلمات والعبارات لها مرادفاتها في اللغة العربيّة.

_هيمنة اللغة الإنجليزيّة في مجالات مصطلحات "الأنترنت" و"الحاسوب"

وتكنولوجيا الاتصالات، سواء من حيث المصطلحات أم المنتجات ذات الصّلة بهذه المجالات وكذلك، المصطلحات العلميّة في شتّى مجالات المعرفة خصوصا في ظلّ تراجع حركة التّعريب في مجالات المصطلحات الحديثة، وذلك لغياب المؤسسات القوميّة المتخصصة التي تتولى التّنسيق بين المراكز البحثيّة والجامعات العربيّة من أجل الاستفادة من المقترحات، والاجتهادات والرّؤى المختلفة في هذا المجال وتتضح هذه الصّورة تماما في مجال تعريب المصطلحات اللغويّة الحديثة، حيث يلاحظ غالبا عند تعريب مصطلح لغوي معين شيوع العديد من الألفاظ العربيّة للتعبير عن المفهوم اللغوي الذي يعبر عنه المصطلح؛

_استخدام اللغة الانجليزيّة، والفرنسيّة في بعض القنوات التّلفزيونيّة ووسائل الاعلام الأخرى في الكثير من الدّول العربيّة؛

_ الاعتقاد السّائد بين شرائح كثيرة في معظم البلدان العربيّة أن اللغة الانجليزيّة هي رمز الحداثة والتّحضر والمدنيّة؛

_ استخدام الانجليزيّة في الكتابة على المنتوجات المحليّة والإعلانات الصّحفيّة.

4. مخاطر هيمنة اللغة الانجليزيّة على اللغة العربيّة: نذكر من بين مخاطر هيمنة اللغة الإنجليزيّة على اللغة العربيّة ما يلي:

_ ذوبان الهويّة: ترتبط اللغة بالهويّة في شكل ثنائي، إذ يستمد كل طرف كيانه من الآخر، فلا تصور لهويّة مجتمع من دون لغة، وللغة من دون هويّة[19] و"هويّة الشّيء هي ثوابته التي تتجدد ولا تتغير ...إنها كالبصمة بالنّسبة للإنسان يتميز بها عن غيره"[20] فهي تشمل الخصائص التي تميز الانسان عن غيره كالدّين واللغة والتّاريخ والتّراث...إلخ. واللغة هي التي تحافظ على وحدة المجتمع وهويته، وبناء حضارته؛ فهذه اليابان عقب استسلامها في الحرب العالميّة الثّانيّة " قد فرض الأمريكيون شروطهم المجحفة عليها مثل تغيير الدّستور وحل الجيش ونزع السّلاح...إلخ، وقد قبلت اليابان جميع تلك الشّروط ما عدا شرطا

واحدا لم تقبل به وهو التّخلي عن لغتها القوميّة في التّعليم، فكانت اللغة اليابانيّة منطلق نهضتها العلميّة والصّناعيّة الجديدة" [21]، ولم تفعل اليابان ذلك إلا لأنها متيقنة من أن لغتها هي فقط التي تعكس انتمائها وتاريخها وهويتها ولايمكن استبدالها بغيرها، ولو لم تفعل ذلك لذابت هويتها ولبقيت تعيش التّبعيّة إلى أجل غير مسمى بسبب الهيمنة اللغويّة الانجليزيّة .

وكذلك الشّأن بالنّسبة للهويّة العربيّة التي لا يمكن أن تعبّر عنها سوى اللغة العربيّة، فاللغة هي حاملة الثّقافة واللغة الانجليزيّة حاملة لثقافة أجنبيّة وليست نابعة من صلب المجتمع العربي، فهي إن منحت مجتمعنا حياة الآخر فإنها لن تحمل له خصوصيته واستقلاليته، لأنها حملت ثقافة الآخر وهويته وإن لم نواجه تحديات واقع الهيمنة اللغويّة الاجنبيّة ستظل أجيالنّا تعيش حاضرا مفصولا عن ماضيها، وبذلك ستعيش هويّة غير هويتها ، ومن لا ماضي له لا حاضر له[22]؛

_ إن هيمنة اللغة الانجليزيّة في مراحل التّعليم المختلفة في شتى بلدان الوطن العربي من شأنه أن يهدد القدرة على الابتكار والابداع، ويحول دون التّميز والابداع في مجال التّخصص، فضلا عن الصّعوبات التي يواجهها الدّارسون فهم يتعاملون مع اللغة الأجنبيّة بطريقة رمزيّة وآليّة إذ يتواصلون ويفكرون في حياتهم اليوميّة بالعربيّة[23] وقد أجريت دراسات كثيرة تشير إلى هذه الصّعوبات؛

_ تمتد الآثار السّلبيّة لهيمنة اللغة الانجليزيّة الى مستقبل اللغة العربيّة حيث إنه من شأن هذه الهيمنة أن تؤدي خصوصا على المدى البعيد إلى حرمان اللغة العربيّة من المصطلحات الدّالة على المخترعات والمكتشفات الحديثة في شتى مجالات المعرفة[24].

5. **بعض سبل التّصدي لمخاطر الهيمنة على اللغة العربيّة:** إن أي لغة بشريّة قادرة على أداء وظائفها التّواصليّة من دون أي خلل وأي لغة يمكن أن

تصبح مهيمنة أو مهيمنا عليها وفقا للمكانة الثّقافيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة لصاحب تلك اللغة[25]، فأصحاب اللغة هم من يرفعون مكانة لغتهم وينهضون بها وفي مايلي بعض مما يمكن القيام به للحدّ من مخاطر الهيمنة اللغويّة على العربيّة[26]:

1.5 دور التّعريب في مكافحة مخاطر الهيمنة على اللغة العربيّة: إن عمليّة تعريب المؤسسة العلميّة كالجامعات والمدارس والمراكز البحثيّة ليست عمليّة لغويّة فقط، وإنما هي عمليّة فكريّة أيضا تسهم في تحقيق استقلاليّة الفكر من النّقل والتّبعيّة، وعليه فالتّعريب ضرورة لغويّة إذ يعدّ من أهم آليات تطوير اللغة العربيّة من خلال استحداث مصطلحات لازمة للتعبير عن مفاهيم جديدة في شتى المجالات المعرفيّة، والتّعريب ضرورة علميّة أيضا لكون تعريب التّعليم يضع بين أيدي طالبي العلم أداة طيعة من أدوات التّعبير تساعد في زيادة الفهم وسرعته وتسهيل التّحصيل العلمي[27].

2.5 دور المؤسسات التّعليميّة والثّقافيّة في مكافحة مخاطر الهيمنة على اللغة العربيّة: أما على مستوى المؤسسات التّعليميّة فلا بد من تفعيل التّواصل باللغة العربيّة، وأن تكون هذه اللغة هي اللغة الرّسميّة علميا ووظيفيا وليس رمزيا فحسب ومن سبل تفعيل التّواصل اللغوي بالعربيّة مايلي:

- الزّام وسائل الإعلام كافة بضرورة استخدام الفصحى وتبنيها؛
- الزّام الجامعات في الوطن العربي بضرورة التّدريس باللغة العربيّة، وتفعيل ذلك داخل قاعات المحاضرات؛
- الزّام كافة المؤسسات باستخدام اللغة العربيّة؛
- ضرورة إنشاء هيئة قوميّة للتعريب على مستوى العالم العربي تتولى مهام تعريب العلوم بالتّنسيق بين الجامعات العربيّة؛
- تشجيع الجامعات على مستوى العالم العربي من أجل إيجاد قنوات للنشر

العلمي باللغة العربيّة.

3.5 دور الفرد والمجتمع في مكافحة مخاطر الهيمنة اللغويّة على اللغة العربيّة: ينبغي أن نحرص على المستوى الفردي على تفعيل اللغة العربيّة في شتى أنماط التّواصل على الاستخدام السّليم لها، وذلك بغض النّظر عن تخصصاتنا أو خلفياتنا الأكاديميّة، فهل نقبل مثلا أنّ استاذا جامعيا انجليزيا أو امريكيا لا يجيد التّحدث باللغة الانجليزيّة؟ فلماذا إذا نجد أنّ التّواصل الشّفوي في الأوساط الأكاديميّة والرّسميّة تهيمن عليه اللهجات المحليّة؟ وإذا استخدمت العربيّة سمعت من الأخطاء ما يجعلك تسأل: كيف اجتاز هؤلاء اختبارات اللغة العربيّة في مراحل التّعليم المختلفة في ضوء تلك الأخطاء اللغويّة؟

4.5 دعم الإرادة السّياسيّة وصناع القرار في مكافحة مخاطر الهيمنة على اللغة العربيّة : إن الدّور الأكبر والأكثر فاعليّة في مكافحة خطر الهيمنة هو دور الارادة السّياسيّة وصناع القرار اذ يوفر الدّعم المادي اللازم لإنشاء الهيئات والمجامع اللغويّة التي تضع الخطط الاستراتيجيّة اللازمة لتشخص الواقع اللغوي ثم التّخطيط ثم التّنفيد، ناهيك عن أنّ الارادة السّياسيّة هي من يسن القوانين الرّادعة لحمايّة اللغة العربيّة في دارها، اذ نعلم جميعا أن هناك مئات الابحاث المملوءة بالتّوصيات الوجيهة التي تتعلق بقضايا الهيمنة على اللغة العربيّة لكن لن تحقق ما لم تلق دعما سياسيا.

وعلى الحكومات القائمة في العالم العربي أن تستشعر هذا الخطر ويكون عليها أقل الواجب أن تقوم ب [28]:

• مراقبة السّلع والبضائع كافة والمنتجات الصّناعية والزّراعية، وخاصة المصنعة في العالم العربي وأن تكون نشراتها ومسمياتها عربية، وتجنب كتابة أسماء تلك المنتجات الأجنبية بالحرف العربي بكيفية نطقها في اللغة الأجنبي؛

• مكافحة الدّولة لكل مظاهر "أجْنَبَة" المحيط خاصة فرنسة وأنجلزة واجهات المحلات التّجارية والمصانع والشّركات، وعدم منح التّراخيص اللازمة إلا بعد تعريبها بالكام؛

• اعتماد الدّولة اللغة العربية في مراسلاتها الخارجية والدّاخلية، والزّام سفرائها والمتحدثين باسمها اللغة الفصيحة في اللقاءات الدّولية والمؤتمرات الصّحفية أو التّوقيع على المعاهدات والاتفاقيات التّجارية؛

• إشراك المثقفين والمفكرين كافة والعلماء في شتى العلوم بوضع ميثاق شرف يتبنى الدّفاع عن اللغة العربية في المجالات كافة، والاهتمام بالنّشر الإلكتروني وتعريب المواقع الإلكترونية ولغة البرمجة الحاسوبية، ليكون بالإمكان التّعامل مع المواقع الإلكترونية باللغة الفصيحة بدءا بكتابة العنوان الإلكتروني وانتهاء بمحركات البحث الإلكترونية، وتخصيص جائزة مجزية لتوفير محرك بحث عربي يعتمد اللغة العربية لغة أساسية على غرار المحركات الأجنبي؛

• مراقبة المواقع والمنتديات الإلكترونية، وعمل التّوعية الضّرورية لاستخدام اللغة السّليمة، وليكن هناك نوع من الرّقابة الذّاتية، لرفض استخدام التّعليق على الموضوعات إلا باللغة الفصيحة، وتجنب الحديث بالعامية أو اللغات الأجنبية؛

• ربط النّاشئة بمصادر معرفية غير تقليدية، تتوافر فيها التّقنية الجيدة والإخراج الفني عالي المستوى، ليكون جاذبا وبديلا عن القنوات الأجنبية وخاصة فيما يتصل بعالم التّرفيه والألعاب الإلكترونية والأفلام التّعليمية الهادفة، والتي تحمل مضمونا ولغة عربية حتى نخلق في النّاشئة إحساسا متناسقا حول حقيقة كونه ينتمي إلى حضارة وارفة لها جذورها التّراثية وامتداداتها المعاصرة كذلك؛

• تقديم الكتب التّراثية بلغة مبسطة وبالاعتماد على التّقنيات الحديثة

• الاهتمام بالأطفال اهتمام من يحرص على المستقبل، فتتكون خطة عمل طموحة وجريئة، تستهدفهم بمجموعة أنشطة، معدة جيدا، وليكن ذلك مثلا خلال العطل الصّفية من خلال المخيمات الصّيفية، وليكن للغة العربية مكان في تلك الأنشطة، بهدف رفع مكانتها في نفس الطّفل وتجعله مقبلا عليها وبكل أريحية وتوظيف حب الأطفال للموسيقى والغناء والنّشيد من أجل تحقيق هذا الغرض.

إن هيمنة اللغات الأجنبيّة وفي مقدمتها اللغة الانجليزيّة هي اليوم ظاهرة وواقع لم تسلم منه اللغة العربيّة في شتى مجالات الحياة، ولعل ما عرضناه يعكس البعض منها، وهذا يستوجب على العربيّة أن تواجه تحدي الهيمنة وليست الهيمنة الإنجليزيّة فحسب بل هيمنة كل اللغات بما فيها الفرنسيّة حتى تحافظ على مكانتها المستحَقَّة، ولن يتحقق ذلك إلا إذا استعادت الأمة العربيّة عافيتها فاللغة مرآة المجتمع تقوى إذا قوي، وتضعف إذا ضعف.

المراجع:

1)- أحمد كنعان، اللغة العربيّة والتّحديات المعاصرة وسبل معالجتها، بحث مقدم للمؤتمر الدّولي للغة العربيّة" العربيّة لغة عالميّة :مسؤوليّة الفرد والمجتمع والدّولة" 19_23 مارس 2012 بيروت.

2)- ابن جني، الخصائص، تحقيق:محمّد علي النّجا، دار الكتب المصريّة، دط، دت، ج1

3)_ أمين آل ناصر الدّين، دقائق اللغة العربيّة، جامع أسرار اللغة العربيّة وخصائصها مكتبة لبنان ، بيروت، ط3، 1986.

4)- جون جوزيف ، اللغة والهويّة ، قوميّة ، اثنيّة، دينيّة تر: عبد النّور خراقي ، عالم المعرفة ، الكويت ط2007 .

5)_ عبد الجواد توفيق محمود ، الواقع اللغوي في العالم العربي في ضوء هيمنة اللهجات المحليّة واللغة الانجليزيّة، مجلة رؤى استراتيجيّة، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجيّة المجلد الثّاني، العدد 5 يناير 2014، .

6)- عبد الرّحمن ابن خلدون ، المقدمة، تحقيق عبدالله محمّد الدّرويش ، الدّار التّونسيّة ط 1984، ص: 195

7)- هشام أحمد شمس الدّين،(2015م)، الهيمنة اللغويّة ، www.ida2at.com

8)_رائد مشتاق،(2016م)، العربيّة والصّراع اللغوي من الانفتاح الحضاري إلى الهيمنة اللغويّة www.uobasrah-art.edu.iq

9)_ روبيرت فيليبسون، الهيمنة اللغويّة، تر: سعد بن هادي الحشاش، جامعة الملك سعود للنشر العلمي والمطابع، الرّياض،ط1428هـ/ 2008م .

10)- عدنان جرجس، دور تعريب التّعليم في تيسير التّعليم العلمي(نقلا عن عبد الجواد توفيق محمود، المرجع السّابق

11)- عيسى برهومة، (2009) جدل العلاقة بين اللغة والهويّة www.alghad.com.

12)_فتحي جمعة ، اللغة الباسلة، دار النّصر، مصر، ط5 ، سنة 2000 .

13)_ فلوريال كولماس ، اللغة والاقتصاد، تر: احمد عوض ، عالم المعرفة ، الكويت ، ط 2000م.

14) _ فراس حج محمّد ، الأخطار التي تهدد اللغة العربيةة وسبل مواجهتها، مجلة عود النّد العدد السّادس 2017 مكتبة عود النّد، فلسطين

15)_ليلى بيومي، (2014)، المدارس الأجنبيّة في بلادنا، غزو آن له أن ينتهي،www.ar.islamway.net

16)_محمّد أمارة، العربيّة ودورها في بناء المجتمع المعرفي العربي: تحديات القرن 21 دراسات المركز العربي للحقوق والسّياسات، www.dirasat-aclp.org

17)_ محمّد عمارة، مخاطر العولمة على الهويّة الثّقافيّة، نهضة مصر، ط 1، سنة 1999م .

18)_ محمّد أحمد السّيد، اللغة العربيّة وتحديات العصر، دمشق ط 2008، ص:167_168.

19)- ياسين بوراس ، هيمنة اللغات الاجنبيّة على اللغة العربيّة ، مخاطرها على المجتمع العربي ، مجلة الممارسات اللغويّة ، مخبر الممارسات اللغويّة في الجزائر ، جامعة مولود معمري تيزي وزو ، العدد 30، 2014م،

الهوامش:

[1] ابن جني، الخصائص، تحقيق:محمّد علي النّجا، دار الكتب المصريّة، دط، دت، ج1، ص:33.

[2] هشام أحمد شمس الدّين، الهيمنة اللغويّة (مقال) 14 أكتوبر2015م، 1:33 www.ida2at.com

[3] رائد مشتاق،(2016م)،العربيّة والصّراع اللغوي من الانفتاح الحضاري إلى الهيمنة اللغويّة www.uobasrah-art.edu.iq

[4] أمين آل ناصر الدّين، دقائق اللغة العربيّة، جامع أسرار اللغة العربيّة وخصائصها مكتبة لبنان بيروت، ط3، 1986، ص:11.

5 عيسى برهومة، (2009) جدل العلاقة بين اللغة والهويّة، www.alghad.com.

[6] روبيرت فيليبسون، الهيمنة اللغويّة، تر: سعد بن هادي الحشاش، جامعة الملك سعود للنشر العلمي والمطابع، الرّياض، ط1428هـ/ 2008م ص:58.

[7] فتحي جمعة، اللغة الباسلة، دار النّصر، مصر، ط5، سنة 2000 ، ص: 22.

[8] عبد الرّحمن ابن خلدون، المقدمة، تحقيق عبدالله محمّد الدّرويش، الدّار التّونسيّة ط 1984، ص: 195.

[9] ينبغي أن لايفسر ذلك على أن الباحثة ضدّ تعلم اللغات الأجنبيّة، لكنها ضد ذوبان الهويّة والانسلاخ اللغوي.

[10] جون جوزيف، اللغة والهويّة، قوميّة، اثنيّة، دينيّة تر: عبد النّور خراقي، عالم المعرفة، الكويت ط 2007.

[11] فلوريال كولماس، اللغة والاقتصاد، تر: احمد عوض، عالم المعرفة، الكويت، ط 2000م.

[12] ياسين بوراس، هيمنة اللغات الاجنبيّة على اللغة العربيّة، مخاطرها على المجتمع العربي ، مجلة الممارسات اللغويّة ، مخبر الممارسات اللغويّة في الجزائر ، جامعة مولود معمري تيزي وزو ، العدد 30 2014م، ص: 3.

[13] ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص:457_458.

[14] عبد الجواد توفيق محمود ، الواقع اللغوي في العالم العربي في ضوء هيمنة اللهجات المحليّة واللغة الانجليزيّة، مجلة رؤى استراتيجيّة، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجيّة المجلد الثّاني، العدد 5 يناير 2014، ص: 130 .

[15] ليلى بيومي، (2014)المدارس الأجنبيّة في بلادنا، غزو آن له أن ينتهي،www.ar.islamway.net

[16] محمّد أمارة، العربيّة ودورها في بناء المجتمع المعرفي العربي: تحديات القرن 21 دراسات المركز العربي للحقوق والسّياسات، www.dirasat-aclp.org

[17] أحمد كنعان، اللغة العربيّة والتّحديات المعاصرة وسبل معالجتها، بحث مقدم للمؤتمر الدّولي للغة العربيّة" العربيّة لغة عالميّة :مسؤوليّة الفرد والمجتمع والدّولة"، 19_23 مارس 2012 بيروت.

[18] نفسه.

[19] ينظر: ياسين بوراس، هيمنة اللغات الاجنبيّة على اللغة العربيّة، مخاطرها على المجتمع العربي ص: 4

[20] محمّد عمارة، مخاطر العولمة على الهويّة الثّقافيّة، نهضة مصر، ط 1، سنة 1999م، ص:6.

[21] محمّد أحمد السّيد، اللغة العربيّة وتحديات العصر، دمشق ط 2008 ص:167_168.

[22] ينظر: ياسين بوراس، هيمنة اللغات الاجنبيّة على اللغة العربيّة، ص:7.

[23] عبد الجواد توفيق محمود، الواقع اللغوي في العالم العربي في ضوء هيمنة اللهجات المحليّة واللغة الانجليزيّة، ص:132.

[24] نفسه، والصّفحة نفسها

[25] نفسه، والصّفحة نفسها

[26] نفسه، والصّفحة نفسها.

[27] ينظر: عدنان جرجس، دور تعريب التّعليم في تيسير التّعليم العلمي(نقلا عن عبد الجواد توفيق محمود، المرجع السّابق).

[28] فراس حج محمّد، الأخطار التي تهدد اللغة العربكة وسبل مواجهتها، مجلة عود النّد، العدد السّادس 2017 مكتبة عود النّد، فلسطين.

الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

رئاسة الجُمهُوريّة

المَجلِس الأَعْلَى للّغة العربيّة

إعلان عن جائزة المجلس للغة العربيّة 2022

يعلن المجلس الأعلى للغة العربيّة عن تنظيم (**جائزة المجلس للغة العربيّة لسنة 2022**) التيّ تهدف إلى تشجيع الباحثين من داخل الوطن، وتثمين منجزاتهم العلميّة والمعرفيّة والإبداعيّة، ذات المردود النوعيّ الهادف إلى إثراء اللغة العربيّة، والإسهام في نشرها وترقيّتها، سواء أكانت هذه الأعمال مؤلّفة باللغة العربيّة، أم مترجمة إليّها.

1. **شروط الترشح للجائزة:**

- أن يقدّم العمل باللغة العربيّة؛
- أن يتوفّر العمل على قواعد المنهجيّة العلميّة؛
- أن يكون العمل موثقّاً وأصيلاً، وفي مجال التّرجمة ترفق نسخة للنّص بلغته الأصليّة؛
- أن يكون العمل المقدّم لا يتجاوز خمسمائة (**500**) صفحة (مكتوبة بخطّ simplified arabic حجم **14**)؛
- ألاّ يكون العمل قد نال به صاحبه جائزة أو شهادة علميّة؛
- ألاّ يكون العمل قد نُشر، ويُصحب بتصريح شرفيّ، يحمّل من موقع المجلس؛
- أن يندرج العمل في أحد المجالات المذكورة أدناه؛

- قرارات لجنة التّحكيم غير قابلة للطعن؛
- لا ترّد الأعمال إلى أصحابها؛ سواء فازت أم لم تفز؛
- لا يحقّ للحائز على جائزة المجلس للغة العربيّة، أن يتقدّم بعمل آخر إلاّ بعد مرور دورتين من حصوله عليها.
- تعرض الأعمال المرشّحة على لجنة تحكيم؛ مكوّنة من ذويّ الاختصاص والذين لا يسمح لهم بالمشاركة في الجائزة.

2 ــ **مبلغ الجائزة:** حدّد مبلغ الجائزة بـ **2.000.000** دج، يوزّع بمقدار**500.000** دج لكلّ مجال من المجالات الأربعة التالية:

2 /1 - جائزة المجلس في علوم اللّسان.

2 /2 – جائزة المجلس في برمجيات الدّعم باللغة العربيّة.

2 /3 - جائزة المجلس في التّرجمة إلى العربيّة.

2 /4 – جائزة المجلس في وسائل الإعلام والاّتصال والتّواصل الاجتماعيّ باللّغة العربيّة.

في حالة وجود جائزتين: استحقاقيّة- تشجيعيّة؛ يوزّع المبلغ الماليّ في كلّ مجال من مجالات جائزة المجلس للغة العربيّة على النّحو التّالي:

- **70**% لجائزة الاستحقاق؛
- **30**% للجائزة التّشجيعيّة.

وفي حالة حجب جائزة في مجال من المجالات، يمكن للجنة التّحكيم أن تقترح جائزة تشجيعيّة، تقطتعها من المجال المحجوب إلى مجال آخر، على ألاّ تتجاوز قيمتها **50**% من مبلغ الجائزة الثّانية.

- تنشر الأعمال الفائزة، ضمن منشورات المجلس باستثناء الجائزة التّشجيعيّة التي تُحال على هيئتي تحرير مجلتي: اللغة العربيّة، ومجلة معالم للتّرجمة؛ للتّداول بشأن إمكانيّة نشرها في عدد من أعدادهما.
- تصبح الأعمال الفائزة بجائزة المجلس مِلْكا للمجلس، إلا أنّه يمكن لمؤلفّها استعادة حقوقه بعد انقضاء ثلاث (**03**) سنوات من نشر العمل.

3. **طلب التّرشّح**: يتكوّن طلب التّرشّح للجائزة من الوثائق الآتيّة:

- طلب خطيّ؛
- تصريح شرفيٌّ بعدم نشر هذا العمل، يحمّل من موقع المجلس؛
- نسخة من وثيقة الهوية (بطاقة التّعريف أو رخصة السّياقة)؛
- السيرة العلميّة للمشارك؛
- نسختين/**02** من البحث المقدّم لنيل الجائزة:

❖ النّسخة الأوّلى/ مسجّلة على قرص؛

❖ والنّسخة الثّانية /توجّه عن طريق البريد المسجّل، ويكون تاريخ الختم البريدي شاهداً على ذلك.

4. **للتّذكير**؛ إنّ باب التّرشّح مفتوح **إلى غاية 31 مارس 2022.**

للاستفسار: الاتّصال بالرّوابط: الهاتف: 09 07 23 021 / 99 88 23 021.

البريد الإلكتروني: jaizamajeless2022@gmail.com **ah**

5 ــ يوجّه ملّف التّرشّح إلى العنوان الآتي:

السّيد رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة

شارع فرانكلين روزفلت، الجزائر.

أوص.ب : 575 شارع ديدوش مراد الجزائر العاصمة

(جائزة المجلس للغة العربيّة 2022).

تمّ إخـــراج وطبــع بـ :

دار الخلدونية للطباعة والنشر والتوزيع

05، شارع محمد مسعودي القبة القديمة–الجزائر

الهواتف: 05.42.72.40.22–021.68.86.48–021.68.86.49

البريد الإلكتروني :khaldou99_ed@yahoo.fr